البيت الدمشقي

١



زكريا محمد كبريت

مهندس معماري استشاري

موافقة وزارة الإعلام رقم /٤٩٢٨٥/ تاريخ ٢٠/٩/٢٠٠٠م

الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

البيت الدمشقي - خلال العهد العثماني

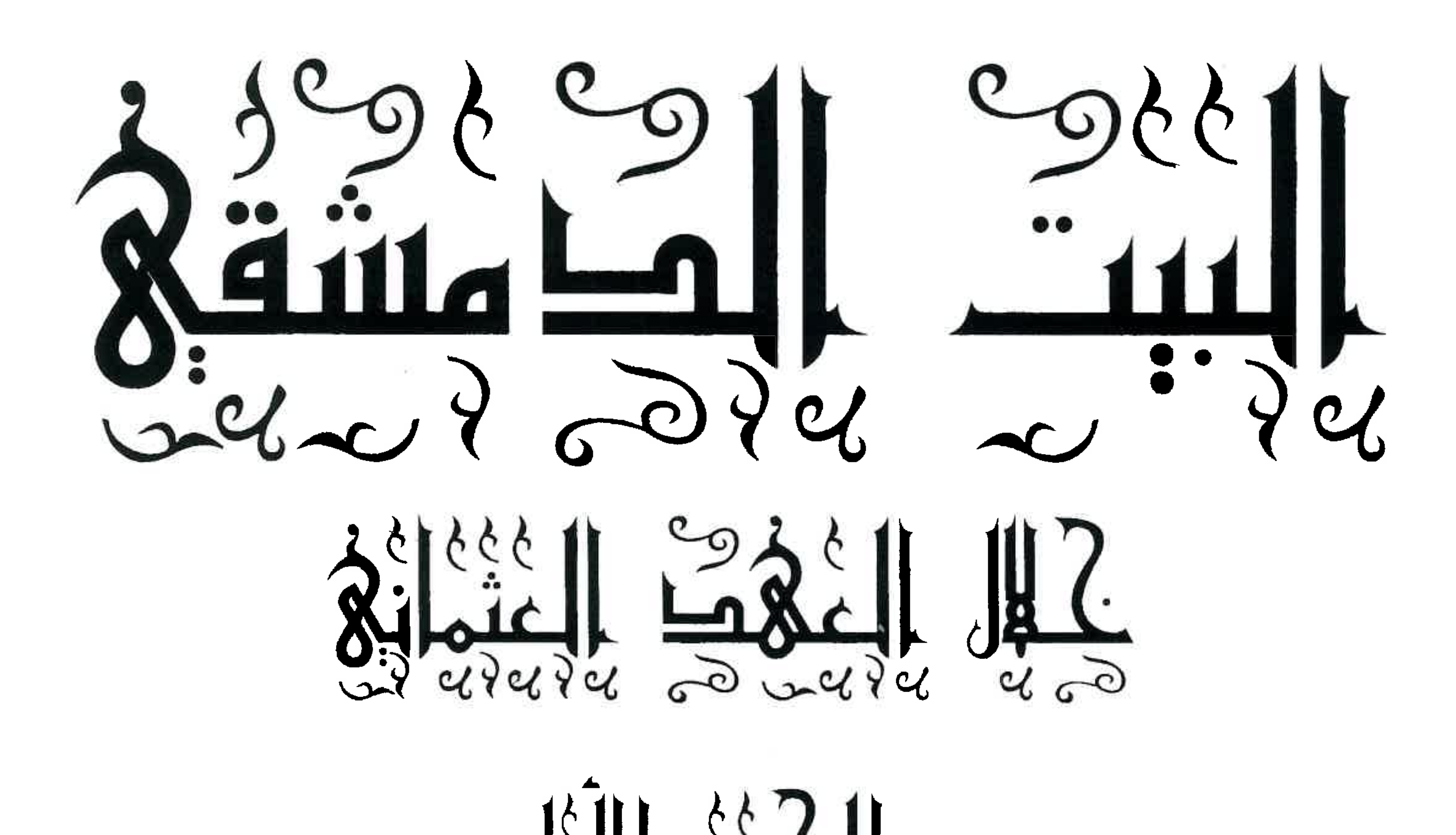
الجزء الأول

تأليف المهندس المعماري الاستشاري
زكريا محمد كبريت

☎ ٣٧٣٣٧٥٣
ص.ب ٦٩٠٠
دمشق - سوريا

الإشراف اللغوي : د. سمير محمد كبريت

التحضير الطباعي : مركز الشريف - دمشق
التنفيذ الطباعي : مؤسسة الصالحاني - دمشق



دراسة معمارية

إعداد المهندس المعماري الاستشاري

زكريا محمد كبريت


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

الفصل السادس

الفصل السابع

الإهداء

...إلى من وجّهني منذ نعومة أظفاري ....

... إلى مَن ربّاني التربية الرفيعة ....

... إلى مَن حرّر فكري ... بتوجيهه

وأنار قلبي ... بصحبته

وفتّح بصيرتي ... بمعيّته

... إلى مَن أضاء لي السبيل في ظلمات الدنيا ....

... إلى مَن زرع في نفسي محبة الأوّلين وتراثهم ....

فاختلطت بدمي وروحي ....

وانعكست في باكورة أعمالي المتواضعة ....

.... أقدّمها وأهديها لكل صاحب فضل علي ...

.... غمرني بحنانه ووِدّه وعنايته ....

.... حتى وجدت نفسي مجبراً لأقدّم عملاً وفاءً ...

.... لأياديه البيض ....

.... ولسواعد بناة أمتنا العظيمة ....

.... عسى أن يكون بصيص عون لكل باحثٍ ومهتمٍ بتراثنا المجيد ....

.... الذي نفخر به ونعتز مدى الحياة ....



باقة شكر

- لا أستطيع إلاّ أن أبدأ بشكر مُلهمي الأول لإنجاز هذه الدراسة ..
... أبدأ بشكر أستاذي ومعلمي الأول في الجامعة الذي ..
... غرس في نفسي اللبنة الأولى في مضمار العمارة الإسلامية
... وجعلني أقف خاشعاً لهذه الحضارة المميزة
... وأغدق علي من علمه الغزير
... حتى أصبح همّي أن أغرف غرفة من بحار معالمها المعمارية
... ظهرت ترجمته بهذا الكتاب المعبّر
... فشكراً لأستاذي القدير الدكتور صالح لمعي مصطفى
... وجعله الله أهلاً ليتبوّأ المناصب العليا للحفاظ على تراث أمتنا المجيدة

- ولا أنسى شكر والديّ الكريمين رحمهما الله وأخي الكبير سليم أطال الله عمره وأدامه ، أصحاب الفضل والوفاء الأول عليّ ، الذين وفّروا لي الظروف الكاملة حتى جعلوني أهلاً لسبر أغوار العمارة الإسلامية العظيمة ...
... التي وقفت على شاطئها عبر هذه الدراسة المعمارية .

- وأشكر أخي الدكتور سمير اللغوي الضليع
الذي أشرف على تنقيح الكتاب ...
ونزع الشوك من مكامنه ...
وألبسه حلّة بهيّة عامرة بالفصاحة والبلاغة

- وأشكر أخي المهندس جمال ...
الذي رافقني في رحلة تأليف هذا الكتاب خطوة خطوة ...
وكان لي العون والسند في مهمتي الحافلة بالعقبات والصعوبات ...
فجزاه الله عني كل خير...

- وأشكر كل من ساهم في معاونتي في هذا العمل ...
من طلبة ومهندسين وأساتذة وجهات عامة وخاصة ...
كان لها الأثر الكبير في تدعيم خطواتي الصعبة ...
فشكراً لملهم وفتحي وغيرهم من الإخوة الكرام ...

- وأشكر سلفاً كل من يتقدم بنصحي ...
أو يدلي بمعلومات تصحيحية ... أو مخططات توضيحية ...
تبين ما أغفلته ... وتصحح ما رسمته ...
حتى يصبح هذا العمل متكاملاً ...
وليكون نبراساً وعوناً لكل معماري مهتم صاحب رؤية وذوق رفيع .

وقد شعر المؤلف المهندس **زكريا كبريت** (☆) – والذي كان أحد طلابي المتميّزين في كلية العمارة بجامعة بيروت العربية بما تحتويه هذه **البيوت الشامية** من أنماط معمارية وفنون زخرفية وحرف يدوية أيقظت لديه الحِسّ إلى جمع ودراسة وتحليل هذه المباني الرائعة ، ليُخرج لنا هذه الدراسة لاستكمال ما سبق نشره في ذلك المجال ، ولإيقاظ الوعي ليس فقط بين الدارسين للعمارة ، بل أيضاً بين سكان المدينة العظيمة لهدف الحفاظ على هذه الدور المعمارية لاستخلاص المبادئ والقيم المعمارية ، وإدخالها في لغة معمارية جديدة تتناسب مع العصر الذي نعيشه ، تأكيداً للشخصية العربية ، وعدم الارتماء في أحضان الحضارة الغربية بدون وعي أو تمييز ..إن التراث العربي يجب أن يبقى دائماً مصدراً للإلهام ، يتجدد على الدوام ، ليلائم مسيرة التقدم والإعمار ، ويبشر بالمستقبل الأكثر تطوراً وملاءمةً للإنسان في عالمنا العربي ..

والله ولي التوفيق ..

صالح لمعي

٣٠ ذي القعدة ١٤٢٠ هـ
٦ آذار ٢٠٠٠ م

(☆) خريج عام ١٩٧٩م.



تمهيد

قُم ناجِ **جِلّقَ** وانشدْ رسمَ مَن بانوا	مشتْ على الرسمِ أَحداثٌ وأزمانُ
..آمنت بـالله واستثنيـتُ جنّتَـه	**دمشق** رَوحٌ وجنـاتٌ وريحـانُ
..خَلّفتُ **لبنانَ** جنّات النعيم وما	نُـبِّـئتُ أنَّ طـريـقَ الخُلـدِ **لبنان**

أبيات متفرّقة من قصيدة ألقاها الشاعر أحمد شوقي في المجمع العلمي اللغوي بدمشق عندما زارها وقد أُستقبل بها بحفاوة ، واصفاً فيها إعجابه العظيم بدمشق جنَّة الخلد.☆

☆ أنيس المقدسي ، أعلام الجيل الأول من شـعراء العربية في القرن العشرين ص٨٠.

فهذه دمشق العربية المسلمة ، بلدنا وبلد خلائف الأرض ، من أبناء عبد شمس ، من إذا قالوا لبّت الدنيا ، وإن مالوا مالت الأرض ، وإن حكموا أطاع الزمان ، من كانت دولتهم تسع عشرة من دول هذه الأيام، من كانت راياتهم تخفق على بطاح فرنسا وسهول الهند وما بينهما، وكانت قصورهم تتيه على النجوم، وكانت أبوابهم تقف عليها الملوك . أما دمشق معاوية والوليد فهناك المجد والعلم والتقى وبارع الخلال ، فامشِ إليها وادخل دورها ، وجالس أهلها، تقرأ تاريخ المجد في صفحات من دور ووجوه وعادات ، وترَ بقايا الحضارات من لدن نوح قد استقرّت على فراش من السندس صنعته يد الله ، وقد توسّدت ركبتي "قاسيون"، فكان رأسها في "الصالحية"، وقدمها في "القدم" ، ، وقلبها في "الأموي" بيت الله الأطهر ، يطل عليها من فوق قبة النسر التي راعت بجلالها الأولين والآخرين ، ومآذنه الثلاث معجزات الصنعة في تاريخ العمران الإسلامي ... يخرج من مناراته خمس مرات كل يوم النداء الأقدس :"الله أكبر.. لا إله إلا الله "... فإن كان برج "ايفل" عَلَم باريس، فعلَمَ دمشق بيت الله العليّ ذي الجلال☆.

☆ الطنطاوي، دمشق ، صور من جمالهـا وعـبر من نضالها

ودمشق هي أكبر مدن سورية وفلسطين وموقعها في أواسط سورية ... "وهذه المدينة كثيرة المياه والبساتين وموقعها في سهل خصيب في غوطة تُعدُّ من أفضل جنات الدنيا ، وإلى شماليها جبل قاسيون يزيدها بهاءً ونضارة فتصبح كجنةٍ تجري من تحتها الأنهار فيها كل أنواع الفواكه والبقول وكل ما تشتهيه نفس الإنسان من مأكول ومشروب ومشموم ونزهة وانشراح. ونظراً إلى ذلك وإلى ما انطبع عليه أهلها من حسن السجايا ولطف الطباع حُسبت جنة في الأرض وفُضِّلَتْ بأشياء كثيرة على ما سواها من البلدان . وقد شهد لها بذلك أهل الذوق والآداب في كل عصر وآن" ، كما قال محمد بن آياس في كتابه بدائع الزهور.☆

☆ قساطلي ، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ص٥



صورة من دمشق في القرن الحالي

صورة دمشق من القرن الثامن عشر

وقال ابن بطوطة : "ودمشق هي التي تفضل جميع البلاد حسناً وتتقدمها جمالاً ، وكل وصف وإن طال فهو قاصر عن محاسنها".

وقال أبو الحسين بن جبير رحمه الله : "وأما دمشق فهي جنة المَشرق ، ومطلع نوره المُشرق ، وخاتمة بلاد الإسلام التي استقريناها ، وعروس المدن التي اجتليناها قد تحلت بأزاهير الرياض ، وتجلت في حلل سندسية من البساتين . وحلّت من موضع الحسن بالمكان المكين . وتزينت في منصتها أجمل تزيين . وتشرّفت بأن أوى المسيح عليه السلام وأمه إليها إلى ربوة ذات قرار ومعين . ظلٌ ظليل ، وماء سلسبيل تنساب مذانبه انسياب الأراقم بكل سبيل، ورياضٌ يحيي النفوس نسيمها العليل . وقد سئمت أرضها كثرة الماء ، حتى اشتاقت إلى الظماء، فتكاد تناديك بها الصم الصلاب ، أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب . وقد احدقت البساتين بها إحداق الهالة بالقمر ، والاكمام بالثمر . وامتدت بشرقيها غوطتها الخضراء امتداد البصر".☆

☆ قساطلي، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، ص.٦

وقال فيغا في رحلته إلى سورية والجليل : "عندما نقترب من دمشق تتسع أمامنا الحدائق من كل الجهات وتتفجر المياه لتنساب بين الأحجار وتقفز كالنوافير الصّاخبة ، فتعطي المدينة رداءً متلألئاً وشفافاً .... ليس هناك في اعتقادي واحة خلابة تفوق دمشق في العالم كله .. هنا تعتدل الحرارة بفعل الارتفاع ، والقرب من الصحراء يجعل الهواء نقياً . إن منظر المدينة يعطي انطباعاً أخّاذاً بالسكون إلى جانب الضوضاء المتمثلة في المدينة القديمة والتي تشكل تناقضاً جذّاباً مع ذلك الهدوء ... من قمة جبل قاسيون ، هذا الجبل الأجرد (بعد أن اقتلع تيمورلنك أشجاره العشرة آلاف من الأرز والنخيل خلال اجتياحه للشام) حيث نستمتع بمنظر رائع تتراءى المدينة من هنا رشيقة بيضاء بأسطحتها المستوية ومآذنها المشوقة وسط بساط من أوراق الأشجار المحيطة بها كالبحر الصغير أو البحيرة الكبيرة بلونها الأخضر الداكن المائل إلى الزرقة . وتعطيها أشعة الشمس لونا قرمزياً هادئاً ، إنها لاتبدو واسعة جداً ، لكنها نضرة جذابة . وسط غيطانها وبساتين أشجارها المثمرة. "☆

☆ جيرار روبين ، قصور وبيوت من دمشق في القرن ١٨ص٦.

وقد اختص ابن عساكر برواية الأحاديث النبوية عن دمشق ، فروى عن رسول اللهﷺ أن "أربع مدائن من مدائن الجنة وأربع مدائن من مدائن النار ، فأما مدائن الجنة فمكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق ..." ويوجز لنا ياقوت أسباب أهمية دمشق فيقول : " هي جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارة ، ونضارة بقعة ، وكثرة فاكهة ، ونزاهة رقعة ، وكثرة مياه ، ووجود مآرب".☆

☆ الحوليات ١٩٥١، ص ٢٧٤

وقد بدأت في دمشق منذ ثلاثمئة عام تقريباً مرحلة فريدة ، هي موضوع دراستنا في هذا الكتاب ، كانت ربيعاً خصباً للفن المعماري في المدينة عامة ، وفي مساكنها خاصةً . فكست زينات مبتكرة لم يشاهد مثلها من قبل باحات وغرف المنازل المترفة والقصور الفخمة .

وكان لحرفيي دمشق مخيلة طليقة فاستطاعوا في القرن الثامن عشر أن يبرزوا قدرة فائقة على ابتكار زينـات سـاحرة . كمـا امتلـكوا معرفـة فائقـة في تركـيز تلـك الزخـارف علـى الواجهات، حول الباحات الظليلة ، وعلى حواف نوافير الماء المتلألئة تحت مساقط النور وأوراق الأشجار وفي ردهات الاستقبال . وقد سعوا إلى أن يكون في نهاية الزقاق المتعرج باب بسيط يفتح أمام الضيف لتستقبله في كل مرة المفاجأة الرائعة والساحرة لصورة الجنّة.

وأما أبنية مدينة دمشق فهي شاهقة ملتصقة بعضها ببعض ، لا فسحة بـين الدار والأخرى حتى كأنّ المدينة بناء واحد .

وهذه الأبنية التي تشاهدها كأبراج عالية مبنية بحجارة بسيطة من وجه الأرض إلى ما فوقه بثلاث أو أربع أذرع وما فوق ذلك من لبن أو لبن وخشب وكلها مازورة بطين أحمر ، ولامنظر لها من خارج ، وأما من داخل فهي دور فسيحة مزخرفة بأنـواع الزخـارف والنقوش ، وفي صحنها برك محفوفة بالليمون وغيره من الأشجـار مع كثير من النباتـات العطـرية ذوات الأزهار الجميلة والروائح الذكية .

ولاتدخل داراً من دور دمشق إلا تجد في حجرها فرشاً جميلاً قيمته بحسب اقتدار صاحبه ، وهو معمول بحسب الطراز الشرقي أي من مقاعد ومسـانـد وسجـادات وبسـط وما أشبه ... وفي بعض الدور قاعات رفيعة مدهونة بأجمل الأدهان في وسطها برك يجري إليها الماء باتصال .

ومما يزيد دور دمشق حسناً لطف أهاليها العجيب وأنسهم الغريب ، فإنهم يستقبلون كل من زارهم بالبشاشة والملاطفة والترحاب والدعة ، ويحفلون به ويعزونه ولايبدون لديه إلا المعروف ، غنياً كان أم فقيراً ، ولاسيما إذا كان غريباً عن ديارهم وأمصارهم ، وإذا تعرّف الغريب بأحدهم عرّفه بكل أصحابه بأقصر وقت فصار كواحد من السكان .☆

☆ قساطلي، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، ص٩٥.

وأما طراز ترتيب الدور داخلاً فهو غالباً إيوان وعلى كلٍ من جانبيه حجرة ، وبقية الحُجُر تقابل بعضها بعضاً وعليها علالٍ لها نوافذ كثيرة يغشاها البلور يسمـونها فرنكات، وكل دار لابد لها من صحن ، وفي بعض الدور أقبية تحت الأرض يضعون فيها المؤن .☆

☆ قساطلي، الروضة الغناء في دمشق الفيحاء ، ص٩٦.

وأخيراً ، تعد البيوت الدمشقية القديمة ثروة هامة لما تحتويه من عناصر معمارية ، نشأت وتطورت في هذه المدينة على مدى مئات بل آلاف السنين ، فهي نتاج تفاعل الإنسـان الدمشقي مع بيئته ومحيطه ، حيث استخدام مواد البناء المحلية المتوفرة لديه من طين وحجر وخشب ، ليبدع مكـان سكنـه وإقـامتـه ، بما يتنـاسب مع ظروف حيـاتـه الاجتمـاعيـة ، والاقتصادية ، والدينية ، وأضاف إليها لمسات فنية تزيد الدار جمالاً وروعة ، فهي تكاد تشبه الفردوس ، لما تحتويه من قاعات جميلة وفسحات أجمل ، تزينها عرائش الياسمين والورد وأغراس الليمون والكبّاد .

مُقدِّمة

جاء في مقال للدكتور **صالح لمعي مصطفى** في ندوة الإسكان في المدينة الإسلامية في معرض كلامه عن الشخصية الإسلامية في التصميم المعماري للمسكن ذي الفناء "الصحن" : ☆

"إننا كلنا نعلم أن الإسلام قد وضع الأسس والقواعد لكل نظم وطرق الحياة وحدد علاقات الفرد بالمجتمع وعلى هذا ، فلابد أن ذلك قد أثر على طريقة حياة المسلم وبالتالي على شكل وملامح الفراغ الذي يعيش فيه . وقد لوحظ أن من أهم الأسس التي قام عليها التصميم المعماري الإسلامي هو الانتماء إلى الداخل أي ارتباط العناصر وانفتاحها على الفراغ الداخلي – الفناء – الذي شكل الوضع العام للمسقط لعديد من الأنماط المعمارية في المباني الدينية والمدنية على السواء وبشكل خاص المسكن بأنواعه المختلفة .

... وفي الحقيقة ، لقد تناسى الجميع أن القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، هي مصادر التشريع والإلهام والعطاء الفكري ... إننا نعود ونقول بأن الإسلام قد حدد للمسلم طريقة عيشه وسلوكه وعلاقاته الاجتماعية ، وهي قد أثرت بدون شك ، على تصميم مسكنه وعناصره المعمارية ، وذلك حدد العلاقات بين هذه العناصر وطريقة توزيعها .

... لقد طوّر المعماري المسلم الفناء إلى أن تحول إلى حديقة فيحاء تفجرت فيها المياه الجارية ، ... والأهم من ذلك ، هو الفصل بين جناح الاستقبال وجناح السكن توفيقاً مع ما جاء في الذكر الحكيم : سورة ٢٤ (النور) آية ٣١ : ﴿ ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن ﴾ إلى آخر الآية ... وهنا يمكن القول إنّ هذه العمارة تعبّر تعبيراً حقيقياً عن الشخصية الإسلامية وهي عمارة إسلامية استمدت مبادئها وأسسها وقواعدها من الشريعة الإسلامية ...

.. أما العمارة الحالية ، فهي ليست إسلامية الجذور ، ولكنها عمائر أقامها المسلمون غير مرتبطة بالفكر الإسلامي ولا متأثرة بتعاليم الإسلام ، إنها عمارة مستوحاة من الفكر الغربي ، وقد لوحظ هذا الاتجاه منذ مطلع القرن التاسع عشر ، حيث ترك المعمار المسلم تراثه وقيمه وارتمى في أحضان الحضارة الأوروبية ، تحت مفهوم التقدم والتطور . فظهرت هذه الأمثلة الشاذة التي هدمت كل القيم والمفاهيم التي كانت سائدة ، وأوجدت هذه الهوة الواسعة بين الإنسان والمجتمع الذي كان يعيش فيه الإنسان المسلم على أسس ومبادئ الشريعة الإسلامية ".

من هنا ، أستطيع أن أقول إنّ البيت الدمشقي بجميع عناصره وتفاصيله جاء انعكاساً كاملاً للدين الإسلامي الحنيف . ولذلك بذل المعماري المسلم أقصى جهوده في تصميم بيت مثالي يساعد الأسرة بكامل أفرادها على تطبيق الشريعة الإسلامية السمحاء والعيش براحة واستقرار ، فالمرأة كالرجل لها دور أساسي ومهم في حياة المجتمع ألا وهو تربية الأولاد وإعداد النّشْء الجديد وغرسه بالفضائل والأخلاق لكي يصبحوا أساتذة وقادة المستقبل ، وهذه المهمة لاتستطيع المرأة أن تؤديها ما لم نوفّر لها البيت المثالي والمريح والمبني على أسس شرعية صحيحة.

☆ مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية بالقاهرة ص٤٩-٥٤-٥٨-٦٠.

الفصل الأول

لمحة تاريخية

لمحة تاريخية

١ - العصر الأموي

(من ٦٦١ إلى ٧٥٠ م)

(٤١ - ١٣٣ هـ)

يعتبر العهد الأموي هو العهد الذهبي الذي حظيت به مدينة دمشق على مر العصور ، فأخذت المدينة تتحول تدريجياً إلى مدينة عربية مسلمة ، فظهرت دمشق في أبدع حللها وأجملها عندما شرع الخليفة الوليد بن عبد الملك بتحقيق مشروعه المعماري الفخم ، فهدم كل ماكانت تضمه جدران المعبد الوثني بعد إرضاء وتسوية أمر الكنيسة مع رعاياها ، وبدأ بتشييد جامع بني أمية الكبير الذي مايزال إلى يومنا هذا من أهم الأوابد التاريخية .☆

☆ د. الريحاوي، مدينة دمشق ـ ص٥٣-٥٥.

وتجدر بنا الإشارة إلى أنه بفضل سياسة الخليفة معاوية الرضيّة مدة أربعين عاماً ، ساد الاستقرار في الشام وتوطد الحكم الإسلامي وأصبح لدمشق مكانة مرموقة ، فقد أخذت تتحول بفضل جهود الخليفة معاوية من مركز ولاية إلى عاصمةٍ لدولةٍ مترامية الأطراف ، وغدت طوال قرن من الزمن مركز إشعاع لجميع العالم العربي والإسلامي الذي امتدت حدوده إلى مشارف الصين وجنوبي فرنسا . فكان العهد الأموي بحق بمثابة العهد الذهبي لدمشق ..

وكانت أول دار شيدت في دمشق دار الإمارة التي شيدها الخليفة معاوية بن أبي سفيان أيام ولايته على الشام بجوار الجدار الجنوبي لمسجد الصحابة بدمشق . وقد عُرف باسم قصر الخضراء نسبة إلى قبة خضراء اللون كانت تتوجّه . وقد كان فيه جناح خاص بأهل الخليفة ، وجناح آخر يستقبل به رجال الدولة ويتناول طعامه فيه . وكان هذا هو أول بيت في دمشق والذي زالت آثاره عقب حريق الجامع الأموي ، ويقال أن زقاق الحمراوي كان يقع ضمن مساحة القصر ..

ومع الازدهار والتطور الحضاري الذي حدث في العهد الأموي ، ولاسيما في دمشق عاصمة الخلافة ، وفي ظل حركة الإعمار التي عرفتها الدولة الإسلامية لإشادة المساجد والدور والقصور ، وظهور الفن المعماري الجديد الذي يعكس الذوق والمثل العليا للإسلام ، ظهر البيت الإسلامي ممثلاً أحسن تمثيل في تلك القصور الأموية ، وما القصر إلا بيت كبير أو مجموعة من البيوت لها صفات مشتركة . ☆

☆ د.الريحاوي، المجلة العربية للثقافة ، ص١٢١

وأحسن ما يمثل المنازل الأموية المشيدة خارج المدن الحير الغربي ، حيث تجد داراً كبيرة يحيط بها سور مرتفع خالٍ من الفتحات ، وفي وسطها صحن واسع يحيط به رواق على أعمدة، توزعت خلفه أجنحة السكن على طابقين وهي بيوت متلاصقة ، يتكون كل بيت من بهو واسع تنفتح على جانبيه الغرف بشكل يراعي التناظر والتناسق في التوزيع بعضها مربع وبعضها مستطيل الشكل . وفي الحير الشرقي نجد في القصر الكبير مجموعة من البيوت

المستقلة تتوزع حول الساحة الرئيسية ، ويتألف كل منها من صحن سماوي محاط برواق وتتوزع خلفه القاعات والغرف . ☆

☆ د.الريحاوي ، المجلة العربية للثقافة ، ص١٢١

☆ وقد كانت دار عبد العزيز بن مروان وابنه الخليفة عمر بحذاء الجدار الشمالي للجامع الأموي مكان المدرسة الشميساطية ، ونعرف قصراً كان للخليفة هشام بن عبد الملك مكان المدرسة المجاهدية داخل باب الحرير أي في سوق القلبقجية ، وقصوراً أخرى بُنيت خارج السور . وقد بدأت منذ ذلك العهد تنشأ أحياء سكنية خارج الأسوار على ضفاف بردى وسفوح قاسيون .

☆ د.الريحاوي ، المجلة العربية للثقافة، ص٥٦-٥٨

وقد ظهر تأثير العامل الديني على تصميم هذه الدور والقصور ، فجاءت مغلقة بالكامل على المحيط الخارجي ، ومنفتحة على الداخل حيث الصحن الواسع الذي تحيط به الأروقة والغرف .

٢-العصر العباسي (من ٧٥٠ إلى ٩٦٨م) (١٣٣-٣٥٨ هـ)

وتغرب الشمس عن دمشق بانتقال عاصمة الدولة الإسلامية إلى بغداد ، وظهرت تبدلات اجتماعية واقتصادية وسياسية أضفت مفاهيم جديدة على البناء ومواده وطريقة أداء وظيفته ، وازداد الطابع الإسلامي عما كان عليه سابقاً .

وقد بني قصرٌ عباسيٌ يعرف بقصر الولاة خارج المدينة ليكون دار إمارة ، وقد كان مبنياً من الخشب واللبن .

وقد أخذت في هذا العهد تتغير معالم النسيج العمراني للمدينة فأصبحت أحياؤها مؤلفة من أزقة فرعية متعرجة تحفّ بها بيوت من عدة طبقات . ☆

☆ د.الريحاوي ، مدينة دمشق ص٦١-٦٢-٦٣

وإن خير ما يعطينا فكرة واقعية عن البيت العباسي ، تلك البيوت التي نجدها في قصر الأخيضر الذي شيد في عهد الخليفة المنصور ، والمرجح أنه كان منزلاً لعمه عيسى بن موسى ، حيث نجد بيوتاً مستقلة تتشابه في تخطيطها ، تحيط بقصر مركزي كبير ؛ ويتكون البيت فيها من صحن أقيم في طرفيه المتقابلين جناحان يتألف كل منهما من بهو واسع كالإيوان ، وعلى جانبيه غرفتان مفتوحتان عليه وعلى الصحن . بعض البيوت يتقدم أجنحتها السكنية رواق أو سقيفة ذات ثلاث فتحات ، وقد تحول البهو إلى إيوان حقيقي ، وبعضها خلا من الرواق . ☆

☆ د.الريحاوي ، المجلة العربية للثقافة ص١٢٢

٣-العصر الفاطمي (من ٩٦٨إلى ١٠٧٥م) (٣٥٨-٤٦٨ هـ)

بسط الفاطميون حكمهم على دمشق من مصر قاعدة حكمهم ، ولم تستقر دمشق لهم لاختلافات مذهبية واجتماعية ، وهجرها معظم أهلها وتدنت أسعار دورها كما أخبر المؤرخ ابن الجوزي.

٤-العصر السلجوقي
(من ١٠٧٥ إلى ١١٧٤م)
(٤٦٨-٥٧٠ هـ)

أصبح الناس في دمشق خلال هذا العهد أكثر اطمئناناً من العهد الفاطمي ، ويصبح المذهب السني منذ دخول السلاجقة هو المذهب الرسمي ، الذين وقفوا دون احتلال الصليبيين لدمشق فيحاربونهم تارة ويهادنونهم تارة أخرى . وأخذ الناس يتطلعون إلى من ينقذهم من الخطر الصليبي ويرون في نور الدين الزعيم الذي تهفو إليه النفوس ، فجاء ودخل دمشق عام ١١٥٤ م (٥٤٩ هـ) . ولم تمض عشر سنوات حتى كان جيش نور الدين بقيادة أسد الدين وابن أخيه صلاح الدين يدخل مصر عام ١١٦٨ م (٥٦٤ هـ) منهياً بذلك الحكم الفاطمي المتعاون مع الفرنجة آنذاك . وقد استعملت المقرنصات لأول مرة في هذا العصر كعنصر معماري وزخرفي وخصوصاً في زوايا القباب من أجل الانتقال من الشكل المربع إلى الشكل المستدير .

وأشهر ما عرف من الدور في هذه الفترة هي دار رضوان ودار المسرة .☆

☆ الحوليات ١٩٧٢ ، مقال د. الريحاوي، ص ٤٣-٤٤

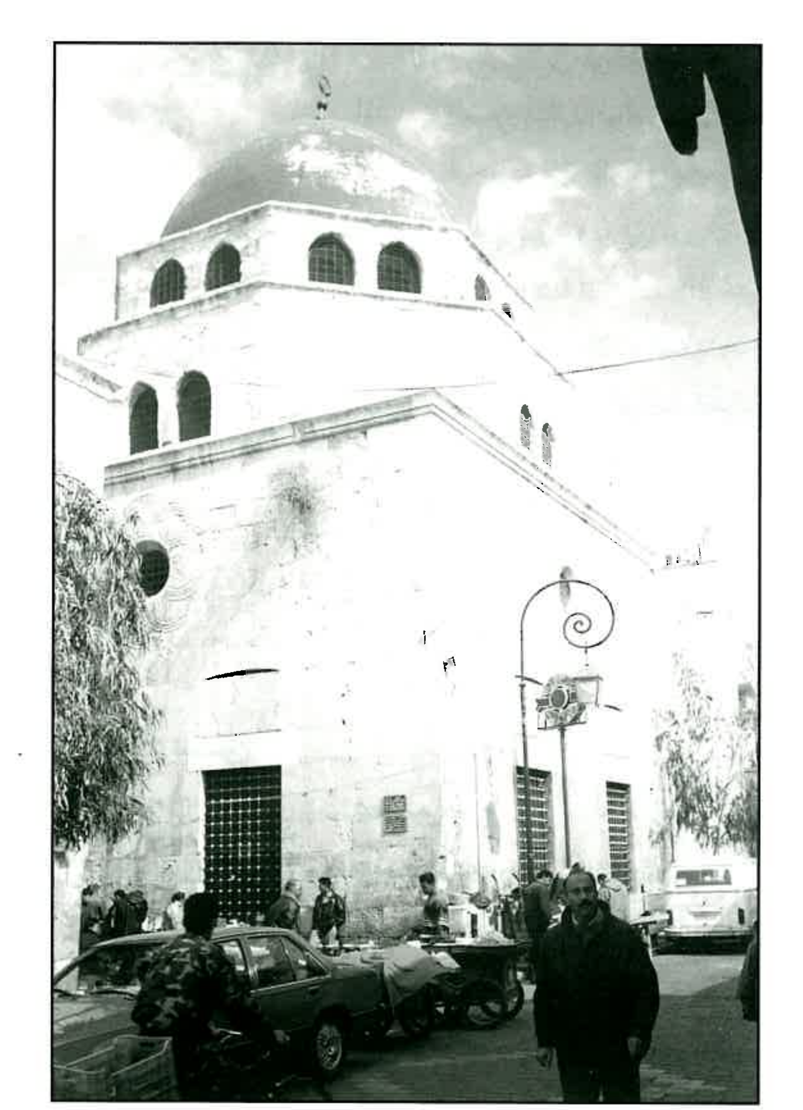
٥-العصر الأيوبي
(من ١١٧٤ إلى ١٢٥٩م)
(٥٧٠-٦٥٨ هـ)

بدأت دمشق تعود إلى مسرح الأحداث العالمية في هذا العهد كعاصمة لزعيمين عظيمين من زعماء العالم الإسلامي هما نور الدين وصلاح الدين ، وحظيت دمشق في عهدهما بقدر من العزة والمجد والازدهار الذي أعاد إليها مكانتها المفقودة منذ انتهاء العصر الأموي ، ونشطت فيها الحركات العمرانية والاقتصادية ، فقد شيدت في ذلك العهد من المدارس والدور ما لم تشهد دمشق مثله من قبل ، والمدرسة الظاهرية التي هي أصلاً دار والد السلطان صلاح الدين الأيوبي خير مثال على ذلك .

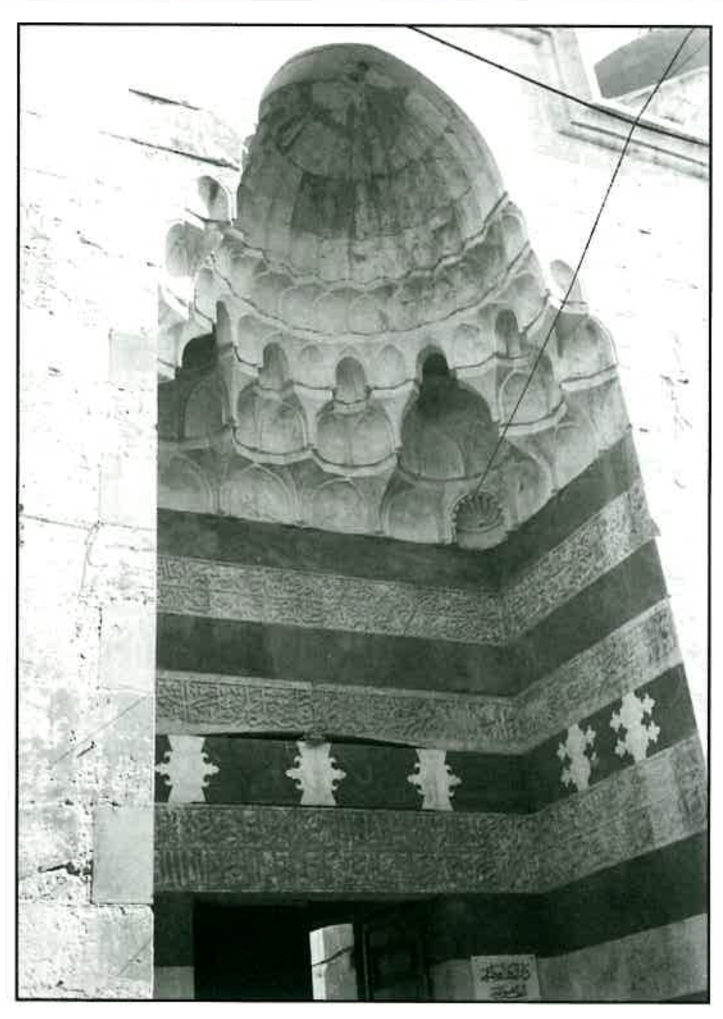
وقد كثر استعمال الحجارة في البناء والعناية بنحتها واستخدام المقرنصات . وقد أقام المسيحيون في هذا العهد دورهم في الشمال الشرقي من دمشق ، واليهود في جنوبها الشرقي، والمسلمون شغلوا كل ما عدا ذلك ولاسيما قسمها الغربي ، ولكن تصميم البيت الدمشقي بقي واحداً باختلاف الطوائف كالانفتاح على الداخل وانتفاء وجود منافذ على الخارج سوى المدخل العام.

والمعروف أنّ بناء المدارس شاع وانتشر في هذا العهد والذي قبله . وكان المخطط العام لهذه المباني شبيهاً بمخطط البيت ، صحن تتوسطه بركة ، وتحيط به قاعات وأواوين ، ومجموعة من الغرف في الطابق العلوي ، ويدخل إليها من باب يؤدي إلى دهليز . وإن كثيراً من المدارس التي اشتهرت في دمشق كانت في الأصل بيوتاً ومساكن : فالمدرسة البادرائية كانت داراً للأمير أسامة بن منقذ ، والمدرسة الشبلية كانت داراً لشبل الدولة ، والمدرسة العادلية الصغرى كانت داراً اشترتها زهرة خاتون بنت الملك العادل أبو بكر وجعلتها مدرسة ، والأقباليتان الكائنتان بالقرب من المدرسة الظاهرية كانتا دارين اشتراهما الأمير جمال الدولة إقبال وجعل إحداهما مدرسة للحنفية والأخرى للشافعية ، والدخوارية كانت داراً اشتراها شيخ الأطباء ابن الدخوار وحولها مدرسة للطب .☆

☆ د.الريحاوي ، المجلة العربية للثقافة ، ص١٢٤



المـدرســة الظاهــرية



المقرنصات أعلى مدخل
المـدرســة الظاهــرية

ونعود أيضاً إلى النصوص لنجد ما وصفت به بيوت دمشق في ذلك العهد ، فلقد قال في وصفها الرحالة ابن جبير الذي زارها في أواخر القرن السادس الهجري (١٢ م) : "وبيوتها طين وقصب ، طبقات بعضها فوق بعض ولذلك يسرع الحريق إلى البلد وهو كله ثلاث طبقات فيحتوي من الخلق ما تحتوي ثلاث مدن " .☆

☆ د. الريحاوي ، المجلة العربية للثقافة ،ص١٢٥

وبعيداً عن نواة المدينة تبعثرت بعض الأحياء الصغيرة وبقي لها الطابع نفسه ، كحي الصالحية الذي امتد واتسع وأضيف إليه حي الأكراد زمن السلطان صلاح الدين .

وينتهي العهد الأيوبي في دمشق بوصول المغول إليها عام ١٢٥٩ م (٦٥٨ هـ) ، الذين أخرجهم سلطان مصر المملوكي المظفر قطز بعد الانتصار عليهم في معركة عين جالوت .

٦-العصر المملوكي

(من ١٢٥٩ إلى ١٥١٦م)

(٦٥٨-٩٩٢ هـ)

حظيت دمشق بمكانة مرموقة في هذا العهد ، وبقيت بمثابة العاصمة الثانية للدولة ، يقيم فيها السلاطين للدفاع عنها بوجه الصليبيين والتتار وغيرهم ، فازدهرت الحركة العمرانية ، وعُمّرت الجوامع والمدارس وأصلحت الطرقات والأسواق والأقنية ، وبنيت الدور السلطانية وحذا حذوهم الأفراد ، ونشأت محطات تجارية كانت نواة لأحياء سكنية مثل حي الميدان . وظهر نوع من التوازن والانسجام والجمالية في واجهات الدور والأبنية ، وتميزت بالعناصر التزيينية من مقرنصات وغيرها .

وفي بداية هذا العهد شيد السلطان الظاهر بيبرس قصره الأبلق في الميدان الأخضر ، وقد وصفه العمري : "مبني بالحجر الأسود والأصفر ، مدماك من هذا ومدماك من هذا ، ويدخل إليه من دركاه (دهليز) له جسر راكب بعقد على مجرى الوادي إلى إيوان براني ثم يدخل إلى القصر من دهاليز فسيحة تشتمل على قاعات ملكية بالرخام الملون مموهة بالذهب واللازورد والفص المذهب وازر بالرخام إلى سجف السقف ، والدار الكبرى بها إيوانات متقابلات"☆

☆ د. الريحاوي ، المجلة العربية للثقافة ،ص١٢٧

وتبع بناء القصر إعمار المناطق المحيطة به ، وفي جنوب القصر نشأ حيّان لسكن المماليك . وأما الصالحية فقد غدت مدينة كبيرة . وقد قلّت العناية باستعمال الحجارة المنحوتة وأصبحت هذه قاصرة على الواجهة الرئيسية للبناء ، بينما عادت مواد البناء التقليدية في دمشق كالآجر واللبن والخشب .

وقد أخذت واجهات المباني تكتسي بحلة قشيبة من الزخارف والألوان والأحجار المعشقة ، هذا فضلاً عن استعمال حجارة من لونين متناوبين في تأليف مداميك الواجهات . أما أبواب المباني فقد أصبحت عالية وفخمة تتوجّها دائماً نصف قبة مزينة بالمقرنصات . وقد اشتهر من الدور السلطانية دار السعادة ودار العدل ☆.

☆ الحوليات ١٩٧٢، مقال د.الريحاوي ص٤٨

وحين تحدث العمري (١٤ م) عن دمشق قال : "وبها الديار الجليلة المذهبة السقوف المفروشة بالرخام ، ومنها ما هو موزر الحيطان بالرخام المنوع ، المفصل بالصدف والذهب ، ذات البرك والماء الجاري ، يجري الماء في الدار الواحدة في أماكن منها ".☆

☆ د. الريحاوي ، المجلة العربية للثقافة ، ١٢٧

٧ - العصر العثماني
(من ١٥١٦ إلى ١٩١٨م)
(٩٢٢-١٣٣٧ هـ)

بدخول السلطان سليم دمشق عام ١٥١٦ م (٩٢٢ هـ) رحّبت دمشق بسيادة آل عثمان الذين ذاع صيت انتصاراتهم وقوّتهم وعدلهم . وقد أمِنَتْ دمشق وغيرها في ظل الامبراطورية العثمانية خطر العدوان الخارجي . وقد حصلت دمشق على أهمية كبرى في هذا العهد من جراء جعلها مركزاً لتجمع قوافل الحجاج من مختلف أنحاء الامبراطورية العثمانية .

وقد لعبت الفترة العثمانية دوراً واسعاً في تحديد المظهر العمراني للمدينة ، وانتجت لنا تلك الفترة عدداً ملحوظاً من العمائر ، تركت بصمات راسخة على النسيج العمراني للمدينة ، وظهر مهندس الامبراطورية الأعظم سنان الذي أدهش الشرق والغرب ببصماته المعمارية الظاهرة ، على كثير من العمائر ومنها المدرسة العثمانية بدمشق التي طعّمها بتفاصيل فنية تشهد على حيوية التراث المحلي وعلى قدرة المهندس والصانع على حد سواء .

واهتم العثمانيون ببناء القصور والبيوت بالتصميم الإسلامي الدمشقي نفسه بانفتاحه على الداخل وتقليل النوافذ الخارجية مع حمايتها البصرية . وأضحى حي القنوات خارج السور مقراً لإقامة الوالي والموظفين الكبار وغيرهم .

ومن الأمثلة الراقية يظهر قصر العظم الذي بُني عام ١٧٤٩ م (١١٦٣ هـ) حيث التوزيع الأساسي للسلاملك والحرملك والخدملك ، بما فيها من باحات وأروقة وأواوين وفسقيات ماء وغيرها جاءت آية في الفن المعماري الدمشقي الأصيل . وكذلك قصر الوالي ناظم باشا الذي شيده في المهاجرين .☆

☆ د. الريحاوي ،مدينة دمشق ، ص٨٢.

ويلاحظ في المباني العثمانية استعمال عناصر معمارية جديدة كالتيجان المقرنصة والأقواس المؤلفة من منحنيات متعاكسة الاتجاه لم تكن معروفة من قبل في دمشق .

وامتزجت الأساليب الزخرفية المحلية بالأساليب والفنون الوافدة من اسطنبول . وإلى جانب الفسيفساء الرخامية والرخام المنقوش فقد شاع استعمال نوع جديد من الفسيفساء قائم على طريقة الحفر والتنزيل ، يطلق عليه في دمشق "الأبلق" . ويصنع بحفر الحجر وفق أشكال هندسية مختلفة تملأ بالمعجونة الملونة . وأصبح تزيين الجدران بألواح الخزف الذي عرف بالقاشاني صفة مميزة في العمارة العثمانية في دمشق وغيرها .

وما أن فتحت اسطنبول ، دار الخلافة العثمانية ، أبوابها للتيارات الفنية الغربية في القرن التاسع عشر حتى وجدت هذه التيارات سبيلها إلى دمشق لتدخل أسلوباً فرنسياً في الزخرفة عُرف "بالروكوكو" وآخر إيطالياً عُرف "بالباروك" .

الفصل الثاني

القيم المعمارية في المدينة الإسلامية

القيم المعمارية في المدينة الإسلامية

كانت العمارة الإسلامية على مرّ العصور مرآة تنعكس عليها المقومات البيئية والحضارية للسكان في كل عصر سواءً كانت من الناحية الاجتماعية أو الثقافية أو من الناحية الطبيعية والمناخية . وكانت تحمل في إجمالها وتفاصيلها كثيراً من القيم المعمارية التي استمرت تحملها على مر العصور . الأمر الذي يستدعي تحليلاً مفصلاً لهذه القيم وهو مالا يتسع له مثل هذا الكتاب ولكن يمكن إجمالها في النواحي التالية : ☆

☆ مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية ، د. عبد الباقي إبراهيم ، ص٥١ — ٥٩

١ - التعبير العضوي للعناصر المعمارية

يعكس التشكيل العام للعمارة الإسلامية وظائف المكونات المختلفة للمباني وذلك دون الارتباط المسبق باعتبارات تشكيلية أو معمارية معينة ولذلك ظهرت التشكيلات المعمارية في العمارة الإسلامية في صورة عضوية وتلقائية واضحة ليس فيها تكلف أو تصنع الأمر الذي يوضح صفاء الفكر المعماري وتلقائية التعبير . والتشكيل المعماري للعمارة الإسلامية بذلك كان يعبر بصدق عن الوظيفة والبيئة الطبيعية والثقافية والاجتماعية السائدة .

٢ - التباين بين المسطحات المقفلة والفتحات

يظهر التباين بين المسطحات والفتحات في العمارة الإسلامية نتيجة لطبيعة الإنشاء وطرقه التي كانت تعتمد على مواد البناء المحلية مثل الحجر الأمر الذي أعطى معظم الفتحات اتجاهاً طولياً وأوجد العقود لتغطية الفتحات الكبيرة . ويؤكد التباين بين المسطحات المقفلة والمفرغة اعتبار العناصر المعمارية أعضاء مميزة في تكوينات متكاملة فلا توجد هناك ارتباطات تشكيلية مفتعلة سواءً بخطوط رابطة أو بمسطحات ألوان أو بغير ذلك من الوسائل أو الإضافات المعمارية السطحية التي لاترتبط بوظيفة أو بمنطق أو تعبر عن قيم معمارية أو حضارية كما يظهر في كثير من التشكيلات المعمارية الحديثة .

٣ - التعبير المعماري للعناصر الإنشائية

يظهر التعبير المعماري للعناصر الإنشائية جلياً في العمارة الإسلامية خصوصاً في المباني السكنية ، حيث تظهر أعتاب الفتحات والكوابيل الحاملة للأبراج معبرة عن صراحة الإنشاء وبالتعبير نفسه تظهر الأكتاف الإنشائية للمباني كما تظهر صراحة الإنشاء في طرق التسقيف ويؤكد هذا التعبير عدم استعمال البياض في تغطية المواد المستعملة في البناء كالحجر . هذا في الوقت الذي تظهر فيها الأعمال الخشبية بلونها الطبيعي مؤكدة مرة أخرى صراحة التعبير . وعندما لاتظهر مادة الإنشاء واضحة تغطيها مادة طبيعية أخرى مثل القيشاني .

٤ - التنغيم في التشكيل المعماري

يعتبر التنغيم من القيم الواضحة التي تظهر في التعبير المعماري للواجهات في العمارة الإسلامية وأغلب ما يظهر هذا التنغيم في واجهات المباني التي يظهر فيها التنغيم بإيقاع منتظم مع اختلاف في المستوى . ويظهر التنغيم متجانساً كما في واجهات المباني السكنية التي تعكس خلفها حركة متصلة بين مجموعة من المستويات الأفقية للعناصر المختلفة .

٥ - تكامل الفراغات

يعتبر تكامل الفراغات وتداخلاتها من أهم القيم التصميمية للعمارة الإسلامية وخصوصاً في المباني السكنية . وتتأكد هذه الظاهرة في العلائق الفراغية بين القاعة والعتبة وارتباط فراغ غرف الأدوار العليا بفراغ الأدوار السفلى . كما تتأكد هذه الظاهرة كذلك في التباين والانتقال المفاجئ من الفراغ الضيق الملتوي للمدخل إلى الفراغ الأكبر في الفناء الداخلي للمبنى وتساعد هذه الظاهرة في الوقت نفسه على امتصاص الهواء وتفريغه وتجديده داخل المبنى ..

٦ - التوجيه إلى الداخل

يعبّر توجيه المباني إلى الداخل عن طبيعة الحياة الاجتماعية والظروف المناخية الأمر الذي استبدل معه الفراغ الخارجي بالأفنية الداخلية حتى تستوعب النشاط الخاص بالسكان وبذلك تظهر المباني الإسلامية متلاصقة ليس بينها أيّة مسافات أو فراغات تعكس ما تتجه إليه العمارة المعاصرة في المدن الإسلامية . وتختلف نسب أطوال الأفنية الداخلية وعروضها وارتفاعاتها . فهي تتراوح من ١:١ إلى ١:٢ إلى ٣:٤ في المسقط الأفقي و١:٢ في المسقط الرأسي . وفي حالات الصالات المرتفعة أو القاعات التي تعتبر بمثابة أفنية مغلقة داخل المبنى يظهر فيها عنصر آخر يربط الفراغ الداخلي بالخارج وذلك في شكل القبّة أو الغطاء العلوي للقاعة والتي تمثل السماء التي تنعكس على سطح النافورة التي تتوسط أرض هذه القاعة ..

٧ - خط القطاع الخارجي

من الملامح المعمارية التي تتميز بها بعض المباني في العمارة الإسلامية كذلك خط القطاع الخارجي خصوصاً في المباني السكنية . وخط يحدد القطاع جانبي الشارع وفي هذا القطاع تزداد البروزات تدريجياً من الأدوار السفلى إلى الأدوار العليا الأمر الذي يساعد على تظليل جوانب المباني وزيادة الانتفاع بالفراغ العلوي للشارع . وقد ظهر هذا الاتجاه المعماري أخيراً في كثير من المباني الحديثة في مدن الغرب بالرغم من اختلاف الظروف المناخية كما في تصميم دار المدينة في بوسطن بالولايات المتحدة . وهذا التشكيل المميز لخط القطاع يظهر في العمارة الإسلامية في دمشق والقاهرة وغيرهما .

٨ - معالجة الظروف المناخية

من الملامح المعمارية التي تعكسها العمارة الإسلامية ظهور العناصر المعمارية التي تخدم الظروف المناخية . فبجانب الأفنية الداخلية تعتبر الملاقف من أهم العناصر المميزة التي تخدم هذه الظروف ثم نجد المشربيات من العناصر الأخرى التي تخدم الظروف المناخية والاجتماعية معاً وقد ارتبط اتساع فتحاتها بمستوى نظر الإنسان حيث تضيق هذه الفتحات عند مستوى النظر وتتسع بالتدريج إلى أعلى هذا المستوى . والمشربيات وإن كانت تساعد على رؤية



التوجه إلى الداخل ـ قصر الحمراء ـ غرناطة ـ اسبانيا

LA ALHAMRA DE GRANADA

الخارج دون رؤية الداخل من الخارج إلا أنها كانت تستعمل لترطيب مشارب المياه وتبريدها . والعمارة الإسلامية بالإضافة إلى ذلك غنية بالعناصر الأخرى مثل النوافذ ذات الضلف التي تنزلق إلى أعلى أو إلى الجانبين أو غيرها من الأشغال الخشبية المستعملة داخل المباني أو خارجها.

٩-التشكيلات الهندسية

من الملامح المعمارية التي تعطيها العمارة الإسلامية تلك التكوينات والتشكيلات الهندسية التي تظهر في التفاصيل المعمارية الدقيقة التي تكوّن العناصر المعمارية الكبيرة وهي تقسيمات هندسية متداخلة تستعمل في الأجزاء المفرغة كما في الفتحات والنوافذ أو في الأجزاء المقفلة كما في الأبواب والأثاث الداخلي . وهناك عدد لاحصر له من هذه التشكيلات ، وتظهر هذه التكوينات الهندسية كذلك في الزخارف التي تغطي الحوائط سواء من الرخام الملون أو الفسيفساء . والفن الإسلامي غني بهذه التكوينات الهندسية المبنيّة على أسس هندسية لها مفاتيحها الخاصة في الرسم والتنفيذ .

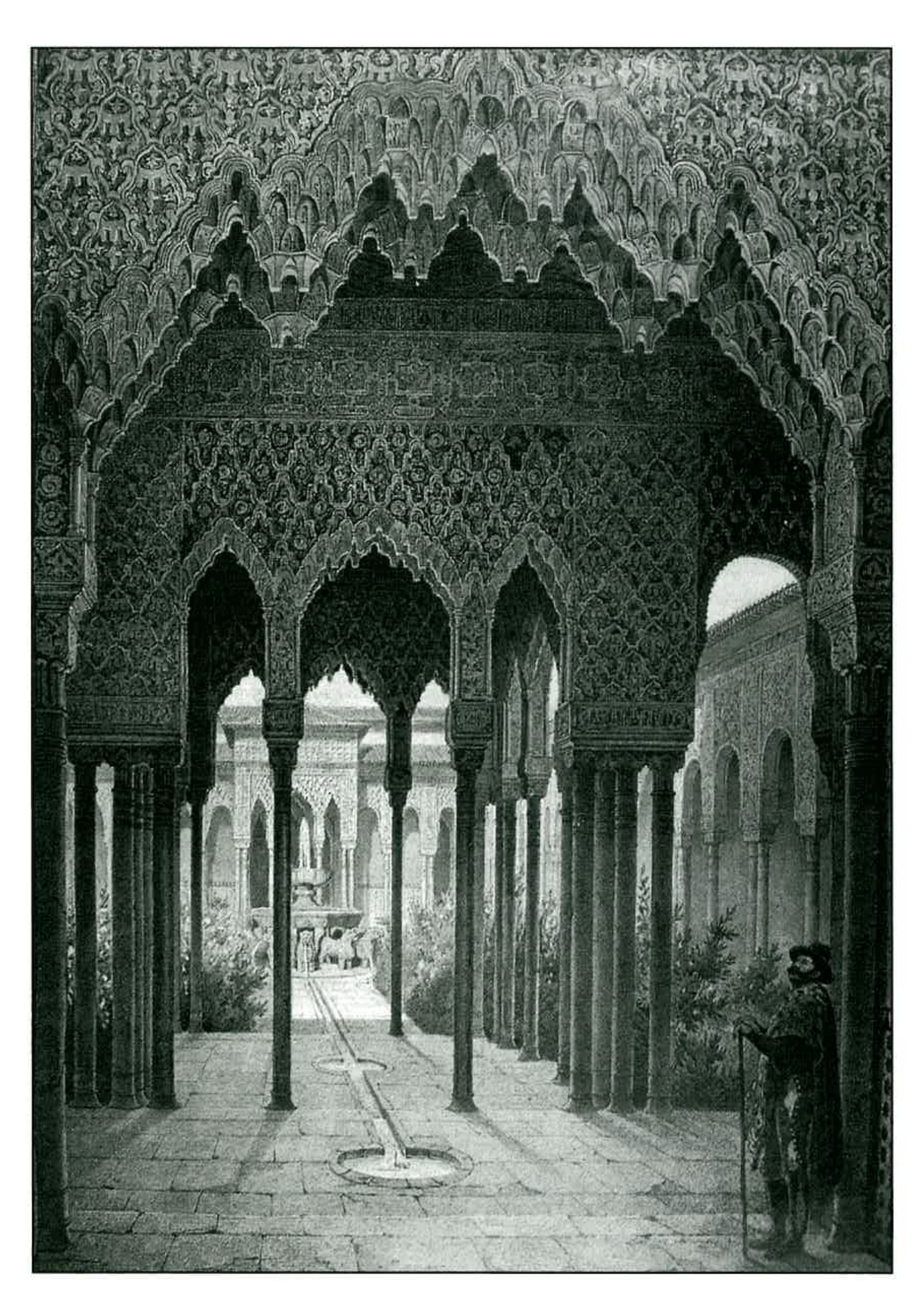
١٠-تنسيق المواقع

لقد كان لتنسيق المواقع أهمية خاصة في الأفنية الداخلية للمباني وذلك نظراً لظروف البيئة الطبيعية الجامدة التي كانت تعيش فيها المدن الإسلامية . كما توجد هناك أمثلة رائعة تظهر فيها حركة المياه في القنوات والنافورات في داخل المباني وخارجها كما في قصر الحمراء في غرناطة وفي كثير من المباني السكنية الأخرى حيث أعطي تنسيق الأفنية اهتماماً خاصاً ليس بسبب المعيشة اليومية للسكان فيها فقط بل أيضاً لفائدتها في تلطيف الجو الداخلي للمباني وتكييفه طبيعياً .

١١-تنوع أساليب البناء

لقد اختلفت أساليب البناء في العمارة الإسلامية القديمة باختلاف البيئة الطبيعية والصناعية في كل قطر من أقطارها . الأمر الذي أوجد الاختلافات الواضحة في التعبير المعماري في هذه الأقطار وإن كان يربط بينها وحدة حضارية تتمثل في السلوك الاجتماعي والثقافي ..

ويعني ذلك أنه مع اختلاف أساليب البناء فإنه يمكن أن يكون هناك وحدة تعبيرية عن العمارة الإسلامية مع أن لكل أسلوب من أساليب البناء إمكانياته المعمارية الخاصة سواء أكان البناء بالطابوق كما في العراق أو المغرب العربي أو بالحجر كما في مصر وسوريا واليمن أو بالطين اللبن كما في المناطق الصحراوية في شبه الجزيرة العربية وغيرها . وسواء أكان ذلك بالنسبة إلى بناء الحوائط أو طرق التغطية والأسقف ويعني ذلك أن اختلاف أساليب البناء لاتوثر على وحدة التعبير في العمارة الإسلامية وبالتبعية فإن التطوير في أساليب البناء لن يكون ويجب ألا يكون عقبة في وحدة التعبير في العمارة الإسلامية على مر العصور الذي يضمن لها الاستمرارية الحضارية ويؤكد لها صفة المعاصرة .



التشكيلات الهندسية ـ تنسيق المواقع
قصر الحمراء ، غرناطة ـ إسبانيا

☆ الحوليات ١٩٧٤، مقال د.بهنسي، ص١٣٧ـــ١٤٠

☆ وأما **دمشق** فمدينة متدينة ومحافظة على تقاليدها يرمز إليها جامعها الأموي بمآذنه الثلاث وسط خضم من البيوت المتشابهة من حيث الارتفاع واللون ومادة البناء والطراز . ويتجلى الطابع الديني أيضاً بشكل واضح في مئات المآذن فوق كتل من الأبنية .

ومن الدراسة العميقة للمدينة القديمة نعدد الملاحظات التالية :

آ) التكوين التاريخي :

ما تزال المدينة القديمة المحاطة بالأسوار الرومانية والتحصينات العربية هي مركز دمشق . ومواصلاتها الداخلية كما كانت في القديم تخترق عدة أبواب ضيقة . الجامع الأموي والقلعة هما الآبدتان الشهيرتان فيها يحيط بهما أبنية أخرى مهمة كالمساجد والمآذن والترب وجدران معبد جوبيتر والخانات والحمامات والمكتبة الظاهرية وقصر العظم ، وكثير من البيوت ذات الحدائق الداخلية والزخارف النادرة .

فهذه الأبنية الدينية وغير الدينية هي التي تؤلف التكوين التاريخي والأثري والمعماري والتقليدي .

ب) التكوين البديعي :

من الواضح أن الناس يتلذذون بمرأى الساحات البديعة المشهورة بما فيها من جمال وغرابة وتميز عن الحضارة الحديثة . وكذلك المنظور ذو المظهر الأصيل والمشاهد المفاجئة في أزقة ملتوية والجمال نصف المحجب والمزيج من الذكريات من مختلف العصور ، كلها عناصر هامة في التكوين البديعي .

جـ) الوحدة في الارتفاع :

اللوحة المعروفة في أنحاء العالم لمدينة دمشق هي ذلك الخضم من البيوت ذات الطابق والطابقين يشذ عنها الآبدتان العظيمتان . وتأتي اليوم تلك البيوت الأبراج أو العمارات ذات الطوابق الأربعة فأكثر لتقضي على هذا الانسجام وتغير نسب تلك اللوحة الشهيرة .

د) الوحدة في اللون ومواد البناء :

المواد المستعملة للبناء في المدينة القديمة هي الحجارة الكلسية الصفراء أو العاجية أو المحمارة أو الطينة البسيطة أو المطلية أحياناً بالجص الرمادي الأصفر . كل ذلك يخلق تكويناً من الألوان الدافئة . وسطوح المباني كلها أفقية ، اللهم بعض القباب ، تسترها طبقة من الطينة العازلة . هذا الانسجام البديع لم يشوه بعد باستعمال الفولاذ والأترنيت والصفيح المنكل والألمنيوم والآجر والرخام والواجهات الزجاجية أو الخزفية ذات الألوان الباردة أو القاتمة .

هـ) التكوين المنبثق عن طبيعة الأبنية :

تبدو جميع المباني العربية على وجه التقريب عديمة الأهمية من الخارج ، لأن العناية والفن والزخرفة محصورة في الداخل فقط ، مما يعطي للشوارع والأزقة طابع البساطة ويجعلها خالية من أية أماكن جذابة تستحق المشاهدة . وقد يتمكن الإنسان من خلال باب مفتوح مشاهدة باحة مبلطة برخام لوحته الشمس وحديقة جذابة .

إنه لمن الخطأ عزل الأوابد بإحاطتها بالساحات العامة أو الشوارع والمناطق الخضراء . فذلك يؤدي إلى كشف جدرانها العارية فقط . والذي يمكن عمله هنا هو تحسين المنافذ المؤدية إلى المباني الأثرية ليسهل زيارتها دون هدم الإطار العربي المحيط بها .

و) طبيعة المواصلات :

تعتمد المدينة القديمة على شريان هام للمواصلات طولاني هو السوق الطويل (الطريق المستقيم الروماني) وعلى آخر عرضاني وكلاهما صالح لمرور العربات والسيارات . أما بقية الشوارع والأزقة فهي مخصصة للمشاة دون العربات وينتج عن هذا هدوء لذيذ تتمتع هذه الأحياء به وتوفّر السهولة واليسر على الشارين .

ولقد أدى التعديل الجذري في نظام المدينة إلى تعديل جذري في نظام العلائق الاجتماعية . ففي الحي التقليدي يمارس الناس نوعاً من السلوك والآداب وعمليات البيع والشراء . هذه المظاهر زالت تماماً إذ لم يعد في الشارع أركان هادئة تستقبل مثل هذه الأنشطة .

إن تنظيم المدينة الحديثة قد حرم السكان من الظروف الملائمة للمناخ . فلقد كانت الشوارع الضيقة الملتوية والمظللة بالبروزات والمشربيات تحمي المشاة من العواصف والغبار والأمطار ، كما تحميهم من الشمس المحرقة في الصيف .

أما الشوارع الحديثة فلقد انكشفت على العوارض الجوية وتركت المشاة عرضة لها ، حتى الأشجار المظللة للأرصفة أخذت تتناقص مع ضيق الأرصفة المتراصة لصالح السيارات .

لقد قامت المدينة الحديثة على مبدأ توزيع الفراغات لصالح السيارة وحدها وأغفلت الإنسان تماماً وجعلته مرتبطاً بالسيارة .

ز) الخصائص التجارية :

بفضل الوضع التقليدي للشوارع المسقوفة المزودة بالتهوئة الكافية ، تبقى أسواق المدينة القديمة محتفظة بالمكان الأول في مركز التجارة والبيع والشراء بالرغم من وجود المخازن التجارية الحديثة في الأبنية في شوارع دمشق الأخرى . وشكل السقوف في أسواق دمشق

حديث نوعاً ما ولكنه كان في الأصل كأسواق حلب المعقودة بالحجارة وهذه الأسواق تمتاز بلطافة الجو والبعد عن العوارض الجوية كالرياح والأمطار وهذا لايتوفر للمحال الحديثة في الشوارع المكشوفة .

ولسوق الصياغ طابعه الخاص في دمشق خاصة وفي الشرق الأوسط عامة ، فيتجمّع مئات الصياغ ويتلاصقون جنباً إلى جنب في ممرات ضيقة يغطيها سقف واحد تقريباً . وروعيت هذه الخاصيّة لدى إقامة السوق الجديدة بعد الحريق .

يجب أن يحافظ على هذا النظام للأسواق إذا ما أريد الإبقاء على أهمية المركز التجاري لدمشق .

ح) خاصة العَرَصَات والحدائق والمنتزهات :

المدينة القديمة كثيفة البناء متراصة لدرجة لانجد فيها ساحات عامة للاستراحة أو أماكن للاجتماع أو مواقف للمواصلات . ولا حدائق عامة . ولانجد الفراغ سوى في أفنية البيوت . ويضطر الناس أن يتلاقوا خارج المدينة ويتنزهوا في الشوارع الكبيرة ولاتكتظ شوارع المدينة القديمة بالناس سوى في مواسم الأعياد .

هناك إمكانية واحدة لتزويد المدينة المحاطة بالأسواق بحديقة واسعة . إنها قلعة دمشق ، حيث يصبح بالإمكان إحداث حديقة عامة ممتازة تضم باحة القلعة وجزيرة مجاورة في نهر بردى ، والأمثلة كثيرة على تحويل حصون القرون الوسطى في المدن إلى حدائق .

هذه هي الخصائص العامة لمدينة دمشق القديمة بخطوطها العريضة . إلا أن معرفة هذه الخصائص لاتكفي لوضع مشروع التحسين ، وإنما يستلزم الأمر تهيئة إحصاءات أصولية عن أوضاع السكان ونشاطهم وأسعار الأراضي وارتفاع البيوت ومساحتها والمرافق العامة إلى غير ذلك من الإحصاءات الضرورية ، كما يجب الشروع بإحصاءات من نوع آخر حول عدد الذين يدخلون الأسواق في اليوم وعدد المعلمين والصناع . ومن أين يأتون وماهي واسطة الانتقال . وليس صعباً القيام بمثل هذه الإحصاءات بفضل المداخل المحدودة في المدينة القديمة (سبعة أبواب وثمانية شوارع) .

وأخيراً نستطيع القول إنه في مجال السكن ذاته فقد أدى تغيير شكل عمارته وتغيير مادة العمارة ذاتها إلى نتائج مؤسفة جعلت العمارة الحديثة ذاتها على جمالها الشكلي ومعاصرتها غريبة عن الذوق ، بل وضارة أيضاً .

☆ **فلقد لاحظ المهندس حسن فتحي بعد تجاربه التي قام بها ، الملاحظات التالية :**

١- إن إهمال الصحن الداخلي الذي كان أساسياً في العمارة التقليدية قد حرم السكن من "معدل للجو" فهو خزان ترطيب وخزان تدفئة في الوقت نفسه . ذلك أنه استناداً لعلم الايرو ديناميكا أي حركية الهواء فإن الصحن يحتفظ بحرارة هوائه دون أن يتأثر بالهواء الخارجي الذي يمر فوق الصحن محدثاً دوامات ودون أن يهبط إلى الصحن ، ويمكن التأكد من ذلك باللجوء إلى تجربة الدخان أو تجربة الرائحة .

٢- عدا عن دور حفظ الحرارة الذي يقوم به الصحن فإن دوراً أهم أصبح يقوم به الصحن هو حفظ نقاوة الجو بعد أن أصبح هواء المدينة الحديثة ملوثاً بشكل خطر . وتتحقق هذه الحماية وفق نفس مبدأ حركية الهواء التي ذكرناها .

لقد أراد المعمار الحديث أن يخفف من وطأة الطقس المتبدل وأن يعوض عن الفسحة السماوية الداخلية بالنوافذ الكبيرة المطلة على الشارع دون أن يفطن إلى الخطأ الجسيم الذي زاد المسألة تعقيداً وأدى إلى نقيض الهدف الذي يسعى إليه ، لأن النافذة المفتوحة الكبيرة كانت تسبب زيادة في برودة الغرف شتاء وزيادة في حرارتها صيفاً ، عدا أنها أصبحت تستقبل ببساطة الهواء الملوث .

٣- لقد أضافت المواد الإنشائية التي استعملت في العمارة الحديثة مشكلة جديدة . فالاسمنت والحديد حلا محل الطين أو الآجر والخشب . هذه المواد التي انسجمت دائماً مع الظروف المناخية وقدمت للإنسان الظروف المواتية .

وعندما استعيض عنها بالاسمنت ، فإن العمارة خالفت مصلحة الإنسان لتخدم الشكل والتقنية الحديثة ولترتبط "بالموضة" وليس بالمعاصرة .

لقد أجريت تجارب لدراسة أهمية الآجر ومشاكل الاسمنت في منطقة صحراوية فتبين أن المدى الحراري ، أي الفرق بين الحرارة والبرودة في يوم كامل في مسكن مبني باللبن ، لاتتجاوز درجتين حراريتين فقط ، أما المدى الحراري في المسكن المبني من الاسمنت فهو ٢٢ درجة حرارية .

ومن هنا يتبين أن استعمال الاسمنت كبديل للطين لم يكن لمصلحة الإنسان العربي لا من الناحية الصحية ولا الاقتصادية أيضاً ، ذلك لأن الطين مبذول في أي مكان ومجاني كالماء بينما يخضع الاسمنت إلى الأسعار الدولية وإلى تكاليف باهظة لإنتاجه .

إن الاتجاه نحو المعاصرة أمر ضروري ولاشك ، ولكن هذا لايتم عن طريق الاستيراد الأعمى للطرق والوسائل أو عن طريق التقليد ، بل يتم عن طريق فهم جوهر العصر الحديث ، وهو العلم . فنحن لم نعتمد على العلم لدراسة الظواهر العمرانية والمعمارية والبيئية

و لم ندرس المواد وميكانيكياتها وتطورها . حتى الطين هذه المادة التي استعملت منذ آلاف السنين في أرضنا فكانت الزيقورات والمعابد في بلد الرافدين وكانت ناطحات السحاب في اليمن ثم كانت المنشآت الفاطمية والعباسية مبنية كلها من الطين المشوي أو المجفف ، ولكن لم نكلف أنفسنا عبء دراسة إمكانيتها المتطورة بعد وجود الاسمنت والمواد البتروكيميائية مما يجعلنا نستعيض عن التبن أو الشعر الذي استمر استعماله مقوياً للطين آلاف السنين .

المعاصرة هي في الاعتماد على البحث العلمي والتخطيط وليست في التقليد واتباع "الموضات" ، فالحضارة ليست زياً بل هي مقياس رقي الإنسان في أُمة من الأمم .

والمدينة القديمة ليست مظهراً من مظاهر التخلف يدفعنا إلى إهماله ومناهضته بل هي الصيغة المركبة من حصيلة التفاعل بين الإنسان والمحيط ، الإنسان بقيمه وتطلعاته والمحيط بمناخه وروحه وتقاليده . والمعاصرة لاتعني الانفصال عن التراث والماضي . بل تعني تطوير هذا التراث مع الواقع . ومن هذه الزاوية نستطيع أن ننظر إلى طريقة تطوير المدينة القديمة وطريقة تأصيل المدينة الحديثة في البلاد العربية .

ولكن لابد أن تكون هذه الطريقة علمية ، ولابد أن نتجنب في الحالتين التقليد والمحاكاة وأن نحاذر الخروج عن المقياس الإنساني والانزلاق إلى مقاييس أخرى يصبح الإنسان لها عبداً .

إن مدينة المستقبل كما يقول حسن فتحي يجب أن تكون على مستوى الإنسان الطفل ، لأنه لا يخطئ ولا يتساهل في حاجاته ، وهو بذلك يحدد الشروط السليمة التي يشترطها الإنسان في المدينة ، ويحدد بالتالي الشروط القومية للعمارة .

إن المدينة المعاصرة يجب أن تكون مدينة عربية مرتبطة بالإنسان والمناخ والتاريخ .

الفصل الثالث

النسيج العمراني لمدينة دمشق

النسيج العمراني لمدينة دمشـــق

يمكن أن تحدد مدينة دمشق القديمة بمساحة بيضوية الشكل ، قطرها الطويل شارع مدحت باشا (١٦٠٠ م) وقطرها الصغير (١٠٠٠ م) ، يمتد من باب الفراديس إلى الباب الصغير، أي بمساحة ١،٦ كم٢ تقريباً .

وبهذا كانت مدينة دمشق القديمة محدودة المساحة ، يقع معظمها داخل أسـوارها قبـل أن تتوسع نحو الشمال الغربي في أحياء سوق ساروجة والقصيبة ، ونحو الجنوب في أحياء الشاغور البراني والميدان ، وكانت معظم أبنيتها تشغل الجانب الجنوبي من نهر بردى .

☆ ويخترق مدينة دمشق القديمة من الغرب إلى الشرق شارعان متوازيان :

د. صفوح خير ، مدينة دمشق ، ٣٧١ — ٣٧٣

الأول : الطريق المستقيم الذي يصل بين الباب الشرقي وباب الجابية ، ويطلق على الجزء الغربي منه اسم سوق مدحت باشا.

والثاني : جادة سوق ساروجة .

وعلى هذه الطريقين الرئيسيين تتعامد جميع الطرق المتجهة من الشمال إلى الجنوب . وفي المدينة القديمة كانت أغلب الطرق تبتدئ بأبواب تؤدي إلى الطريق المستقيم ، أو إلى الأسواق الكبيرة . وفي الأحياء الشمالية تهبط الطرق نحو سوق ساروجة ومنها إلى الطرق التي تتممها نحو الجنوب وتوصلها إلى أبواب المدينة القديمة .

وبين هذين الطريقين الرئيسيين يقوم شارع ثالث صغير ، هو سوق الحميدية الواقع جنوب القلعة وينفذ منه إلى جامع بني أمية الكبير .

ويوجد في الشمال خمسة طرق تمتد خارج كتلة المدينة :

فحارة الورد تستمر حتى المرجة وتوصل إلى حي الأكراد ، ثم يمتد طريقا القصيبة والدحداح والقزازين حتى تصل إلى باب العمارة ، وتبقى جادة عاصم التي تصل إلى باب السلام .

ويمكن تلمس مظاهر البناء الدمشقي ومخططاته في مدينة دمشق القديمة بادية بعض الأحيان أو مختفية على الغالب تحت عناصر العمران الإسلامي ومظاهره . والميزات التي تعرف

بها المدينة الإسلامية في منطقة جنوب غرب آسية عن المدن في المجتمعات غير الإسلامية واضحة في تكتل الأبنية وازدحامها حول الأزقة والدروب والدخلات المسدودة . وهذه مظاهر كانت تتفق مع طبيعة الحياة الإسلامية التي كانت تغلق الدور نحو الخارج وتفتحها نحو الداخل ، حرصاً منها على حجب الحياة الأسرية عن الغرباء .

إلا أن أهمية مدينة دمشق القديمة الآن معروفة للعالم كمدينة للآثار الشرقية الإسلامية في بلاد الشام ، وكشاهد على نمط معين من العمران ، هو نتائج البيئة شبه الجافة .

أما أهم **معالم مدينة دمشق** المعمارية فتتمثل في :

١ ـ الجوامع والمساجد

٢ ـ الأسوار والأبواب

٣ ـ القلعة

٤ـ الخانات

٥ ـ الأسواق

٦ ـ المدارس

٧ ـ التكايا

٨ ـ الزوايا والخانقاهات

٩ ـ البيمارستانات

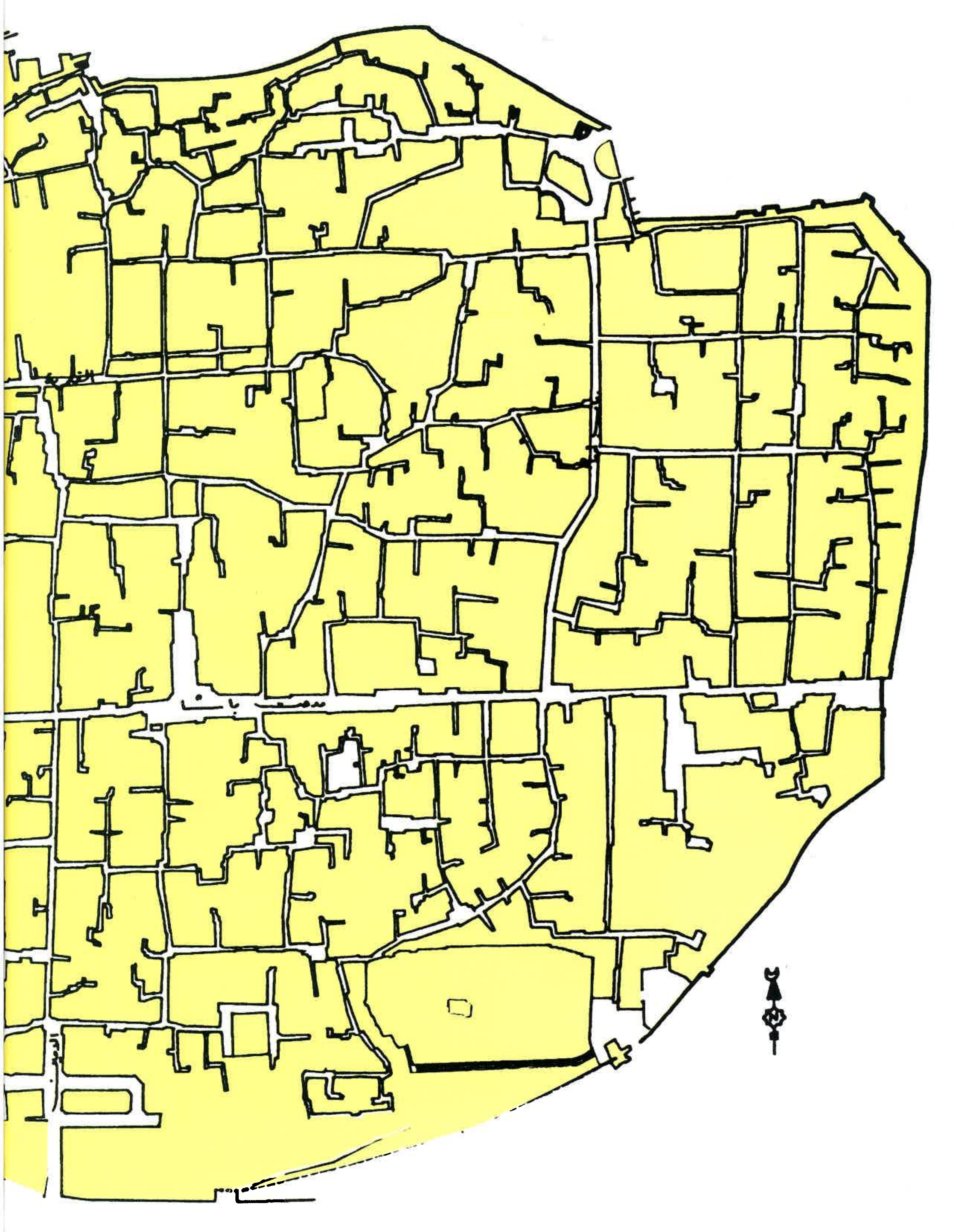
١٠ ـ الحمامات

١١ـ الأسبلة

١٢ـ الأضرحة والترب

١٣ـ الحارات والدور والقصور





الشوارع والحارات والأزقة في دمشق القديمة



Streets and Quarters Old Damascus

الحـــارات والـــدور والقـصــور

☆ إن الظاهرة التي تبدو أساسية في دمشق تتجلى في التمايز الصـارخ بـين الأحـياء الحافلة بالنشاط الاقتصادي وبين الأحياء السكنية. ففي وسط المدينة حيث النشاط الاقتصادي تكون عريضة ومنتظمة ومفتوحة على شبكة ممتدة دون انقطاع حتى حدود المدينة .

أما في الأحياء السكنية فشبكة الشوارع غير منتظمة ، وقد اعتبرت تلك السمة بوجه عام من الصفات المميزة للمدينة العربية الإسلامية . ولقد أدرك رجال الشريعة المسلمون ذلك التقسيم في المساحة العمرانية ووضعوا معالمه . ☆

☆ أندريه ريمون ، العواصم العربية، ص١٧

☆ وتتصل تلك الأحياء السكنية مع شبكة الشوارع الرئيسية للمدينة بواسطة درب ، وتستعمل كلمة الدرب بدلاً من الحارة أو الحي ، وتصب في هذا الدرب شبكة أصغر من الشوارع الثانوية التي يطلق عليها اسم زقاق . وهذه الأزقة تنتهي في طريق مسدودة ولايتصل بعضها ببعض .

☆ أندريه ريمون ، العواصم العربية، ص٢٢

أما الحارات نفسها فهي وحدات عمرانية مستقلة مغلقة في أغلب الأحيان ، وكأن كل حارة مدينة صغيرة بمسجدها وطريقة توزيع المياه فيها وحمامها وسويقتها .

☆ وأول ما يلفت الانتباه عند اجتياز الأحياء ، باب واسـع للحي ، كـان يغلـق في أحـوال الحصار والاضطرابات ، ويكتفى بالمرور من باب صغير مفتوح في وسطه ، يطلق عليه اسم خوخة . وفي التوغل بالحي يظهر التواؤه وتفرعه إلى أزقة صغيرة لها بدورها أبواب خاصة بها تؤدي إلى عشرات البيوت .

☆ د. الريحاوي، مدينة دمشق، ص١٥٣

☆ وظاهرة الحارات المغلقة كانت وسيلة مبتكرة ومدروسة بدقة لحراسة قلب المدينة بأبسط الصور وأكثرها فعالية .

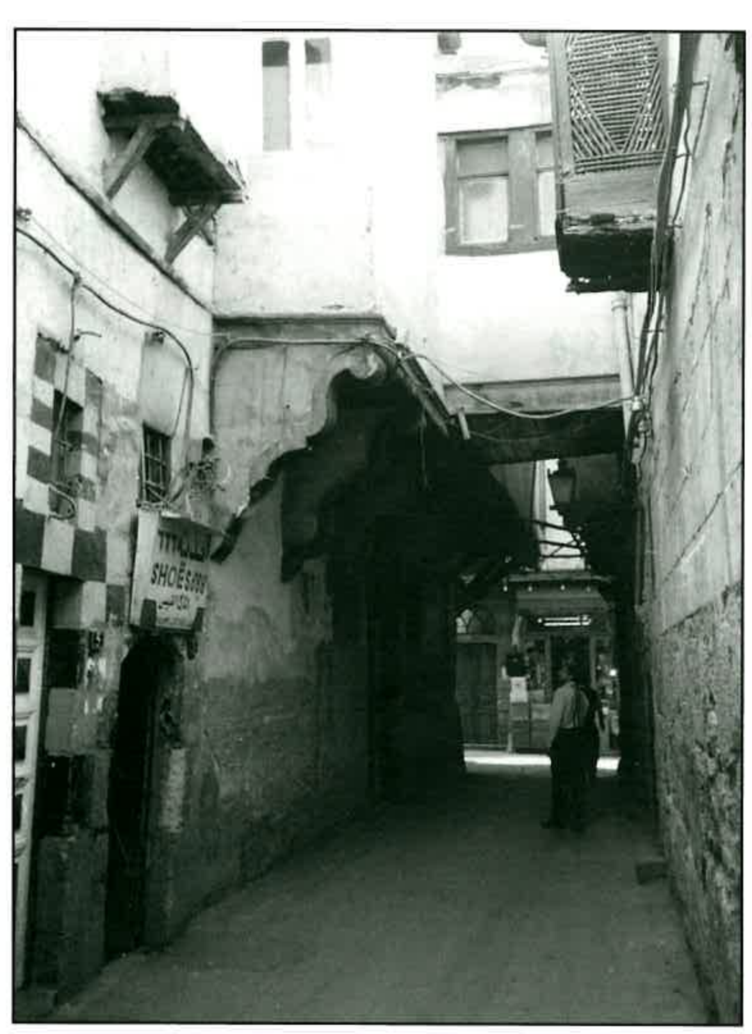
☆ كارل واتسينجر ،
الآثار الإسلامية في مدينة دمشق ، ص٦٠-٦١

إن نسيج الحارة يشبه فروع الشجرة وأغصانها ، وفي كثير من الحـالات تتألـف من ٤٠-٥٠ داراً وقد التحمت في كيان واحد بل هي جزيرة سكنية تنعم بأفضل شروط السكن العصري ، فهي بعيدة عن ضوضاء حركة المرور ويترابط الأهالي بحبل حسـن الجـوار أو القربى . وفي كثير من الحالات تتشابك الحارات مع بعضها بعضاً مثل أشجـار الغابات وتتحول إلى حارة كبيرة يطلق عليها اسم "محلة" . لكن المحلة تبقى مرتبطة مع بقية أرجاء المدينة بعدد قليل نسبياً من الممـرات لها بوابات تغلق ، ولايمـكن للقـادم الدخـول إلى تلـك المحـلة إلا عن طريق تلك البوابات.

وكمثـال نجد حـارة النقاشـات تشـغل مسـاحة ١٠٠ م × ١٠٠ م وتضـم حوالي ١٥٠ بيتاً ، ليس لها إلا مدخلان ضيقان كانا يغلقان في الماضي.☆



تلة القاضـي - القيمريـة
دمشـق القديمـة



القيـمـريـة
دمشـق القديمـة

☆ وعموماً إذا نظرنا إلى الحارة في دمشق القديمة وجدناها تتكون من مجموعة من المنازل المتراصة – غالباً مع باحات داخلية – تشغل غالباً معظم مساحة أرض الحارة الفعلية . هذه الدور المتلاصقة تشكل عبر واجهاتها الخارجية ، المصمتة تقريباً ، حائطاً مسدوداً يحد الشارع الداخلي ويحدده في آن واحد .☆ وكذلك تمثل الأقسام الواقعة خارج الأسوار أيضاً ، متاهة من الأزقة المتعرجة والمنعطفات المفاجئة .

☆ الحوليات ١٩٨٥، مقال الرباط ، ص٥٤٠

☆ د. صفوح خير ، دمشق ، ص٣٧٥

وأما بالنسبة إلى العناصر المكونة للحارة حسب تعريف "لينش" فيمكن تحليلها في ضوء واقع مدينة دمشق كالتالي : ☆

☆ الحوليات ١٩٨٥، مقال الرباط ، ص٥٤٠←٥٤٤

١) الحدود :

لا تحوي الحارة الدمشقية حدوداً معمارية مميزة وإن كانت الجدران الخارجية لنطاق البيوت الأقصى ، بفتحاتها القليلة والضيقة ، تشكل أقرب شبيه لمفهوم الحدود أو الفواصل . أما مدخل الحارة فهو أحياناً غير مميز وأحياناً معقود بقوس كبير ، ويكون عادة فتحة شاقولية في السور المستمر من جدران البيوت ناشئة عن تباعد منزلين للسماح بالنفوذ إلى داخل الحارة .

هذا عن الحدود الخارجية المطلة على الشوارع الرئيسية للمدينة ، أما بالنسبة إلى الحدود الداخلية للحارة مع غيرها من الحارات فهي غير متميزة فراغياً على الإطلاق ، وتتشكل من الجدران الداخلية المشتركة ، والمصمتة طبعاً ، للمنازل المتلاصقة في الحارتين .

٢) الممرات :

وهي القنوات التي يتحرك سكان المدينة عبرها . وفي حالة الحارة الواحدة يمكن تحليل شبكة المرور إلى ثلاثة مكونات :

- الأول هو الدرب الذي يشكل عقدة المرور الأساسية في الحارة ويتصل بشوارع المدينة من نهايته .

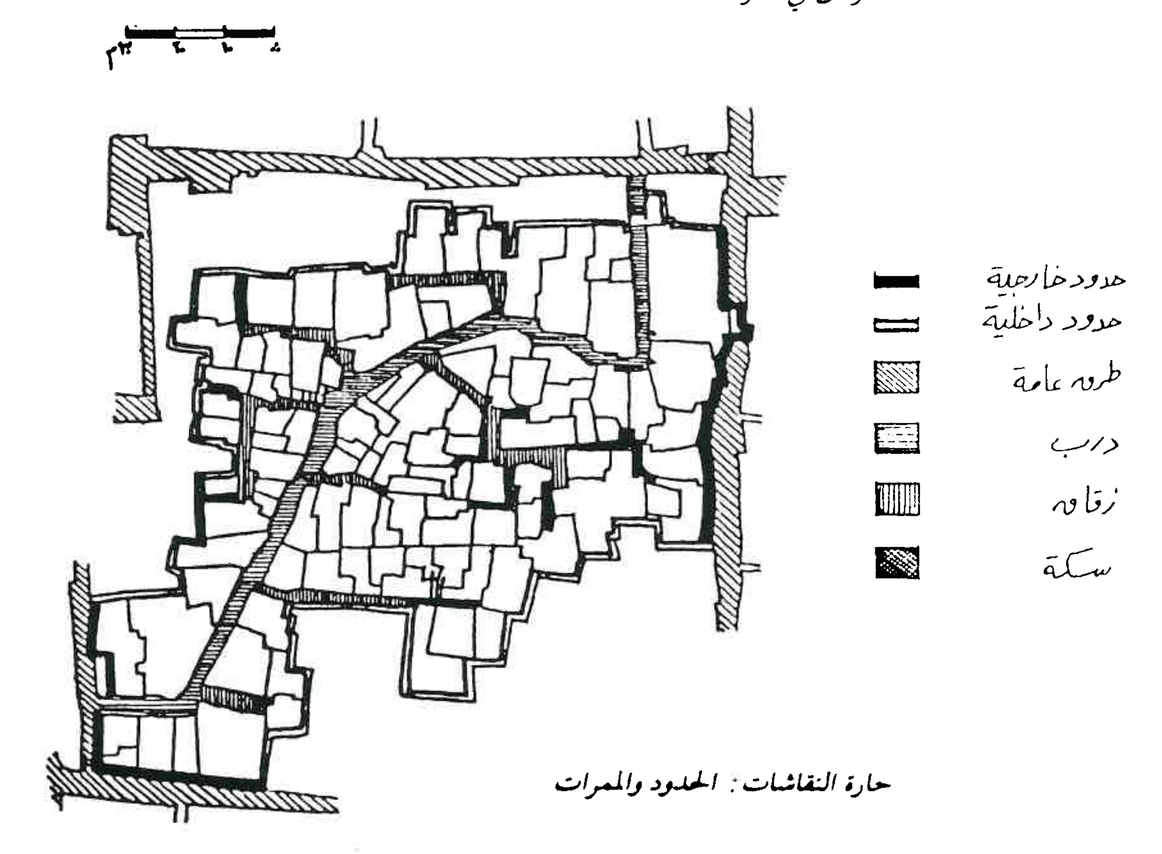
- الثاني هو الزقاق ، وهو أضيق من الدرب ويتفرع عنه ليتصل بدرب آخر أو شارع رئيسي، أو يلف ويعود ليصب عليه .

- وأما الثالث فهو السكة أو القناة غير النافذة التي تتفرع عن الأزقة وتقف عند أبواب البيوت ، وتكون عادة ضيقة جداً ولاتسمح بمرور أكثر من شخصين .

ويلاحظ أن تجاوز الدور الخاصة على ممرات المدينة والذي يحدد اتساع هذه الممرات لم يكن اعتباطياً بل تابعاً لنظام وظيفي متوافق مع كثافة المرور وتواتره في الدروب أو درجة الخصوصية المبتغاة في الحارة .



زقاق في حارة النقاشات



حارة النقاشات : الحدود والممرات

(الحوليّات ١٩٨٥)

المواقع والمباني الأثرية والتاريخية الهامّة



1. حارة العبيد
2. زقاق الورد
3. حارة المفتي
4. حارة قولي
5. محور السوق
6. نزلة جوزة الحدبا
7. حارة المبيّض
8. حارة القرماني
9. حمّام الورد
10. جامع الورد
11. حمّام الجوزة
12. مدرسة وجامع ست الشام
13. التربة النجميّة
14. المدرسة الفندقية
15. بيت الإيبش
16. بيت خطاب
17. بيت الكباريتي
18. بيت النحلاوي
19. بيت هولو باشا العابد
20. بيت الحبوباتي
21. تربة ساروجة
22. تربة بلبان

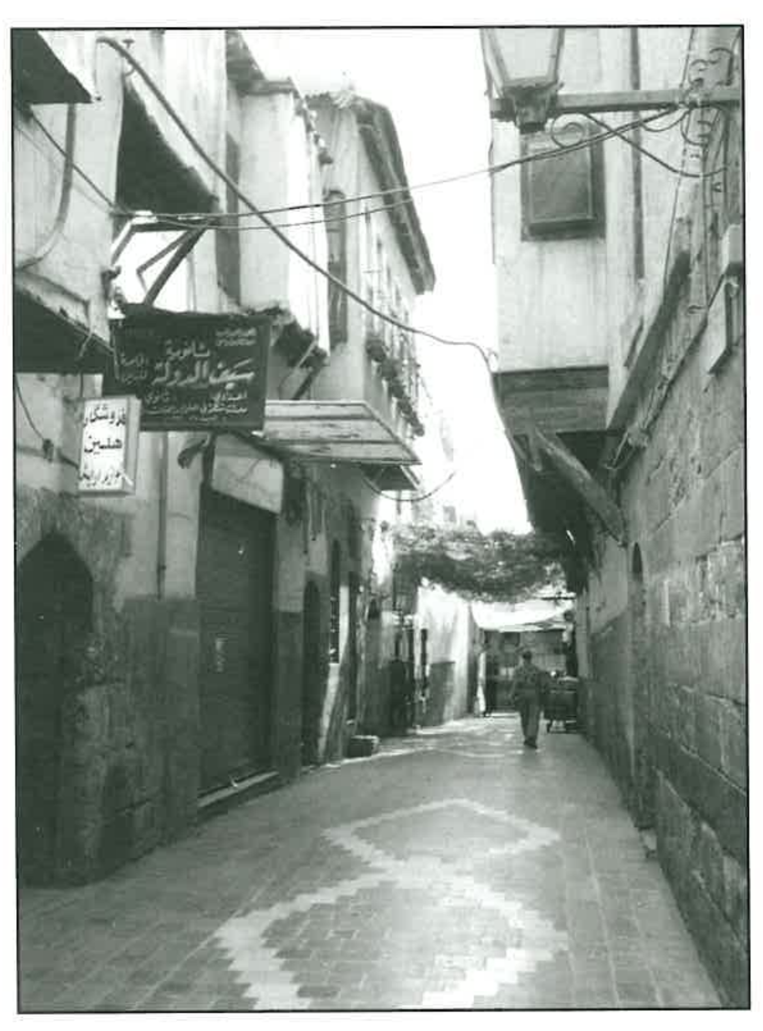
مخطط سوق ساروجة ... الوضع الراهن
مطلع ١٩٨٩

(مخطط سوق صاروجا الذي وضعه طلبة كلية هندسة العمارة بجامعة دمشق وقد أجريت عليه بعض التعديلات الطفيفة) .



بـــاب تـــومـــا

دمشق القديمة



عمارة جوانية

دمشق القديمة

٣- العقد :

وهي بؤر الحركة الرئيسية في الحارة التي يمكن الدخول إليها ، وتتكون عادة من تقاطع ممرين أو أكثر ، أو من تجمع بعض الخدمات والوظائف في نقطة ما داخل الحارة ، والعقد على نوعين خارجية وداخلية :

- أما العقد الخارجية فإنها تنشأ من تقاطع الدرب مع الشارع الرئيسي المحاذي للحارة والذي يشكل زمدخل الحارقس . وقد تميزت مداخل الحارات بوجود بوابة ذات رتاج تغلق في الليل . ويوجد عند مدخل الحارة المسجد أو السبيل أو بعض الدكاكين أو لم يكن لها عنصر معماري مُميّز .

- أما العقدة الداخلية فإنها تتكون من اتساع في عرض الزقاق الذي يتخذ شكل فراغ مفتوح تصب عليه السكك المؤدية إلى مختلف جوانب الحارة ويسمى الساحة على الرغم من أبعادها المتواضعة وزواياها المتكسرة . وأحياناً يمكن أن تتشكل ساحة صغيرة أمام المسجد أو الحمام أو زاوية لولي أو غيرها .

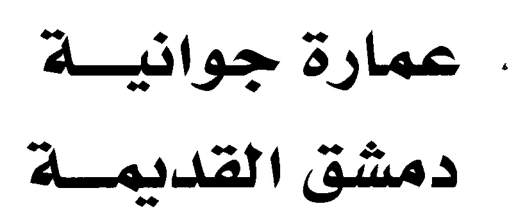
٤- الصروح أو الأوابد :

وهي العناصر المعمارية في الحارة التي يمكن اعتبارها نقاط علاّمة ، وأهمها المسجد ، ثم المدرسة والحمام والأسبلة والأضرحة . بعض هذه العناصر يخدم وظيفياً حاجات سكان الحارة وبعضها يمتد تأثيره ليشمل نطاقاً أكبر من الحارة كما في حال وجود مزار ولي أو زاوية دينية أو مدرسة مهمة كما في حارة النقاشات مثلاً .

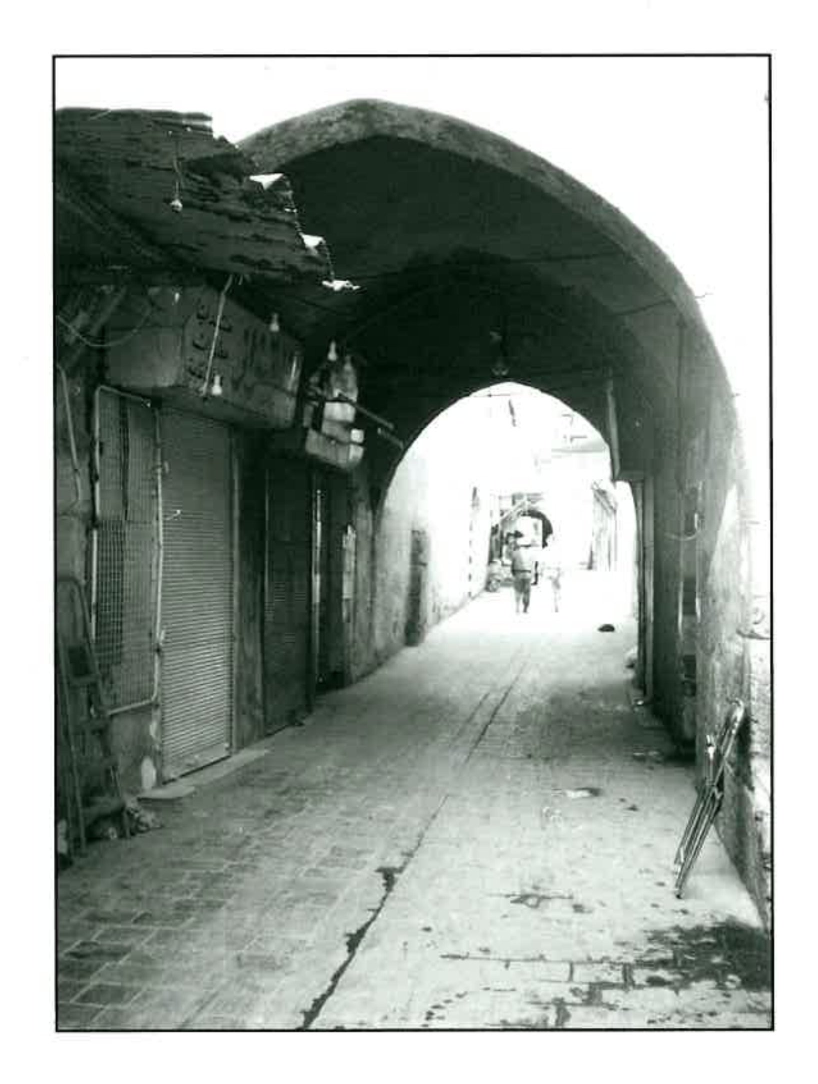
هذه الصروح المعمارية بمداخلها الواسعة والمزخرفة وواجهاتها المدروسة تعطي انطباعاً تذكارياً يضفي بعض التنوع على الواجهة المستمرة والرتيبة المشكلة من الجدران الخارجية للدور المحيطة بها والخالية من كل حلية بالإضافة لذلك ، فإن هذه الصروح ، بحكم علوها واتساعها تكون ظاهرة من نقاط مختلفة خارج الحارة ، خصوصاً بالنسبة إلى المارة الذين يمكنهم التعرف على قبابها ومآذنها وتحديد اتجاههم على أساس مواقعها .

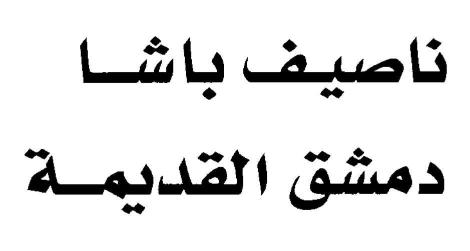
☆ وخير مثال على هذه الحارات هو حي الحمراوي الذي يتمتع بخصائص عديدة من الناحية المعمارية أو الناحية الفنية التاريخية ، بالإضافة إلى موقعه الاستراتيجي بين آبدتين رئيسيتين في المدينة القديمة وهما الجامع الأموي شمالاً وقصر العظم جنوباً . ويبدأ من الضلع الجنوبي لسوق القباقبية الحالي وحتى حارة النقاشات وبذلك فهو يقع وسط مجموعة من الأسواق القديمة ، (سوق القباقبية ، سوق البزورية ، سوق الحميدية) ، ورغم موقعه وسط

☆جحا ، البيت الدمشقي الكبير في حي الحمراوي



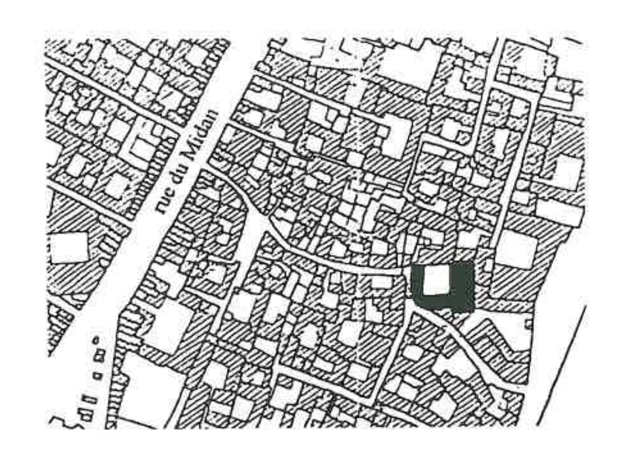
عمارة جوانيــة
دمشق القديمــة



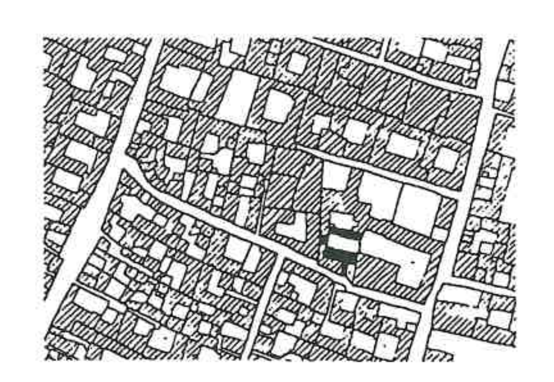


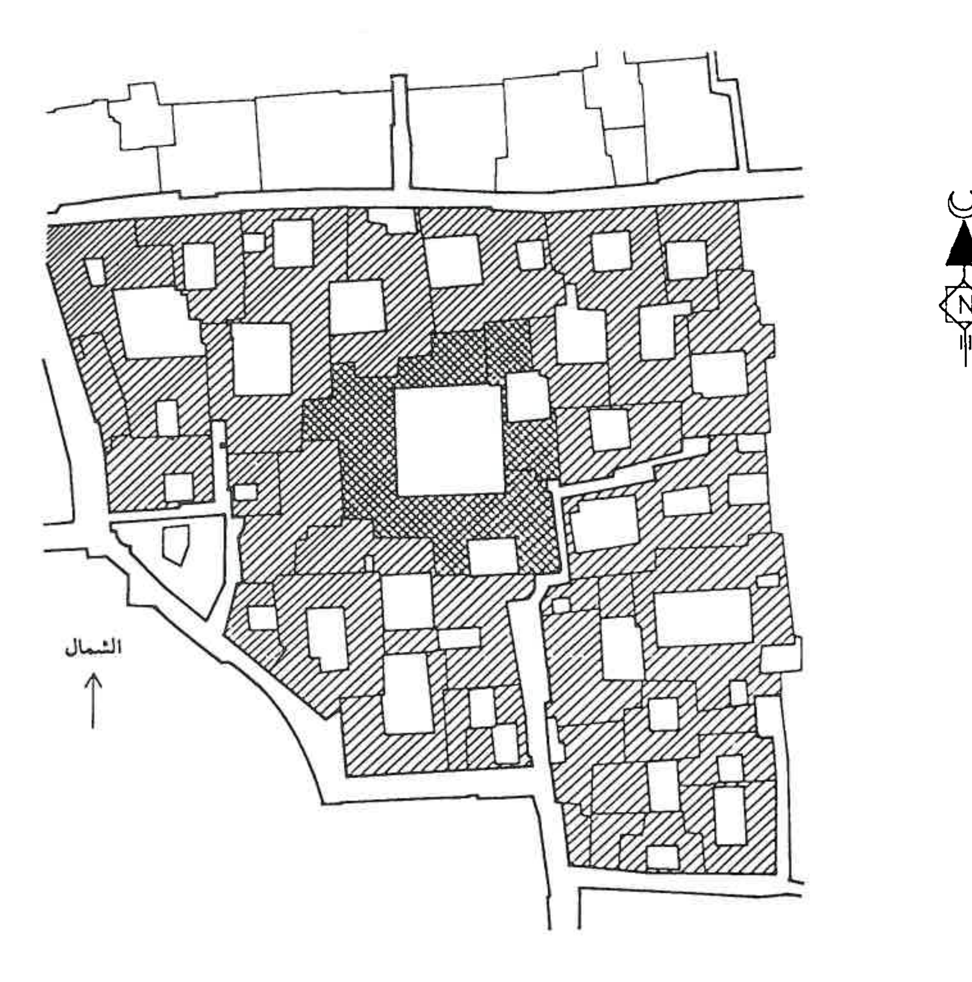
ناصيف باشــا
دمشق القديمــة





النسيج العمراني لحارتين في الميدان

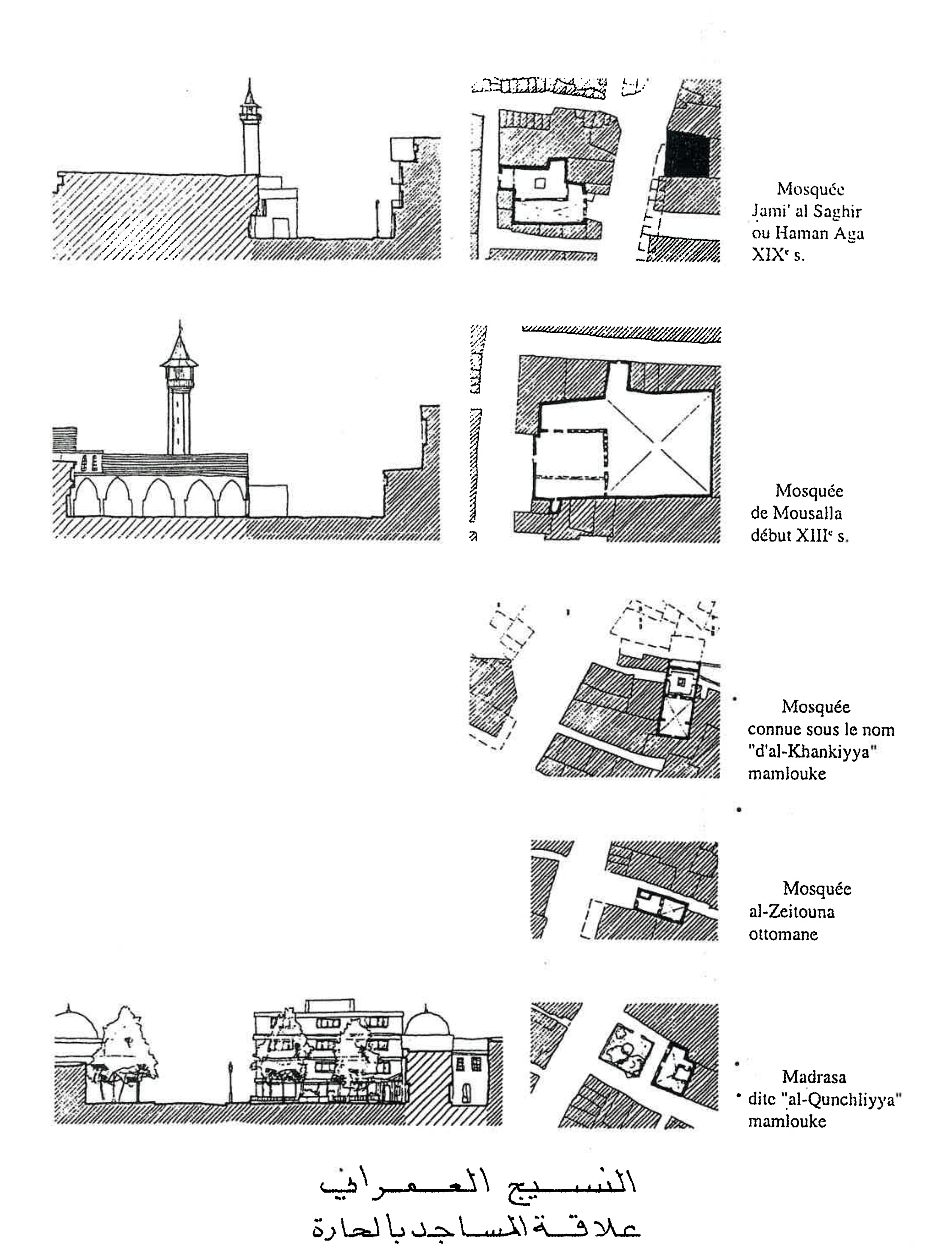




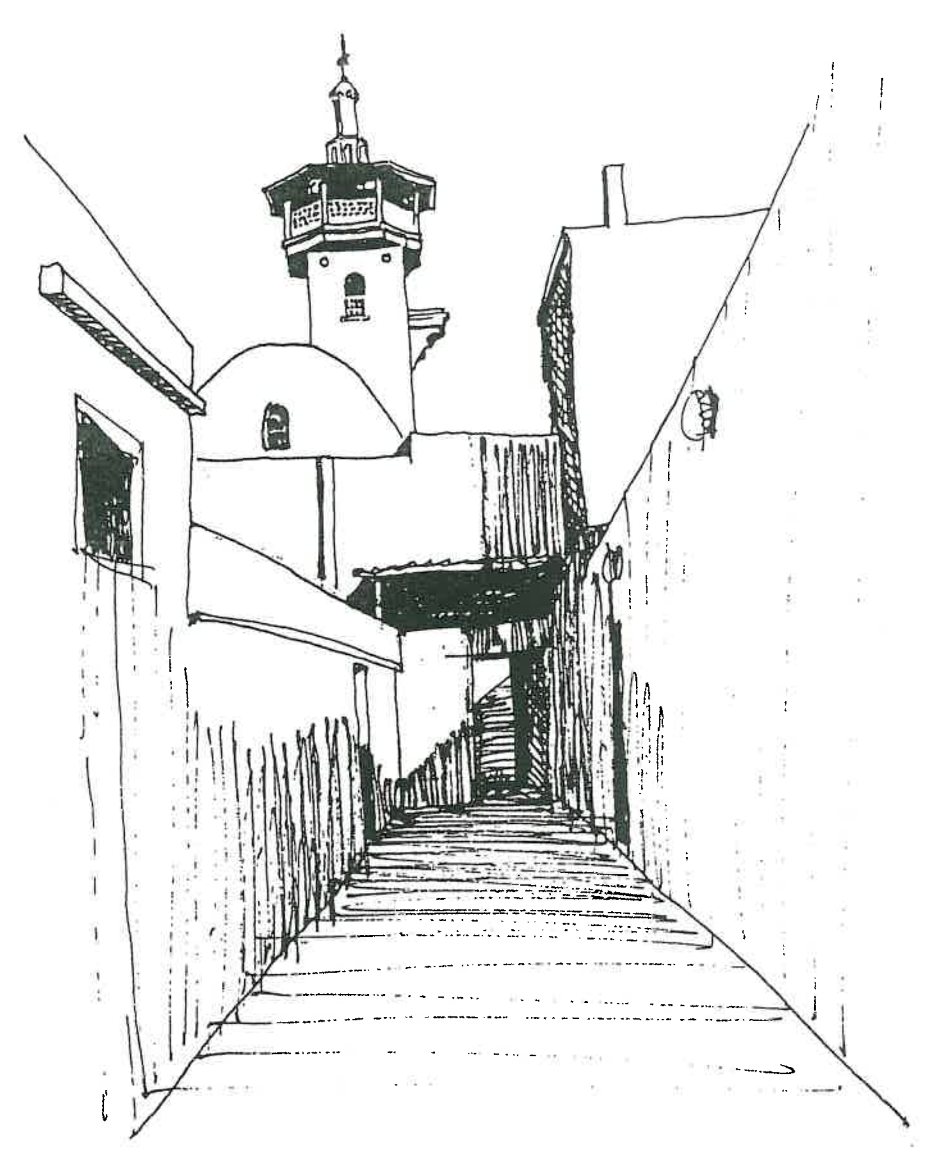
جزء من مخطط مدينة دمشق تظهر فيه الأفنية في صورة مساحات بيضاء

(حسن فتحي)

Implantation des mosquées en retrait de l'alignement

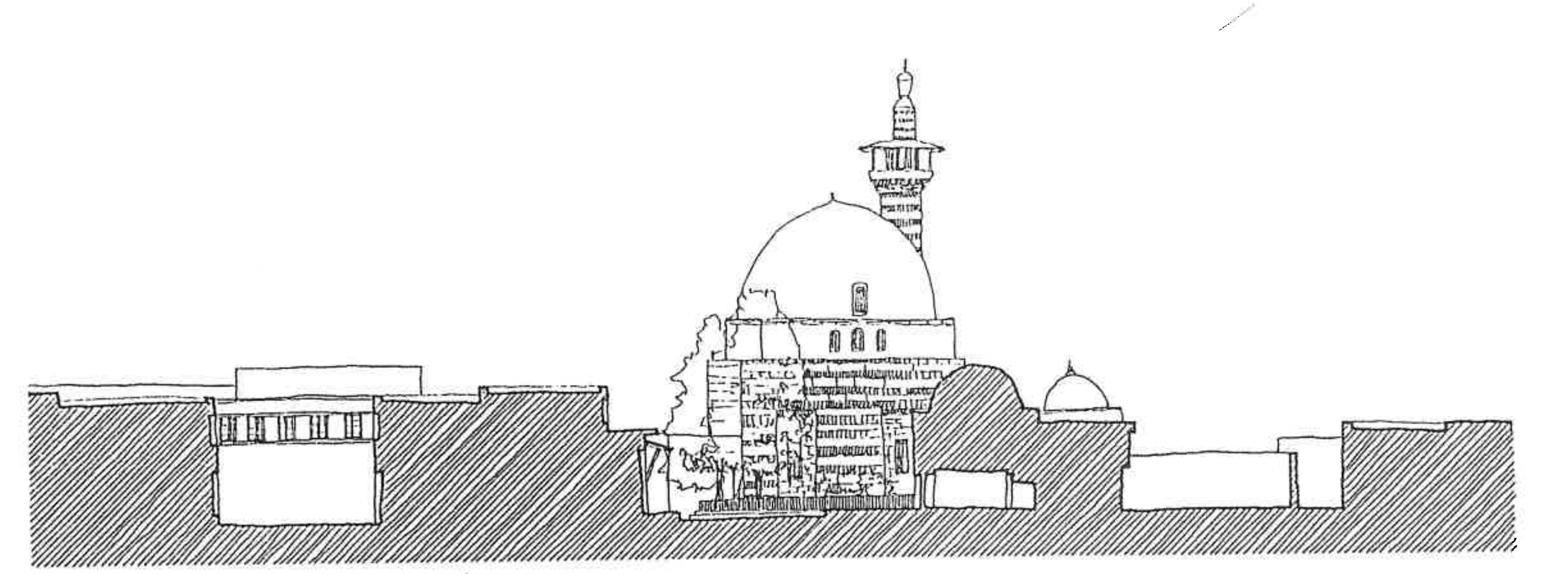


النسيج العمراني
علاقة المساجد بالحارة



Mosquée al-Karimi

الحارة القديمة في الميدان



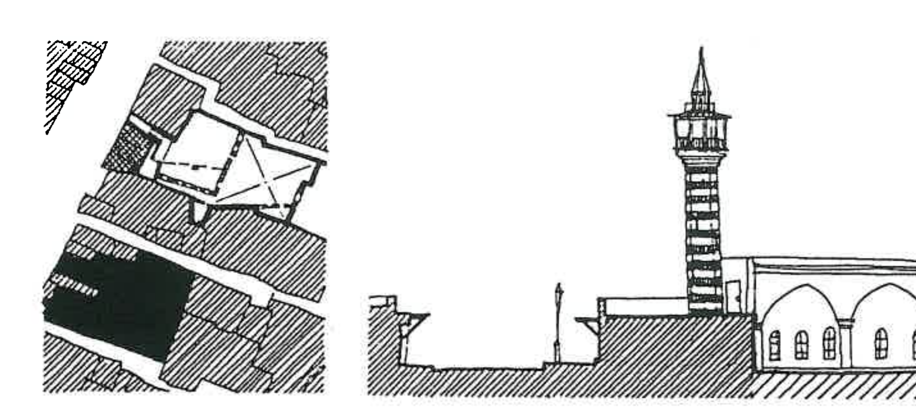
Au fond la mosquée Mourad Pacha. Le mausolée Bahadur Ass

علاقة البيوت بالجامع - جامع مراد باشا

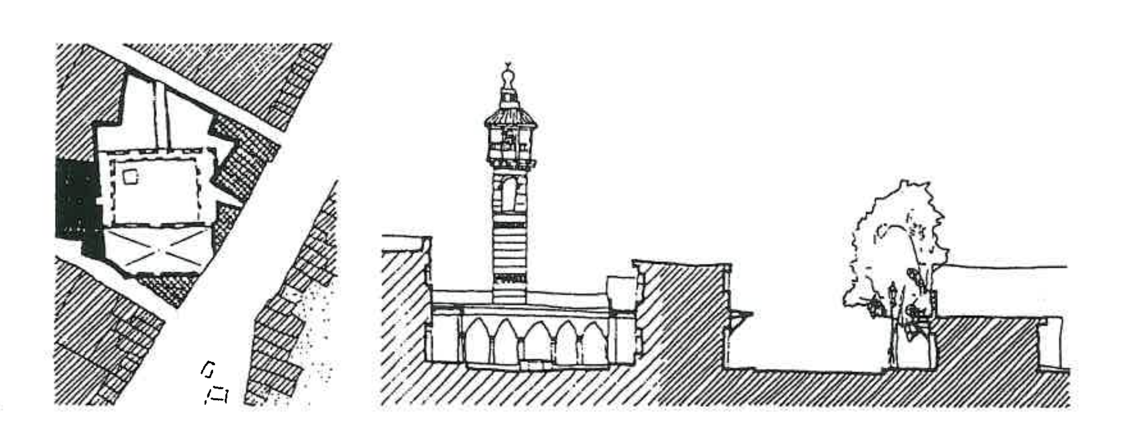
الميدان

Implantation des mosquées en retrait de l'alignement

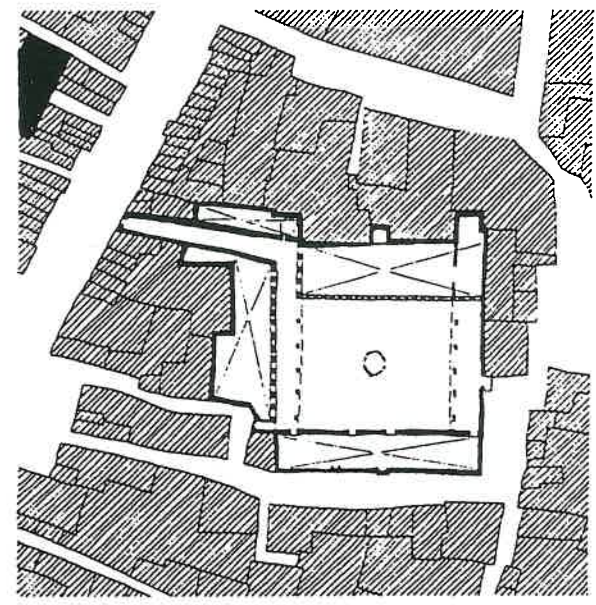
DES BOUTIQUES ET DES MAISONS S'INTERCALENT ENTRE LA MOSQUÉE ET LA RUE



Mosquée
al-Rifa'i
ottomane.



Mosquée
Manjak
XIVᵉ s.



Mosquée
al-Karimi
dite "Daqqaq"
mamlouke XIVᵉ s.

النسيج العمراني
علاقة المسجد بالمخازن والبيوت

منطقة تجارية فهو يحافظ ومنذ القدم على خصوصيته وشخصيته كحي سكني لم تدخل الفعاليات التجارية إليه .

يظهر الشكل العام الذي يتمتع به هذا الحي في أزقته الملتوية الانسيابية وحاراته الفرعية الضيقة التي تفاجئك بانفراجها وطولها الذي يوصلك إلى عدة بيوت كما أنك لاتلاحظ غرباء في المنطقة رغم ما يعج به جوارها من أناس غرباء فقد حافظت على خصوصيتها وطابعها المتميز .

تكتسب منطقة الحمراوي أهمية خاصة بارتباطها بالأسواق التجارية المهمة التي عكست ذلك على الأبنية السكانية والعمرانية .

إن الوضع الحالي لأبنية الحمراوي بعد إجراء الرفع الاجتماعي وبيان المحصلة النهائية للدراسة ضمن المنطقة ككل :

- عدد العقارات في حي الحمراوي /٤٩/ عقاراً .
- عدد المحال التجارية والمستملكة /٥٠/ محلاً .

متوسط مجموع عدد الأسر /٨٩/ أسرة تقريباً وعدد الأفراد /٣٢٨/ شخصاً ، إذ نستطيع تقسيم زقاق الحمراوي إلى شريحتين من البيوت ، بيوت كبيرة نوعاً ما من حيث المساحة ومساحة الباحة السماوية ، وأخرى صغيرة من حيث المساحة والباحة السماوية .

وقد ظهر حي الحمراوي في العهد العثماني في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين علماً بأنه لم تتوفر في دمشق أمثلة على بيوت يعود تاريخها إلى ما قبل القرن الثامن عشر حيث يبدو أن طبيعة إنشائها الخفيفة لم تسمح لها بالصمود مثلما صمدت العمائر الدينية والمباني الرسمية .

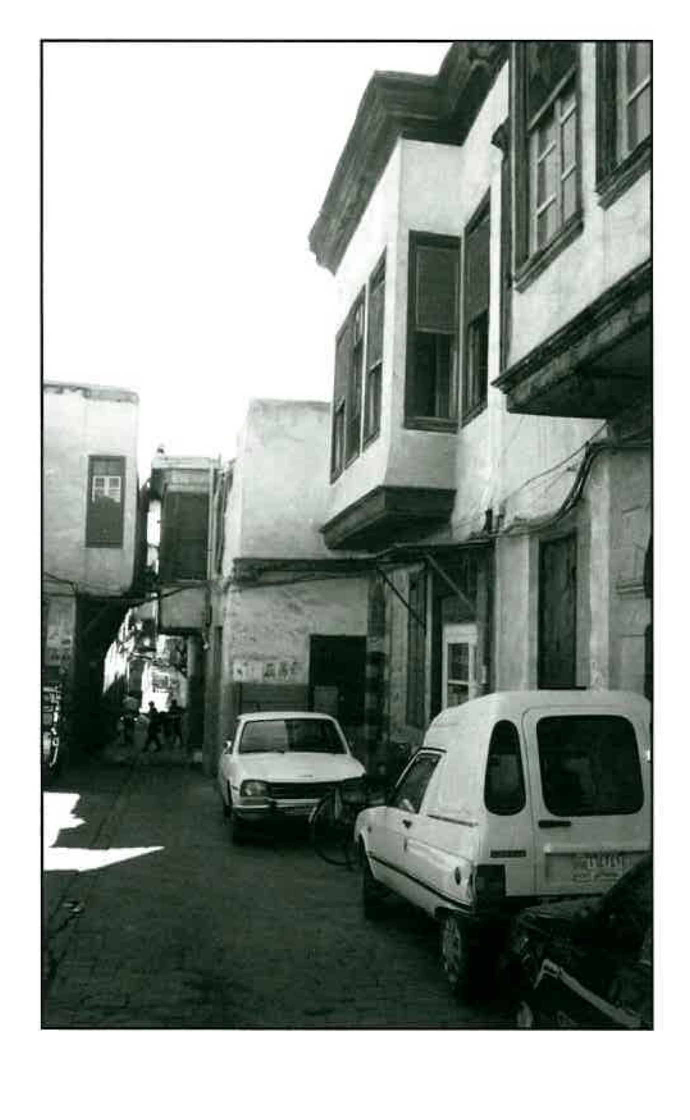
تنكمش الإيوانات والباحات وتتسع طبقاً للمساحة المتوفرة ، لذلك لانستغرب إذا كانت البيوت المتكاملة في عناصر مخططها موجودة خارج أسوار المدينة . تبدو تلك البيوت وحدة متراصة تتصل بحارات وأزقة المدينة وشوارعها الضيقة .

وكانت الحارات المغلقة وسيلة مبتكرة ومدروسة لحراسة المدينة بأبسط صورة ، مما عزز درجة الاطمئنان والسكينة ، فاعتمدت الحارات على وجود درب رئيسي يتفرع إلى أزقة تنتهي إلى المنازل فبعدت عن الضوضاء وحركة المرور ، وترابط الأهالي بحبل حسن الجوار فأصبح الزقاق أشبه ما يكون جزءاً من حرم الدار .

وكانت هذه البيوت تتصل بتلك الأزقة عن طريق المدخل الخاص بكل بيت ، وهو الاتصال الوحيد مع فعاليات الحياة الاجتماعية الخارجية ، وقد كان المنظر بسيطاً جداً إذ أن

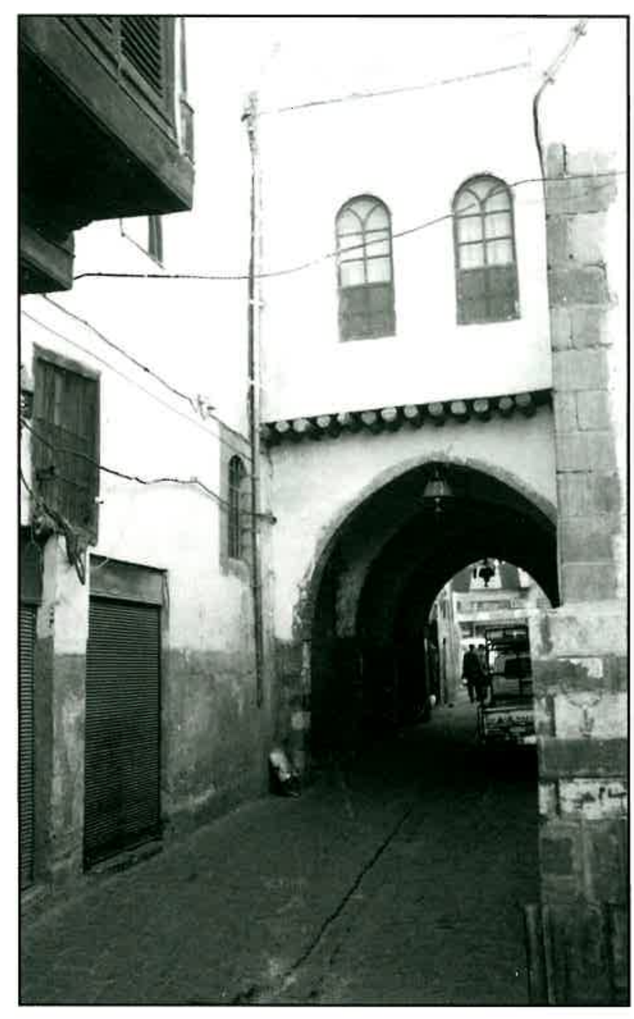
ناصيـف باشـا

دمشق القـديمـة



عبد الرزاق العرند

دمشق القـديمـة



الميسورين كانوا يهملون مظهر البناء الخارجي وينصرفون إلى تجميله والعناية به من الداخل ، ويكاد المرء لايدرك سر وجود المساجد والخانات والحمامات في الشوارع الضيقة وبين أبنية وضيعة ، ما لم يجتز هذه الجدران البسيطة ويطلع على ما وراءها ليرى دوراً شرقية فسيحة .

وأما شوارع دمشق القديمة فكانت مبلطة بالحجارة المحدبة والمكعبة المنتظمة وكان يحف بها رصيف من جانب واحد وأحياناً من جانبين وقد يكون عالياً . ولقد تحدث رحالة القرنين ١٨ و١٩ عن هذا النوع من الرصف وكان من عجائب بلاد الشرق في وصفهم☆، ونتيجة لضيق الأزقة والشوارع ، فإن بعض الغرف العلوية في بيتين متقابلين على جانبي زقاق أو شارع واحد تكون متلاصقة مع بعضها مشكلة مظلة تقي من المطر والحر الشديد وتضفي عليه مظهراً جمالياً ، خصوصاً وأن البعض منها مغطى بقناطر يتواصل فوقها البناء من جانبي الشارع .

☆ ولتسينجر ـ واتسينجر ، الآثار الإسلامية في مدينة دمشق ، ص٦٦

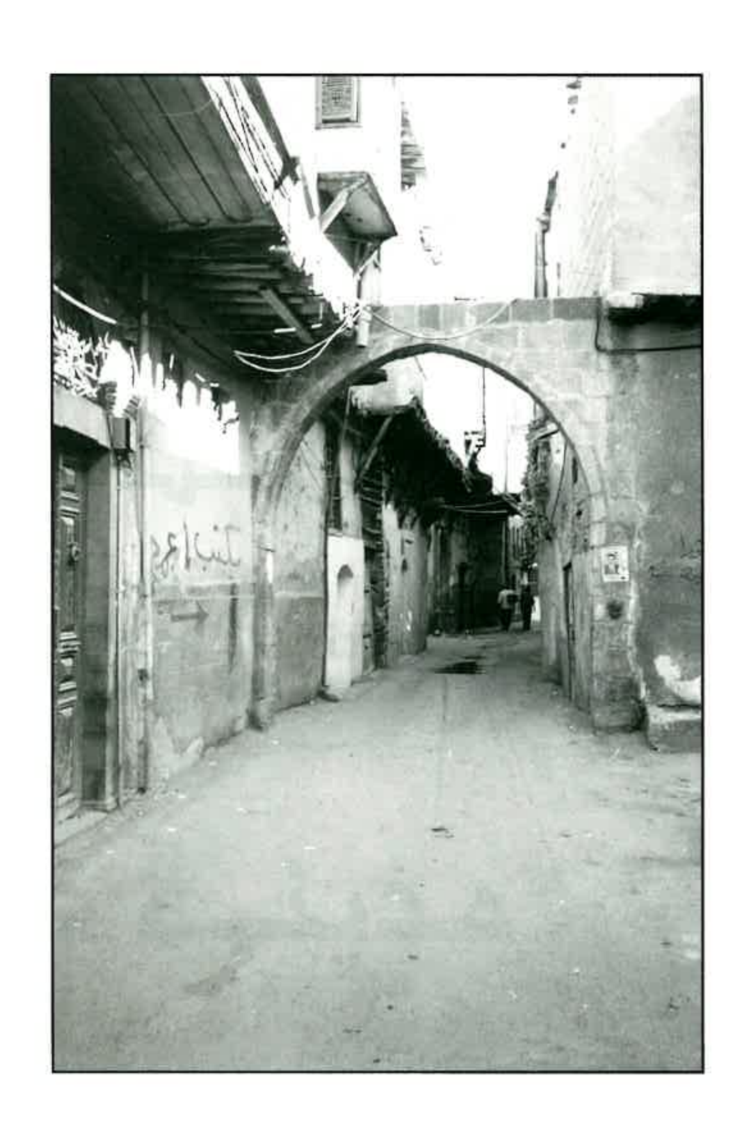
وختاماً فإنه من المرجح أن تنظيم المدينة على أساس الحارات المغلقة التي توفر الظروف المثالية للراحة والاستقرار والشعور بالأمان إلى جانب نوع من الاستقلال الذاتي لأهل كل حارة ، قد وصل إلى الذروة في الفترة العثمانية .

ومن المعروف أن المرء يستمتع بالنظر إلى كل ماهو بهيج أو غريب ، فالطرقات والأزقة الملتوية الضيقة التي تثير البهجة والجمال ، والآثار المتراصة جنباً إلى جنب والتي أوجدتها قرون إسلامية عديدة ، كل هذه الأمور أوجدت تأثيراً رائعاً لمدينة دمشق ، وفي هذا الحشد الهائل من البيوت الدمشقية التي لايزيد ارتفاعها عن طابقين ، نجد أن الآثار الكبيرة والمآذن هما وحدهما اللذان يرتفعان عن هذا المستوى العام . ومن ثم انفردت دمشق القديمة بمنظرها الحالي الذي تعرف به اليوم في كل أرجاء العالم .



النسيج العمراني
لحي الحمراوي
في دمشق القديمة

North



سوق ساروجة
خارج سور دمشق القديمة



الفصل الرابع

توزيع المياه في مدينة دمشق

تـوزيـع الميـــــاه في مـديـنـــة دمشـــق

١ - ميـاه الأنهـار

☆الحواليات ١٩٨٥، مقال د. خير ، ص٢٢٧←٢٢٩

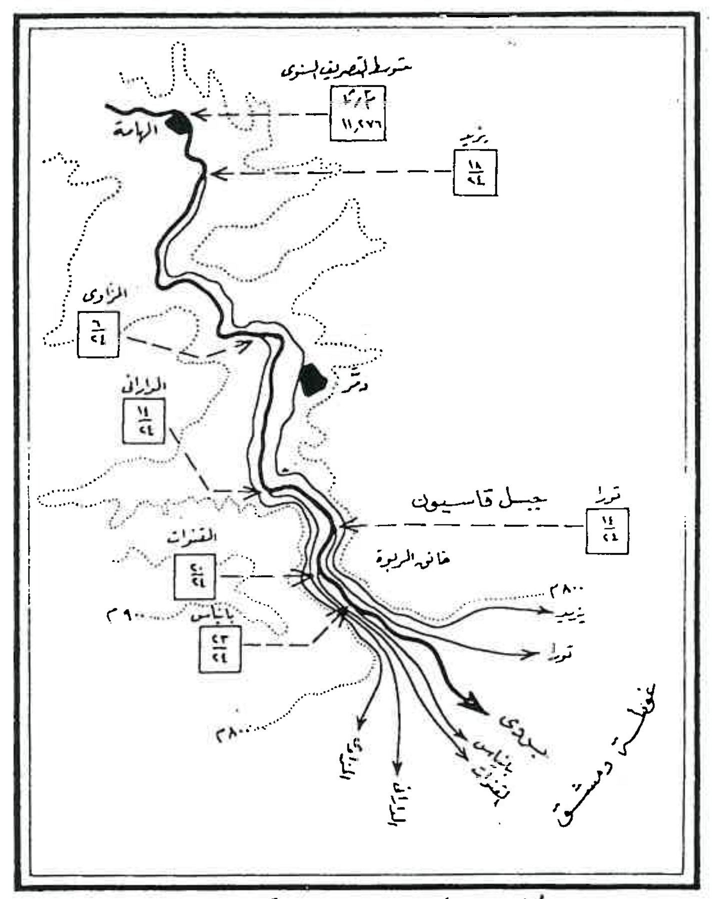
☆ تتزود مدينة دمشق القديمة بالمياه ، من ثلاثة فروع من نهر بردى ، وهي : تورا وبانياس والقنوات ، ويتولى كل منها شطراً من المدينة ، فيختص تورا بالأحياء الواقعة إلى الضفة اليسرى من نهر بردى ، ويختص بانياس بالأحياء الواقعة إلى ضفته اليمنى ، حتى خط بين القلعة والجامع الأموي وجادة القيمرية ، ويصل إلى باب توما ، أما القنوات فيغذّي الأحياء الواقعة إلى الجنوب من الخط المذكور آنفاً ..

ويبدو أن القنوات وجدت في وقت أحدث ، وصل فيه الإنسان إلى مرحلة متقدّمة في مضمار الحضارة ، بدليل اتساع شبكة تمديداتها ودقّتها ..

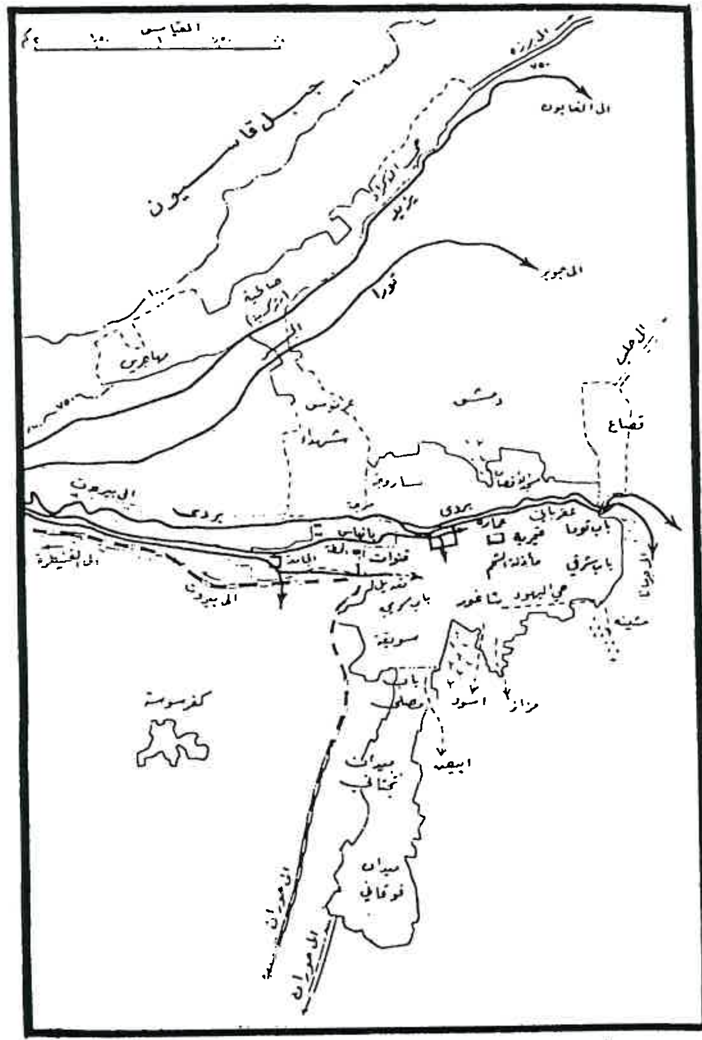
وبعد نمو المدينة خارج السور ونشوء أحياء وشوارع جديدة ، أسهمت قناة تورا بريّ الأحياء الواقعة إلى جنوبها ، على الضفة اليسرى لنهر بردى ، وتولّى يزيد تغذية أراضي الصالحية وركن الدين وأبي جرش والشركسية بالمياه ، بينما اختص المزّاوي بإعطاء المزة حاجتها من المياه ، وأرسل الداراني قسماً من مياهه إلى حي الميدان ..

تجري مياه الأنهار بواسطة القساطل من مقسم إلى آخر ، ويتألف المقسم (الذي يطلق عليه اسم الطالع في دمشق) من حوضٍ مستطيل الشكل في أغلب الأحيان ، تظهر في وسطه فوهة القسطل الموصل للمياه ، تخرج المياه منها وتنبع كما تنبع العيون . وعلى جوانب هذا الحوض فتحات تحدّد أنصبة المياه يختلف اتساعها بين طالع وآخر ، فبعضها صغير لايزيد على خمسة سنتمترات ، يؤمن المياه إلى منزل واحد ، وبعضها الآخر كبير يبلغ ١٨ سنتمتراً ، يؤمن المياه إلى حي كامل . وهذه الفتحات تنقل المياه من القناة الرئيسية إلى الأقنية الثانوية ، وترسلها إلى المنازل في قساطل جوفية ، فتخرج من وسط البركة أو من أحد جوانبها . وبالتالي ينبغي أن تكون البركة أقل ارتفاعاً من الطالع بما لايقل عن عشرين سنتمتراً ، فكلما كان الفرق بينهما واسعاً كانت المياه أشد تدفقاً ، وكانت أقنية الطالع أقل خراباً من غيرها .

ولاتحدد كمية المياه العائدة إلى الحقوق العامة أو الخاصة بعدد معين من الأمتار المكعبة أو الليترات في الثانية ، إنما تحدّد بحصة نسبية من كمية المياه الجارية في القسطل ، عند نقطة خروجها إلى حوض المقسم ، ويرجع ذلك إلى أن تصريف المياه في الأنهار يتغير من فصل إلى آخر ومن سنة إلى أخرى ، لذا فقد أصبح من المستحيل توزيع المياه على أساس التصريف في وحدة الزمن ، وبذلك تصبح النسب خير وسيلة لتوزيع المياه بين أصحابها . وتحسب الحصص عادة بالقيراط ، وهو يمثل ١/٢٤ من الوحدة ..



منشأ الفروع الرئيسية لنهر بردى قبل مدينة دمشق



تفرع نهر بردى اثناء اختراقه مدينة دمشق

(د. خير ـ دمشق)

وقد يرتفع بعض هذه الطوالع عن سطح الأرض متراً أو أكثر من ذلك ، كما هي الحال في "السبع طوالع" الواقعة في حي العمارة، وقد تكون على مستوى سطح الأرض أو دونه ، وغالباً ما تزود الطوابع بأبواب حديدية مقفلة ، خوفاً من التعدي على حقوق المنتفعين منها ، وحرصاً على وصول المياه نقية إلى أصحابها .

وتقام معظم هذه المقاسم عند مفترق الطريق ، والباقي يختفي في جدران المنازل على شكل نافذة صغيرة مزوّدة بقضبان حديدية ، أو ضمن حجرة صغيرة تفتح كما تفتح الخزانة ، وقد يقوم الطالع في مدخل البيت ، يوزع المياه إلى برك غرفة الاستقبال والباحة والمطبخ ، وربما قامت فتحة الطالع الواحدة بتوزيع مياهها بين البيوت المتجاورة ، فتدخل المياه إلى المنزل ، ويذهب الفائض إلى المنزل الآخر المجاور . وقد يتخذ الطالع مكانه في حائطٍ مشترك بين منزلين لتأمين المياه إليهما في وقت واحد ، يزوّد كلّ منهما بفتحة تسمح بالإشراف والمراقبة .

ويلاحظ أن معظم الأقنية الرئيسية وُجدت أساساً لخدمة الجوامع والحمامات العامة ، فقد كان الجامع الأموي مثلاً هو الثاني بعد القلعة بالنسبة إلى من يستفيد من بانياس ، فالتفرعات تتجه نحو أماكن العبادة ، وفي الجوامع تلتقي الأقنية التي تغذيها الفروع المختلفة ، كي تحصل على المياه اللازمة للوضوء باستمرار ، حتى في مجالات إصلاحها أو تنظيفها .

وللحمامات العامة أهمية كبيرة أيضاً في مدينة دمشق ، فالقساطل الكبيرة تتجه إلى الحمّامات بعد الجوامع ، وفي حالات كثيرة ، لاتتقاسم البيوت سوى المياه الزائدة عن حاجة هذه الحمّامات الكثيرة . وغالباً ما يشترك في تغذية الحمّام نهران ، وذلك لحاجته إلى جريان المياه فيه باستمرار ، كما هي الحال في حمام القرماني في سوق ساروجة ، وحمام السلسلة في العمارة ، وحمام السروجي خارج باب الصغير ، وكلها كانت تتلقى مياهها من بانياس والقنوات باستثناء القرماني الذي كان يتزود من تورا وبانياس .

وقد لعبت المراتب الاجتماعية بين العائلات دورها في توزيع المياه ، فهناك عدد من العائلات الدمشقية الكبيرة قد حصلت على امتيازات تمنحها فروع ثانوية خاصة ، كما تمكن أصحاب المكانة من الحصول على أنصبة خاصة من المقاسم الرئيسية القريبة .

ومع ذلك ، يمكن أن يكون هذا التوزيع أكثر بساطة ، لو أن كل موزّع يوصل المياه إلى المنازل المجاورة ، إلا أن الغالب هو وجود قساطل تصدر عن طوالع مختلفة ، وقد يتلقى الحيّ الواحد مياه طالع يتغذى مثلاً من ثلاث أقنية .

ومن دراسة توزيع المياه ، يتبين أن شبكة الأقنية تلخص تاريخ نمو المدينة ، فقد تخصص بانياس والقنوات بتزويد المدينة القديمة . وعندما توسعت المدينة خارج الأسوار ، أنشئت تفرعات جديدة تنطلق من الفروع الأصلية لنهري بانياس والقنوات ، بينما بقيت تفرعات تورا حتى مطلع القرن التاسع عشر تروي الحدائق والبساتين ، كما كانت تؤمن في الوقت

نفسه مناطق الريف التي ذابت رويداً رويداً في جسم المدينة منذ مائة سنة . أما أحياء قاسيون التي كان يفصلها عن المدينة أكثر من أربعة كيلومترات من الأراضي الزراعية ، فيما مضى ، فقد أوجدت لنفسها أيضاً شبكة تغذية من مياه نهر يزيد ..

٢- مياه نبع الفيجة

يبدو أن التفكير باستخدام مياه نبع الفيجة قديم جداً ، بدليل وجود آثار قناة قديمة محفورة في سفوح الجبال المشرفة على وادي بردى ، تصل ما بين نبع الفيجة ومنطقة الصالحية في دمشق ، تشاهد آثارها بوضوح عند رأس نبع العين ، ويعود تاريخها في الغالب إلى العهد الروماني أو ما قبله .

ولا شك في أن دمشق ، قد استخدمت مياه الفيجة منذ وقت طويل ، ولكن يظهر أن الإهمال والفوضى قد أديا إلى تخريب هذه القناة واندثر قسم كبير منها ، ثم اتجهت أنظار الحكومة في زمن الوالي العثماني ، ناظم باشا ، إلى جر مياه الفيجة لتأمين المياه للمدينة ، وتم ذلك فعلاً في عام ١٩٠٨ م (١٣٢٦ هـ) ، بواسطة قساطل حديدية طولها ٢٣ كيلو متراً وقطرها ٢٥ سنتيمتراً ، عرفت باسم "قساطل ناظم باشا" ، ومازال هذا القسطل يستخدم حتى الوقت الحاضر ..

وصول الماء إلى البيت الدمشقي

☆ صباغ ، الخدملك .

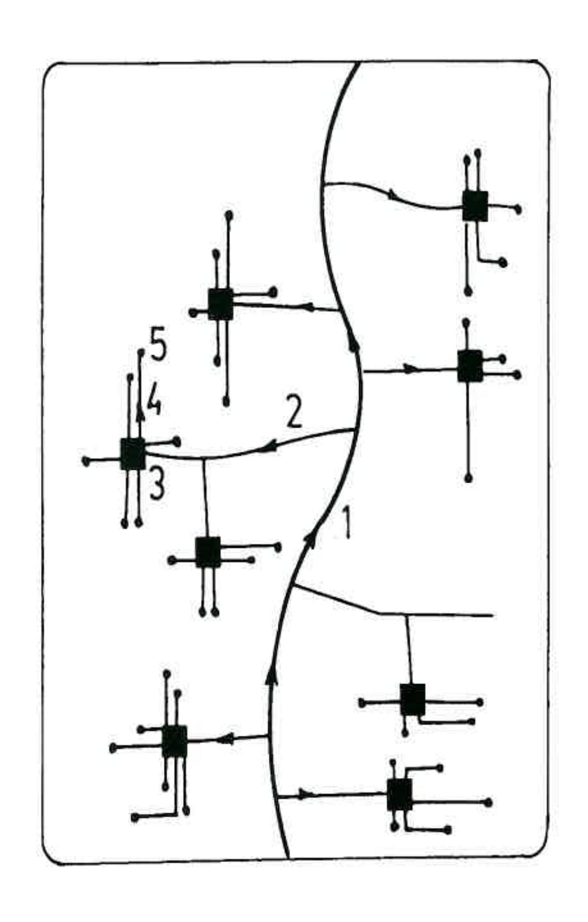
☆ قبل أن تروى دمشق من مياه عين الفيجة كان هناك ما يسمى بالأقنية والطوالع ففي الشكل (٢٧-١-أ) توضيح مبسط لعملية توزيع المياه على الدور الدمشقية وذلك عن طريق قناة ري 1 مصدرها أحد فروع بردى ، يخرج منها تفرعات 2 تمر ضمن الحارات والأزقة لتصعد وتخرج من طوالع ٣ ، والتي تلاحظ بوضوح على جدران المنازل من الخارج .

يتفرع من الطوالع حصص كل منزل حسب اشتراكه 4 ، ويتبع هذا التقسيم قانوناً معيناً يسمى بنظام القراريط .

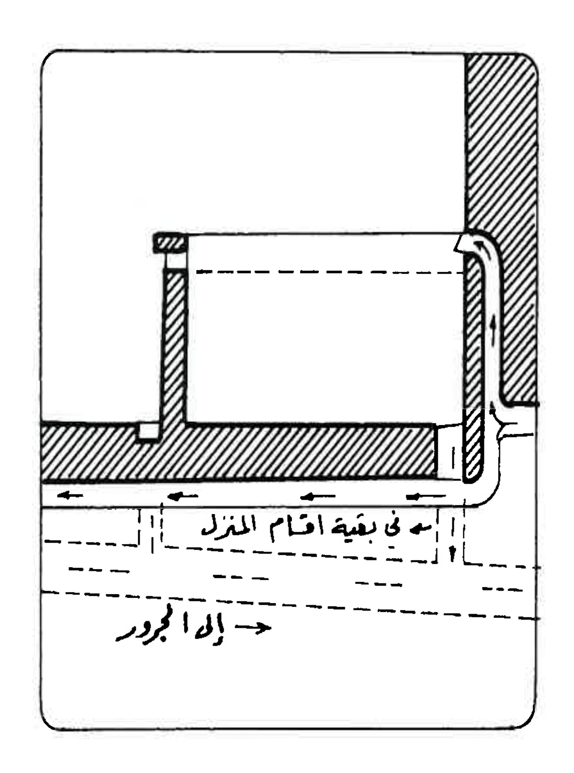
ثم يدخل كل فرع إلى المنزل الخاص به ليصب في بحرة بدائية أو كشاف 5 .

الكشاف :

بحرة صغيرة غالباً ما تتواجد قرب مصدر المنزل المائي ، وإضافةً لوظيفة هذه البحرة كالشطف هناك مهمة أخرى وهي كشف العطل بحال حدوثه ، فإن كان العطل من خارج الدار فإن هذه البحرة سوف تفقد تغذيتها حتماً وإلا فإن العطل سوف يكون داخلياً ، وهو ما يقوم الشاوي بتحديده (الشكل ٢٧-١-ب) .

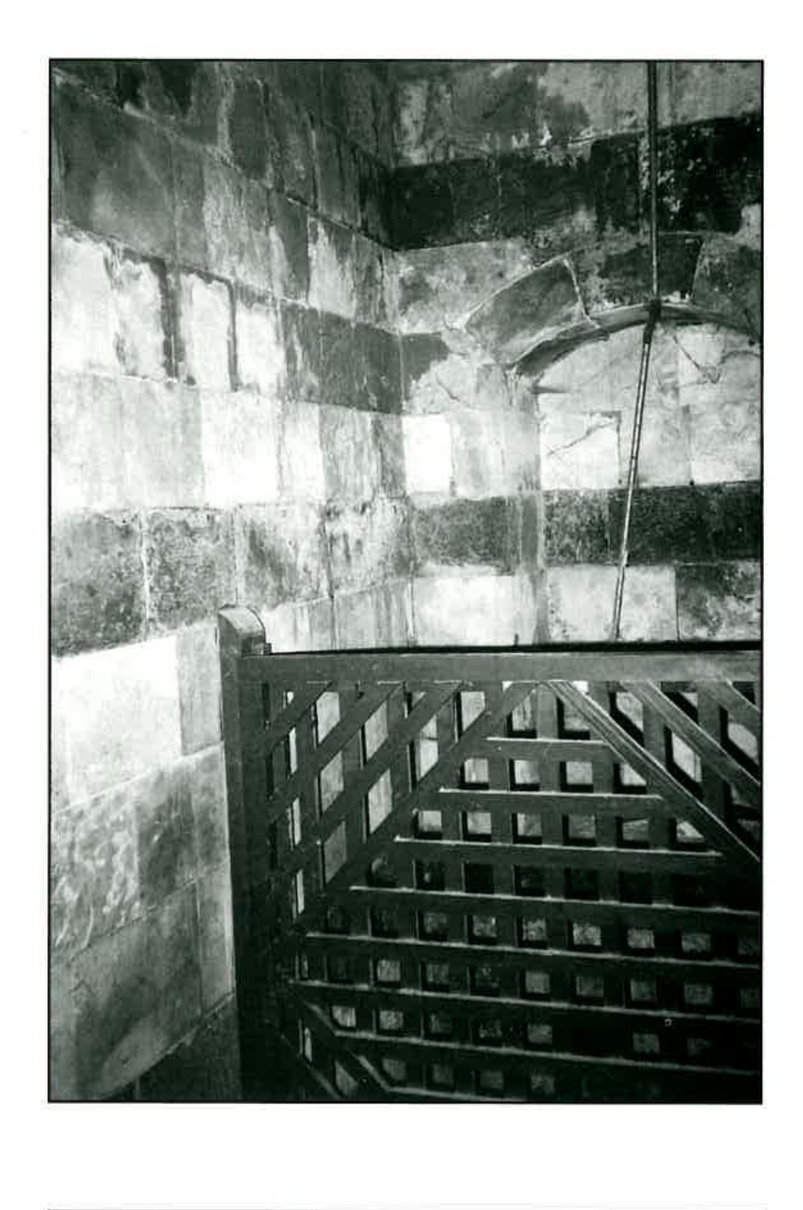


شكل ٢٧-١-أ



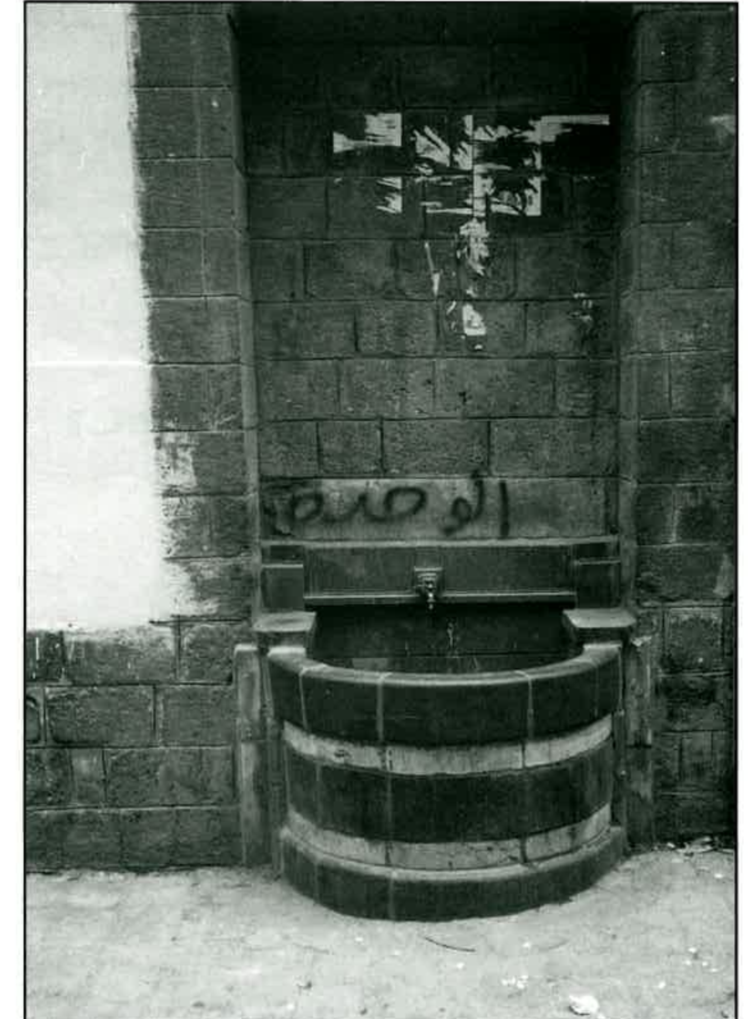
شكل ٢٧-١-ب

طالــع
قصــر العظــم





مكتــب عنــبر



فكرة عن نظام الري بالقراريط :

تعتبر القناة المغذية للطالع حاوية لـ ٢٤ قيراطاً من الماء ، والطالع بدوره يغذي البيوت من خلال فتحات فيه وذلك بحسب الاشتراك ، فقد يشترك دار بقيراطين أو أكثر وذلك حسب كبر الدار ومساحتها والشكل (٢٨-١-أ) مثال يوضح هذه العملية وذلك في منطقة القنوات حيث تم التعبير هنا عن الطالع بالعتبة الأفقية ، وهذه الطريقة تضمن بلا شك التوزيع نفسه مهما زاد منسوب المياه أو انخفض وفي الأشكال (٢٨-١-ب) نماذج مختلفة للطوالع .

دخول الماء إلى المنزل :

يعمد الشاوي إلى تمديد قناة من الآجر (قسطل) من الطالع إلى المنزل المراد بناوه مستعملاً بذلك مادة اللاقونة كمونة للوصل بين القساطل تنتهي هذه الأخيرة بسبع في البحرة البدائية كما ذكر آنفاً انظر (٢٨-٢-أ) .

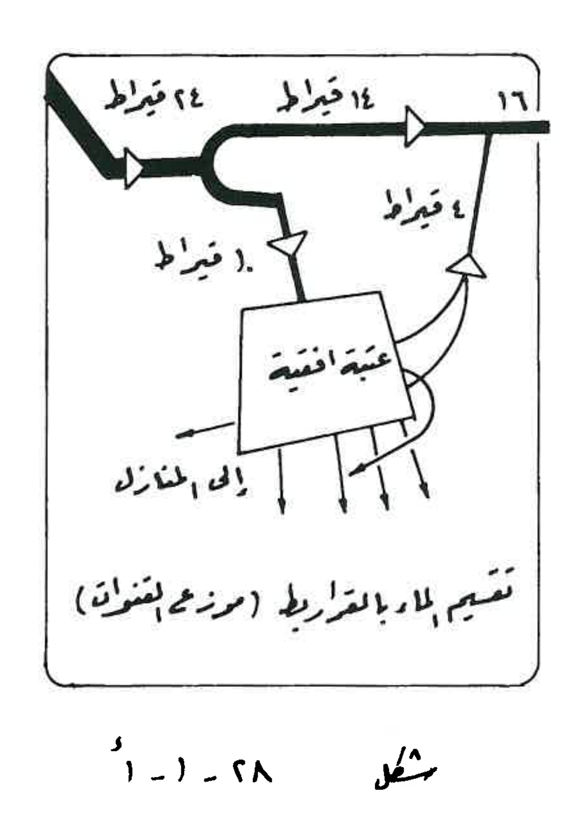
القنواتي

هو المحافظ على طوالع الماء ، وسير الدمنة ، ويعرف في دمشق بالشاوي ، يفتش عن الطوالع ويراقبها ، ويتعهدها دائماً من الوسخ ، وورق الشجر ، لئلا يدخل في قساطلها فيسدها ، فيأتي القنواتي المذكور ، فيعزلها جانباً ، ويمخضها بواسطة قصبة تطول عن خمسة أذرع ، ليسلك الماء ، وكثير من الدمن تكون قديمة فيضيع بها الماء ، فيأتي بقصاصة الجلود ، ويضع منها واحدة فواحدة بفم الطالع مكان أغدار الماء ، وهكذا حتى يضع كفايته ، فيسوقها الماء للمحل الذي ضاع الماء منه ، فينسد بتلك القصاصة ، فيسلك الماء بمجراه (انظر الشكل ٢٨-٢-ب) ، ولكل طالع مقاسم لعدة دور ، يذهب إليها الماء منه ، فيخدمها القنواتي دائماً أبداً حتى يكون الماء متواصلاً لمحاله . وله أجرة معلومة على كل دار ، يأخذها شهرية أو سنوية .

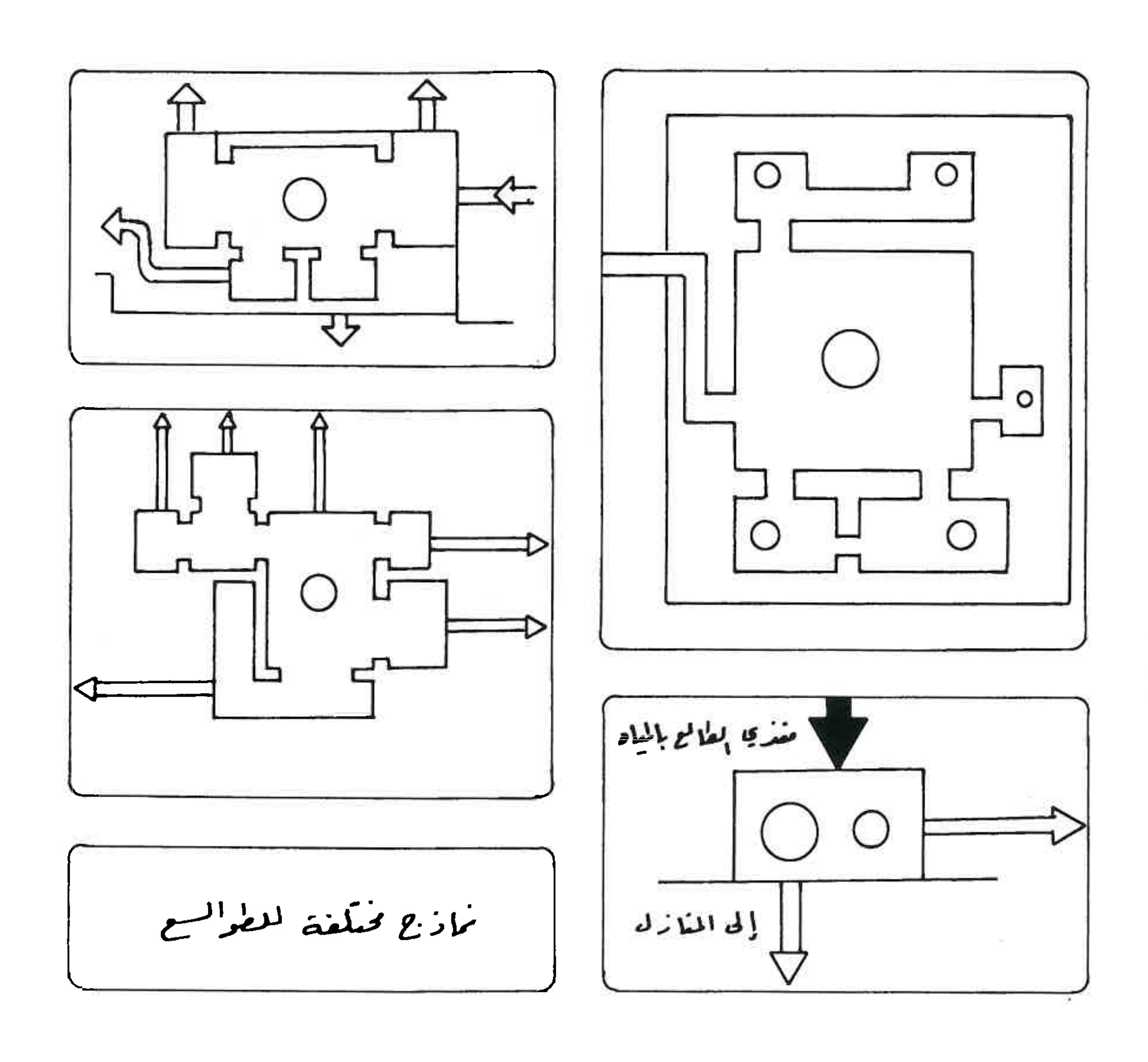
وكان الشاويون في الزمن السابق يستعملون عوضاً عن قصاصة الجلود زبل الدواب ، وللشاوي المذكور مهارة في سحب الماء من الأنهر والطوالع إلى حياض الدور ، وذلك لمن رغب في ذلك وحيث كان الماء الموجود داخل البلدة والمختص للدور ، هو حقوق لأربابه ، فمن كان له حق في ماء ، أو تملكه حديثاً وأراد سحبه لداره ، أو تحويله لجهة أخرى ، أو تعطل طريقه ، فإنه يأتي بالقنواتي المذكور فيشق له الطريق ، ويبحث عن سيردمنته القديمة .

وإذا كان حادثاً أي مشترياً جديداً ، أو أريد سوقه في مكان جديد ، يشرع في عمل دمنة لاتمسّ دمن الغير ، ويشرع في ممر جديد ، مؤلف من أحجار وآجر (الشكل ٢٨-٢-جـ)، حيث يستغرق وضع القسطل فوقه ، ويدخل قسطلاً في قسطل ، حيث يكون رأس القسطل ضيقاً ، ومن جانبه الثاني مفتوحاً ، فينزل به رأس القسطل الثاني وهكذا .. (الشكل ٢٨-٢-د) .

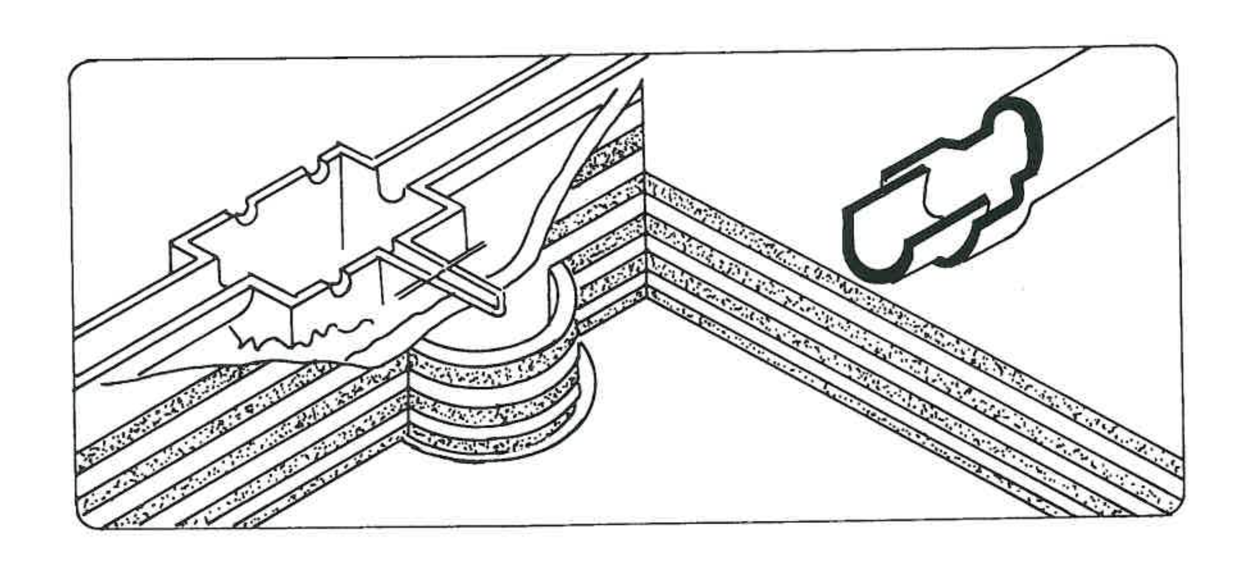
تمد القساطل موصولة في بعضها ، والبناء تحتها ، ويلحم على تلك القساطل بقطع من اللاقونة ، وهي تُعمل من مدقوق القطن ، وقليل الكلس مع الزيت الخالص تدق في



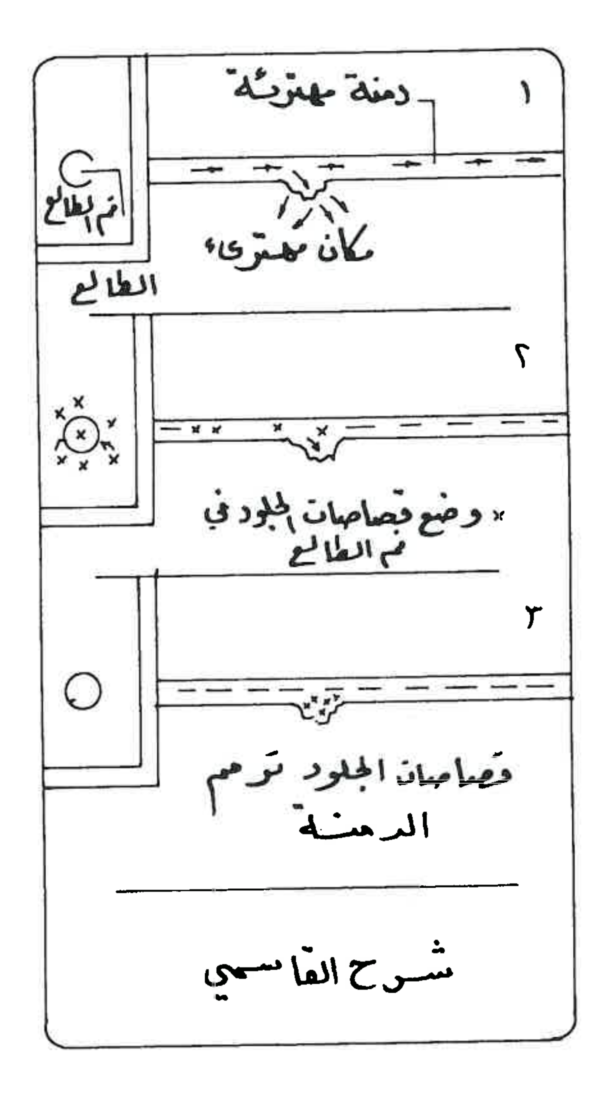
شكل ٢٨ - ١ - أ



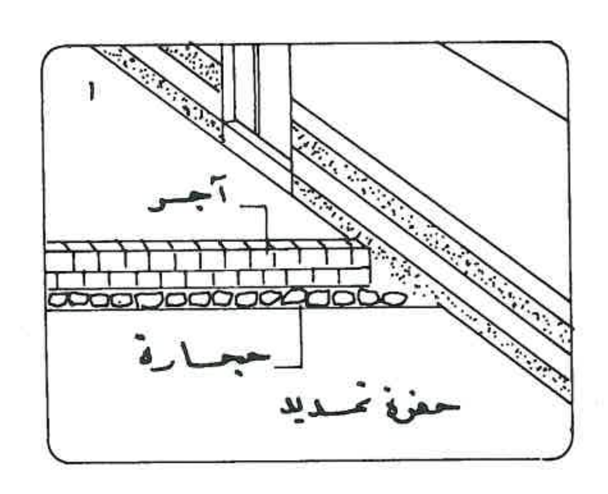
شكل ٢٨ - ١ - ب



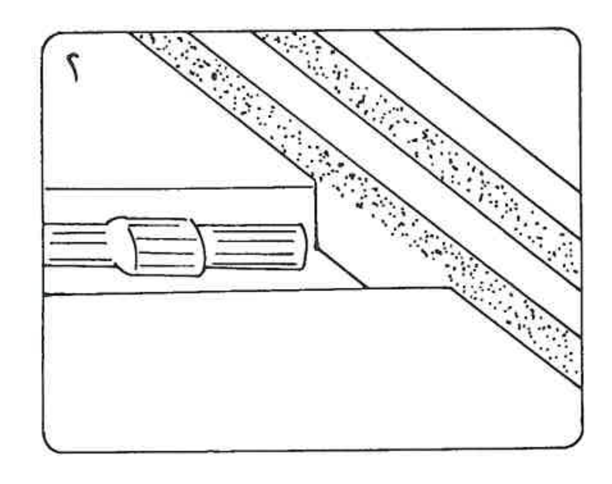
شكل ٢٨ - ٢ - أ



شكل ٢٨ - ٢ - ب



شكل ٢٨ - ٢ - ج



شكل ٢٨ - ٢ - د

بعضها دقا جيداً ويلحم بها تلك الوصلات . فتضبطها ، وتمنعها من التنفس رأساً ، ويبنى بجانبي القسطل أيضاً بالآجر والمونة حتى إذا علا البناء جانبي القسطل يقبى عليه بالآجر (الشكل ٢٩-١-أ) فيكون القسطل محفوظاً ضمن ذلك البناء ، ويسحب هكذا حتى يبلغ الحوض المسحوب إليه ذلك الماء .

الآبار والطوالع في مدينة دمشق

من خلال استعراض مجموعة البيوت بغية معرفة مصدرها المائي تبين أن جميع المنازل تقريباً تتغذى من الطوالع المنتشرة بغزارة في أزقة دمشق وحاراتها .

حتى أن هناك زقاقاً سمي بالسبع طوالع وهذا تأكيد لغزارتها ضمن السور .

أما في ساروجة فقد تباين الأمر إذ لوحظ أن هناك بيوتات تتغذى من الطالع ، وأخرى من الآبار ، ومن خلال أخذ عينة : تبين أن هناك ٦٠٪ من المنازل تتغذى بالطالع بمقابل ٤٠٪ منها تتغذى بالآبار .

أما منازل حي القنوات فقد تميزت بكثرة طوالعها حتى بلغت النسبة ٩٠٪ .

وأخيراً فإن منطقة الميدان قد تميزت بندرة الطوالع المغذية لبيوتاتها لذلك فإن ٩٠٪ منها تتغذى عن طريق الآبار ، ومن الجدير ذكره أنه عندما جيء بطالع إلى منطقة الميدان سمي الزقاق كله باسمه أي سمي زقاق الطالع .

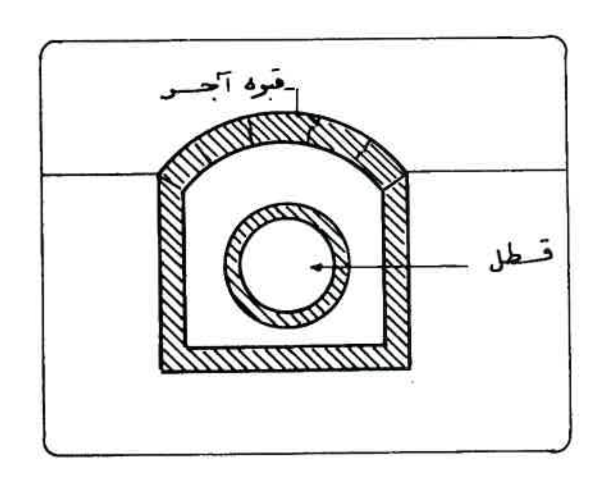
الحركة المائية ضمن المنزل الدمشقي

يمكن القول إنّ الحركة المائية ضمن البيت الدمشقي لها علاقة بأربعة عناصر رئيسية وهي :

١- نقطة دخول الماء	ويرمز لها بـ E	حدائق الفناء	G
٢ الخدمات (المطبخ)	ويرمز لها بـ K	دورة مياه	WC
٣ بحرة الفناء	ويرمز لها بـ C	القاعات	S
٤ نقطة خروج الماء	ويرمز لها بـ Ex		

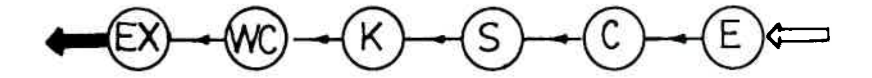
ومن هذه العناصر الأربعة يمكن استخلاص حالات التوزيع التالية والتي تظهر في الشكل (٢٩-١-ب) .

يمكن أن تلاحظ أكثر من حالة في البيت الواحد ويعود ذلك لكبره أو لكثرة النقاط المائية فيه .

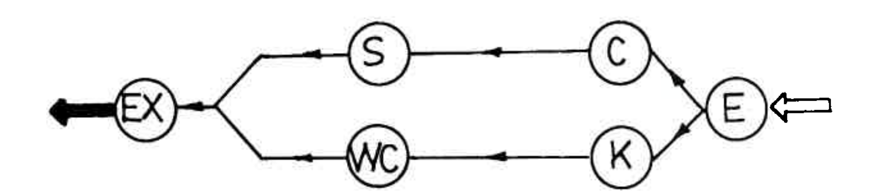


شكل ٢٩-١-أ

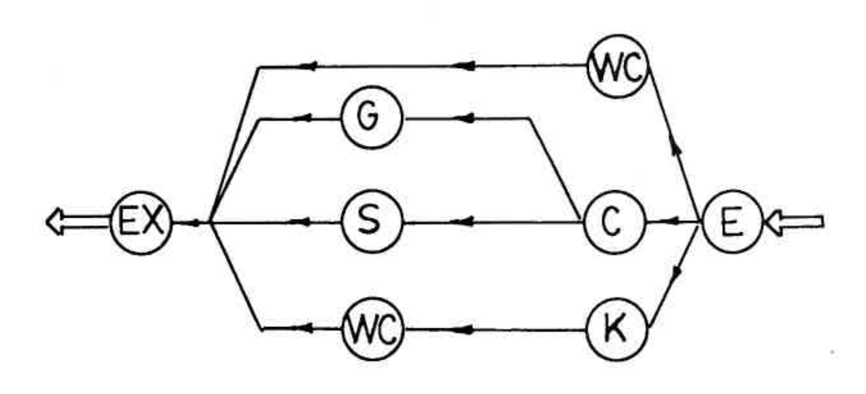
الحركه 1



الحركه 2



الحركه 3



شكل ٢٩-١-ب

مبدأ عمل البحرات في بيوتات دمشق

بما أن منسوب الطالع هو أعلى دوماً من منسوب المنزل فإن أيّة نقطة مائية على منسوب المنزل سوف يصعد فيها الماء إلى ارتفاع يساوي ارتفاع مياه الطالع وهو مبدأ الأواني المستطرقة .

ولكن النظر إلى الشكل المرفق للأواني المستطرقة يبين أنّ التغذية فيها يتم من الأسفل بيد أن تغذية البحرات يتم من أعلاها كون هذه العملية تعمل كصمام (عدم رجوع) للمياه الملوثة الأمر غير المؤمّن في الأواني المستطرقة. (الشكل ٣٠-١-أ) يوضح مبدأ عمل الأواني المستطرقة.

التصريف ضمن الغرف

بحالة وجود بحرات ضمن القاعات (فسقية) عندئذ تأخذ نقطة مجرور .

أما بحالة عدم وجود فسقية وهو الغالب عندها يتم التصريف من خابور محفور في برطوشة باب الغرفة ويوجه ميل العتبة نحوه الشكل (٣٠-١-ب) .

☆جحا ، البيت الدمشقي الكبير في حي الحمراوي

☆ مثال على توزيع المياه ضمن المنزل في حي الحمراوي

من خلال استعراض مجموعة بيوت الحمراوي بغية معرفة مصدرها المائي تبين أن جميعها تتغذى من الطوالع المنتشرة بغزارة في زقاق الحمراوي الرئيسي والذي يتغذى أصلاً من فرعي بانياس والقنوات .

ولمعرفة الحركة المائية ضمن المنزل لابد من تحديد :

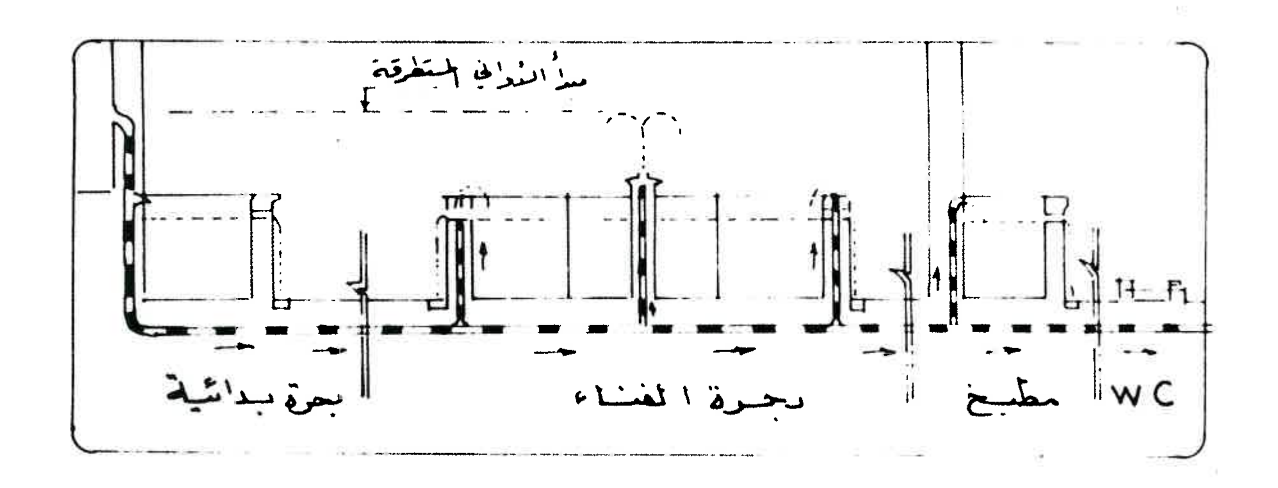
١- مكان دخول الماء وخروجه .

٢- العناصر التي ستمر بها المياه .

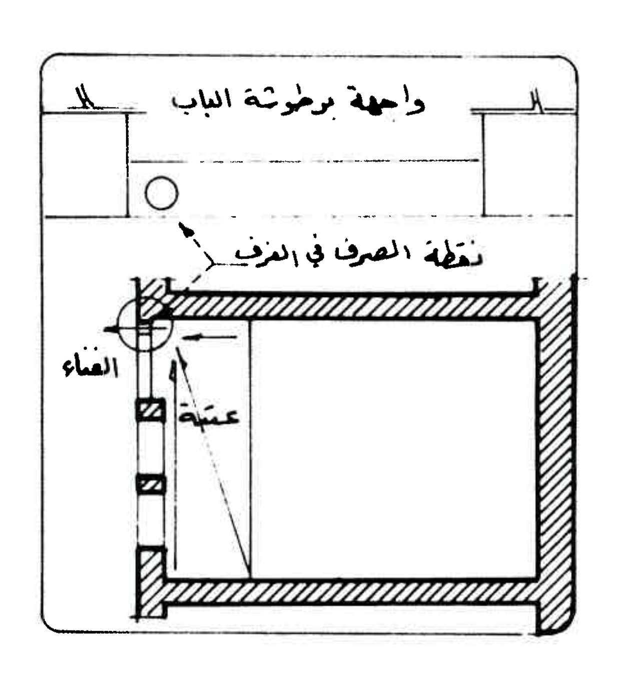
١) الخدمات : مطبخ ، دورة مياه ، حمام .

٢) بحرة الباحة .

٣) القاعات الرئيسية التي تحتوي بحرة .



شكل ٣٠ - ١ - أ



شكل ٣٠ - ١ - ب

الصرف ضمن الغرف

ففي الشكل (٣١-١-أ) تم تمديد البنية التحتية "خطوط الإمداد والصرف للبيوت المدروسة" في منطقة الحمراوي وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على :

١- دخول الطوالع من مداخل البيوت .

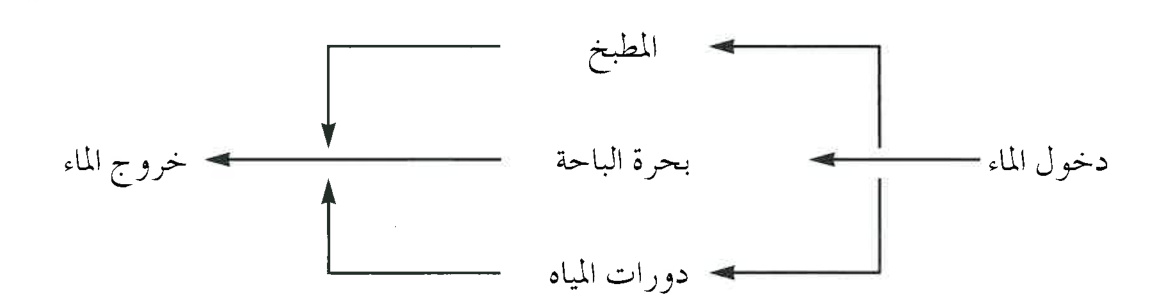
٢- اتجاه التصريف نحو الشرق دائماً بسبب الميل الطبيعي للمياه .

٣- نقاط التصريف الموجودة في بعض الأقنية .

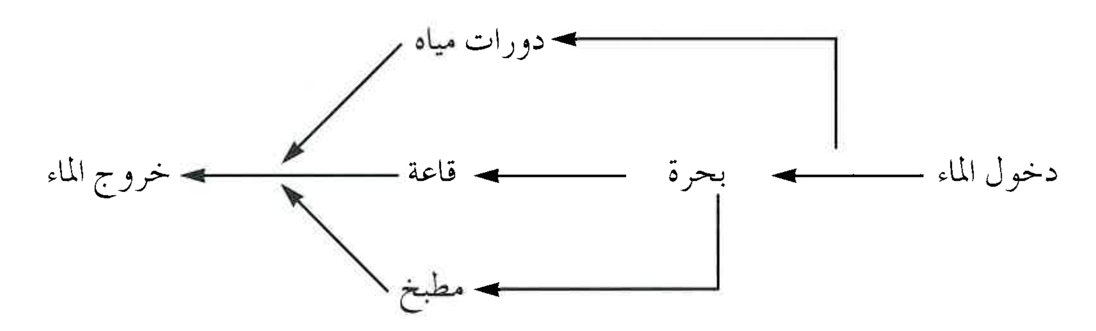
٤- بعض التبليطات المختلفة ضمن المنزل والتي تدل على وجود قساطل مائية أسفلها نتيجة عمليات الصيانة والتي تؤدي إلى تغيير التبليطات .

٥- مقارنتها مع أمثلة مشابهة من البيوت الدمشقية المختلفة .

ونظراً لصعوبة معرفة البنية التحتية للمنازل بدقة وخصوصاً بعد تعطيلها وتمديد خطوط جديدة فقد ارتأينا أكثر من حل للبيت الواحد .

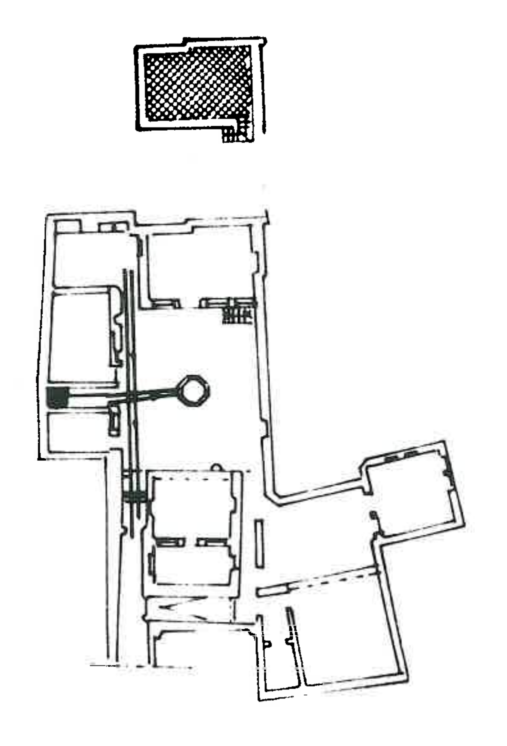


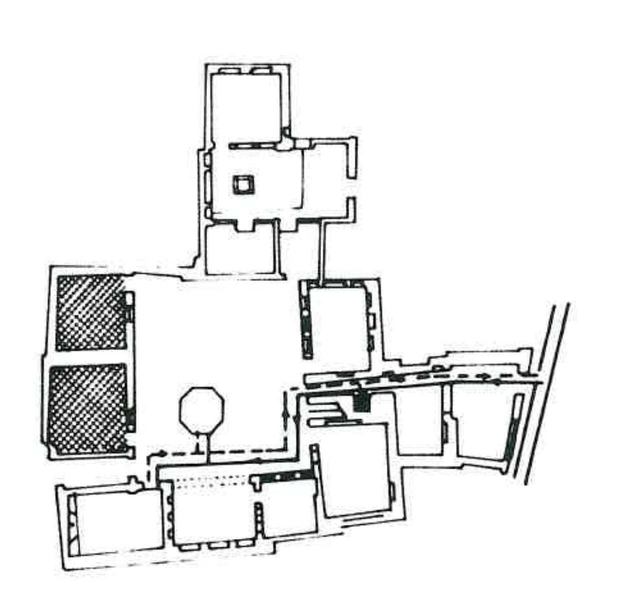
كما في بيت الإسطواني ، طيفور ، البيروتي ، حلبي والسادات ، السرأميني ، الوكيل ، وبمقارنتها مع نماذج مختلفة وجدنا أن خطوط إمداد وصرف بيت المهايني وبيت نظام تشابه الحالة السابقة .



الحل الآخر لبعض البيوت وهو بذلك يشابه بيت القوتلي ، جبري .

الأشكال ٣١-١-أ





الخدمات و خطوط الامداد و الصرف

الفصل الخامس

العوامل المؤثرة على تصميم البيت الدمشقي

العوامل المؤثرة على تصميم البيت الدمشقي

إن الطابع المعماري على مرّ العصور كان دائماً انعكاساً صادقاً للبيئة الحضارية التي كانت تسود في كل مرحلة من المراحل التاريخية المتلاحقة ، وهذه الحضارة ليست إلا نتيجة لتفاعلات كثيرة بين العوامل المناخية والدينية والجغرافية والاقتصادية وغيرها . ☆

☆ الخولي ، المؤثرات المناخية والعمارة العربية ، ص٥٤.

١ - العامل المناخي

مناخ مدينة دمشق:

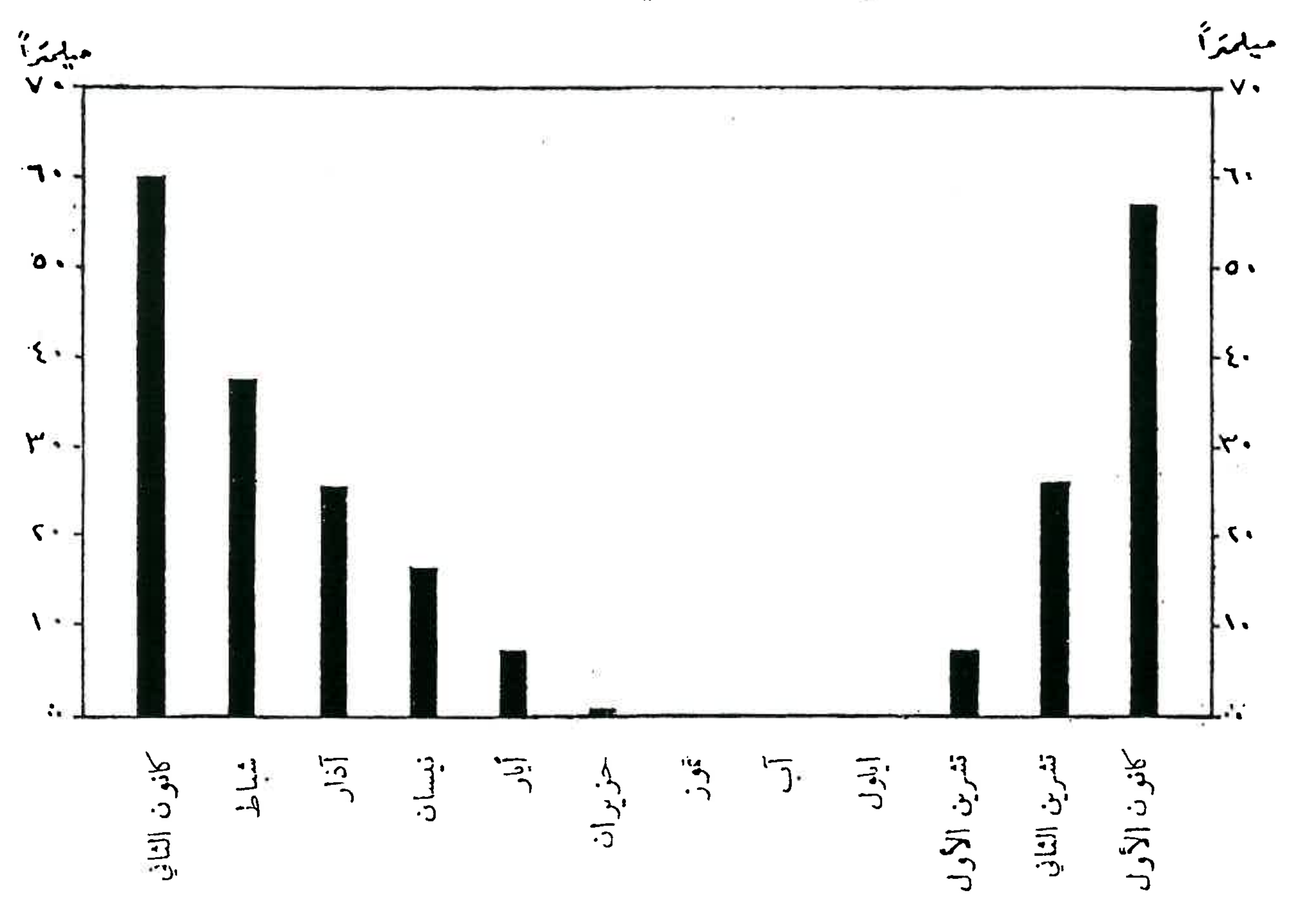
☆تشكل البادية القسم الأكبر من منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط ، ويمكن اعتبارها المسبب الأول للمناخ القاري السائد في هذه المنطقة ، وبالإضافة إلى ذلك فقد دفعت هذه الأرض القاحلة سكانها لتطوير مراكزهم المدنية في المواقع الأكثر خصوبة في منطقتهم كشاطئ البحر ، أو أطراف البحر ، أو سفوح الجبال المطيرة ، أو في الواحات المروية ، ويمكن اعتبار دمشق واحدة من أدق الأمثلة على هذه القاعدة العامة ، فهي البقعة الخضراء الأخيرة لشرق المتوسط قبل بادية الشام ، تحيط بها كتلة جبال لبنان الشرقية من الغرب وقاسيون من الشمال ، مما يخفف الغيوم المحملة بالأمطار في شتائها ، وتحفّها الغوطة من الشرق والجنوب الشرقي حاجزةً إياها عن البادية ، ويخترقها نهر بردى بفروعه السبعة على محورها الشرقي الغربي ليرويها ويسقيها ويسقي غوطتها ، مؤمناً لها المحيط الأخضر الذي كان جوهرياً في نموها وازدهارها .

☆ شربجي ، العناصر المعمارية المميزة في البيت الدمشقي ، ص٨

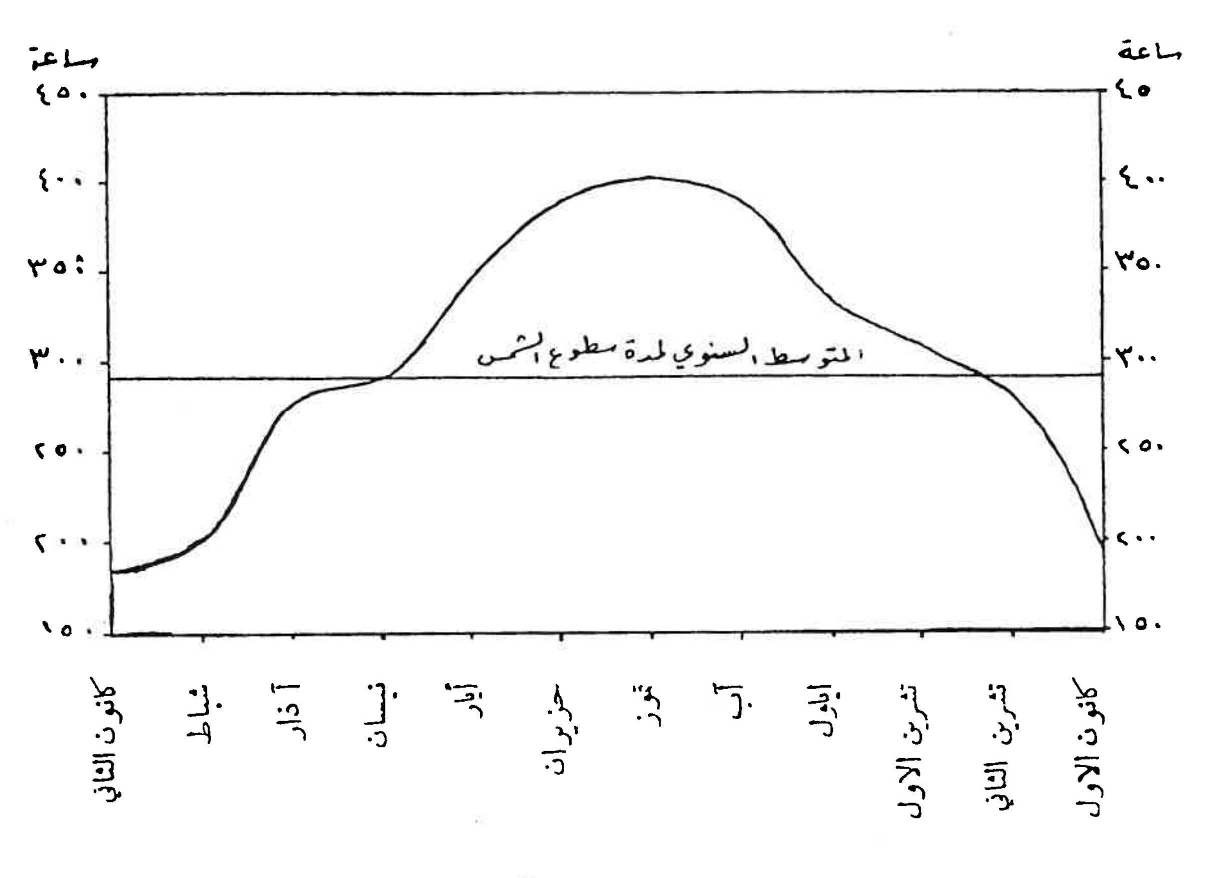
☆وتقع مدينة دمشق على خط عرض ٣٣،٣٣ وخط طول ٣٦،١٧ شرقي غرينتش ، وهي تنتمي مناخياً من حيث تواتر الأحوال الجوية فيها وعواملها إلى المناخ المتوسطي ذي الصيف الحار-الجاف ، والشتاء البارد نسبياً والماطر ، غير أنه من حيث فاعلية أمطارها السنوية فإنها تتصف بمناخ جاف عموماً ، وذلك بسبب انفتاحها على الصحراء من الشرق ، ووجود جبال لبنان الغربية والشرقية كسدٍ يمنع رطوبة البحر من التأثير القوي على مناخها ، حيث تقع على ارتفاع يتراوح بين ٦٧٥ م و ٩٠٠ م عن سطح البحر .

☆ د. موسى ، دمشق ص٢٢

معدلات كمية المطر الشهري في دمشق



المعدلات الشهرية لمدة سطوع الشمس في دمشق (التشمّس)



(د. خير- دمشق)

ولهذا المناخ المتوسطي الحار الجاف الذي تقع فيه مدينة دمشق خصائص نذكرها : ☆

☆ شربجي ، العناصر المعمارية المميزة في البيت الدمشقي ، ص١٠-١١

أ - الحرارة :

ترتفع درجة الحرارة في فصل الصيف لتصل إلى أكثر من أربعين درجة مئوية ويكون معدلها ٣٥ درجة مئوية ، بينما تنخفض درجة الحرارة في فصل الشتاء لتصل إلى الصفر وما دون ويكون معدلها سبع درجات مئوية.

ويرجع هذا الارتفاع في درجة الحرارة إلى شدة الإشعاع بسبب صفاء الجو ، هذا علاوة عن الطاقة الحرارية المكتسبة من سطح الأرض بسبب مسطحات الرمال الشاسعة والساخنة والمحيطة بغوطة مدينة دمشق ، وذلك أثناء فترات النهار ، مما يزيد من ارتفاع درجات الحرارة لطبقة الهواء المحيطة ، وبالتالي ارتفاع درجات الحرارة للمنطقة .

ب - الإشعاع الشمسي :

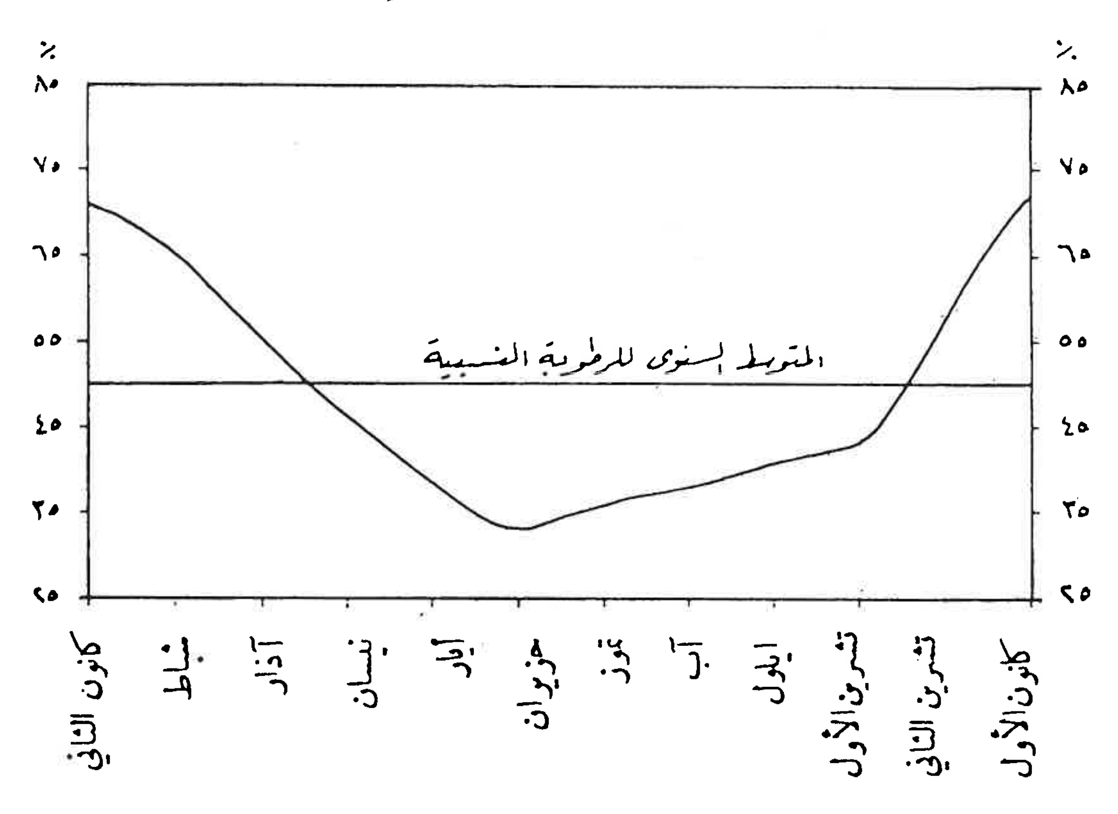
تتميز السماء بصفائها في المناخ القاري كمناخ مدينة دمشق ، وعلى هذا الأساس فإن الشفافية العالية للهواء ، وخصوصاً في فصل الصيف ، تسمح لأكبر نسبة حرارية ببلوغ سطح الأرض خلال النهار ، وبالانعكاس إلى السماء خلال الليل على شكل إشعاع ذي موجة طويلة . وعليه فإن الفرق بين درجة حرارة النهار والليل في دمشق أو ما يسمى بالمدى الحراري اليومي يكون عادة عالياً ويبلغ أقصاه في الصيف ، إذ يصل إلى ٢٥ درجة مئوية ، ويبلغ معدل سطوع الشمس ١٢ ساعة باليوم في فصل الصيف ، في حين يتدنى في الشتاء إلى ٦ ساعات باليوم ، وبذلك يبلغ مجموع سطوع أشعة الشمس حوالي ٣٥٠٠ ساعة سنوياً ، وبهذا تنعم دمشق مدة كبيرة من سطوع الشمس . كما أن مدينة دمشق تقع ضمن مجال أشعة الشمس المباشرة في فصل الصيف حيث تصير الأشعة الشمسية شبه عمودية ، وذلك بخلاف ما يتم في فصل الشتاء حيث تقل زاوية ميل أشعة الشمس بدرجة كبيرة .

جـ - الرطوبة :

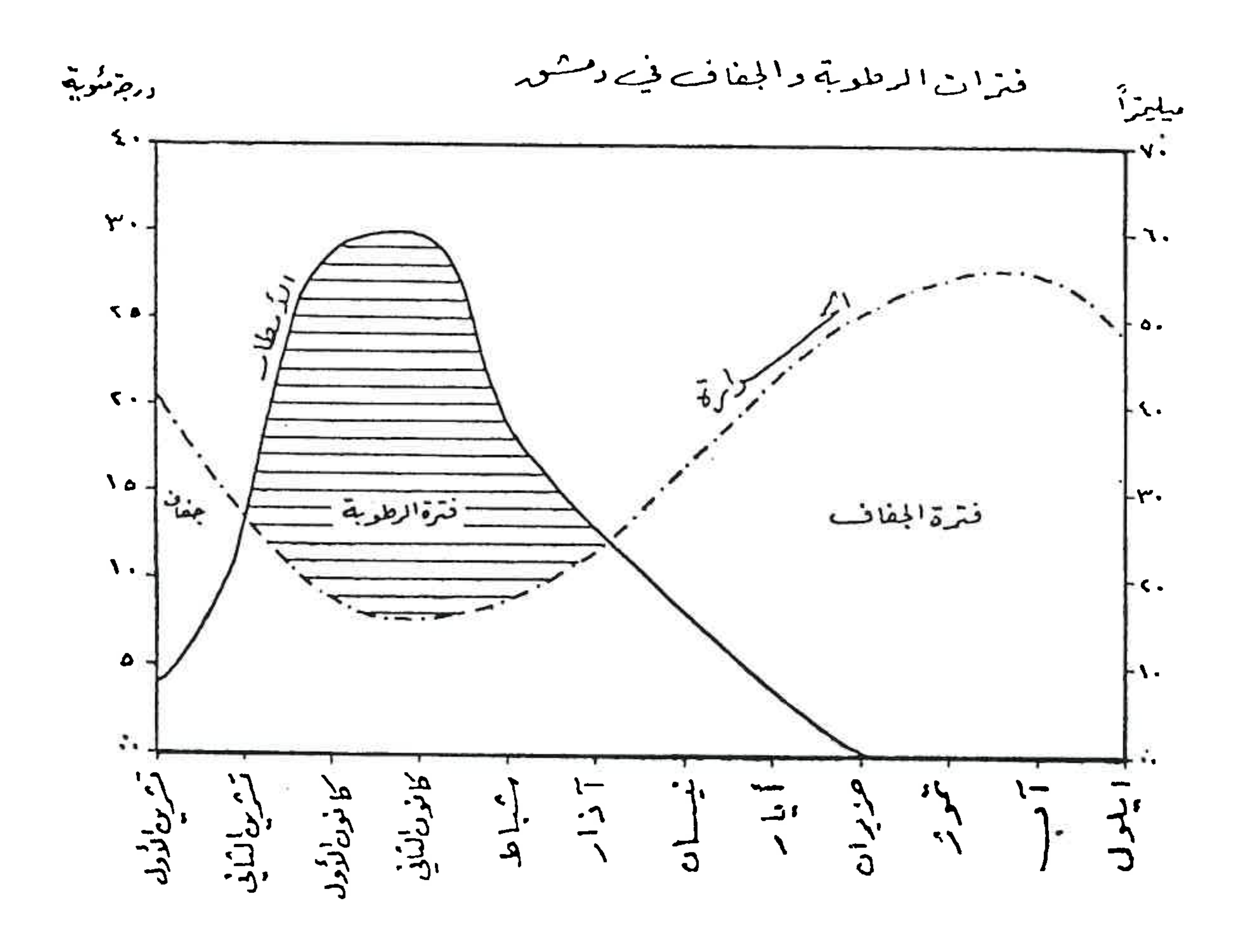
إن هذا الإقليم يتميز عادة بالجفاف ، ولكن ليس معنى ذلك أن هناك حالة جفاف تام ، ولكن نظراً للارتفاع الكبير في درجة الحرارة فإن معدل البخر قد يفوق عدة مرات معدلات تساقط الأمطار ، مما ينتج عنه التدني الفائق في نسبة الرطوبة .

د - الرياح :

تسود في مدينة دمشق الرياح الشمالية الغربية إلى الغربية في كافة الفصول . بينما تهب الرياح الشرقية على الأغلب خلال شهري تشرين الأول والثاني آتية من البادية ومحملة بالرمال ، وتكون رياح الصيف شديدة بصورة خاصة ويمكن أن تبلغ سرعتها



المعدلات الشهرية للرطوبة النسبية في دمشق
المتوسط السنوي للرطوبة النسبية
٪
٨٥
٧٥
٦٥
٥٥
٤٥
٣٥
٢٥
كانون الثاني
شباط
آذار
نيسان
أيار
حزيران
تموز
آب
أيلول
تشرين الأول
تشرين الثاني
كانون الأول



فترات الرطوبة والجفاف في دمشق
درجة مئوية
ميليمتراً
الأمطار
الحرارة
فترة الرطوبة
فترة الجفاف
جفاف
تشرين الأول
تشرين الثاني
كانون الأول
كانون الثاني
شباط
آذار
نيسان
أيار
حزيران
تموز
آب
أيلول

(د. خير - دمشق)

٢٠-٢٨ م في الثانية ، ولكن دمشق تفتقر مع ذلك إلى رياح مرغوبة وسائدة ، طالما أن المصدر الوحيد الممكن للرياح المنعشة والآتية من البحر المتوسط محجوزة عنها بسلسلتي جبال لبنان الغربية والشرقية .

وعموماً فإن مدينة دمشق تتعرض لرياح متربة في فترات مختلفة ، إلا أنها تبلغ مداها في فصل الربيع وأوائل فصل الصيف نتيجة للتغير في أماكن الضغوط الجوية فتتدفق رياح من المناطق الصحراوية إلى مناطق الضغط الجوي المنخفض ، فتؤدي إلى ارتفاع كبير في درجة الحرارة في بعض ساعات النهار ، وتهبط الرطوبة النسبية .

أما خلال فصل الشتاء ، ونتيجة لانتقال الانخفاضات الجوية نحو الجنوب ، فإن دمشق تتعرض للرياح الغربية المطيرة .

هـ - الأمطار :

تعتبر أمطار دمشق قليلة نسبياً بسبب الحاجز الجبلي الغربي ، ويبلغ المعدل السنوي للهطول حوالي ٢٢٠ ملم ، ويتركز التهطال في فصلي الخريف والشتاء بين شهري تشرين الأول وآذار ، وأعلى كمية هطول يومية يمكن أن تتراوح بين ٤٠-٧٠ ملم ، في حين يتميز فصلا الربيع القصير والصيف الطويل نسبياً بالجفاف التام .

وبالرغم من تدني معدل هطول الأمطار في مدينة دمشق ، فإن هذا الهطول لايخضع لنظام محدد ، بل إن الأمطار قد تنهمر بشدة بطريقة فجائية ولفترات قصيرة ، وعلى هذا فإن أمطار دمشق تعتبر غير منتظمة .

وبسبب هذه الخصائص المناخية لمدينة دمشق اجتهد المعماري الدمشقي لحماية البيت الدمشقي وعزله عن هذه المؤثرات الخارجية وذلك عبر العناصر المعمارية التالية :

١ - النسيج العمراني :

إن أساسيات النسيج العمراني والمبنى الواحد كأحد عناصر هذا النسيج للمدينة القديمة كان لها دور فعال في حل بعض مشاكل المناخ على الوجه التالي : ☆

☆ الخولي ، المؤثرات المناخية والعمارة العربية ، ص٤٦

- اتباع الحل المتضام (Compact) في تجميع المباني في المدينة نتج عنه التقليل من تعرض الأسطح الخارجية لهذه المباني لأشعة الشمس المحرقة ، كما أدى إلى تظليل بعض المباني لما جاورها من مبانٍ أخرى ، ومن ثم أصبحت الطاقة الحرارية النافذة إلى داخل المبنى محدودة .

- حماية المشاة من أشعة الشمس اللافحة أثناء تنقلهم بين الأجزاء المختلفة للمدينة نهاراً ، وذلك بسبب تظليل الممرات نتيجة لضيقها وما بها من انحناءات كثيرة

علاوة على التغطية الكلية لبعض أجزائها بالمباني أو جزئياً لما لواجهاتها من بروزات كثيرة على هذه الممرات .

- إن هذه الطبيعة المتعرجة لشبكة الطرق ينتج عنها من الناحية المناخية – علاوة على فائدة التظليل – إعاقة حركة الرياح المحملة بالأتربة والرمال خلال المدينة فضلاً عن الحد من سرعتها ، وبالتالي الاحتفاظ بالهواء البارد الذي تجمع في شوارع المدينة أثناء الليل لفترات طويلة خلال ساعات النهار مما يساعد على تلطيف درجة الحرارة في هذه الفراغات .

- امتداد أسطح البيوت على ارتفاع واحد تقريباً ، فلا يرتفع البيت عن طابقين ، وهكذا فإن تيارات الهواء لاتوثر على حرارة الجو في الدروب والحارات ، مما جعل الفارق الحراري فيها ضعيفاً ويحميها من تقلبات الطقس الخارجي .

٢- صحن الدار :

كان لفكرة تجميع عناصر البيت حول فناء داخلي إلى جانب تحقيق مبدأ الخصوصية للسكان في ممارسة حياتهم العائلية – آثارها الإيجابية من الناحية المناخية التي يمكن إيجازها على النحو التالي :

- ☆في المناطق الحارة الجافة تهبط درجة الحرارة كثيراً بعد الغروب ، وذلك بسبب إعادة إشعاع الأرض للحرارة إلى السماء في الليل . كما يكون الهواء خالياً نسبياً من بخار الماء الذي يمكن أن يعكس الإشعاع الحراري أو تحت الأحمر إلى الأرض ثانية ، مثلما يحدث في المناطق الدافئة الرطبة . وقد وُظفت هذه الظاهرة في التصميم المعماري للبيوت باستخدام مفهوم الفناء من أجل توفير الراحة المثلى المتعلقة بالمحيط الحراري .

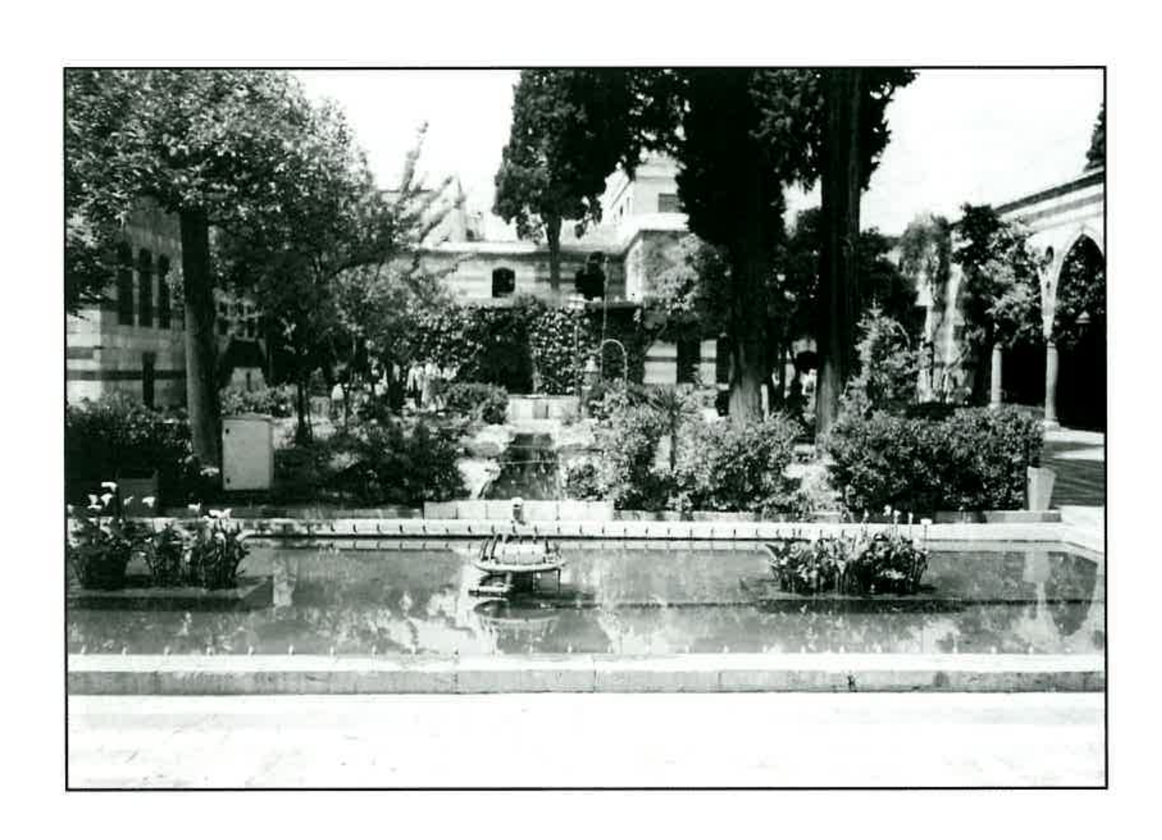
☆ حسن فتحي ، الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية، ص١١٦-١١٧

في مثل هذه المناطق تكون الطبيعة عند مستوى سطح الأرض قاسية . يقلّل هذا الوضع من درجة الحرارة بمقدار ١٠-٢٠°س في الليل .

- وبتقدّم المساء يبدأ هواء الفناء الدافئ الذي تسخّنه الشمس مباشرةً والأبنية بشكل غير مباشر بالتصاعد ويستبدل تدريجياً بهواء الليل المعتدل البرودة الآتي من الأعالي . ويتجمع الهواء المعتدل البرودة في الفناء في طبقات ثم ينساب إلى الحجرات المحيطة فيُبردها . وفي الصباح يبدأ كل من الهواء الذي تظلّله جدران الفناء الأربعة وهواء الحجرات المحيطة يسخنان تدريجياً وببطء ولكن برودتهما تظل معتدلة حتى وقت متأخر من النهار ، حين تسطع الشمس مباشرة في داخل الفناء . ولاتدخل الرياح الدافئة التي تهب فوق البيت خلال النهار إلى الفناء ، إلا إذا وُضعت عوارض لتغيير مسارها . ويقتصر تأثيرها على إحداث تيارات معاكسة في داخل الفناء . وبهذه الطريقة يعمل الفناء كخزّان للبرودة . وقد طبّق مفهوم



مكتب عنبر



قصر العظم

الفناء عالمياً في الحضارة التقليدية في المناطق الحارّة الجافّة الممتدة من إيران شرقاً إلى شـواطئ المحيط الأطلسي غرباً ، وفي تصاميم السكن المدني والريفي إلى حدّ سواءً .

- لقد مثلت الوظيفة المناخية للصحن حلاً لمشاكل المنطقة ذات المناخ الحار الجاف فساعد على خفض درجة الحرارة من الظلال الناتجة عن تقابل أضلاع الصحن وتبخر مياه البحرات المتوضعة فيه وانعكاس أشعة الشمس على سطح أرضيته والتي تعطي نتائج متفاوتة حسب طبيعة الأرضية ولونها .

- ولايقتصر دور الصحن على الترطيب فقط وإنما يؤمن التهوئة دون تلوث عن طريق تكوين تيار هواء مستمر بين الداخل والخارج .

- وأما بركة الصحن فإنها تعمل على ترطيب الهواء وتبريده ، يزيد في ذلك النافورة المتوضعة في مركزها والتي تنتج خيوطاً مائية دقيقة تساعد في زيادة الرطوبة للهواء الجاف وتخفض الحرارة العالية وتعطي صوتاً ورونقاً يؤثر في نفس الإنسان داخل البيت ، وتزداد درجة التبخر بمرور الماء في المجرى حول البركة .

- ☆ أصبحت أجزاء كبيرة من الفناء مظللة أثناء ساعات النهار بسبب إحاطته بحجرات المبنى من جميع الجهات وبارتفاع طابقين فأدى ذلك إلى تقليل الضغوط الحرارية على هذه الحجرات أثناء الفترات الحرجة من النهار .

☆ الخولي ، المؤثرات المناخية والعمـارة العربيـة، ص٥٢

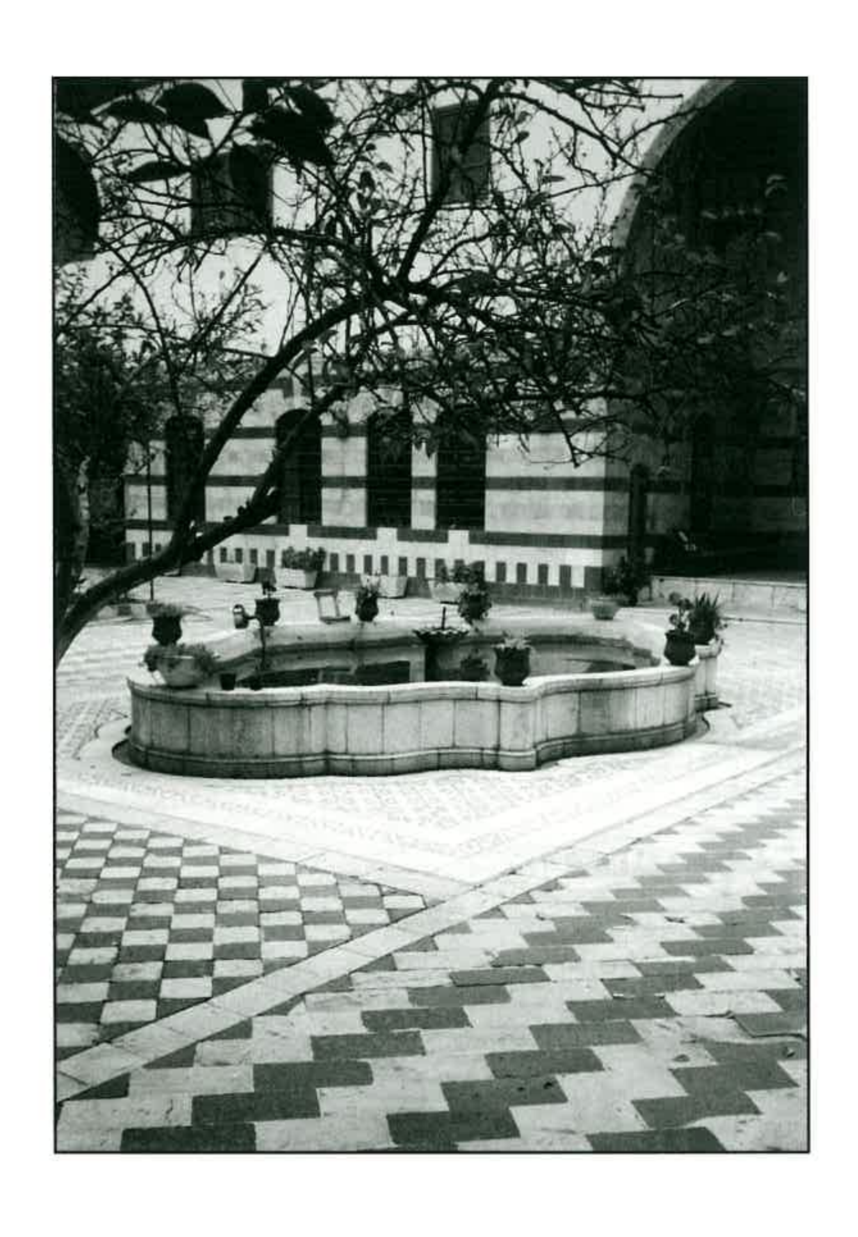
- وأخيراً يعتبر الفناء منظماً حرارياً حيث يتجمع فيه الهواء البارد أثناء ساعات الليل . فأدّى ذلك إلى الحفاظ على درجة حرارة منخفضة خلال فترة النهار وبالتالي المساهمة في تلطيف درجة الحرارة بالفراغات الداخلية للبيت وبصفة خاصة في الفترة الأولى من النهار ، بسبب تظليل أجزاء كبيرة من أرضية الفناء وتقليل أشعة الشمس المنعكسة أو لوجود مسطحـات خضر ونافورات في صحن الدار مما ينتج عنه الحد من شدة الإبهار وتلطيف درجة الحرارة للهواء وتنقيته والزيادة في نسبة رطوبته .

٣ ـ الحوائط :

☆كان لاستعمال الحوائط السميكة والمغلقة والمدهونة بالأبيض والمواد التي استعملت فيها من حجر وطوب ولبن وخشب سببها الإنشائي إلا أنها ساعدت كذلك على الاحتفاظ بدرجات الحرارة الداخلية بعيداً عن التقلبات الخارجية في درجات الحرارة . وكانت الغرف الأرضية الصيفية حجرية بازلتية أو رخامية باردة وكثيراً ماكان يوجد في هذه الغرف بركة صغيرة لإضفاء الرطوبة .

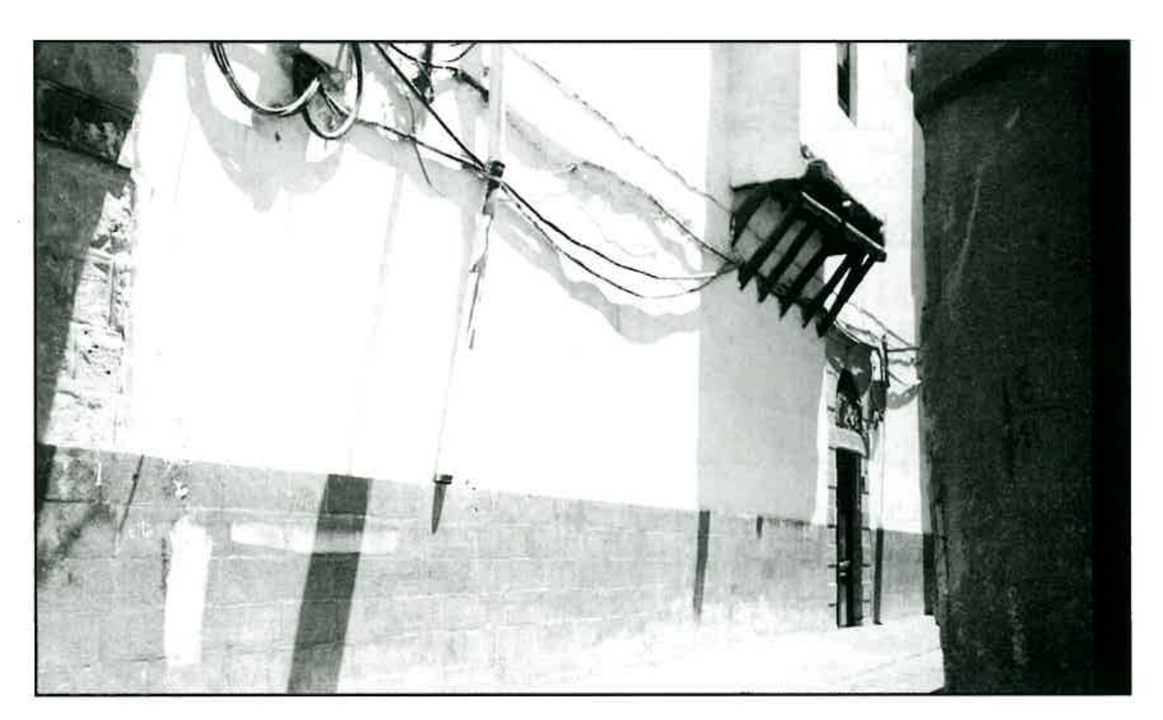
☆ الخولي ، المؤثرات المناخية والعمـارة العربيـة، ص٥٢

وجاء استعمال اللون الأبيض كدهان للواجهات الداخلية أو الحوائط الخارجية عامل مساعد لتخفيف أثر أشعة الشمس وعدم امتصاص حرارتها من الجدران .



فنـاء بيـت
خالد العظم

الواجهة الخارجية
بيـت نـظـام



٤- الأسـقـف :

إن درجة حرارة الهواء في الخارج أعلى من الداخل ، ولذلك فإن السطح الخارجي للسقف المعرض للشمس يسخن بامتصاصه للإشعاع ولاتصاله بالحرارة الصادرة عن الهواء الخارجي وينقل السقف بعد ذلك هذه الحرارة للسطح الداخلي الذي يعمل بدوره على رفع درجة حرارة الهواء الملامس له بتوصيل الحرارة إليه . وفي الوقت ذاته ، يعكس السقف الحرارة فيمتصها الأشخاص أو الأشياء في الداخل ، مما يؤثر على الراحة المتعلقة بالمحيط الحراري .

ولذلك كان لاستعمال الخشب والطوب واللبن كمواد إنشائية في أسقف البيوت الأثر الكبير في عزل حرارة البيت الداخلية عن التقلبات الحرارية للجو الخارجي .

عدا عن أنّ ارتفاع سقف الإيوان والقاعات يعادل ارتفاع طابقين مما يسمح بزيادة التهوئة والرطوبة ، وإن احتوائها على بركة ماء تزيد في رطوبة الجو في الصيف .

٥- الواجهـات الخارجيـة :

☆إن استعمال البروزات في بعض الأجزاء العليا بواجهات البيوت الممتدة على جانبي الشارع لهو صورة أخرى لكاسرات الشمس التي تساعد على تظليل أجزاء كبيرة من الحوائط الخارجية للبيوت .

☆ الخولي ، المؤثرات المناخية والعمـارة العربيـة، ص٥٢

٦- الفتـحـات :

☆كان لتحديد استعمال الفتحات الخارجية وصغرها أثرها البالغ في الحفاظ على درجة الحرارة الداخلية المناسبة دون تأثرها بارتفاع درجة الحرارة الخارجية نهاراً وتدنيها ليلاً .

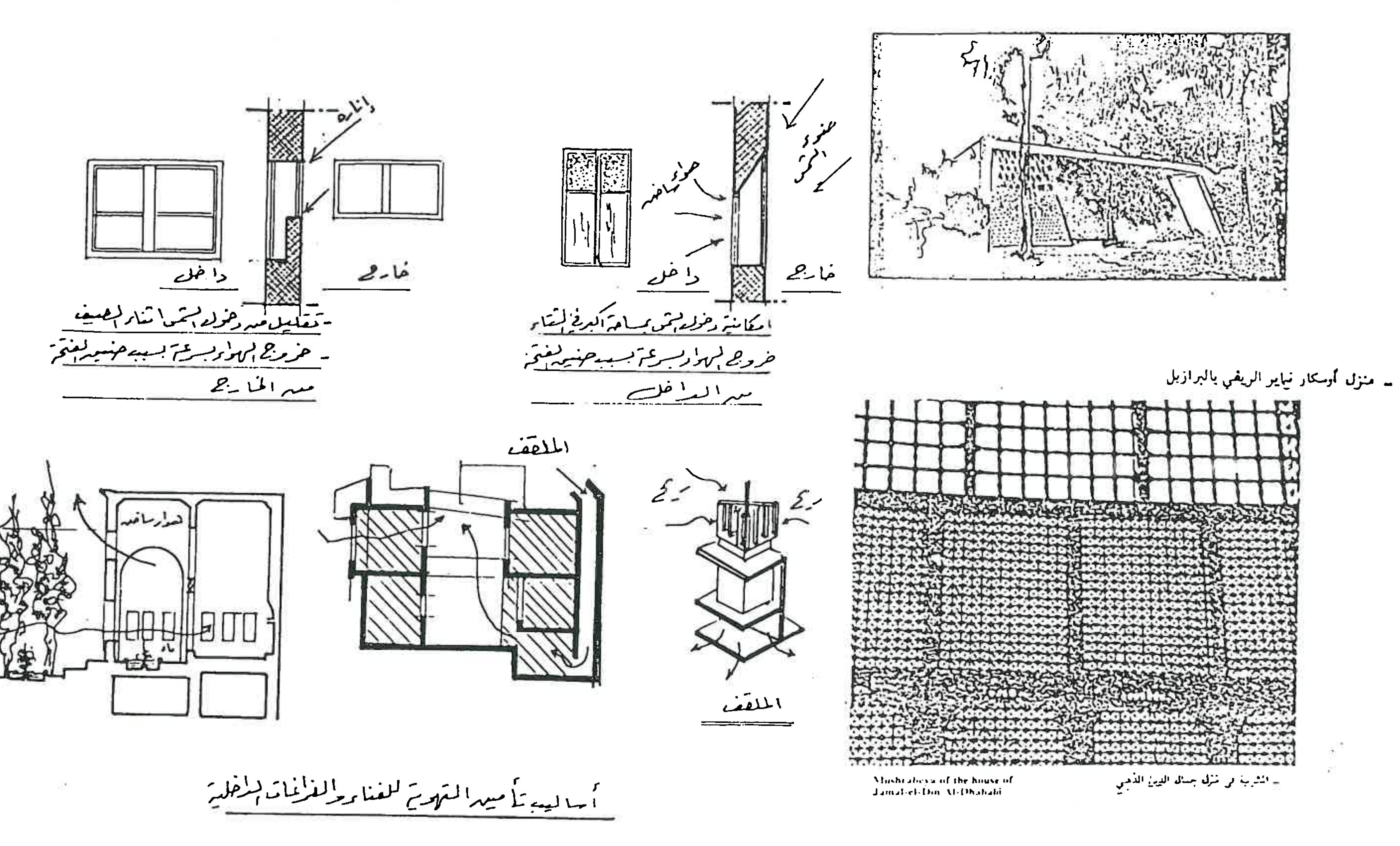
☆ الخولي ، المؤثرات المناخية والعمـارة العربيـة، ص٥٠

وقد استعملت كاسرات الشمس لهذه الفتحات الخارجية وذلك بتغطيتها بالمشربيات من الخشب المخروط والمزخرف فحققت بذلك الحد من قوة الإضاءة الطبيعية في هذه الفراغات الداخلية فعالجت بذلك مشكلة الإبهار مع تقليل نفاذ أشعة الشمس إلى الداخل وذلك للحفاظ على درجة الحرارة الداخلية ، عدا عن أنها حققت عنصر الخصوصية والحماية والجمالية .

وأما فتحات الغرف الشتوية العلوية المطلة على صحن الدار فكانت واسعة ومتجهة نحو الجنوب ومن الزجاج للسماح لأشعة الشمس بالدخول .

وبشكل عام يمكن تحديد الاحتياجات المناخية في دمشق ويمكن أن نستنتج بأن الاستجابات الأكثر ضرورة واللازم توفرها في المنزل الدمشقي تتدرج تحت البنود التالية مرتبة وفق الحاحها بدءاً من الأهم :☆

☆ شربجي ، العناصر المعمارية المميزة في البيت الدمشقي



ـ منزل أوسكار نيماير الريفي بالبرازيل

ـ المشربية في منزل جمال الدين الذهبي

Mushrabeya of the house of
Jamal-el-Din Al-Dhahabi

ـ المشربية في منزل جمال الدين الذهبي.

١) الحماية من حر الصيف

٢) التهوئة والترطيب في الفصل الحار

٣) الحماية من أشعة الشمس في الفصل الحار

٤) التشميس في الفصل البارد

٥) العزل للحماية من البرد في الشتاء

١) الحماية من حر الصيف :

لوحظ وجود الباحة في جميع عمارات البحر الأبيض المتوسط التي تميزت مناطقها بصيف حار وجاف نسبياً فالباحة في وسط الدار تؤمن فراغاً مفتوحاً ومحمياً في آن واحد ، مفتوحاً للسماء والضوء والنسيم إن وجد ، ومن أشعة الشمس المباشرة ومن نظرات الفضوليين ، وهذه الباحة في البيت الدمشقي تتيح للعائلة الاجتماع فيها مع احتفاظها بخصوصيتها وهي تسمح كذلك بالانتقال بين سائر أجزاء المنزل عبرها .

تتمثل الخاصية الحرارية الأولى للباحة في أن جدران أقسام المنزل المحيطة بها تؤمن حماية أرضها من أشعة الشمس المباشرة خلال غالبية النهار ، وتتركها مفتوحة للقسم الأبرد من السماء ليلاً وككل فراغ مكشوف على سطح الأرض فإن الباحة تخسر الحرارة المكتسبة بالإشعاع إلى السماء ليلاً نهاراً ، ولكن الخسارة المحسوسة تتم ليلاً .

يتم التبادل الحراري بين أقسام المنزل المعيشية وبين الخارج ليلاً عبر طريقين : الإشعاع الحراري والتبادل الحراري الانتقالي Convection -Heat Exchange .

فسطح الباحة يقوم ببث الحرارة الممتصة نهاراً على شكل أشعة منعكسة – طويلة الموجة وبالتالي فهو يفقد سخونته سريعاً ويصبح السطح الأكثر برودة في المنزل ، وأما الهواء الملامس له فيتبرد تدريجياً على طبقات من الأسفل للأعلى بواسطة الإشعاع الحراري (Convection).

عندما يبرد الهواء يتكثف وبالتالي يصبح أثقل ، وعلى هذا الأساس فإن الهواء البارد ينزل إلى الأسفل ويتوضع قرب أرض الباحة ، ويبقى هناك تقريباً طَوال فترة النهار قبل أن تصله أشعة الشمس ظهراً إذا كانت الرياح خفيفة ، وهو ما يحصل عادة في فترة الفجر في دمشق ، وعندما تلامس أشعة الشمس سطح الباحة فإن الأرضية تمتص حرارة الشمس الساقطة لكي تعكسها مباشرة نحو طبقات الهواء الأبرد الملامسة للسطح ، وعندما تسخن الطبقات السفلى تخف كثافتها وبالتالي تتصعد تاركة المجال لطبقات أبرد لم تسخن بالتلامس مع الأرضية وهكذا وعلى الرغم من أن حرارة الهواء أعلى ، فالتيار الانتقالي الناتج عن عملية

التسخين والتصعيد يساهم في إحساس السكان بالراحة الحرارية خلال فترة التشميس النهارية .

كلما صغرت مساحة الباحة بالنسبة إلى ارتفاع الجدران حولها أمكن تحقيق هذا التيار الانتقالي بشكل أفضل ، لأن الشمس تصل إلى سطح الباحة متأخرة نسبياً ، ولكن ذلك لم يعتمد في المنازل الدمشقية التي تتمتع بباحات أوسع من مثيلاتها في القاهرة مثلاً ولعل ذلك نابع من ضرورات التشميس في الشتاء ، الأكثر برودة في دمشق منه في القاهرة ، وبالتالي كان توسيع الباحة ضرورياً لتأمين دخول الشمس ، إلى غالبية الأقسام المعيشية الشتائية في الجنوب والشرق وخصوصاً في الطابق الأول دون أن يظللها الجناح الشمالي للمبنى .

من البديهي أن بناة البيوت الدمشقية لم يقوموا باتباع تحليل رياضي – مناخي لتحديد مساحة الباحة بالنسبة إلى ارتفاع المبنى حولها ، ولكنهم قطعاً استشفوا الفائدة الحرارية من اعتماد الباحة المتوسطية ، وحددوا حجمها النسبي الملائم لصيف دمشق وشتائها عبر سلسلة من التجارب ، ويمكن تلمس فهم السكان لوظيفة الباحة الحرارية من أساليب استعمالهم لها وأوقات هذا الاستعمال ، فالباحة اعتبرت أفضل مكان لاجتماع العائلة في الصباح والمساء صيفاً في حين خف استعمالها كفراغ معيشي خلال فترة الظهر وبعد الظهر وخلال فصل الشتاء.

لقد اعتمد المنزل الدمشقي في مقاومة حر الصيف في إنشائه وسماكة جدرانه على خاصية "الاستيعاب الحراري العالي" للجدران والأسقف المفيدة في المناخ القاري فالجدران السميكة والمواد العالية الوزن الحجمي المستعملة تساهم في المحافظة على برودة المنزل نهاراً بامتصاص حرارة الشمس الساقطة عليها ، وتأخذ الحرارة زمناً للمرور عبر الجدران إلى الداخل بالتسخين المتدرج لطبقات الجدران ، وهذا الزمن يتناسب طرداً مع كثافة هذه الجدران وسماكتها . صحيح أن هذه الخاصية تساهم في رفع درجة حرارة هذه الأقسام الداخلية ليلاً بواسطة انعكاس الحرارة الممتصة نهاراً ، ولكن وسائل تهوئة طبيعية أخرى ممكنة خلال الليل تسهم في التخلص من بعض الحرارة الزائدة بالإضافة إلى أن استعمال هذه الأقسام قليل مساء عندما تتركز حياة العائلة في الباحة والإيوان .

تلاحظ ظاهرة معمارية أخرى في المنزل الدمشقي تسهم في مقاومة حر الصيف تلك هي اعتماد غالبية المنازل على الأسقف المسطحة الحاملة للأوزان ، وقد أمكن ذلك بسبب قلة الأمطار في المناخ المحلي ، وعلى هذا الأساس يمكن للأقسام الداخلية التخلص من بعض الحرارة الزائدة بفضل الأشعة الانعكاسية الموجهة نحو السماء ، وقد ساهم هذا الإنشاء بتطوير استعمال حراري آخر للسقف عبر استعماله كفراغ منامة أو جلوس خلال ليالي الصيف ، مستفيداً من نسائم أمسيات الصيف ومن الإشعاع المنعكس نحو السماء المذكور سابقاً لتخفيض حرارة السطح .

ولكن ضرورات الخصوصية أدت إلى إنشاء حامية حول السطح تجاوزت أحياناً قامة الإنسان لحماية العائلة من نظرات الفضوليين من الأسطح المجاورة . وفي القرن التاسع عشر عندما أدخلت طرز بناء وافدة مع مهاجري كريت والألبان مع أسقفها المائلة فقد لوحظ إبقاء جزء من السقف مسطحاً لأجل الاستعمال الصيفي ، وقد بقيت هذه الوظيفة المناخية للسطح شائعة حتى القرن العشرين عندما أحيطت أجزاء من السطح بجدران عالية أحياناً وسميت (مشرقة) .

تشكل الأسقف المرتفعة لقاعات الطابق الأرضي التي يمكن أن تصل أحياناً إلى ثمانية أمتار نموذجاً آخراً لاستجابة مناخية أدت إلى اعتمادها بالإضافة لمسببات أخرى لامجال لها في هذا البحث ، هذه الوظيفة تكمن في تمكين الهواء الساخن من التصعد إلى مستوى السقف داخلا للقاعة وتبديله بهواء أبرد من أرض الباحة يحل محله حسب خاصية السحب .

وأخيراً هناك قاعدة لاستجابة الأبنية لدرجات الحرارة القصوى وتلك هي نسبة الحجم الداخلي للمبنى إلى سطحه المعرض للجو الخارجي فكلما ارتفعت تلك النسبة خفّ حجم انتقال الحرارة الخارجية إلى داخل المبنى ، وقد حققت ذلك دمشق ، كما في غيرها من المدن القاريّة إسلامية وغير إسلامية عبر التجمع المتراص للأبنية : مجمعات من الدور تشترك في جدرانها الخارجية معرضة أصغر سطح ممكن للجو . وقد كان ذلك ممكناً بفضل فتح النوافذ اللازمة للإضاءة والتهوئة على صحن الدار الذي يمكن التحكم بجوه ودرجة حرارته .

٢) الحماية من الشمس في الفصل الحار :

تقوم كتلة المنزل كما بينا سابقاً بتظليل أرضية الباحة وحمايتها من أشعة الشمس المباشرة في الصباح وبعد الظهر فقط وتتركها معرضة لها في فترة الظهيرة بين الساعة العاشرة والثالثة تقريباً ، مما أدى إلى تبني حل معماري تقليدي للحماية منها وهو الإيوان ذلك الفراغ المسقوف والمفتوح بقوس عالٍ واسع على الباحة ، مواجه للشمال دوماً بحيث يمكن استعماله خلال النهار والتمتع بالباحة من دون التعرض للشمس المباشرة التي لا يمكن أن تدخله مطلقاً بسبب وجود الجناحين الشرقي والغربي اللذين يحميانه من أشعة الصباح الباكر الشرقية وأشعة ما بعد الظهر الغربية .

بالإضافة إلى ذلك فقد أمن السقف المرتفع والقوس العالي للباحة بعض التهوئة الطبيعية . وكذلك لوحظ في المنازل الدمشقية اتجاه انتفاعي في تظليل أقسام من صحن الدار بواسطة بعض الأشجار المبثوثة في أحواض موزعة حول البركة أو في أطراف الصحن وأحياناً اعتمد السكان على كروم مرفوعة على عرائش ونباتات متسلقة أخرى لخلق بقعة مظللة .

لعل أهم الحلول المعمارية للحماية من الشمس يكمن في الاستعمال الذكي للإيوان ، وقد أظهر بناة المنازل الدمشقية ذلك في طلاء سطوح منازلهم بالعدسة الغنية بالكلس الذي

يضفي لوناً مبيضاً عليها ، فالسطح المطلي باللون الأبيض يمتص ١٥٪ فقط من طاقة الشمس الساقطة عليه في حين ترتفع نسبة الامتصاص إلى ٧٠٪ تقريباً في اللون الأسود .

وقد أثبتت التجارب أن سطح المبنى المكعب المواجه للشمس يتلقى ٥٠٪ من حرارة شمس الصيف الساقطة على المبنى ككل . في حين تتلقى الجدران الأربعة الـ ٥٠٪ الباقية . وتزداد هذه النسبة في المنازل الدمشقية التي تشاركت في جدرانها الخارجية واختفت جدرانها الداخلية خلف النباتات ، ومن هنا تظهر أهمية طلاء السقف باللون الأبيض .

أثبتت التجارب (تجربة أجريت في جامعة الخرطوم في السودان) أن الحرارة داخل غرفة مكعبة مبنية بالطين واللبن ومطلي سطحها الأفقي بالأبيض كانت أدنى بـ ٩ درجات مئوية عنها في غرفة مماثلة تركت على لونها الطبيعي .

وأخيراً لابد من الإشارة إلى (الخص) المشربية الذي استعمل أحياناً وليس دائماً – لتخفيف حدة الضوء مع توفير التهوئة اللازمة – مما يستلزم عمل فتحات في الشباك العادي، ولجأ البناؤون لملء الفتحة بواسطة منخل من الخشب الدقيق يسمى (مشربية) من شأنه تخفيف وهج الضوء وحجب أشعة الشمس مع السماح بمرور الهواء بالكميات اللازمة .

تتكون هذه المشربية من برامق خشبية مستديرة المقطع ذات شكل خاص وإن في استدارة المقطع ما يوزع الضوء والظل على جسم البرمق في تدرج لطيف فتخف حدة التضاد بين حواف البرامق التي ستكون معتمة بين الفتحات المضيئة الواقعة بينها كما هو ظاهر بتحليل الضوء .

صحيح أن الخص المركب من العيدان الخشبية لم يبلغ في تعقيد تصميمه وشمول استعماله ما بلغته مشربيات منازل بعض الدول العربية ولكنه مع ذلك أدى بعض الوظائف المناخية ، بالإضافة لكونه يتيح النظر من داخله إلى الخارج ويحجب من في الداخل عن أنظار من في الخارج إذا كان الخص يغلف نافذة تطل على الطريق كما هو الشأن في أغلب الحالات.

٣) التبريد :

يعتبر التبريد العامل الأساسي في تأمين الراحة الحرارية في المناخ القاري الحار عندما تكون درجة الحرارة مرتفعة بغض النظر عن العزل والتظليل ، ويمكن تحقيق التبريد وفق ثلاثة طرق اتبعت جميعها في المنازل الدمشقية بدرجات متفاوتة ومن هذه الأساليب :

أ – التبريد بالإشعاع الطويل – الموجه ليلاً .
ب – التبريد بالتبخر .
جـ – التهوئة الطبيعية .

أ- التبريد بالإشعاع الطويل - الموجه ليلاً :

وقد ناقشنا في المراحل السابقة التبريد الليلي بالإشعاع – الموجه – وبيّنا كيف أن السكان قد استفادوا منه إلى أقصى حد ، وربما بطريقة عفوية أو مبنية على التقاليد المتوارثة ، بالاجتماع والنوم على سطوح منازلهم التي تعتبر السطح الأمثل لانعكاس الحرارة إلى السماء.

ب- التبريد بالتبخر :

عرف أسلوب تبريد الهواء بتمريره فوق مسطح مائي منذ القدم ، وقد جرى تطبيقه في الماضي لتبريد المباني ببنائها قرب مسطح مائي طبيعي كبحيرة أو بتأمين حوض ماء أمامها أو في باحتها ، وهذا ما نراه محققاً في كل البيوت الدمشقية وقد كان ذلك ممكناً بفضل نهر بردى وفروعه التي تخترق المدينة لتغذية شبكة الري المعقدة التي وصلت إلى كل دار وأمنت الماء لبركتها المركزية وللاحتياجات المنزلية الأخرى .

وأظهرت دراسات التبريد أن عمق الماء في الحوض ثانوي بالنسبة إلى فعالية التبريد الهامة وإن العامل الأساسي هو سطح التبادل بين الماء والهواء المار فوقه ، وبناءً عليه فقد لوحظ أن عمق الأحواض في البيوت الدمشقية قليل بالنسبة إلى سطحها ، وبالإضافة إلى ذلك فقد احتوت البركة على ترتيبات شكلية مختلفة تؤمن زيادة في سطح التبادل عن طريق خلق مناسيب مختلفة للماء متراكبة فوق بعضها البعض ، والعنصر التشكيلي المهم الآخر هو النافورة الدمشقية التي انتصبت في مركز كل بركة حتى في المنازل الفقيرة لتبعث خيوط مائية دقيقة تساهم في زيادة رطوبة الهواء في صحن الدار وتعمل بالتالي على تبريده وتعطي رونقاً رشيقاً على تشكيل البركة دون أن ننسى ما لانسياب الماء دوماً من صوت وصورة يؤمنان بعداً نفسياً يزيد من الاستمتاع في الصحن عبر سماع صوت الماء فيها .

بالإضافة إلى ذلك وكتأكيد على أهمية الماء في ترطيب الجو الداخلي فقد زودت عتبة القاعة الرئيسية غالباً بنافورة صغيرة تؤدي الدور نفسه في محيط مغلق مما يجعل تأثيرها أكبر ، وهناك خاصة أخرى تميزت بها المنازل الدمشقية ، هي بناء مصب مائي في صدر قاعتها وإيوانها يغذي بركتها بواسطة قسطل ضيق يتصل به ، وأحياناً زخارف رخامية نافرة ، خالقاً سطحاً أوسع للتبادل الحراري مع جو الفراغ ومركزاً على صفة الترطيب للمصب الذي يسمى في تلك الحالة سلسبيل كالتسمية القرآنية .

أما مناخياً فإن درجة التبخر تزداد عندما يتحرك الماء فوق سطح التبادل وهو ما أمنته المنازل الدمشقية في حلول تشكيلية رائعة .

وقد اعتمدت هذه الظاهرة (التبريد بالتبخر) بوجود البركة والنافورة على خاصية التعديل الحراري في البيوت الدمشقية وإنه لا عمارة إسلامية بدون ماء وعند عدم توفر الماء فقد عمد لحفر بئر كما هو متبع في بعض البلدان الإسلامية (تونس) .

وأما الحدائق فوجودها يؤدي إلى رفع الرطوبة النسبية ونادراً ما نرى باحة سماوية دون تخضير وتوضع العرائش على الأسطح وهي بدورها تؤدي لحماية الأسقف دون نقل الحرارة عبر الداخل وتؤمن مساحات ظليلة رائعة .

إن تبريد الهواء في الطبقات السفلية نتيجة لتأثير العنصرين السابقين (الماء والخضار) إلى جانب الفناء الداخلي يؤمن دفعاً للهواء الساخن إلى الأعلى ويتم بذلك تحريك الهواء .

جـ - التهوئة الطبيعية :

كان تأمين التيارات الهوائية في المنزل الدمشقي عبر تزويد أقسامه بنوافذ متقابلة صعباً بسبب اعتبارات تخطيطية واجتماعية تأتي في المقام الأول من الأهمية كالتصميم المتراص للأبنية وعامل الخصوصية والغيرة على العائلة مما أدى إلى ندرة النوافذ الخارجية للغرف المعيشية ، وبناءً عليه فقد دفع بناة المنازل لاستنباط طرق جديدة وذكية لتأمين التهوئة الطبيعية بدون الإضرار بالمتطلبات التخطيطية الأخرى .

ربما أمكن اعتبار الفتحات المتراكبة (Multi - level Opening) إحدى أنجح الحلول لهذه المشكلة وقد كان تنفيذها ممكناً على الواجهات الداخلية للقاعة بفضل الارتفاعات العالية لأسقف تلك القاعات التي وصلت أحياناً إلى ارتفاع طابقين عاديين . في بعض الحالات أمكن استعمال ثلاثة صفوف من النوافذ فوق بعضها البعض : الأول هو النوافذ التي يعادل ارتفاعها أحياناً ارتفاع الأبواب وتبدأ قريباً من أرضية القاعة لكي تتيح للجالسين على فرش فوق الأرض التمتع بمنظر الباحة وما تحتويه كما كانت عادة الجلوس ، ويليها فوقها نوافذ أصغر قياساً يمكن فتحها لإكمال دور التيار الهوائي المتصعد الذي يحل محله الهواء الأبرد الداخل من الباحة عبر الصف الأول من النوافذ ، أما الصف الثاني فكان يحتوي على ما يسمى (المندلون) أما الصف الثالث فقد تمثلت بالقمريات والشمسيات التي أسهمت في عملية الإضاءة كما يدل على ذلك اسمها للقسم الأعلى من القاعة من دون أن يكون لها وظيفة تهوئة إذ كانت مغلقة على الدوام وأحياناً زينت هذه الكوى المستديرة بزجاج ملون وفق زخرفات متعددة لإعطاء تأثيرات لونية للضوء المار عبرها إلى داخل القاعة .

لما كان الهواء الذي يهب على منطقة دمشق صيفاً متعدد الاتجاهات وعموماً غير مرغوب بإدخاله إلى المنزل لسخونته أو لحمولته الرملية فقد انعدمت في دمشق الملاقف التي نراها في أغلب منازل القاهرة من الفترة نفسها والموجودة أيضاً في بعض منازل

حــلب المعاصرة أيضاً ، وكان لابد للبنائين الدمشقيين من الاعتماد فقـط عـلى الـهواء البارد المتراكم في الباحة لتهوئة الفراغات المعيشية المبنية حوله .

٤) الحماية من برد الشتاء :

إذا كان الصيف ومقاومة حره المشكلة المناخية التي يجب الاستجابة لها في عمارة المنزل الدمشقي بسبب طول هذا الفصل وشدة حره ، فهذا لايعني أن الشتاء لم يتطلب أيّة استجابة معمارية على الرغم من قصره النسبي ، كما رأينا في تحليل المناخ وبناءً عليه ، فقد كان على العمارة الدمشقية احتواء حر الصيف وبرد الشتاء في آن واحد ، وكان على البنائين ابتداع حلول معمارية مناسبة للحماية من ذلك البرد .

وقد حاول البناؤون الدمشقيون معالجة أسقف دورهم لتحمل مطر الشتاء و لم يضعوا في اعتبارهم ثلجه الشديد لندرة حدوثه . ومن أمثلة معاملة السقوف لمقاومة المطر المتوقع التهطال في دمشق تطيينها بالعدسة الغنية بالكلس ، وإعادة ذلك كل بضع سنوات مع دك طبقة الطينة لمقاومة أثر المطر ، وكذلك تأمين ميلان خفيف في سطح السقف للتخلص من الماء من نقطة واحدة عبر ميزاب معدني ، بالإضافة إلى ذلك فقد امتدت أطراف السقف إلى مسافة قصيرة فوق الجدران مشكلة أفريزا يدور حول المبنى لأجل حماية الجدران من تسرب الماء عبرها .

أما الجدران الداخلية فقد حمتها اسقف الرواق الذي بني أحياناً حول الأطراف الثلاثة للصحن ماعدا الشمالي منها أي جناح الإيوان ، وقد ساهم ذلك في خلق ممر مسقوف لأجل حركة السكان بين مختلف أقسام المبنى في الطابق الأول .

لعل أهم مظهر حياتي لاستجابة المنزل الدمشقي لضرورات المناخ وملاءمته للبيئة هو حياة التنقل الداخلية لسكانه تبعاً لشروط الطقس الفصلية ، مما سهل تطوير طراز المنزل ذي الباحة المركزية مع أجنحة تواجه الاتجاهات الأساسية الأربعة واتساع ذلك المنزل وطبيعة الحياة الاجتماعية واتساع مفهوم العائلة ، مما أدى إلى وجود الغرف المتعددة الاستعمال التي يمكن تهيئتها لتلبية أيّة وظيفة حياتية .

من دراسة نمط التنقل الداخلية نلاحظ أن الحياة في الصيف تنقلت بين الإيوان والصحن والسطح في محاولة لاقتناص أفضل الشروط المناخية في كل ساعة من ساعات النهار والليل ، في حين انقلب هذا التنقل الصيفي إلى استقرار شتائي حيث تتركز غالبية الوظائف الحياتية في غرف الطابق الأول الأصغر حجماً من غرف الطابق الأرضي عادة حيث يمكن تدفئتها بطريقة أيسر ، ويتجمع أفراد العائلة حول (المنقل) فوق الأرض المغطاة بالسجاد لتأمين عازلية أكبر من الأرضية ، وتُتّخذ الإحتياطات لتقليل فتح الباب وإغلاقه ولتخفيف الاحتياجات المعيشية من الطابق الأرضي في المنزل .

وأما الضيوف فيستقبلون في إحدى غرف الطابق الأول المدفّأة إذا كانوا من الأقارب او في قاعة جنوبية مغلقة في الطابق الأرضي إذا كانوا غرباء على عكس عادة الاستقبال في الإيوان صيفاً .

وبما أن المنازل الدمشقية قد بنيت عادة على منسوب أقل من مستوى الشارع بدرجة أو درجتين لتسهيل انسياب الماء من طوالع الحارات إلى بحرات البيوت فقد أدى ـ ذلك إلى زيادة رطوبة أرضية قاعات الطابق الأرضي ، وكاستجابة معمارية لذلك فقد عمد البناؤون الدمشقيون إلى بناء (الطزر) في قاعات تلك المنازل فوق هيكل خشبي يرفعها عن التماس المباشر مع الأرضية الرطبة ويؤمن فراغاً هوائياً عازلاً تحت هذا الهيكل سمي (الدف) وفوقه يُمد السجاد شتاءً .

يلاحظ أن طراز البناء قد اعتمد أساساً على خاصية (الاستيعاب الحراري) العالي لمواد البناء الداخلية فيه وعلى الفتحات القليلة للخارج لخلق فراغات يمكن إغلاقها والتحكم بدرجة حرارتها من الداخل ، مع بعض التفاصيل التي سهلت المحافظة على تلك التدفئة ، ولكننا لايمكننا التوصل إلى أي استنتاج يتعلق بالاستجابة للشتاء من دون تحليل أساليب الاستعمال للشمس في البيوت الدمشقية كمصدر طبيعي للتدفئة شتاء وهذا ما سنوضحه في الفقرة اللاحقة .

٥) التشميس في الفصل البارد :

أمكننا بفضل دراسة تفاعل المنزل الدمشقي مع حركة الشمس وتوجيهه وفتحه وإغلاقه تتبع ثلاثة أسباب معمارية طبقت فيه للاستفادة من شمس الشتاء بطريقة ذاتية (Passive Solar Methods).

في البداية تبين أن الفراغات الموجهة إلى الجنوب (وأحياناً إلى الشرق والغرب) في المنزل الدمشقي قد احتوت على العديد من النوافذ وخصوصاً في الطابق الأول حيث لا يمكن للجناح الشمالي حجب الشمس المنخفضة شتاءً ، وكذلك نلاحظها في بعض الأمثلة ، أن غرف الطابق الأول المواجهة للجنوب فوق القاعة الرئيسية أعلى سقفاً من جناح الإيوان أو حتى الغرف الشرقية والغربية وأحياناً أكبر وأفخم ، وأحياناً كانت جميع نوافذها فوق مستوى سقف الإيوان فتدخلها الشمس الشتائية في كل الأوقات .

ولعل التناقض بين ضرورات حجب الشمس صيفاً وإدخالها شتاءً قد أمكن حله بفضل التشكيل التناظري لأجنحة المنزل حول الباحة المواجهة للاتجاهات الرئيسة الأربعة ، وكذلك بفضل التنقل بين مختلف الوظائف المعيشية من جناح إلى آخر باختلاف الفصول . ومنه وجود قاعة جنوبية ثنائية أو ثلاثية التوضع مواجهة للإيوان الشمالي والقاعتين اللتين تحدانه .

كل هذه القاعات تؤدي الوظيفة نفسها : الضيافة ، الجنوب للشتاء والشمال للصيف ، ومع ذلك فقد استعملت القاعة الجنوبية أحياناً صيفاً شتاءً كما يدل وجود الفسقية في مركز

عتبتها ولكنها فتحت للشمس شتاءً وأغلقت نوافذها بالمصاريع الخشبية المثبتة على طرفيها صيفاً عندما كانت الشمس تزعج مستخدميها .

في المنزل الدمشقي وفيما يتعلق بدخول الشمس لوحظ أحياناً تغير مساحة النوافذ وعددها بين الطابقين الأرضي والأول .

ومن هنا يمكن فهم تغيير الطبيعة المعمارية للاختلاف بين الطابقين الأرضي والأول فهماً جيداً من خلال فهم استجابتها للشمس ، فالطابق الأرضي اعتمد أساساً على الإنشاء الحجري الثقيل والجدران السميكة ذات الاستيعاب الحراري العالي وعلى انعدام الفتحات المطلة على الخارج وإمكانية إغلاق الفتحات الداخلية منها والمطلّة على الصحن بمصاريع خشبية ، وبالتالي فهو يعتمد مناخياً على خاصية الاستيعاب الحراري العالي لمواد إنشائه لمعادلة برد الليل بدفء النهار النسبي من خلال اختزان حرارة الشمس نهاراً في كتلة جدرانه وانعكاسها ليلاً في محاولة لتقليل المدى الحراري اليومي ومقاربة درجتي النهار والليل الحديتين وهذه عموماً تدفئة طبيعية ، وفي كل الأحوال فإن أقسام الطابق الأرضي لاتستعمل كثيراً شتاءً وبالتالي فهي لاتدفأ بوسائل أخرى .

أما الطابق الأول فكان إنشاؤه أخف ، من اللبن والخشب ، وقد زود بنوافذ عديدة ، وخارجية أحياناً . فسمحت تلك النوافذ للشمس بالدخول شتاءً وتدفئة الفراغ وفق استراتيجية الكسب المباشر للطاقة (Direct Heat Gain) مما ساهم في إحساس السكان بدفء الشمس خلال النهار .

☆ شربجي ، العناصر المعمارية المميزة في البيت الدمشقي ،ص١١٣

☆خاتمة :

كتب المؤرخ ابن خلدون قبل حوالي ستة قرون يصف مهنة البناء فقال :

(هذه البضاعة هي أول صنائع العمران الحضري وأقدمها ، وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنزل للسكن والمأوى للأبد في المدن . وذلك أن الإنسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله لابد من أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها) .

يظهر في كل ما تقدم أن بناة المنزل الدمشقي ، كغيرهم من البنائين التقليديين قد استوعبوا ما كتبه ابن خلدون بطريقة عفوية وفهموا أن إحدى أهم وظائف المنزل ومبررات وجوده هي لدفع الأذى عن سكانه من الحر والبرد ، كما فهمها أسلافهم من قبلهم .

وإن أساليب البناء التي طورت على مدى أجيال من التجربة والتصحيح ، قد حسنت وصقلت لكي تؤدي الوظائف بأيسر السبل وبأقل تدخل من خارج البناء نفسه ، واستجابة هيكله ومواده لشروط محيطه الطبيعي واستفادته من مصادر الطاقة المتوافرة بشكل مباشر في هذا المحيط .

٢ـ العامل الديني

هذا العامل هو أهم الأسباب التي أعطت للبيت الدمشقي خصائصه الأساسية والتفصيلية . وأول ما يظهر تأثير الدين على البيت ابتداءً من التخطيط العام ، فاهتمّ الدين الإسلامي بالحفاظ على حرمة سكان البيت ، وحجب المرأة عن غير محارمها ، وتوفير الجو الإسلامي المثالي لمعيشة سكان الأسرة في بيت مثالي مريح .

وهذا يقودنا إلى عوامل كثيرة انعكست على أعمال المعماري المسلم في تصميم البيت الدمشقي وتنفيذه نذكر منها :

١ - الانتماء والانفتاح على الداخل :

إنّ الدور الرئيسي للمرأة في المجتمع الإسلامي هو في داخل البيت لا في خارجه . حيث إعداد الجيل الجديد ليكون نواة الأمة الصالحة القائمة على التربية السليمة والأخلاق الحميدة.

كان على المعماري المسلم أن يجتهد ليوفر للمرأة الراحة والسكينة في البيت ، وقد جاءت الآية الكريمة رقم /٨٠/ في سورة النحل :

﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكناً ..﴾.

لتقرر هذا المبدأ ولتشجع على توفير الطمأنينة والسكينة في البيت . وجاءت الآية الكريمة رقم /٣٣/ في سورة الأحزاب :

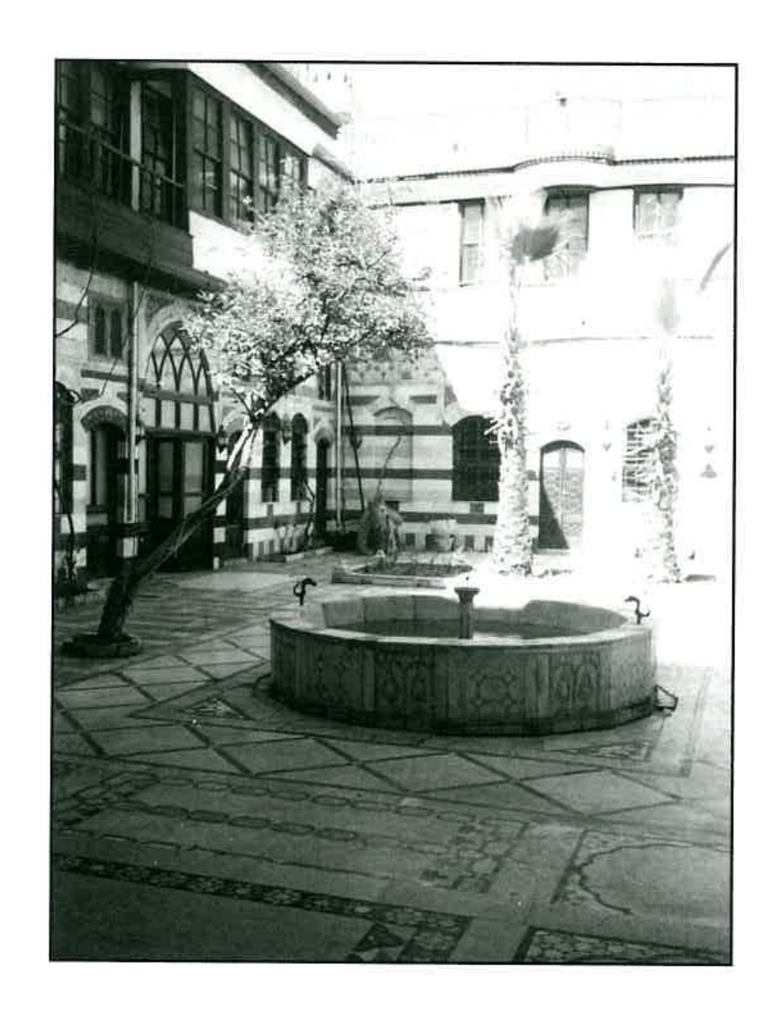
﴿وَقَرْنَ في بيوتكنَّ ولاتَبَرّجْنَ تبرّجَ الجاهليةِ الأولى﴾.

لتأمر المرأة بتأدية دورها الريادي في تربية الأولاد والاهتمام بالعائلة في داخل البيت.

وعلى هذا الأساس ، جاء البيت الدمشقي مغلقاً على البيئة الخارجية بجدران سميكة عالية صمّاء ومنفتحاً على باحته الداخلية بكل ما فيها من نباتات وشجيرات وأشجار متنوعة ونوافير مياه وزخارف وعناصر جميلة تحيط بهذه الجنة المصغرة التي أبعدت العائلة عن جو الازدحام والضوضاء والتلوث .

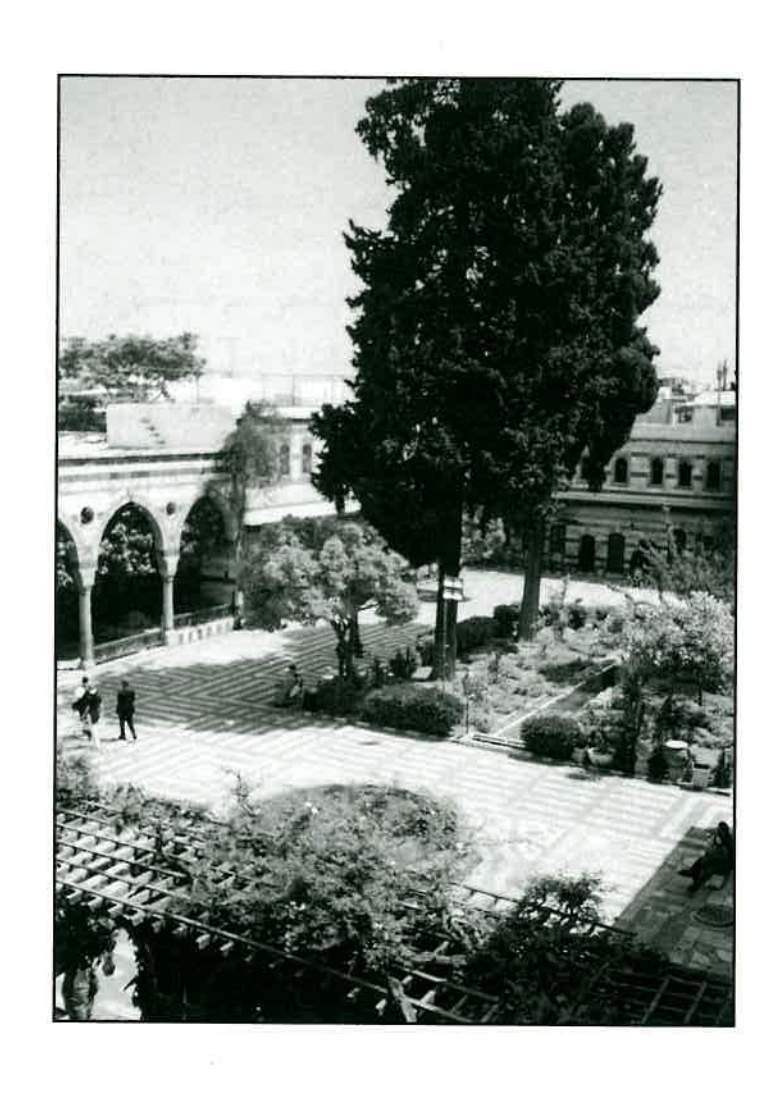
٢ - المدخل :

روعي في تصميم مدخل البيت بألاّ يأتي منفتحاً مباشرةً على صحن الدار أو على غرفه ، بل يفتح على دهليز كثيراً ما يحتوي على منعطف يؤمن حجباً تاماً للداخل عن الخارج.



فـنـاء بيت نظــام

الإنفتاح على الداخل



فناء قصر العظم

وقد جاء في معرض كلام المهندس عبد العزيز أبا الخيل عن المسكن الملائم للمجتمع الإسلامي : ☆

☆ مجلة البناء ٢٤،ص٧٤

إن من صفات هذا المسكن أنه قد روعي فيه سلامة أهله من المفاجآت البصرية ، مثلاً كأن يدخل أجنبي بغتة على أهل البيت دون سابق إنذار ، فالدخول يتم عبر ممر مغطى ويعرج على شكل زاوية ٩٠ متصل بالفناء لذلك فإن أي شخص يدخل إلى المسكن يمر بعدة مراحل قبل أن يكشف أهل البيت في أي من غرفه : الباب – الممر – الفناء ...

وهذا التصميم جاء تطبيقاً للآية الكريمة رقم /٢٧/ من سورة النور :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ..﴾.

وقد جُعل في كثير من الأحيان باب صغير ضمن الباب الكبير (خوخة) والدخول من باب الخوخة يوجب انحناء الغريب الداخل إلى المنزل فينتبه أهل البيت فلا يجتاز الباب حتى تكون سترة الحريم قد تأمنت .

٣- الفتحات :

☆إن ما نشاهده في بعض البيوت الدمشقية من فتحات على الشارع تعتبر عادة دخيلة على البيت الإسلامي . واستتبع استعمال هذه الفتحات وضع حواجز خشبية دعيت بالمشربيات . ولم تعرف البيوت الدمشقية الفتحات على الشارع إلا في عهد متأخر ولعل ذلك لايرجع إلى أبعد من القرن التاسع عشر حين شاعت عادة فتح شبابيك في الطابق الأرضي فوق مستوى الرؤية ، وزودت الطوابق العليا بفتحات كبيرة تغطيها الأكشاك أو الرواشن ، وهذا تعبير عن مزيد من التدهور الديني وعدم المحافظة الكاملة على السترة وخصوصية أهل البيت وحرمتهم .

☆ د. الريحاوي ، المجلة العربية للثقافة، ص١٢٨-١٢٩

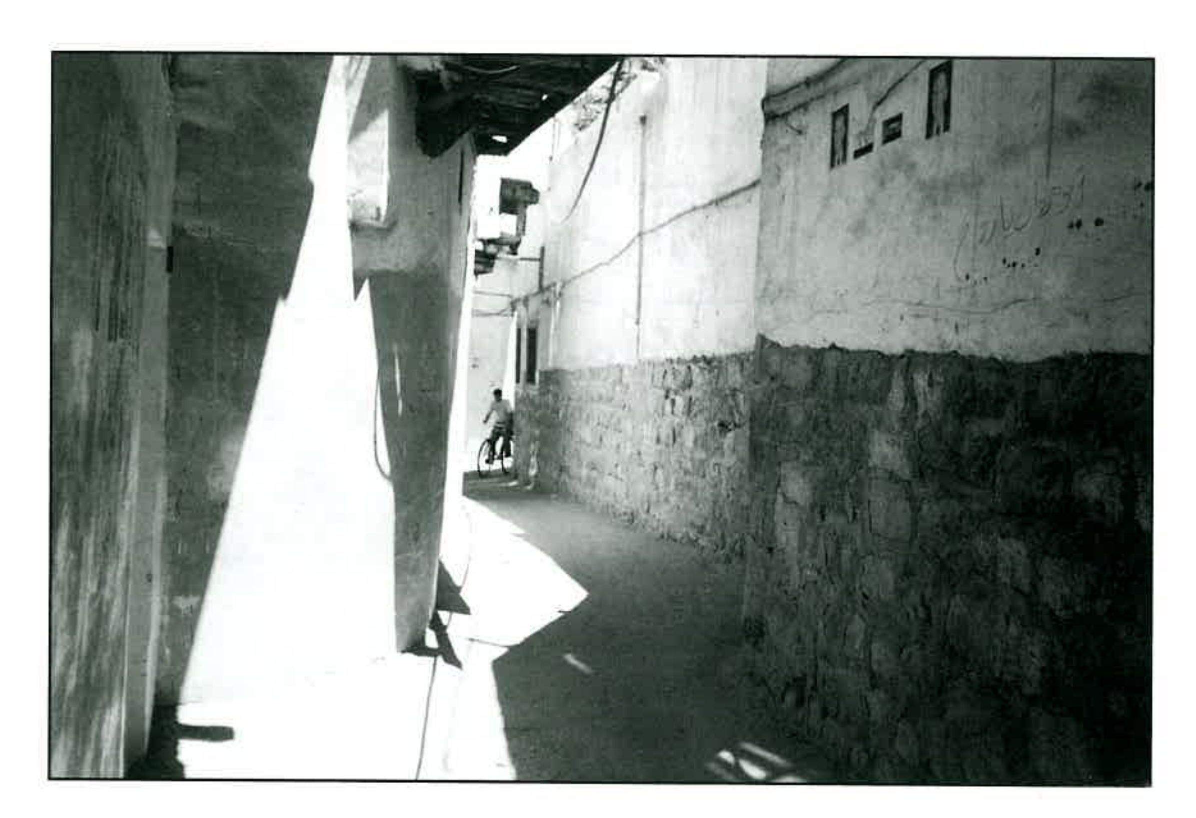
وقد جاء أيضاً في معرض كلام المهندس عبد العزيز أبا الخيل عن المسكن الملائم للمجتمع الإسلامي : ☆

☆ مجلة البناء ٤، ص٧٤

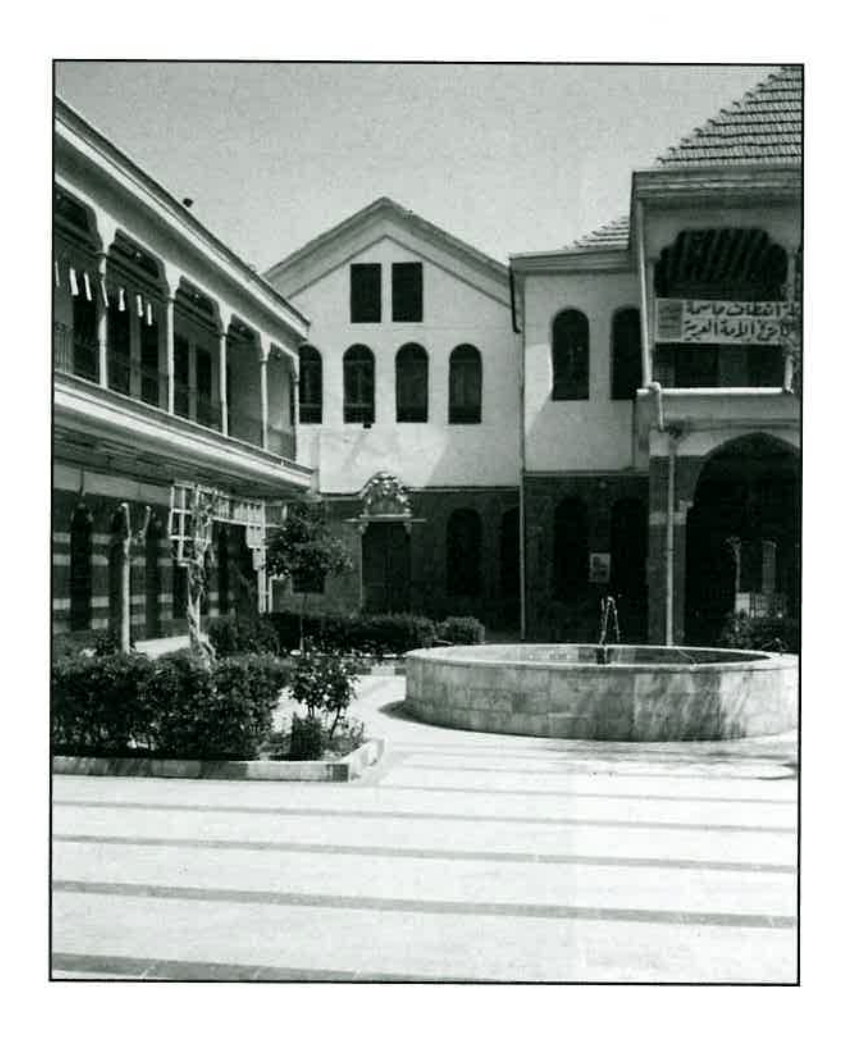
"وليس هناك أي غرفة تكشفها نظرة الجار إذ أن كل النوافذ تطل على الفناء الداخلي .. بالإضافة إلى صغر حجم النوافذ الخارجية وارتفاعها واستعمال المشربيات لإعاقة الرؤية إلى داخل البيت .."

وقد جاء تصميم هذه الفتحات مراعياً لما جاء في الآية الكريمة رقم /٣٠/ في سورة النور :

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ..﴾



الجدران الخارجية المصمتة لبيوت حي الحمراوي



إطلالة النوافذ على الفنـــاء (مكتب عنبر)

٤ - الفصل بين جناح الحريم وجناح الاستقبال :

جاء الفصل بين جناح المعيشة (حرملك) وجناح الاستقبال (سلاملك) توفيقاً مع ما جاء في الآية الكريمة رقم /٣١/ في سور النور :

﴿ولايُبْدِينَ زينتَهُنَّ إلا لِبُعولَتِهِنَّ ...﴾

وقد جاء تحقيق هذا الفصل واضحاً في البيوت الدمشقية الكبيرة وفي القصور أيضاً ، وذلك ليحقق راحة المرأة في لباسها وتحركها في بيتها بدون رقيب أجنبي عليها .

٥- التوجيه نحو القبلة :

جاء التصميم العام للبيت الدمشقي بفكرة التوجه إلى القبلة لأمرين هامين :

آ- توفيقاً لما جاء في مفهوم الآية رقم /١٧/ في سورة الكهف :

﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ..﴾

يتبين لنا مدى أهمية توجيه غرف البيت الأساسية نحو القبلة أي إلى الجهة الجنوبية حيث تقل زاوية ميل أشعة الشمس في الشتاء فتدخل أشعتها إلى عمق الغرف فتساعد على إضاءتها وتنقية هوائها وتدفئتها .

ب- توفيقاً لما جاء في الآية الكريمة رقم /٨٧/ من سورة يونس :

﴿ واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة ...﴾

جاء الاهتمام بتوجيه البيت نحو القبلة لتسهيل عملية إقامة شعائر الصلاة ، عدا عن أنه جاء التأكيد في صدر الإيوان على القبلة بوجود محراب صغير أو تشكيل وزخارف تعبّر عن المحراب واتجاه القبلة .

٦- المشكاة :

توفيقاً لما جاء في الآية الكريمة رقم /٣٥/ في سورة النور :

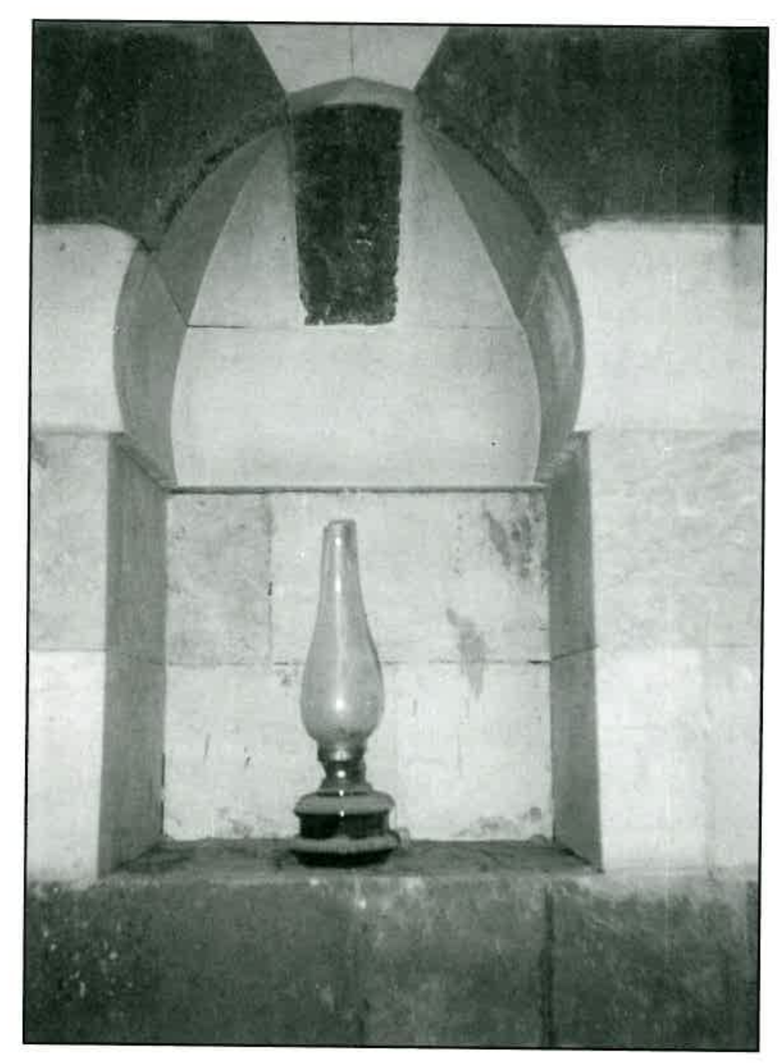
﴿ الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاةٍ فيها مصباح ..﴾

جاء وجود عنصر المشكاة أي التجويف البديع المتعدد والموجود ضمن الجدران المطلّة على صحن الدار وغيره من الجدران آية في الجمال ويحوي عنصر الإنارة المطلوب عند حلول المساء على البيت .

٧- الزخارف :

جاءت الزخارف في جميع البيوت الدمشقية مراعية لأحكام الفقه الإسلامي الحنيف الذي نهى عن صناعة التماثيل وعن تصوير ما فيه روح إنساناً كان أم حيواناً أم طيراً ، كما يحرم صنع التماثيل والصور واقتناءها ووضعها في البيت توفيقاً لما جاء في الحديث الشريف : ☆"يا عائشة ، أشدُّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يُضاهون بخلق الله..." ، فلذلك برع الحرفيون الدمشقيون في إبراز الزخارف النباتية والخطوط الهندسية البديعة والكتابات فجاءت آية في الجمال والتكوين الهندسي البديع الذي ظهر على الجدران المحيطة بصحن الدار وحول الفتحات وعلى جدران القاعات والإيوان وفي الأسقف وغيرها..

☆ رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة ، ورواه الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب تحت عنوان: الترهيب من تصوير الحيوانات والطيور في البيوت وغيرها.



المشكـــاة
بيت خالد بك العظم



زخارف اسلامية
إيـــوان بيـــت
خالد بك ا لعظم

٨-المناسيب:

تعددت المناسيب المختلفة في بعض الغرف في البيت الدمشقي ، فتارة تظهر في الإيوان ، وتارة تظهر في القاعة الرئيسية للبيت ، حيث جعل المنسوب الأسفل مسموح وطؤه بالأحذية ، والمنسوب الأعلى يُفرش بالسجاد ويُمنع وطؤه بالأحذية حيث جلوس الضيف أو صاحب الدار ، وذلك للمحافظة على النظافة التي شدد عليها الشرع الإسلامي الحنيف ، وأمر بها الحديث الشريف : "النظافة تدعو إلى الإيمان"☆

☆ رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن مسعود

وختاماً إذا رجعنا إلى ما جاء في الفقه الإسلامي فيما يخص المسكن ، نرى أنه حضّ الرجل على تأمين المسكن الملائم والصحي المشتمل على الأثاث المطلوب ، بما يكفل المؤونة والحياة المستقرة لأهل البيت والمستقلة عن أي عامل خارجي ، والذي يتناسب مع أحوال الزوجة والزوج ، فقد جاء في **كتاب الفقه على المذاهب الأربعة** ما يلي :☆

☆ الجزيري ، جـ٤ ، ص٥٤٦-٥٤٨-٥٤٩-٥٥١-٥٥٢

– **السادة الأحناف قالوا :** وأما السكنى فإنه يجب عليه (أي على الزوج) إسكانها (أي الزوجة) في منزل لائق بحالهما ...

... ويشترط في المسكن أن يكون مشتملاً على جميع المنافع اللازمة من دورة مياه ، ومطبخ ، ومنشر ونحو ذلك مما تقدم ..

ويجب عليه أن يحضر في المسكن جميع الأدوات اللازمة له ...

– **وأما المالكية فقالوا :**

أما المسكن فإنه يشترط فيه أن يكون مشتملاً على المنافع اللازمة ... وأن يكون للزوجة محل خاص بها بحيث لا يمكن لأحد من أقاربه الإطلاع على عورتها التي تريد إخفاءها عنه .

– **وأما الشافعية فقالوا :**

ويجب لها مسكن يليق بحالها ...

– **وأما الحنابلة فقالوا :**

وأما المسكن فإنه يفرض لها حسب حالها ، بحيث يكون مشتملاً على الأدوات المطلوبة من آنية وفرش على الوجه المتقدم .

وبما أن الفقهاء الكرام "وكلهم من رسول الله ملتمس ..."
فإنّنا نجد أن الشرع الكريم قد أمر الرجل بتأمين المسكن اللائق بالزوجة وكل ماتحتاجه فيه وتأمين الخصوصية والحرمة فيه .

فلذلك جاء البيت الدمشقي بأبهى صورة ليعبر عن هذا المفهوم الراقي .

المناسيب

- قاعة قصر العظم -



الــزخــارف

- قاعة قصر العظم -



٣- العامل الجغرافي

☆د. بهنسي ، دمشق الشام ، ص٣١-٣٢

☆كان موقع مدينة دمشق في البقعة التي توزعت فيها مياه نهر بردى وفروعه ، تحتضنها بساتين الغوطة ، ويحيط بالغوطة من الشمال والغرب جبال جرداء هي جبال قاسيون والمزة ، ومن الشرق البادية القاحلة ، ومن الجنوب مناطق قاحلة .

أما طبقات المدينة الجيولوجية فإنها تتدرج بشكل منتظم من أعالي قاسيون وحتى السفح مبتدئة بالعصر الكريتاسي وفتراته حتى الباليوجين ، ثم يبدو السفح كله من العصر الرابع .

ويُعتقد أن ثمة بحيرة كبيرة كانت قد تكونت في أرض المدينة بالإضافة إلى رواسب العصر الرابع ورواسب نهر بردى ، وجعلت هذه الأرض صالحة للزراعة الخصبة .

ونظراً إلى قلّة الحجارة وبعد المقالع الحجرية نسبياً عن المدينة ، فإن البيوت الدمشقية اعتمدت على الطين والآجر والخشب لإقامة الجدران والأسقف والتغطيات .

وقد استعمل الحجر في البيوت والقصور الفخمة وفي الأسس والجدران الأرضية للبيوت العادية ، وهذا الحجر المستعمل بازلتي أسود أو من الحجر الجيري بلونيه الأصفر العاجي والأبيض الضارب إلى الحمرة .

وأما الطين المستعمل فهو طين مدكوك على الطريقة الريفية أو الطين المغطى بالبياض الأصفر الداكن .

عدا عن خشب الحور والجوز وغيره المطلي باللون الأحمر أو الأصفر أو الأخضر كل هذا يعطي إحساساً بالتناسق بين هذه الألوان الدافئة . ☆

☆د. خير ، دمشق ، ص٣٩١

وعموماً فإن الأجزاء السفلية من البناء أي جدران الطابق الأرضي للبيت مشيدة بالحجارة الغشيمة وملفحة بالحجارة النحتية ، وأما الطابق العلوي فمشيد بالخشب والطين كلياً .

وختاماً لقد تكونت مدينة دمشق بصورة منسجمة مع الضرورات المناخية ومستجيبة لمتطلبات الإنسان الذي يعيش في هذه البيئة الجغرافية .

٤ - العامل الاقتصادي

تتشابه البيوت الدمشقية بجميع مستوياتها من الخارج حيث الجدران الصماء ، ولاتستطيع سوى عين المعماري الخبيرة اكتشاف مستوى البيت من الخارج بظهور بعض العناصر المعمارية وكبر واجهة البيت على الشارع أو الزقاق .

وقد انعكس العامل الاقتصادي على مساحة البيت وصحن داره وعلى عدد غرفه وكبر مساحتها وعلى اكتمال عناصر البيت الأساسية والتفصيلية وعلى مستوى الحجر المستعمل في البيت ونوعيته وزخرفته . وكذلك انعكس على كمية الزخارف ونوعيتها بدءاً من مدخل البيت إلى الواجهات المحيطة بصحن الدار والزخارف المحيطة بالأبواب والشبابيك والمشكاة . وانعكس كذلك على الأرضيات بأشكالها الرخامية والحجرية الهندسية وعلى برك المياه ونوافيرها ومواد إنشاءها وكذلك على التغطيات الخشبية للجدران والأسقف بكل زخارفها وألوانها إلى غير ذلك .

وجاءت قصور الولاة كقصر العظم في المرتبة الأولى في العهد العثماني وبعدها بيوت خالد العظم والسباعي ونظام وغيرها التي تعددت فيها صحون الدار وحوت جميع العناصر المعمارية والزخرفية بكل تفاصيلها والأقسام الرئيسية للبيت أي السلاملك والحرملك والخدملك . وجاء بعدها بيوت التجار والحرفيين ، فاقتصر البيت الدمشقي على صحن واحد للدار . واحتوى على كامل العناصر المعمارية من قاعة وإيوان وغرف مختلفة وكامل العناصر الزخرفية الأخرى .

والنوع الأخير بيوت عامة الناس والعمال حيث حافظ على تصميم البيت الدمشقي من حيث وجود الصحن وما حوله من غرف ولكن بمساحة أصغر وشبه اختفاء للزخارف .

الفصل السادس

عناصر تصميم البيت الدمشقي

عناصر تصميم البيت الدمشقي

المخطط العام للبيت الدمشقي

☆ شربجي ، العناصر المعمارية المميزة في البيت الدمشقي ص١٦،١٩،٢٠

☆ أول ما يواجه الداخل إلى منزل دمشقي هو الطابع المتواضع لمدخله ، ممر ضيق ، منخفض السقف ، ينكسر بزاوية قائمة في نهايته لينفتح على صحن الدار الرحب مع بركة في منتصفها ونافورة منبثقة من مركز هذه البحرة ترسل رذاذها دائماً ، وحولها انتشرت تشكيلة من الأشجار ، أهمها عادة الليمون والنارنج والكباد ، وبعض شجيرات الورد منسقة بذوق في زوايا الباحة .

يقوم في جنوب الباحة السماوية قوس واسع مفتوح عليها هو الإيوان ، ويبلغ ارتفاع طابقين ولايعلوه بناء آخر ، هذا الإيوان مزين عادة برسومات نباتية تؤطر قوسه ، وأما داخله فهو عبارة عن فراغ مسقوف مربع أو مستطيل المسقط أرضيته مرخمة وعلى مستوى الباحة لمسافة قصيرة ، ثم ترتفع بمستوى درجة أو أكثر عن مستوى الباحة ، أما الشريط الضيق على مستوى الباحة فهو عبارة عن ممر يصل بين قاعتي الاستقبال الواقعتين في جانبي الإيوان في حين يشكل القسم المرتفع من الأرضية طرازاً مفروشاً بالدواوين من أطرافه الثلاثة مشكلاً غرفة المعيشة الصيفية الأكثر استعمالاً في المنزل .

تقابل هذا الإيوان عبر الباحة القاعة الرئيسية وهي تغطي كامل واجهة الديار الجنوبية بصفّين متتاليين من الفتحات ، نوافذ بقياس الأبواب على ارتفاع ضئيل فوق الأرض ، وتليها نوافذ أصغر قياساً فوقها . أما مخطط القاعة النموذجي فهو على شكل حرف T ويطابق مخطط المندرة في المنازل القاهرية مما يدل على أصل واحد .

هذا المخطط مكون من مربع على مستوى أرضية الباحة (العتبة) التي تحتوي في مركزها على فسقية مع نافورة .

ويحد العتبة من الجهات الثلاث ماعدا المدخل إلى الباحة ثلاث طزر مرفوعة عن مستوى أرضيتها بارتفاع درجة ، وأرضيتها مغطّاة بالرخام ، أما أسقف الطزر فهي مستوية ومحمولة على عوارض خشبية ، هذه الأقسام من السقف تفتح على سقف العتبة بثلاثة أقواس حجرية.

أما الجناحان الشرقي والغربي للباحة فقد احتويا على غرف استقبال إضافية كالمربع والصالة ومنطقة الخدمات التي تشتمل على المطبخ والمرحاض وبيت

المؤونة الذي هو عادة على منسوب نصف مدفون في الأرض بالإضافة إلى عدد من الأدراج المؤدية إلى الطابق الأول .

ويتكون الطابق الثاني عادة من رواق مغطى يدور حول الأجنحة الثلاثة الشماليّ والشرقي والغربي رابطاً الغرف المتعددة ببعضها عبره ، أما الجناح الجنوبي فهو مشغول عادة بالإيوان المرتفع بدون طابق ثانٍ فوقه ، وأحياناً عولجت القاعة الرئيسية المقابلة للإيوان معالجته نفسها وغطت ارتفاع طابقين مما أدى إلى تقسيم الطابق الثاني إلى جناحين منفصلين يصعد إليهما من درجين في الطابق الأرضي .

خصصت غرف الطابق الثاني لوحدات عائلية مختلفة للعائلة الكبيرة وقد أمكن ذلك بفضل انفصالها عن بعضها في مجال الحركة وانفتاحها كلها على الرواق ، وفي بعض المنازل الدمشقية أضيفت غرف على سطح الطابق الثاني سميت (بالطيارة) . كأصدق تعبير عن وضعها المعماري ، وقد غلفت من ثلاث جهات بالنوافذ الزجاجية واستعملت صيفاً وشتاءً كغرفة معيشة .

I عناصر التوزيع العـــــام

وللبيت الدمشقي عناصر رئيسية عامة وعناصر داخلية تفصيلية .

١- السلاملك أو جناح الاستقبال - الرجال - (البرّاني) .
٢- الحرملك أو جناح المعيشة - الحريم - (الجوّاني) .
٣- الخدملك أو جناح الخدمة - الخدم .

١- جناح السلاملك :

وهو الجناح المخصص لاستقبال الضيوف ، والذي يحتل الجزء المباشر والقريب من مدخل البيت العام .

ويتوسط هذا الجناح صحن واسع ببركته ونافورتها الجميلة وما فيه من أشجار ، وتطل غرف هذا الجناح جميعها عليه ، وأهمها القاعة والإيوان بمختلف مستوياتها وتعدد مناسيبها .

٢- جناح الحرملك :

وهو الجناح المخصص لمعيشة الأسرة ، نصل إليه بمسار متعرج من جناح الاستقبال لتأمين الخصوصية والسترة .

ويتوسط هذا الجناح أيضاً صحن واسع ببركته ونافورته ومزروعاته ثم الغرف حوله ، وأهمها القاعة والإيـوان حيث يتقابلان من الشمال والجنوب ، ثم المطبخ والخدمات . وقد استغني عن إنشاء القسم الخاص بالحريم عندما اعتاد الناس على بناء الطابق العلوي في الجهة الشمالية من الباحة فخصص لهن .☆

☆ الحوليات ١٩٥٣ مجلد ٣، مقال العش ،٤٨

٣ - جناح الخدملك :

وهو الجناح المخصص للخدم ، من حارس وخادم وطاهٍ وسائسٍ وغيره ، حيث تتجمع غرفه الصغيرة من مطبخ وغرفة مؤونة وحمام ودورة مياه وغرف الخدم وغيرها على صحن صغير وبركة صغيرة ، ولهذا الجناح مدخل خلفي خاص ، ومنه باب يؤدي إلى الاصطبل وهو غالباً ما يأخذ فراغاً منزوياً بعيداً عن أنظار الزوار ، فمن المعلوم أن عملية التموين تأخذ طابعاً سرياً ، لذلك غالباً ما تأخذ مداخل المستودعات والمؤن مداخل جانبية مخفية .

هذه العناصر الثلاثة الرئيسية ظهرت بهذا الترتيب في بيوت الولاة والأغنياء في طابق أرضي واحد وصحون ومداخل متعددة . وأما بيوت العائلات الدمشقية فقد جاء ترتيب هذه العناصر في طابقين أو ثلاثة بصحن واسع ومدخل واحد على الشكل التالي:

١) الطابق الأرضي :

جناح الاستقبال ، ويضم في الجهة الشمالية القاعة ، وفي الجهة الجنوبية الإيوان وقاعتين على جانبيه ، ثم المطبخ والخدمات ودرج ينزل به للقبو ، ودرج يُصعد به إلى الطابق الأول . وجميع هذه العناصر يتوسطها الصحن الواسع بجميع تفاصيله .

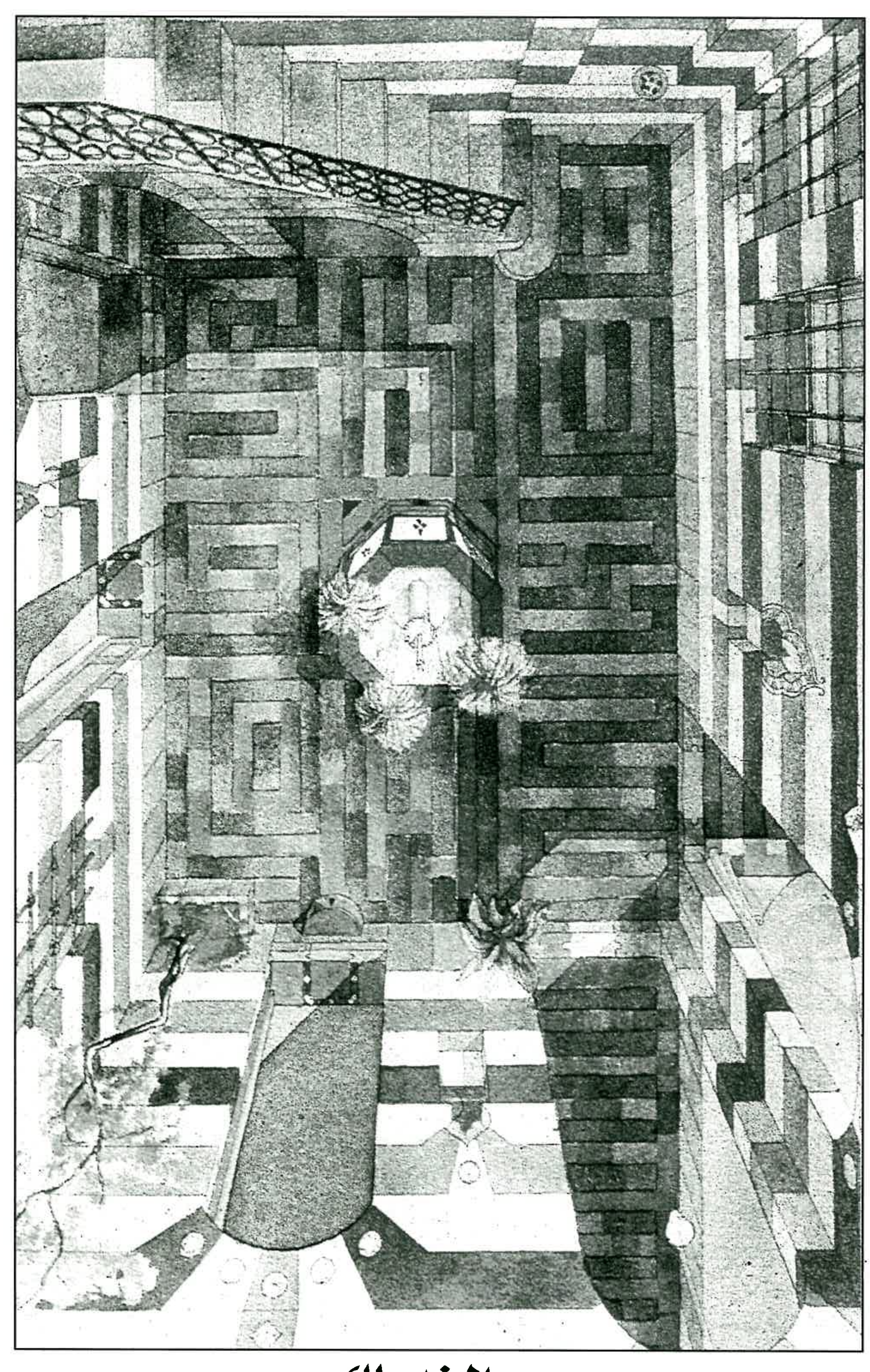
٢) الطابق الأول :

جناح المعيشة ويضم الغرف المتعددة لسكن العائلة والتي تفتح على رواق مظلل يطل على صحن البيت ، وهي تطل على الجهة الجنوبية لاستقبال أشعة الشمس في الشتاء ، وأحياناً تأتي غرف أخرى تجانبها أو تواجهها .

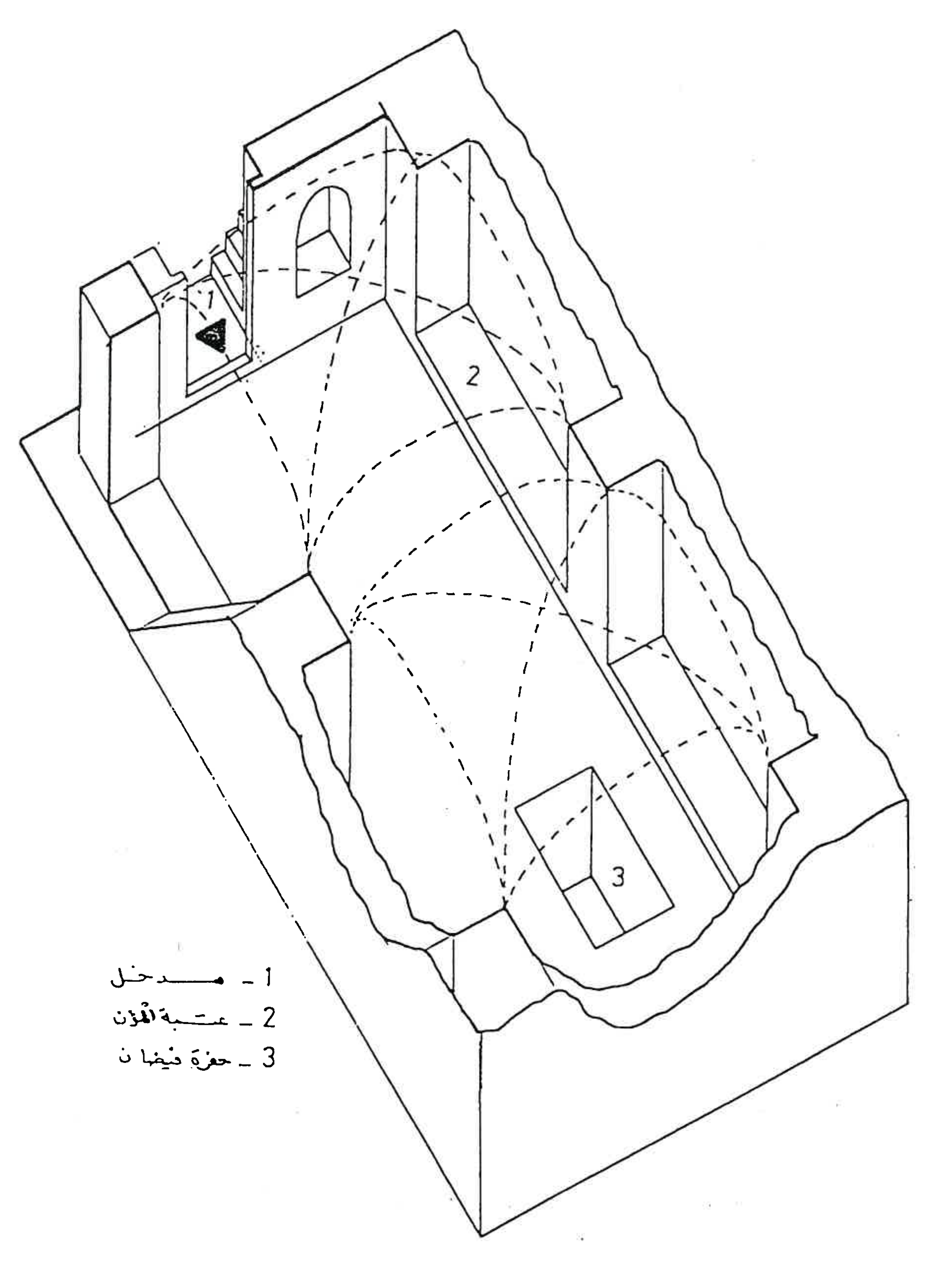
ويصعد إليه بسلالم حجرية مخفية في مكان مسقوف أحياناً ، أو ظاهرة في بعض جوانب الصحن ، مزودة بدرابزين من الحديدأو الخشب ، ويلاحظ زيادة ارتفاع واقفات الدرج عن الحد المألوف . وتكثر الفتحات في الطابق العلوي رغبة في مزيد من النور والشمس والإطلالة على الصحن حتى أصبحت تؤلف واجهاتها سلسلة من الشبابيك الزجاجية ، وقد زود بعضها بإيوان صغير للجلوس ، وزود البعض الآخر بممر مسقوف أمام الغرف يطل على الصحن للوصول إلى سائر غرف الطابق العلوي باستخدام درج واحد كما في بيت الشيخ بدر الدين الحسني بحارة النقاشات .

٣) القبـو :

ويضم غرفة أو أكثر لتخزين المؤونة والمياه . حيث تستقر فيه الحرارة ضمن حدود الاعتدال ، ويقام غالباً تحت مستوى القاعة المرتفعة عن صحن الدار ، وينزل إليه بدرج ، والقبو عبارة عن غرفة أو قاعة مسقوفة بقبوة ، ولها نوافذ على الصحن في مستوى الأرض في أسفل واجهة القاعة ، ويُستفاد منه في حفظ المؤن بسبب ما يحتفظ به من الرطوبة .



الخدملك



بيت المؤونة
القبو

II عناصر التوزيع الداخلية

أهم العناصر هي :

١) المدخل

٢) الصحن

٣) الإيـوان

٤) القاعة

٥) المطبخ

٦) الحمامات

٧) دورات المياه

٨) غرف النوم

٩) السطح

١ - المـدخـل

يتم الدخول إلى البيت من باب خارجي رئيسي في ركن واحد من الجدران الخارجية ينفتح إلى الداخل ، ويُغلق بمصراع واحد من الخشب المصفّح بالحديد والمسامير ، مـزود بمطرقة أنيقة من حديد أو نحاس ، وينفتح في هذا المصراع غالباً باب صغير يسمى خوخه كما في باب قصر العظم يستعمل للدخول في الأحوال العادية .

وأما الدخول إلى البيت العادي فمن باب خارجي صغير متواضع مزخرف أو بلا زخارف بعرض حوالي ٨٠-٩٠ سم .

وأول ما يلي الباب هو المدخل الذي يتّصل بقاعة صغيرة أو دهليز يصل للداخل .

ويكون الدهليز على الأغلب طويلاً وضيقاً وأحياناً متعرجاً لتحقيق غاية الفصل والسترة وتهيئة أهل الدار للاستقبال . ويؤدي هذا الدهليز إلى صحن الدار مباشرةً .

☆ جحا ، البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي

☆ وعموماً يعتبر المدخل من العناصر المعمارية الرئيسية المكونة للبيت الدمشقي فهو يمثل عملية الربط (الانتقال) بين الخارج (الحارة) والداخل (الفناء) ، وهو همزة الوصل الوحـيدة مع فعاليات الحياة الاجتماعية الخارجية فهو ينقل من جو الخارج (الحارة) إلى جو البيت إلى الخصوصية والغنى .

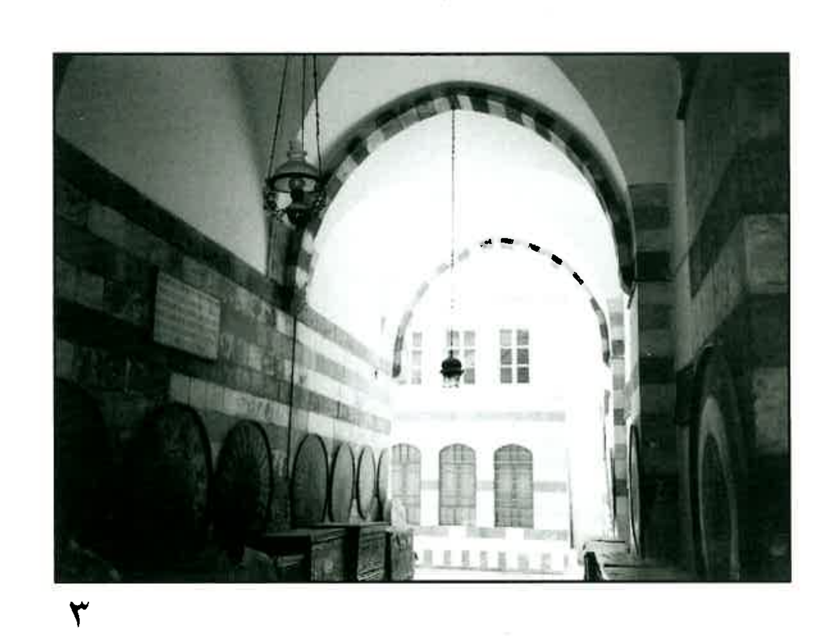


١

المدخـــل في قصـــر العظـــم



٢



٣

وتقع مداخل بيوت الحمراوي مثلاً في مكان لايفسح المجال لولوج النظر إلى الداخل ، ويعتبر زينة الأزقة والدروب .

وغالباً ما يعلو أبواب بيوت الحمراوي أطر تصنع من حجارة البازلت أو الحجارة الكلسية ، وغالباً ما يعلو الباب زهرة هندسية منفذة بطريقة الحفر النافر أو كتابات كوفية تفسح المجال للخشب لأن يتقلص ويتمدد في ظل الظروف المناخية المتقلبة .

أما مصراعا الباب فمصنوعان من خشب الزيتون ويفتحان نحو الداخل وهما صغيرا الحجم أبعادهما تتراوح بين (٨٠-٩٠) سم ، ولكنها تتجاوز هذا الحد في بيوت الأثرياء .

☆جحا ، البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي

☆ العناصر الرئيسية المكونة للمدخل :

يتكون المدخل من العناصر التالية :

- **باب الدخول** : يتألف من مصراعين من خشب الزيتون أو غيره ينفتحان نحو الداخل ، يحيط بهما إطار من مداميك الحجارة المتناوبة ، ويوجد مندلون فوق الباب لتأمين الإنارة لفراغ الدخول .

- **فراغ المدخل** : هو الفراغ المهيء للدخول إلى البيت وهو الفراغ الذي يؤمن الربط بين فراغ الحارة وفراغ الباحة ، وغالباً ما يكون منسوب فراغ المدخل أكثر انخفاضاً من فراغ الحارة وله عدة أشكال .

- **الفتحة المؤدية إلى الباحة** : هي الفتحة التي تصل فراغ الدخول بفراغ الباحة،وتكون عادة مساوية لحجم باب الدخول،لكن دون وجود باب، يعلوها قوس حجري .

☆جحا ، البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي

☆ النماذج :

يمكن أن نصنّف أشكال المداخل وطرق ربطها إلى ثلاث أصناف :

أ- المدخل على شكل دهليز طويل مستقيم دون تغير محور الدخول :

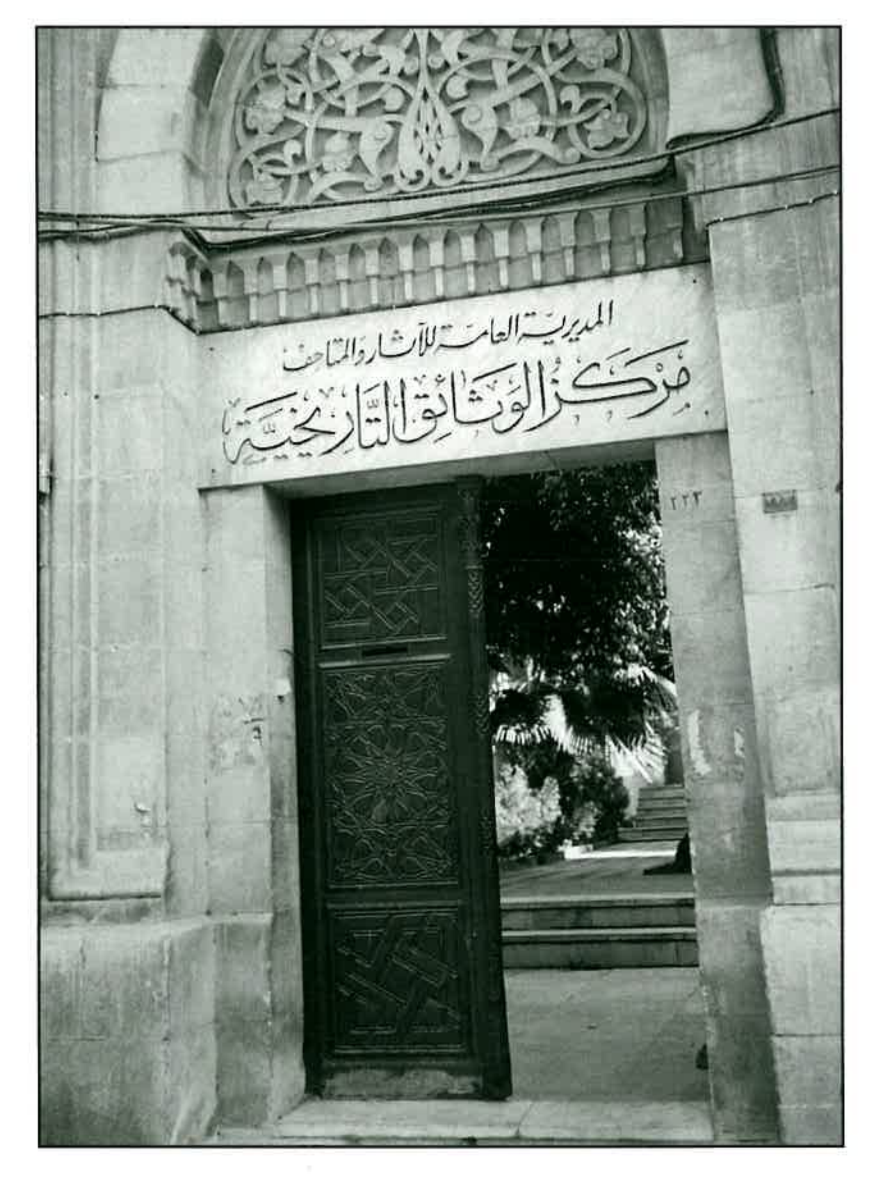
أ-١ : الفتحة المؤدية إلى الفناء طرفية (من زاوية الفناء) كما في بيت طيفور والأسطواني .

أ-٢ : الفتحة المؤدية إلى الفناء وسطية كما في بيت سعدة .



صحـــن الدخـــول

المـــدخل فـــي
بيت خالد بك العظم



البـــاب

ب- المدخل على شكل بهو مغلق :

ب-١ : البهو كبير نسبياً ويحوي بعض العناصر " الدرج ، دورات المياه" كما في بيت الوكيل ، جمعة .

ب-٢ : البهو صغير جداً ويمكن اعتباره كموزع كما في بيت حلبي والسادات.

ج- فراغ المدخل على شكل دهليز متعرج مع تغير محور الدخول ، وقد وجد في أحد البيوت، ويصب على الفناء من زاويته ، والملاحظ أن جميع المداخل تصب على الفناء بطريقة غير مباشرة وعن طريق فراغ الدخول .

☆جحا ، البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي

☆ **النتائج :**

١- يمكن أن نستنتج من الدراسة السابقة أن هناك ثلاثة أصناف للمداخل

١- على شكل دهليز طويل مع تغير محور الدخول .
٢- على شكل دهليز دون تغير محور الدخول .
٣- على شكل بهو مغلق .

٢- منسوب فراغ الدخول والبيت كله أكثر انخفاضاً من منسوب الحارة ومستوى الطريق ، وذلك لأن موقع الطالع بالنسبة إلى البيوت كان يجب أن يكون أعلى منها كي يكون بالإمكان سيلان الماء إلى البيت بسهولة .

٣- غالبية المداخل تكون من زاوية البيت أي يمكن أن نسميه زاوي أو طرفي، وذلك للحفاظ على خصوصية المسكن فالمار في الشارع لا يمكن أن يرى ما في داخل البيت .

٤- الدخول إلى الفناء جانبي من زاوية الفناء في غالبية البيوت يسمح للداخل باستيعاب الفراغ منظورياً وبأبعاده الثلاثة كما أن توضع البحرة في الفناء وعلاقتها مع المدخل أغنت المنظر برؤية الماء في البحرة ، ويساعد على ذلك النباتات والأشجار والواجهات الجميلة المزينة بالأقواس والأبواب والنوافذ والمداميك الحجرية المتبادلة الألوان .

٥- المدخل هو الاتصال الوحيد مع فعاليات الحياة الاجتماعية الخارجية فإنّهم استمدوا النور والهواء من الفناء وسوف يتم ذكر الأسباب في الفصول القادمة.

٦- نجد عدم تقابل أبواب البيوت في الحارات وذلك للخصوصية وعدم كشف ما بداخل البيت عند فتح الباب .

٧- نجد أن البيت الدمشقي ذو طابع متواضع المدخل وغني من الداخل .

الباب



المدخل في بيت زين العابدين

بهو الدخول



٢ - الصحن

☆ الحوليات ١٩٥٣ ، مجلد ٣ ، مقال العش ص٤٩

هو القسم الأساسي في البيت ، وبدونه لا يمكن أن تكون الدار عادية مألوفة ، فهو جنة أهل البيت ومنتزههم في الصيف والشتاء ، وموضع عنايتهم من ناحية الترتيب والنظافة والزينة.☆

تختلف مساحة الصحن وتفاصيله المعمارية حسب مستوى البيت ، من صحن كبير مبلط بزخارف رخامية ملونة بديعة وبحرة كبيرة رخامية ، إلى صحن أصغر مبلط بتشكيلات حجرية سوداء وغيرها ، وبحرة متوسطة حجرية أو رخامية عدا أحواض الزهور والأشجار المحيطة بها .

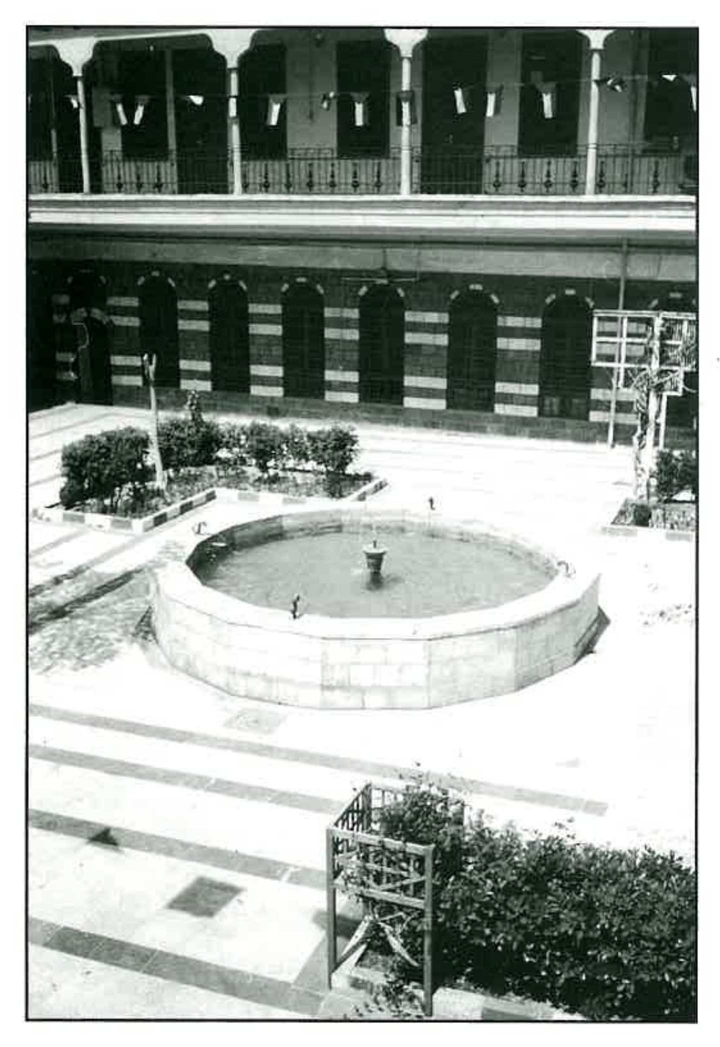
ويعتبر صحن البيت من أهم مميزات عمارة البيوت الدمشقية والإسلامية ، التي تجعل هذه العمارة أكثر انسجاماً مع ظروف المناخ ، لأن مستوى حرارة الصحن لا يتأثّر بتيارات الجو الخارجية ولذلك فإن الفرق الحراري فيها ضئيل .

ولأن الغرف المحيطة بهذا الصحن تنفتح عليه فإن هذه الغرف تبقى أيضاً محتفظة بحرارتها دون أن تتأثر بتقلبات الطقس الخارجية . وعدا ذلك فإن الصحن يسمح بظلال على امتداد النهار كما أنه يحتفظ بهواء نظيف غير ملوث .

وأما الجدران المحيطة بالصحن فهي مغطاة بالتزيينات الهندسية المحفورة على الحجر الأبيض النحيت والمملوء بالجص الملون ، يتخللها أحياناً حجارة صفراء ناتئة مزخرفة بزخارف بارزة . ويحيط بالتزيينات جميعاً خيط زخرفي إسلامي من الحجر الأصفر المضفور . كما يوجد حول أبواب القاعات ونوافذه المطلة على الصحن أقواس ومشكاة فيها مقرنصات أو تزيينات نباتية بارزة على الحجر الأصفر .

إن مصممي البيت الدمشقي اتبعوا نظاماً معيناً في تقسيم الجدران من أجل تعيين مواضع فتحات الأبواب والنوافذ والمشكاة الصغيرة الموجودة بين نافذة وأخرى وبجانبي الباب وأعلاه . كما يراعى على الأغلب التناظر في تصميم القاعات والأبواب والنوافذ والكوى حتى في الدرجات الموجودة أمام أبواب القاعات الشتوية التي تكون أكثر ارتفاعاً من غيرها . كما يوجد درجٌ ذو شاحط أو شاحطين يؤدّيان إلى قاعة مرتفعة مطلة على صحن البيت .

ونستطيع أن نقول إنّ صحن البيت عالم آخر يتناقض مع البيئة الخارجية للبيت فهو يحجب عن الساكن جميع عوامل الطبيعة الخارجية ويترك له التمتع المطلق بالسماء ، وفيه الماء عبر الحوض والبئر والزخارف الحجرية على جدرانه وفوق شبابيكه وأبوابه .



صحن السلاملك ـ مكتب عنبر ـ



صحن السلاملك ـ بيت خالد بك العظم

وتأتي النباتات في البيت الدمشقي على نوعين : أولهما نبات الزينة كالورود والياسمين والفل والزنبق وغيرها ، وثانيهما شجر الحمضيات كالكباد والبرتقال والليمون والنارنج وشجر التوت والرمان والكرمة وغيرها .

استقر الإنسان خلال مراحل تطوره في مجتمعات سكنية كانت من خلال حجمها وموقعها وتقسيمها تعبيراً صريحاً عن البنى الاجتماعية فيها .

فأتت البيوت الدمشقية بانفتاحها نحو الداخل مثالاً على التعامل الأفضل مع بيئة البحر المتوسط ، فارتبط وجود الفناء في البيت ارتباطاً وثيقاً بالبيت الدمشقي ، وقد شكل عنصراً أساسياً في تصميم البيت وجوهره الرئيسي ، فالباحة وسط الدار تؤمن فراغاً منفتحاً ومحمياً في آن واحد ، منفتحاً على السماء والضوء والنسيم ، فاستمد النور والهواء إلى الفراغات ، ومحمياً من أشعة الشمس المباشرة ونظرات الفضوليين ، وهذه الباحة تتيح للعائلة الاجتماع فيها مع احتفاظها بخصوصيتها والتنقل بين سائر أجزاء المنزل .☆

☆جحا ، البيت الدمشقي الكبير

ونستطيع أن نقول إنّ الصحن في البيت الدمشقي عنصر رئيسي وله مكانة كبيرة في أسلوب السكن والمعيشة ، يفاجأ الداخل إليه بإحساس الانتقال المفاجئ من إطار البساطة إلى جو غني بكل مظاهر الجمال والبهجة لما يراه في الصحن وعناصره والواجهات المحيطة به من عناية فائقة معمارياً وفنياً . وفي وسط الصحن بركة ماء مستطيلة أو مربعة أو مضلعة ، تخرج من وسطها نافورة يتساقط الماء منها بصوت كصوت المطر وليس يسر الإنسان المسلم أكثر من رؤية الماء والخضرة . وفي أركان عديدة من الصحن توجد الأشجار وعرائش الكرمة والياسمين وأحواض الزهور .☆

☆د. الريحاوي ، المجلة العربية للثقافة ، ص١٢٩-١٣٠

ونوجز وظائف الصحن بالنواحي التالية :

١- الناحية الصحية :

يمد الصحن أقسام البيت بالنور والهواء وأشعة الشمس ويلطف من برودة الجو شتاءً وحرارته صيفاً . يتحول إلى خزان كبير للهواء البارد في ليالي الصيف فيمد أقسام البيت ببرودته حتى ساعات متأخرة من النهار . وبالعكس فإنه يحتفظ في الشتاء بدفء النهار المشمس ليمدّ به غرف البيت ساعات بعد غياب الشمس ،ويؤمن الصحن التهوئة دونما تلوث عن طريق تكوين تيار هواء مستمر بين الداخل والخارج .

٢- الناحية الاجتماعية والنفسية :

يعتبر الصحن النافذة التي يطل منها الإنسان على الكون اللانهائي تظلله على الدوام قبة السماء بشمسها ونجومها وغيومها . ويحس فيه بالحرية المطلقة والهدوء والطمأنينة . والصحن مكان التقاء أفراد الأسرة وتعاونهم ومكان للجلسات الصباحية

والمسائية ، واللقاءات الاجتماعية فهو أحسن مكان رحب لمناسبات الأفراح والأتراح.☆

☆ د. الريحاوي ، المجلة العربية للثقافة، ص١٣٠

٣- الناحية الدينية :

يُساعد الصحن الأسرة على السترة والخصوصية بعيداً عن أعين الناس وسمعهم في الخارج ، واستعماله للضيوف يسمى صحن السلاملك أو الضيوف (براني) ، واستعماله للمعيشة يسمى صحن الحرملك (جواني) ، واستعماله للخدمة يسمى صحن الخدملك (خدم) .☆

☆ حسحس وابن زرد ، الفناء والإيوان في البيت الدمشقي ص١٥

٤- من الناحية البيئية :

ساعد ظهور الفناء في تأمين مناخ مناسب فعمل على خفض درجة الحرارة في الظل وتلطيف المناخ .

وقد وجدت فيه أشجار دائمة الخضرة وأحواض زهور وتوضعت البحرة فيه أمام الإيوان ، أما أرضية الفناء فنفذت من الرخام والحجر السماقي والحجر المزي والبازلتي التي لعبت دوراً في تحقيق التوازن الحراري في البيت ، أما المساحة العقارية فقد تحكمت بشكل الباحة السماوية والبيت ، فمساحة الباحة وحجمها تبعتا مساحة العقار وحجمه بشكل علاقة طردية .☆

☆ جحا ، البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي

ويمكن تصنيف الباحة إلى ثلاث فئات : ☆

☆ جحا ، البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي

١- شكل الباحة السماوية قريب المستطيل :

– ضلعه الطويل متوضع باتجاه شمال جنوب .

مثال : (العقار ٧/٥٦٨ ، بيت الأسطواني) – (العقار ١٠/٥٧٢ ، بيت جمعة)·

(العقار ٩/٥٧٢ ، بيت سعدة) – (الباحة الثانوية للعقار ٦/٥٦٨ بيت السر أميني) .

وهذا التوضّع يؤكد لنا أهمية الواجهتين الجنوبية والشمالية ، فتوضع الإيوان والقاعتين المجاورتين له على الواجهة الجنوبية المنفتحة نحو الشمال ، وتوضع القاعة الشتوية الرئيسية على الواجهة الشمالية المنفتحة نحو الجنوب عملا على إغناء هاتين الواجهتين ، بينما الواجهة الغربية والشرقية غالباً ما يتوضع عليها الخدمات والغرف الثانوية .

وبمقارنة هذه النماذج مع نماذج مختلفة من باحات البيوت الدمشقية وجد أنّها تُشابه باحات بيت "المهايني" ، "الطيبي" ، "بولاد" .

– ضلعه الطويل متوضع باتجاه شرق غرب

كما في بيت السر أميني وذلك لأن القاعة الرئيسية متوضعة على الواجهة الغربية للبيت . وهي بذلك تشابه باحة بيت " جبري" ، "البارودي" ، "السعادة" "عبد القادر الجزائري".

٢- شكل الباحة مستطيل مائل الضلع :

– ضلعه الطويل متوضع باتجاه شمال جنوب كما في بيت "طيفور" (٥٦٧) ، بيت "التيناوي" (١٢/٥٧٢) ، وهي حالة خاصة ناتجة عن الفترات المختلفة التي بني هذا البيت خلالها وكثرة التعديلات والإضافات التي لحقت به .

وبمقارنته مع بيوت دمشقية نجد أنه يماثل بيت الشربجي .

٣- شكل الباحة السماوية قريب المربع :

مثال (العقار ١٠/٥٧٢ ، بيت الحلبي والسادات) ، (العقار ٣،٢/٥٧٠ – بيت البيروتي) (العقار ٢/٥٧٢ ، بيت الوكيل) .

وبمقارنة النماذج السابقة المدروسة بنماذج مختلفة من البيوت الدمشقية نجد أنّها تُشابه بيت "لزبونا" ، "السقا أميني" ، "الدادا" .

وبذلك يمكن أن نستنتج أنّ شكل الباحة السماوية كان منتظماً رغم عشوائية الشكل العقاري .

ونلحظ أهمية هذا الجو المركزي في المنزل من الوصف الذي ورد في كثير من المنازل وهنا نورد أحدها :☆

☆ الأبيض ، الفناء الداخلي في سوق ساروجا ، ص٦

للدار صحن واسع في وسطه حوض ماء مستطيل الشكل ، ويقابل الحوض إيوان واسع وفي كل من طرفيه غرفة لها باب ينفتح على الإيوان ، ونافذة تطل على الصحن مزينة بمداميك متقاربة باللونين الأسود والأبيض . داخل الإيوان مزين بقطع القيشاني الملوّن ذو الزخارف الهندسية . وهذا البيت نموذج للبيت الذي امتزجت فيه التأثيرات المحلية مع العناصر المعمارية والزخرفية .

☆ الأبيض ، الفناء الداخلي في سوق ساروجا ، ص٦

☆وجاء أيضاً في وصف بيت آخر :

(للدار ثلاثة مداخل : المدخل الرئيسي في الجهة الشرقية يؤدي إلى دهليز مستطيل ، وينتهي إلى باحة الدار ، حيث تتوسطها بركة من الحجر مضلعة الشكل ، زينت الجدران المحيطة بالباحة بتشكيلات هندسية محفورة أو منزلة بالمعجونة الملونة ، وحول أبواب القاعات والنوافذ أقواس وكوى فيها مقرنصات وتزيينات جميلة ، تحتوي الدار إيواناً جميلاً وغرفاً وقاعات مزينة برسوم وزخارف جميلة تشبه إلى حد ما سجادات عجمية بديعة الزخارف) .

وتظهر أهمية الصحن من التسميات التي أطلقت عليه ، مثل (وسط الدار) ، (أرض الدار) ، (الديـار) ، أو (الدار) وغيرها . وهذه التسميات تؤكد على أهمية الفناء كمركز للحياة العائلية ، وتظهر هذه الأهمية معمارياً من خلال دور الفناء كوسيط بين مختلف غرف المنزل التي تفتح عليه دون أي اتصال داخلي .

☆ الأبيض ، الفناء الداخلي في سوق ساروجا ، ص١٣٣

☆ولا بد من الإشارة أنه من وظائف المأوى تحقيق الأمن والراحة والخصوصية ، وهذه الأمور لها علاقة وثيقة براحة الإنسان النفسية ، وقد وجد أنّ المنزل ذو الفناء الداخلي هو أكثر المنازل كفاءة لتحقيق هذا الاطمئنان والراحة النفسية .

إذ على الإنسان أن يحقق وقتاً من الخصوصية يتناسب مع ضغط وقت العمل الذي يقوم به حتى يستطيع أن يستعيد نشاطه ويحقق استمرار أعماله .

إذ أن المنزل هو الركيزة لجميع الأمور ، فكلما كان المنزل يحقق مواصفات الراحة العالية أعطى الإنسان الساكن فيه كفاءة أعلى ، إذ يجب أن لانكون قاطنين في منزل ونشعر أننا بحالة توتر وضيق بسبب تصميم المنزل وحجمه ، بل على المنزل أن يوصلنا إلى نقطة الراحة التي نعود بعدها إلى النشاط من جديد ، أي إلى نقطة الثبات التي تعطي دفعاً جديداً للعمل .

وقد وجد أن الفناء بما فيه من مميزات مساعدة بدرجة كبيرة يحقق هذه النقطة "نقطة الثبات" ويعطي دعماً نفسياً يوصلنا إلى السكينة والاطمئنان بما فيه من عنصر نباتي ومائيّ وجو لطيف بالإضافة إلى المنظور السماوي المتغير باستمرار .

كما أن الفناء يعطي حياة فيها تجديد يقضي على الملل الذي هو من أهم ميزات الإنسان ، فتغير موقع الشمس في النهار الواحد يُفْضي إلى استعمال المنزل وحتى الفناء كعنصر واحد بأركان مختلفة بالإضافة إلى تغيير استعمال الطوابق بين الصيف والشتاء وهذا يعطي تجديداً في حياة الأسرة بشكل دائم .

ويعطي الفناء تدرجاً في ردود الأفعال الطبيعية ، ويمنعها من الانتقال المفاجئ .. فمن ناحية النظر مثلاً ، تم الانتقال بشكل تدريجي بين الفناء ذي الإضاءة الأخف من الطريق ذي الشمس المبهرة إلى الإيوان ذي الإضاءة الأقل ، فالغرفة ذات الإضاءة الاصطناعية أو غير المباشرة ، وهذا ما يعطي العين الراحة المطلوبة كما أن الانتقال المتدرج من المكان المفتوح إلى المغلق يعطي ارتياحاً نفسياً ومن هنا نلاحظ أن الفناء مع الإيوان يعتبران مكاناً ومركزاً للاستجمام النفسي .

ويمتد التأثير النفسي للفناء ضمن الغرف أيضاً حيث يكون التأثير عن طريق الإطلالة ، وبناءً عليه فإن الفناء نفسه يرى بمنظور مختلف بحسب تواجد الساكن ضمن غرف الطابق الأرضي المختلفة ، أو الطابق الثاني . ويغلب على الفناء عادة طابع الهدوء والجمال الذي يعطي الهدوء النفسي وبالتالي الدافع إلى استمرارية الإنتاج بكفاءة أكبر .

٣- الإيــــوان

من أهم العناصر المعمارية في البيت الدمشقي وهو مفتوح على صحن البيت بالمنسوب نفسه وأحياناً بمنسوب أعلى من منسوب أرضية صحن البيت .

☆ جحا ، البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي

☆ يرجع وجود الإيوانات في الواجهة الجنوبية إلى حماس السلاجقة الديني للمذهب السني، فإنّهم اقتبسوا فكرة عمل إيوان في ظلّ القبلة في المساجد والذي ينفتح مباشرةً على الصحن .

وبذلك نجد أن الإيوان الرئيسي يهيمن على وسط الواجهة الجنوبية وهو ظليل دائماً ومخصص للاستقبال صيفاً ، وهو دائماً ذو قوس مدبب وسقف مستو يبلغ ارتفاعه طابقين لايعلوه بناء آخر وهو مزين برسومات نباتية تؤطر قوسه . أما في داخله فهو عبارة عن فراغ مسقوف غالباً ما يكون مربع المسقط أرضيته مرخمة مرتفعة عن مستوى الباحة بمستوى درجة أو أكثر .

وفي البيوت الكبيرة يوجد أحياناً إيوان آخر في الجهة الشمالية يصلح لفصل الشتاء حيث يتعرض لأشعة الشمس الدافئة . ويقع على يمين الإيوان ويساره غرفتان متقابلتان بشكل متناظر ، وأحياناً يوجد إيوان شرقي وغربي كما في بيت الشامي وعنبر .

☆ الحوليات ١٩٥٣ ، العش ، ص٥٢

☆يعتلي الإيوان قوس كبير وعالٍ مزخرف بالنقوش الحجرية النباتية بما يشبه ويتلاءم مع زخرفة جدران الصحن والإيوان . ولهذا القوس ركيزتان مزخرفتان من الحجر الصلد . ثم تتصل الزخرفة بانسجام وتوافق على جدران الإيوان وحول أبواب القاعات وحول النوافذ المطلة عليه .

☆ جحا ، البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي

☆وكان للإيوان مميزات وخصائص نجدها منطبقة في جميع البيوت الدمشقية ، فهو ذو مسقط مربع يفتح ضلعه الرابع على الفناء بواجهة قوس مخمّس مرتكز على دعامتين حجريتين.

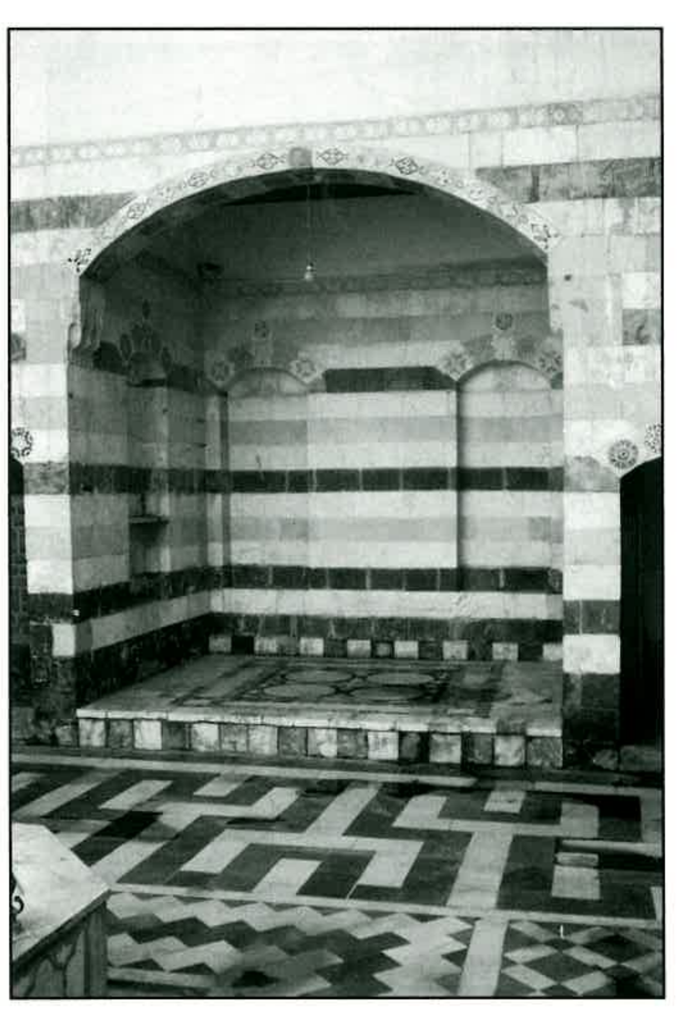
وهو مفتوح نحو الشمال دائماً وترؤسه للواجهة الجنوبية لسبب مناخي ، فهو ظليل ، والإيوان هو المتنفس الصيفي لأهل البيت ، فهو مخصص للاستقبال صيفاً ولجلوس العائلة لأنه ظليل ومحمي من أشعة الشمس المباشرة ، وفي الوقت نفسه مفتوح على الباحة يأخذ الهواء الرطب المنعش ، أضف إلى ذلك محوريته مع البحرة والباحة السماوية ، فالجالس في الإيوان يتمتع بالبحرة والأشجار وتشكيل أرضية الباحة السماوية ، بالإضافة إلى ارتفاعه العالي الذي يتيح للجالس رؤية كامل الواجهات دون وجود عائق .

وقد ارتبط ارتفاع الإيوان بعدد الطوابق .



إيـوان الحـرملـك

ـ قصـر العظـم ـ



إيـوان السـلاملـك

ـ بيـت السبـاعي ـ

العناصر الرئيسية المكونة للإيوان : ☆

☆جحا ، البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي

١ - القوس

من أهم العناصر المعمارية المكونة للإيوان ويقع على الواجهة المفتوحة على الباحة وهو قوس حجري وغالباً ما يكون مغطى بالكامل بزخارف متنوعة حسب عناصر القوس المختلفة أو قد يكون ذا مداميك حجرية .

ويتألف من

أ- الطنف : وهو من الجبصين على شكل مقرنص أو حواجز شبكية بتقنية التخريم أو على شكل نماذج نباتية .

ب- باطن القوس : عبارة عن رسومات متعددة الألوان أو نحت على الحجر .

ج- القفل : إما أن يكون حجرياً أو قد يتميز بنوع خاص من الزخارف .

٢ - الفتحات :

وهي الكتبيات والنوافذ ، وغالباً ما تتصدر الكتبيات جدران الإيوان الجنوبي ، بينما نجد النوافذ على الجدارين الشرقي والغربي للإيوان في حال وجود القاعات المجاورة للإيوان.

وتستبدل النوافذ بالكتبيات وبالشكل والأبعاد نفسها في حال توضع الخدمات بجوار الإيوان .

٣- الطزر :

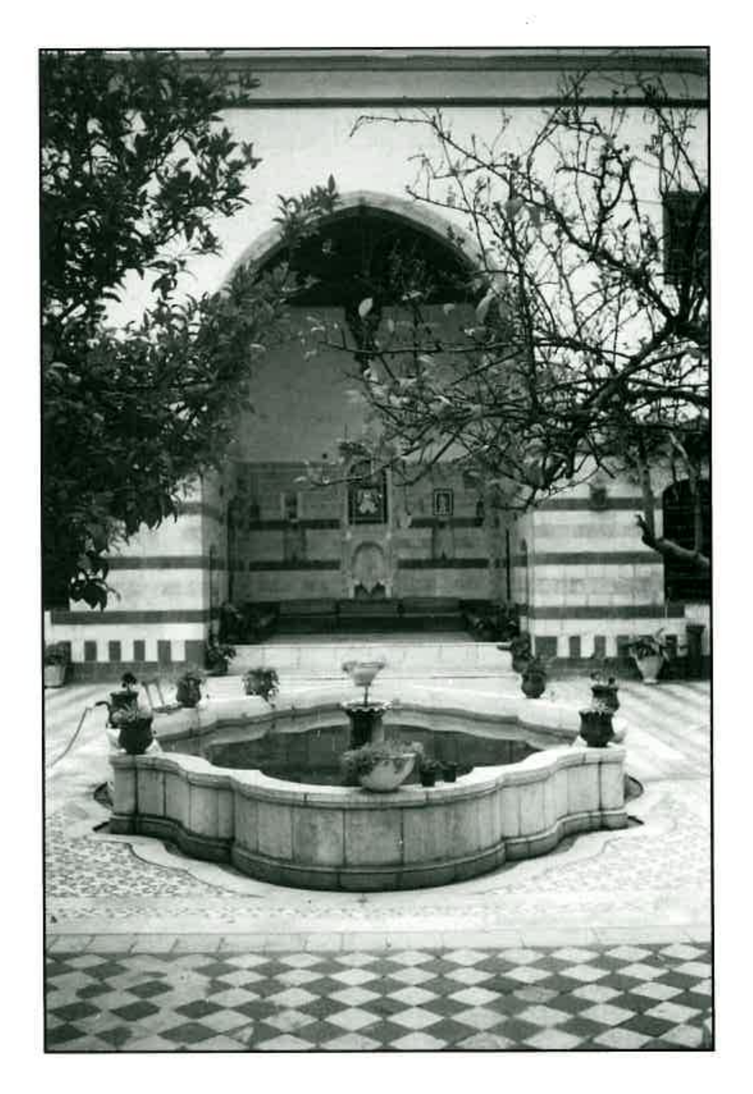
في أغلب الأحيان يقسم الإيوان إلى تبة أو طزر ، فقد يرتفع عن أرض الباحة بمقدار درجة أو درجتين للتخفيف من الرطوبة الزائدة نظراً إلى انخفاض منسوب الطابق الأرضي ، وليتمكن الجالس في الإيوان من استيعاب فراغ الباحة والواجهات المقابلة منظورياً وبشكل أفضل ، ويتم توزيع الفرش على أطرافه الثلاثة ، وهو يستخدم للاستقبال صيفاً ولجلوس العائلة.

آ) تصنيف الإيوانات حسب الشكل : ☆

☆جحا ، البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي

النموذج A : شكل الإيوان قريب من المربع :

غالباً ما يكون الإيوان ذا مسقط مربع الشكل يحوي قوساً مخمساً على الضلع المنفتح على الباحة ولايتجاوز ضلع الإيوان الأربعة أمتار عادةً .



إيـوان الحـرملـك
- بيت خالد بك العظم -



إيـوان السـلاملـك
- بيت نظام -

كما في بيت (الأسطواني ، طيفور ، جمعة) وجميع هذه الإيوانات غير مفتوحة على القاعات المجاورة ، ماعدا إيوان بيت السر أميني .

النموذج B: شكل الإيوان قريب المستطيل :

بمقارنة البيوت نجد أن هناك إيوانات تأخذ الشكل المستطيل وتكون :

آ- ضلعه الطويل متوضع باتجاه شمال جنوب :

كما في بيت سعده ، حلبي والسادات ، ويعود السبب إلى شكل العقار ومكان توضع الإيوان .

ب- ضلعه الطويل متوضع باتجاه شرق غرب :

كما في بيت الوكيل ، البيروتي ، وتكون القاعات المجاورة له مطلة عليه .

النتيجة :

بمقارنة نماذج الإيوانات من حيث الشكل (A,B) نجد أن جميعها مهما كان شكلها متوضعة في الجهة الجنوبية ومفتوحة على الشمال وذلك لسبب مناخي ، ليبقى الإيوان ظليلاً دائماً في الصيف .

مساحة الإيوان في البيوت الدمشقية التي تتمتع بمساحات صغيرة ، لاتتجاوز الـ ١٧ م٢، بينما قد تصل مساحة الإيوانات في البيوت الدمشقية الكبيرة إلى ٣٠ م٢ .

ب) تصنيف الإيوان حسب منسوبه :☆

☆جحا ، البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي

يقسم الإيوان في أغلب الحالات إلى عتبة أو عتبة وطزر ، فإما أن يكون بمنسوب أرضية الباحة فيكون إيوان عتبة أو قد يرتفع عن أرضية الباحة بمقدار درجة أو اثنتين فيكون إيوان بطزر أو قد يحوي عتبة صغيرة وطزر .

١- الإيوان بدون طزر :

يكون منسوب أرضية الإيوان مساوياً لمنسوب أرضية الباحة ، وهو دائماً يحوي قوساً في المنطقة الفاصلة بين الباحة والإيوان كما في بيت جمعة ، السر أميني ، طيفور ، سعدة، وبمقارنة هذه النماذج مع نماذج مختلفة من إيوانات البيوت الدمشقية نجد أن هذا النوع من الإيوانات يشبه إيوانات بيت لزبونا ، القوتلي ، حتوين .

٢- *الإيوان بطزر :*

وقد يرتفع منسوب الإيوان عن منسوب أرضية الباحة بدرجة أو درجتين ولايتجاوز منسوب الإيوان الـ ٤٠ سم ، كما يحوي قوساً إنشائياً عند بداية الطزر كما في بيت الإسطواني ، الوكيل ، البيروتي ، وهذا النوع من النماذج يماثل إيوان بيت جبري وبيت نظام .

٣- *الإيوان بعتبة وطزر :*

قد يقسم الإيوان إلى عتبة صغيرة لايتجاوز عرضها الـ ٨٠ سم بينما طولها هو عرض الإيوان نفسه ، ولايتجاوز ارتفاع الطزر في هذا النموذج عن ٤٠ سم ، كما يحوي قوساً إنشائياً متوضعاً عند بداية الإيوان ، والسبب في قسم الإيوان إلى عتبة وطزر هو شكل الإيوان المستطيل الشكل بنسبة كبيرة بين طوله وعرضه فيتم قسمه إلى عتبة مستطيلة وطزر مربع كما في بيت حلبي والسادات والذي يماثل إيوان بيت أبي رباح الجزائري .

☆ الحوليات ١٩٥٣ ، العش ص٥٢

☆ ويظهر في صدر الإيوان مصب رخامي يحيط به إطار جميل بارز من الحجر الأصفر أو الرخام المزخرف ، وبجانبي المصب تظهر كوتان توضع فيها الأزهار .

أما سقف الإيوان فهو شاهق يعدل ارتفاع طابقين ماعدا بيت العقاد فيعدل ارتفاع ثلاثة طوابق ، ومزخرف بالخشبيات الملونة (العجمي) وقد يصل ارتفاعه إلى تسعة أمتار ، ويحيط بالسقف إطار ذو أفاريز مدموجة تنتهي بزوايا خشبية جميلة تتدلى إلى قرن الإيوان لتحبك السقف مع جدران الإيوان وتجمع بين زخرفة كلّ منهما .

☆ حسحس وأبو زرد ، الفناء والإيوان في البيت الدمشقي ص٢١ - ٢٣

☆وقد بني سقف الإيوان من الخشب الثمين المزخرف كخشب الأبنوس والصندل . وفي مرحلة متأخرة تحول الدمشقيون إلى استعمال خشب الحور . وقد كان يُطعّم السقف بالذهب ويزخرف بالعجمي . ثم غُطي السقف منذ حوالي سنة ١٨١٠م (١٢٢٥ هـ) بقماش مشدود وزين بالمرايا والرسوم . وفي مرحلة لاحقة غطي السقف بألواح رقيقة من الخشب المدهون بلون أو لونين . واستعمل الجبصين لتزيينه بالدلايات . وفي الزوايا وجدت المقرنصات الخشبية أو الطنف المنفوخ بأوراق محفورة وقوالب محدبة .

☆ حسحس وأبو زرد ، الفناء والإيوان في البيت الدمشقي ص٢١-٢٧

☆وقد تُرك الجزء الأعلى من جدران الإيوان أي فوق مستوى الأبواب والنوافذ بلون أبيض من الكلسة ، ويرتفع الإيوان على مستوى الشريط الضيق المؤدي إلى القاعتين الجانبيتين ويُدعى هذا الارتفاع "طزرا" والمستوى الواصل بينهما "دكة" وتتألف من "السماط" و"الشعيرة" وهما وجه الدكة .

وقد شكلت القاعتان الجانبيتان للإيوان الضلعين الآخرين له حيث بدت النوافذ الزجاجية المناسبة للشتاء وفي أعلاه بدت القماري .

وكذلك يوفر الإيوان العمق اللازم لحماية الساكن من إشعاعات الحرارة المباشرة والمنعكسة من الأرض ، ويحمي العيون من وهج انعكاسات الضوء في ساعات الحرارة الشديدة وسط النهار .☆

☆حسس وأبو زرد ، الفناء في البيت الدمشقي ص٢١

ويستخدم الإيوان صيفاً للجلوس خلال النهار ويُفرش بالدواوين الواطئة ، وفي الليل تمد الفرش في هذه الأواوين المغطاة وتنام الأسرة فيها . ثم تطوى الفرش خلال النهار وتوضع في الخزائن الجدارية . وتستعمل عادة قاعات الإيوان الجانبية للسكن في الشتاء أو للطعام وأحياناً للنوم .

وأما الأرضية الواقعة أمام الإيوان مباشرةً فتتميز باستخدام الرخام الملون فيها بأشكال هندسية ، كل هذا يدلنا على أهمية الإيوان في البيت الدمشقي .

٤ - القاعة

وهي معدّة لاستقبال الضيوف والمعيشة وللمناسبات والأفراح وتكون عادة على نوعين : صيفية وشتوية .

فأما القاعة الصيفية فتكون عادة في الجهة الجنوبية من صحن البيت كي تكون مفتوحة على الشمال تتلقى نسيمه البارد ، ويكون فيها فسقيات تنثر المياه وتضفي على جوّها نوعاً من الرطوبة المنعشة .

وأما القاعة الشتوية فتكون في الجهة الشمالية من صحن البيت حيث تواجه أشعة الشمس الدافئة .

والقاعة إما أن تكون ذات طزر واحد (أي القسم المرتفع من القاعة) أو ذات طزرين أو ثلاثة طزر .

يتوسط هذه الطزر عادة عتبة فسيحة بمنسوب منخفض عنها بحوالي ٣٠-٥٠ سم ، حيث يخلق تفاوت المناسيب فيها تيارات هوائية رطبة وعازلة وحافظة لدرجة حرارة معتدلة . وفي وسطها فسقية أنيقة يتدفق منها الماء . وتنفصل هذه الطزر عن العتبة بأقواس حجرية عليها تزيينات هندسية ملونة منزلة في الحجر النحيت .

وأما جدران القاعة فيكسوها الرخام المشقف والمطعم بالصدف أو بنقوش من الحجر الزاخر بالفن والإبداع .

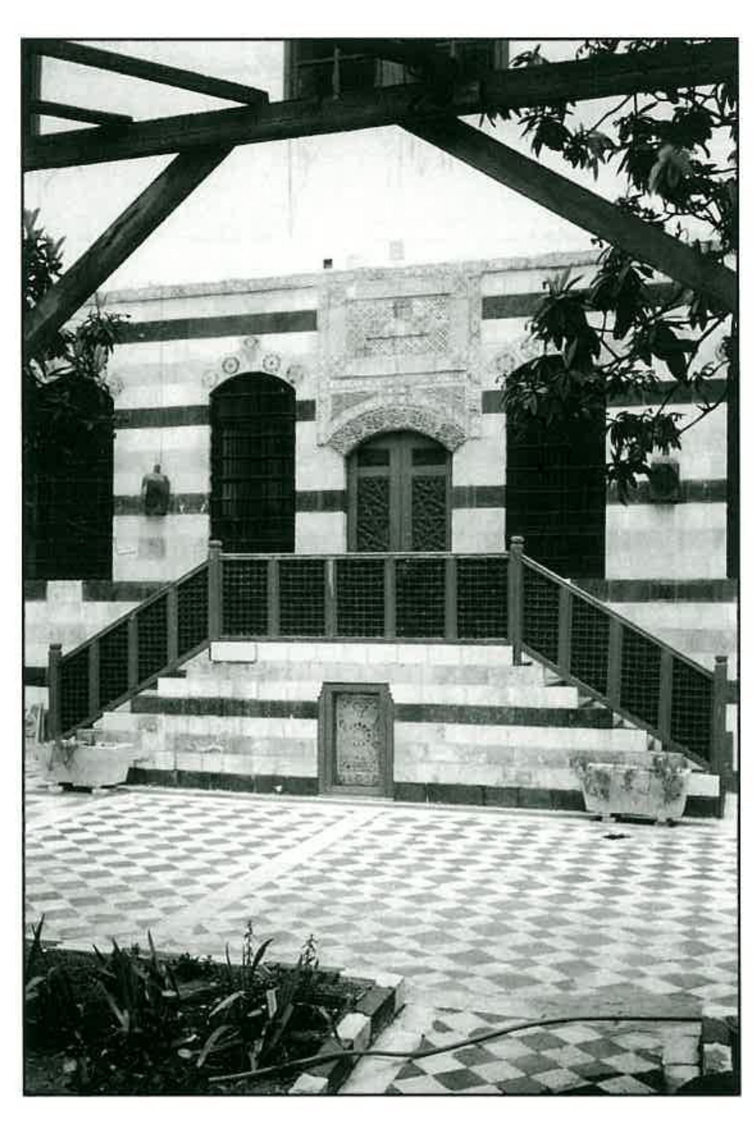
☆ وأما أسقف القاعة فهي رائعة غنية بالزخارف والألوان ، وتشبه إلى حد بعيد السجادات العجمية المزخرفة زخرفة ناتئة بديعة ، يتدلى منها أحياناً مقرنصات لطيفة تنتهي بفوانيس من الخشب المحفور والمدهون على نحو يتّسق مع زخرفة السقف .

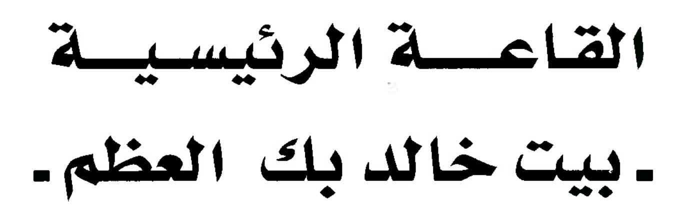
☆ الحوليات ١٩٥٣ ، العش ص٥٣

وقد يحيط بالسقوف أفاريز متلاصقة مندمجة ترتبط مع الزوايا الخشبية الثابتة في قُرَن الطزرات . تكون رسوم الطزرين المتقابلين في أغلب الأحيان من نوع واحد ، ويمتاز الطزر الأوسط بشيء من التعقيد .

تبدو على جدران كل طزر الحلقة الخشبية التي تتألف من أطناف مقرنصة بالأعلى تمسك بأُطَر أبواب النوافذ والمكتبات (اليوك) المختلفة السعة . جميع هذه الأطناف والأُطَر والأبواب الخشبية مزخرف بما يناسب زخرفة السقوف العجمية التي تعتمد على الحفر والتنزيل والتلوين بألوان قاتمة وزاهية مذهبة . وفي الفراغ الحاصل على الجدران بين الحلقة الخشبية والسقف الخشبي تظهر التزيينات الهندسية على الحجز النحيت وهي على غرار تزيينات جدران الإيوان في أكثر الأحوال ، أو يبقى الفراغ بياضاً لازينة فيه . ☆

☆ الحوليات ١٩٥٣ ، العش ص٥٤

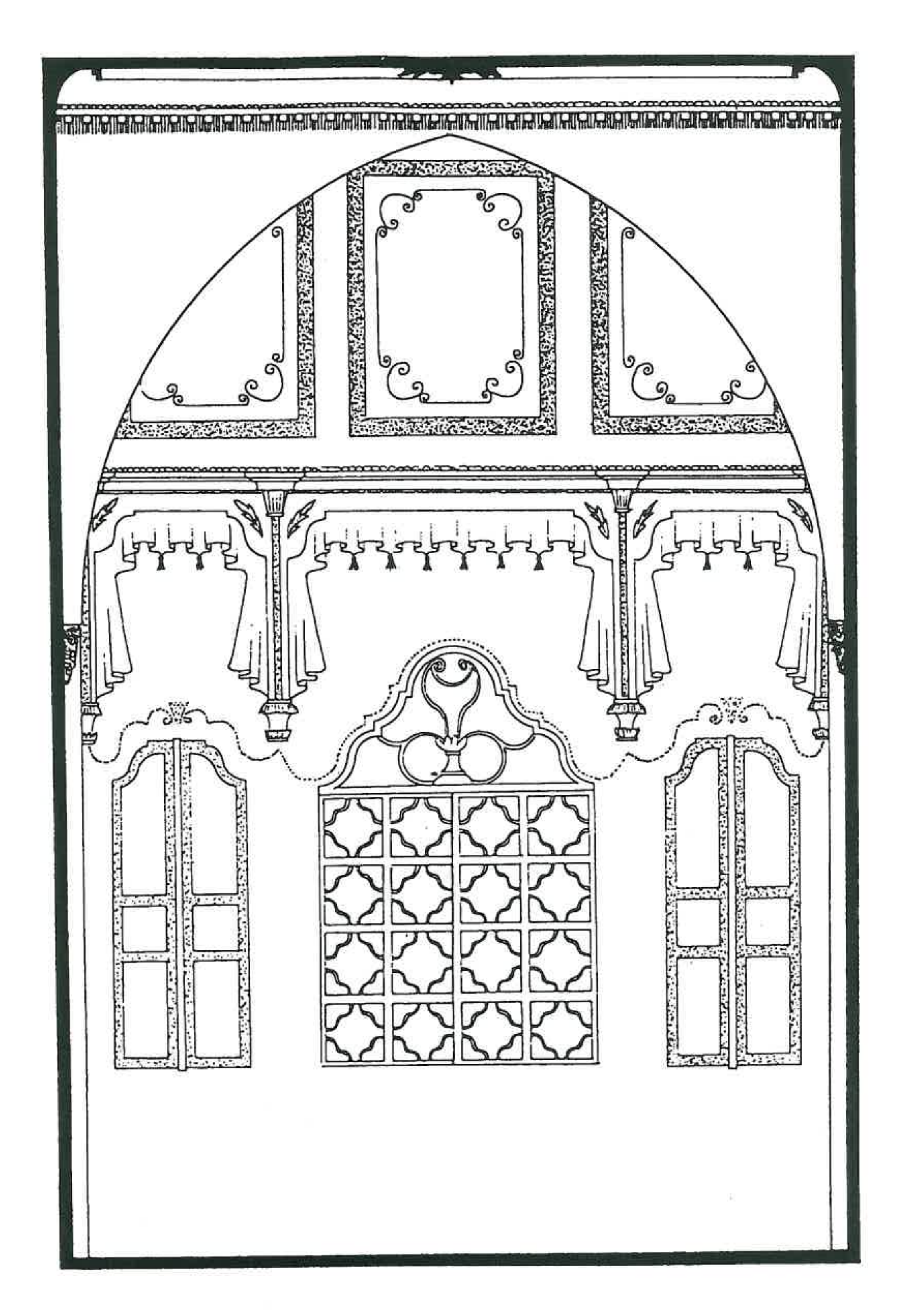




القاعـــة الرئيســـية

- بيت خالد بك العظم -





الواجهة الداخلية للقاعة

مدرسة أم سلمة

ولابد من الإشارة إلى وجود مداخل وممرات سريّة للقاعة ، حيث يوجد أحياناً باب في الحلقة الخشبية المزخرفة للقاعة الرئيسية لا يمكن تمييزه عن أبواب المكتبات الأخرى ، وهو في الحقيقة: ١) باب لغرفة سرية صغيرة . ٢) أو باب لدرج يوصل إلى غرفة علوية فوق أحد الطزرات تصلح أن تكون منامة لربّ الدار أو تخصص للضيوف على الأكثر حتى تكون بمعزل تام عن باقي أقسام المنزل . ٣) أو باب يتصل بقسم الخدم حتى لايمر الخدام في صحن الدار ، فيستطيع أن يأتي وقت الطلب . ٤) أو باب لممر سوي يصل إلى الاصطبل يخرج منه رب البيت مع ضيوفه مباشرةً للركوب .☆

☆ الحوليات ١٩٥٣، العش ٥٦

وأما سقف العتبة فهو أكثر ارتفاعاً من سقف الطزر ، مما يساعد أحياناً على فتح نوافذ عليا جانبية تزيد الإنارة ، ويكون سقفها على الأغلب ذا عمد مزخرفة كسقف الإيوان .

وللقاعة فتحات جدارية جانبية فيها رفوف توضع عليها التحف وغيرها تسمى الكتبيات . ويتوسط هذه الفتحات فتحة تزيد بمقدار الضعف عنها ذات إطار زخرفي ، وتكون مفتوحة واجهاتها أو مغلقة بأبواب مشغولة بشتى أنواع الزخارف وتسمى اليوك ، وتقوم في وسط الجدار زخرفة حجرية رائعة تحيط بالسلسبيل .

وتفرش أرض القاعة ببلاط مشقف هندسياً أو وردياً يشكل حصيرة تحيط الفسقية ، ويكون مدخل القاعة بمستوى منسوب أرضية الصحن ، وأحياناً مرتفعة يصعد إليها بعدة درجات بشاحط أو شاحطين .

ويوجد بالإضافة إلى تلك القاعات أحياناً قاعات أخرى أقل أهمية وزخرفة ، وتكون في أطراف البيت واستعمالاتها محددة .

ونستعرض العناصر الرئيسية المكونة للقاعات كالتالي : ☆

☆ جحا ، البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي

العناصر الرئيسية المكونة للقاعات :

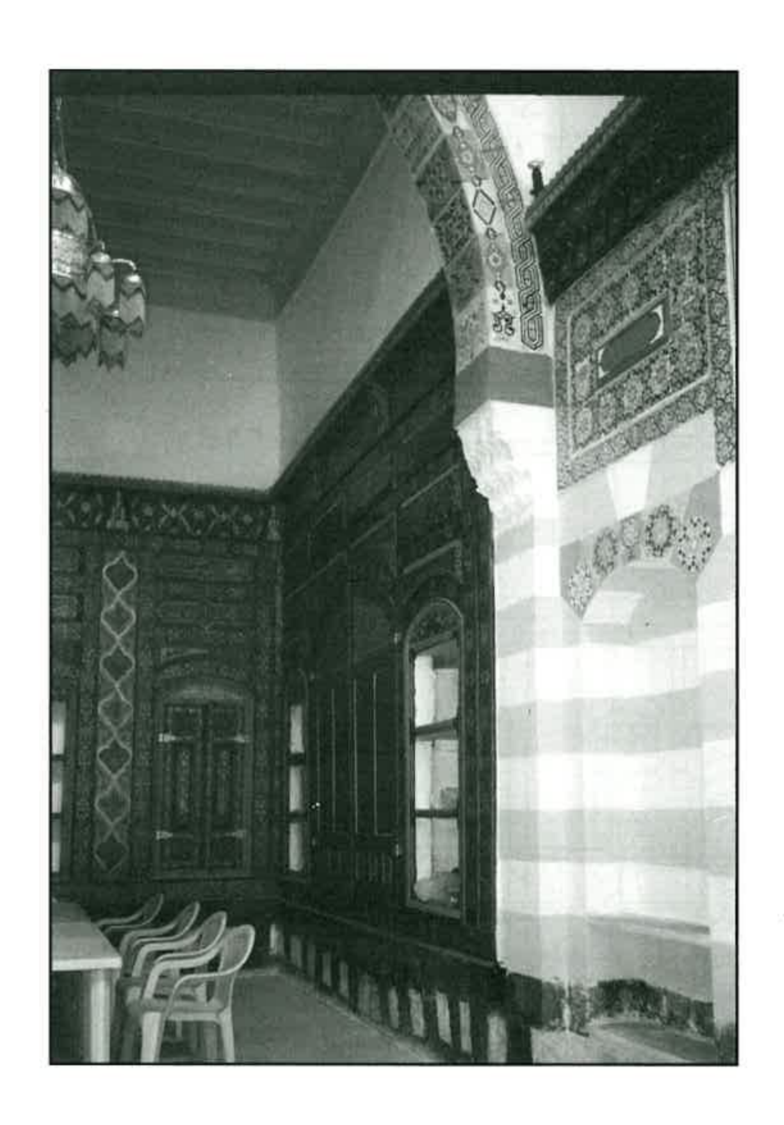
١- العتبـة :

عبارة عن فراغ ممهد ، فمنها يتم الدخول إلى القاعة كما يتم من خلالها خدمة الضيوف وأهل المجلس ومن عادة أهل المنزل أن لايتركوا الضيف واقفاً بالعتبة .

كما نجد أن مادتي الحجر والرخام هما الأكثر استخداماً في كسوة العتبة .

٢- الطزر :

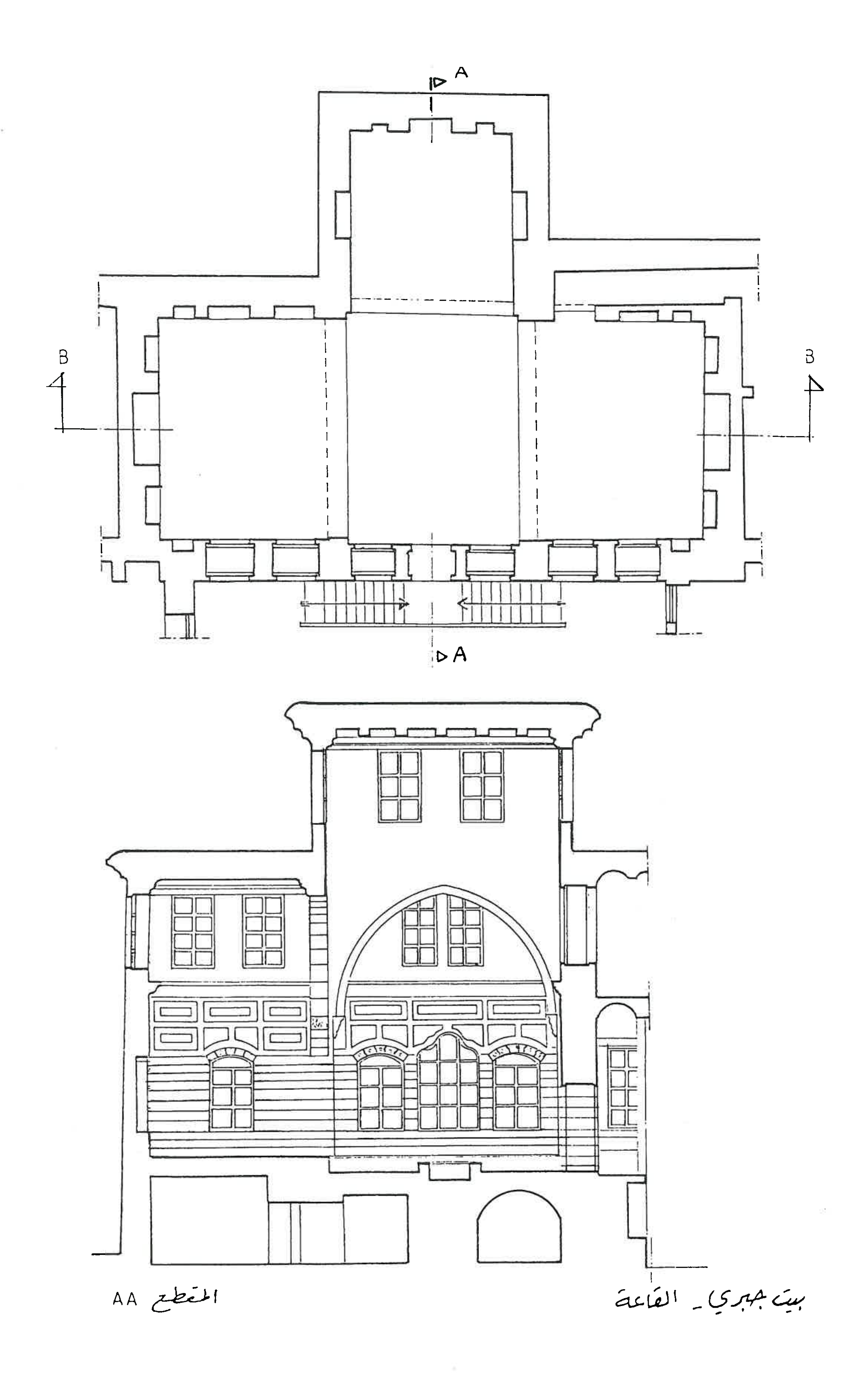
هو القسم المرتفع المخصص للجلوس ويسمى المجلس حيث يتوزع الجالسون على شكل حلقة مفتوحة من جهة العتبة فيستطيع جميع الحضور الرؤية .

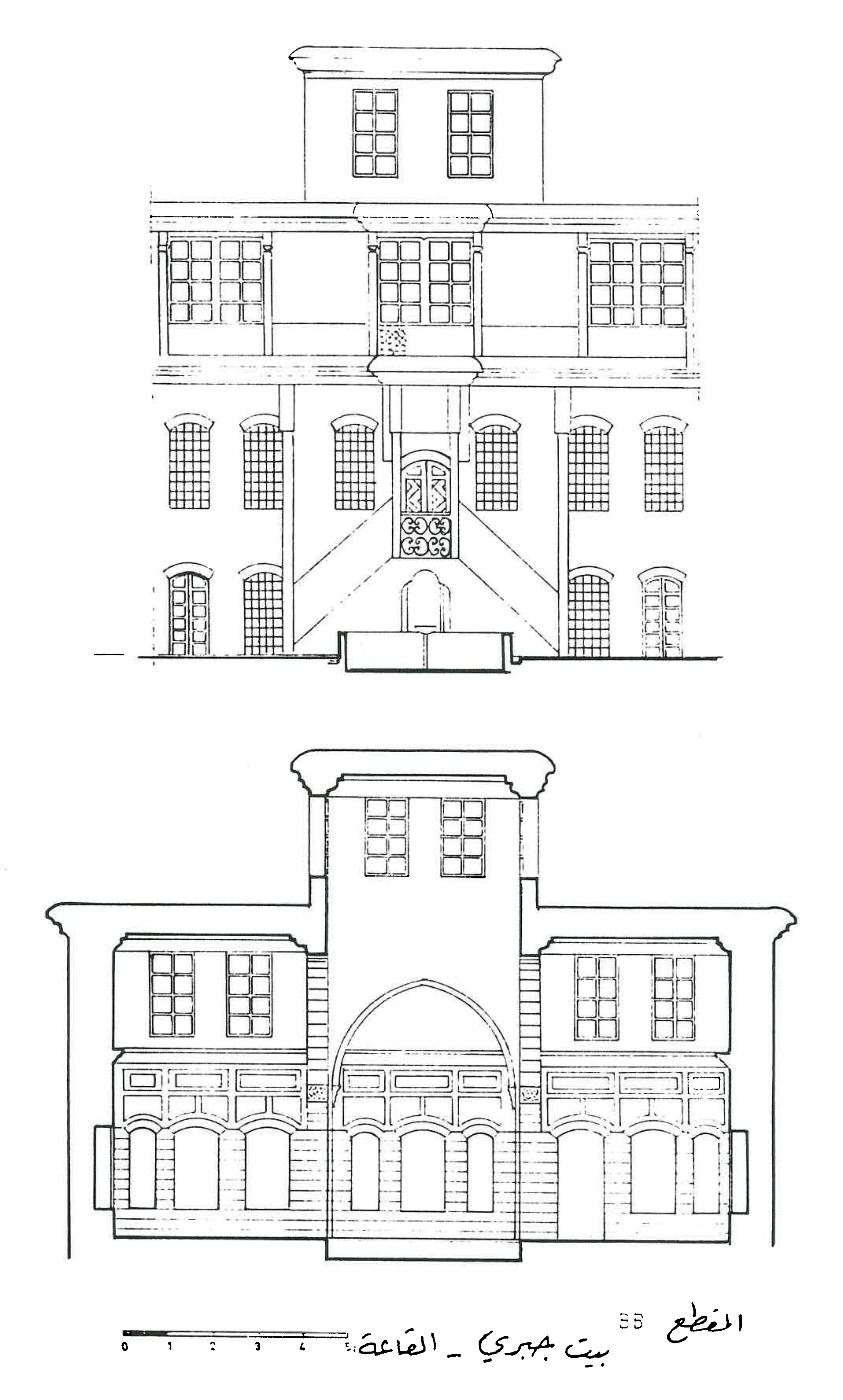




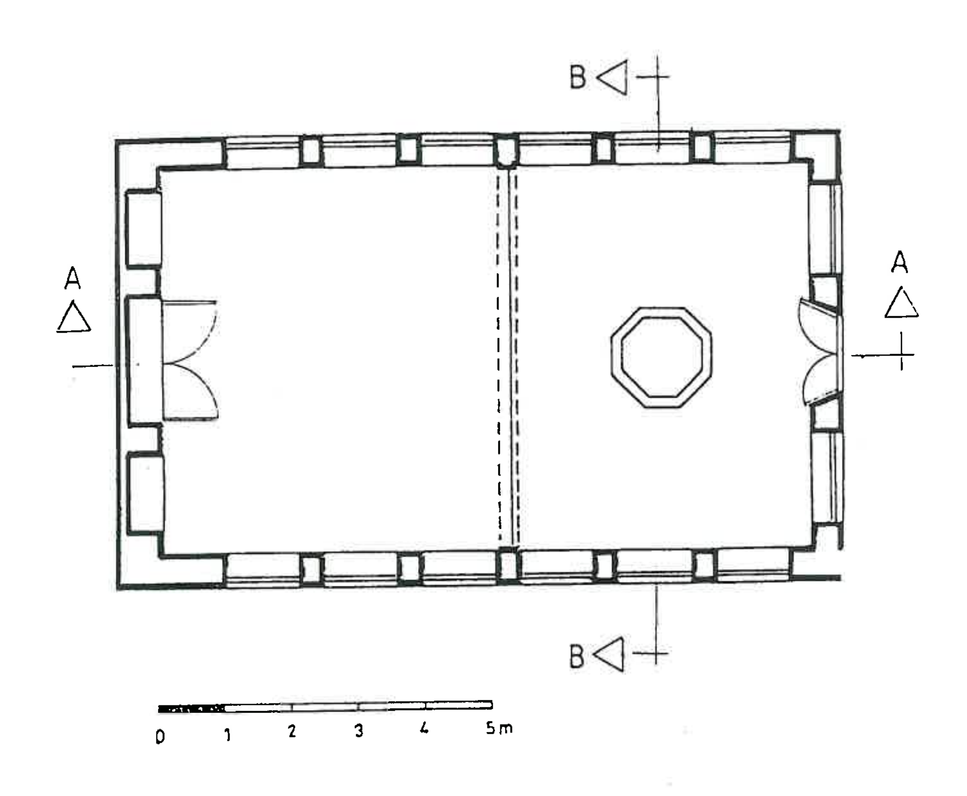
قـــاعـــة

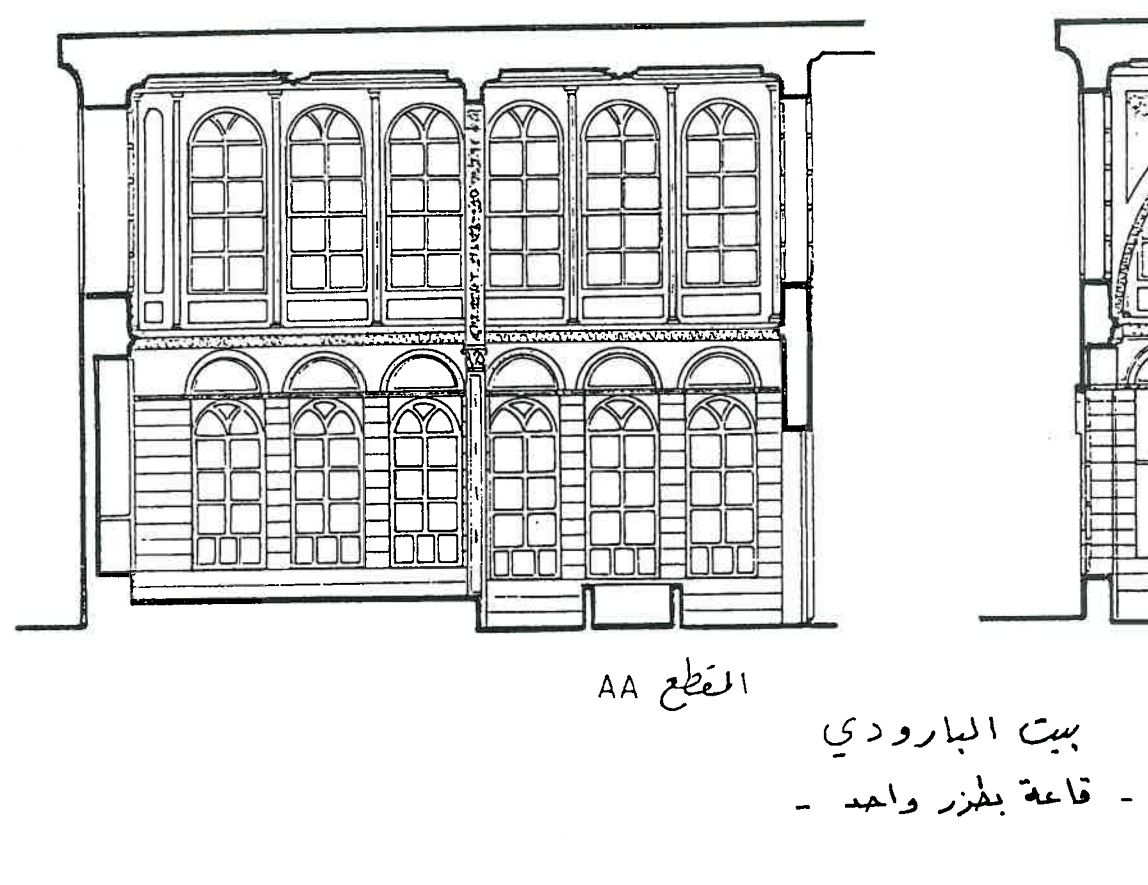
- بيت الإسطواني -


A
B
B
A
المقطع AA
بيت جبري ـ القاعة

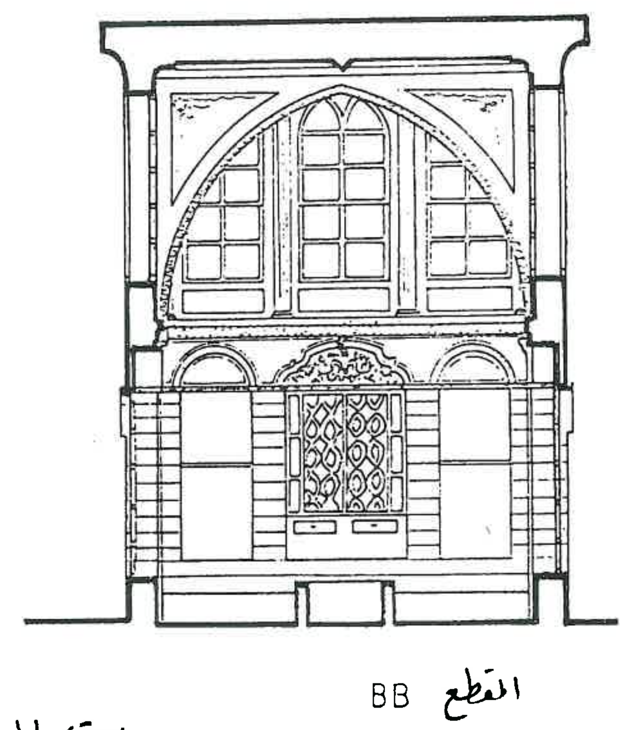


المقطع BB
بيت جبري - القاعة





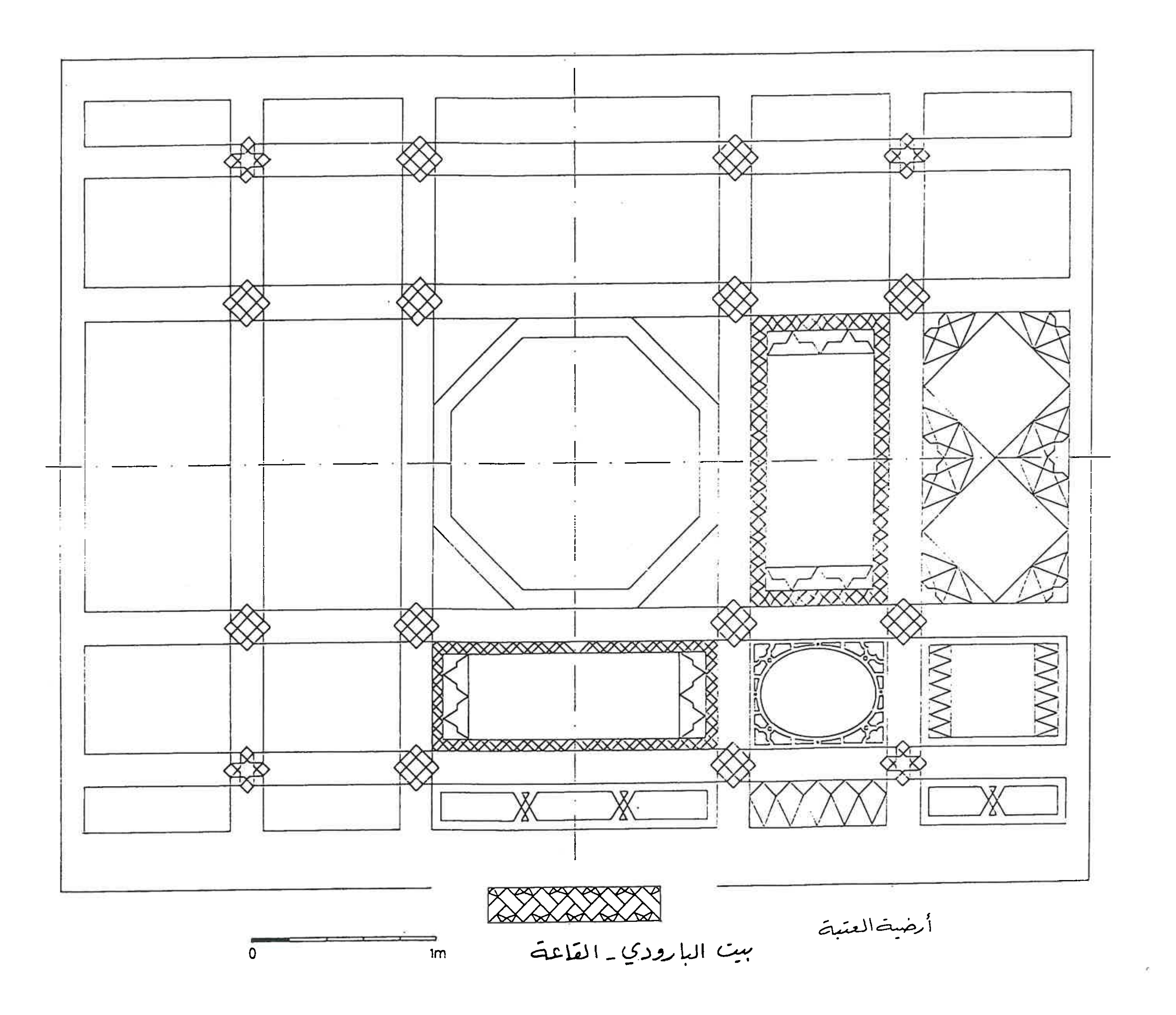
المقطع AA

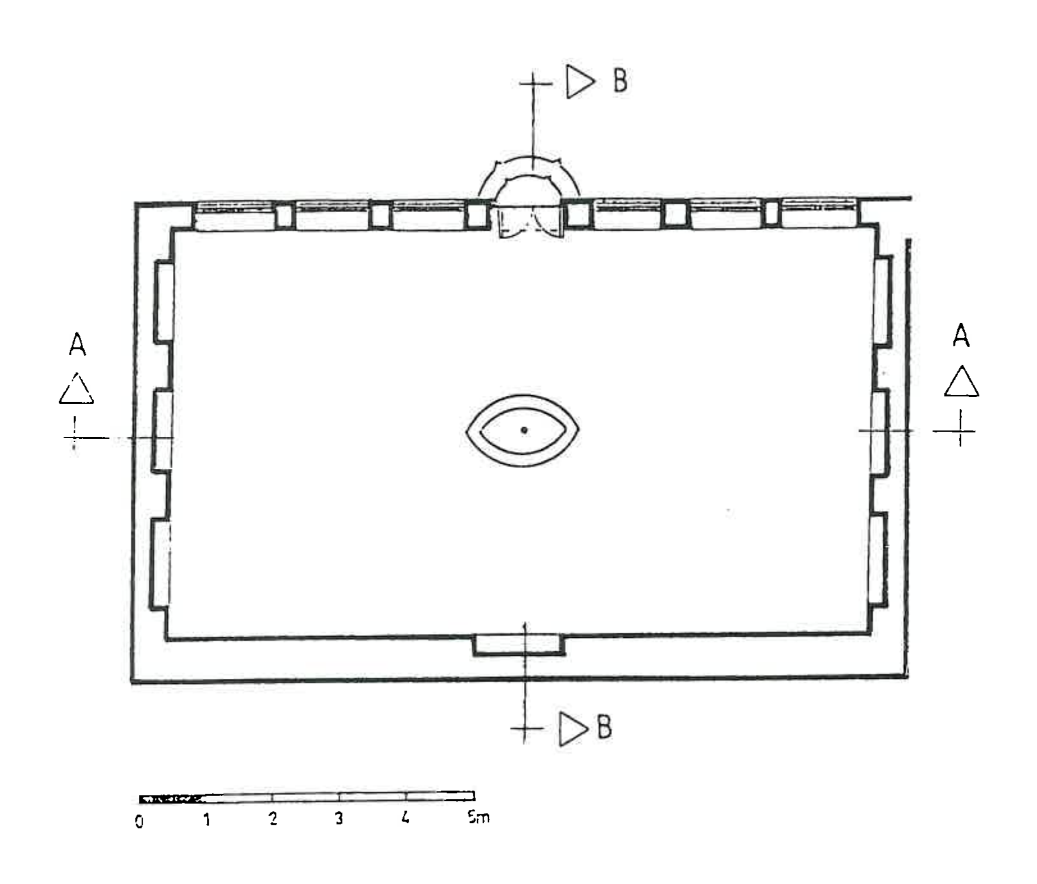


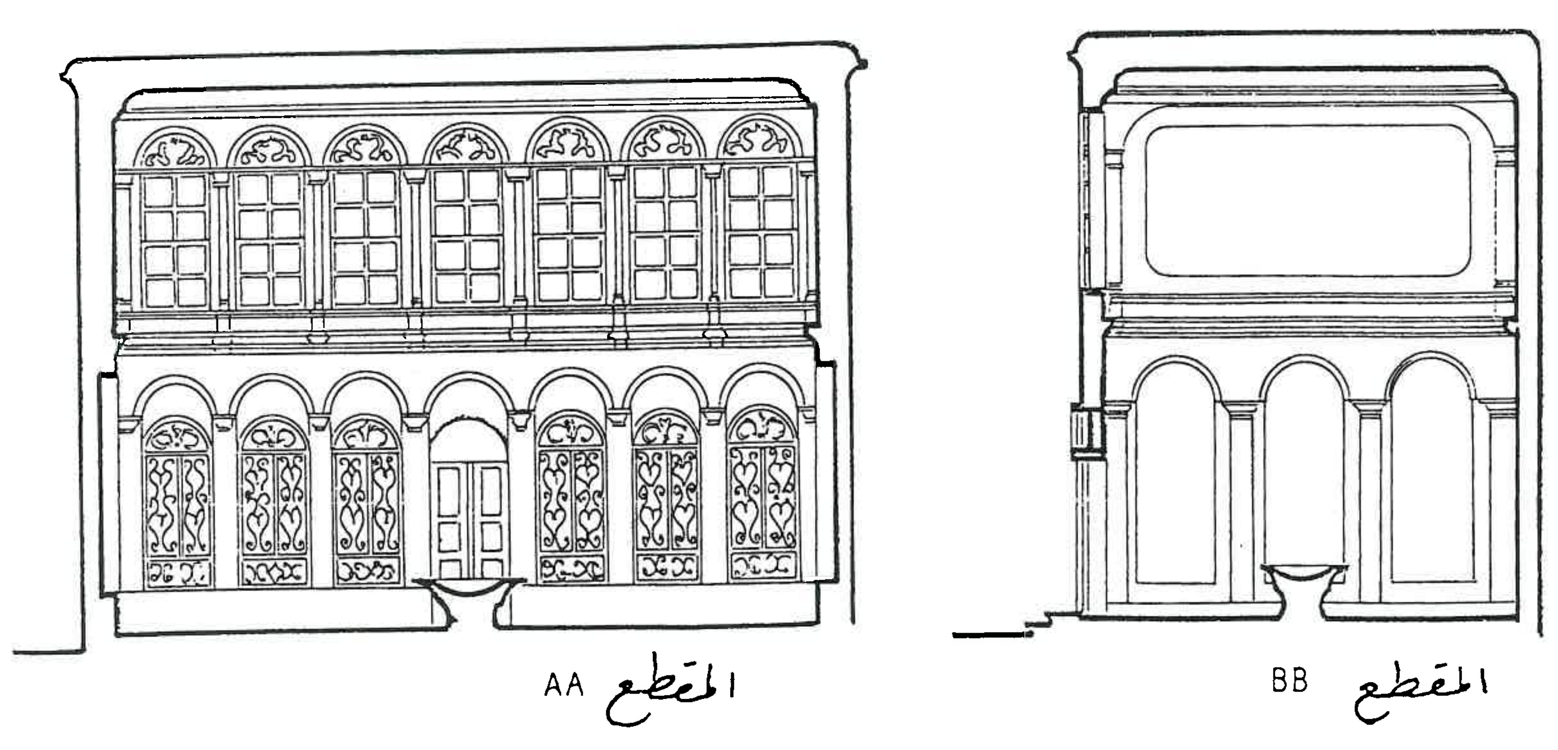
المقطع BB

بيت البارودي

- قاعة بخزر واحد -


أرضية العتبة
0
1m
بيت البارودي ـ القاعة





قاعة بيت البارودي

وقد يتراوح ارتفاع الطزر بين (٣٠-٥٠ سم) للتخفيف من رطوبة الطابق الأرضي بسبب انخفاض منسوبه عن منسوب الحارة وهو في الغالب قريب المربع حتى أن قاعات الطابق الأرضي كانت تسمى أحياناً "بالمربع" ، وذلك لتوزيع الجلوس بشكل مريح وتوزيع التدفئة لجمع الأضلاع بشكل متساوٍ .

٣- الفسقية :

عبارة عن بحرة رخامية صغيرة تتوسّط العتبة بغية تلطيف الجو واستمتاع الضيوف بالمنظر المائي .

٤- الكتبيات :

عبارة عن خزانة جدارية ذات رفوف صغيرة خصصت لوضع الكتب ، وهي غالباً ما تتصدر جدران القاعات فنجدها في المجلس والعتبة تعلوها أطر من كتابات الأدعية والمديح ، وأحياناً تسجل الكتابات اسم صاحب الدار أو الخطاط أو تاريخ الصنع .

وتعتبر العقدة المستديرة فوق الدولاب من الأشكال الزخرفية المميزة .

٥- الخرستان : ☆

☆ البيت الدمشقي ، القاعة الدمشقية ، رحمة وأحمد ص١٩

هو خزانة صغيرة ضمن الجدار يوضع فيها ما يلزم حفظه من مخلفات الوسائل والحوائج ، ويختلف الخرستان عن الكتبية بباب ذي مصراعين . وفي بعض الأحيان يكون الخرستان عبارة عن باب يؤدي إلى غرفة أو ممر سري يمكن عن طريقه الخروج عند الضرورة .

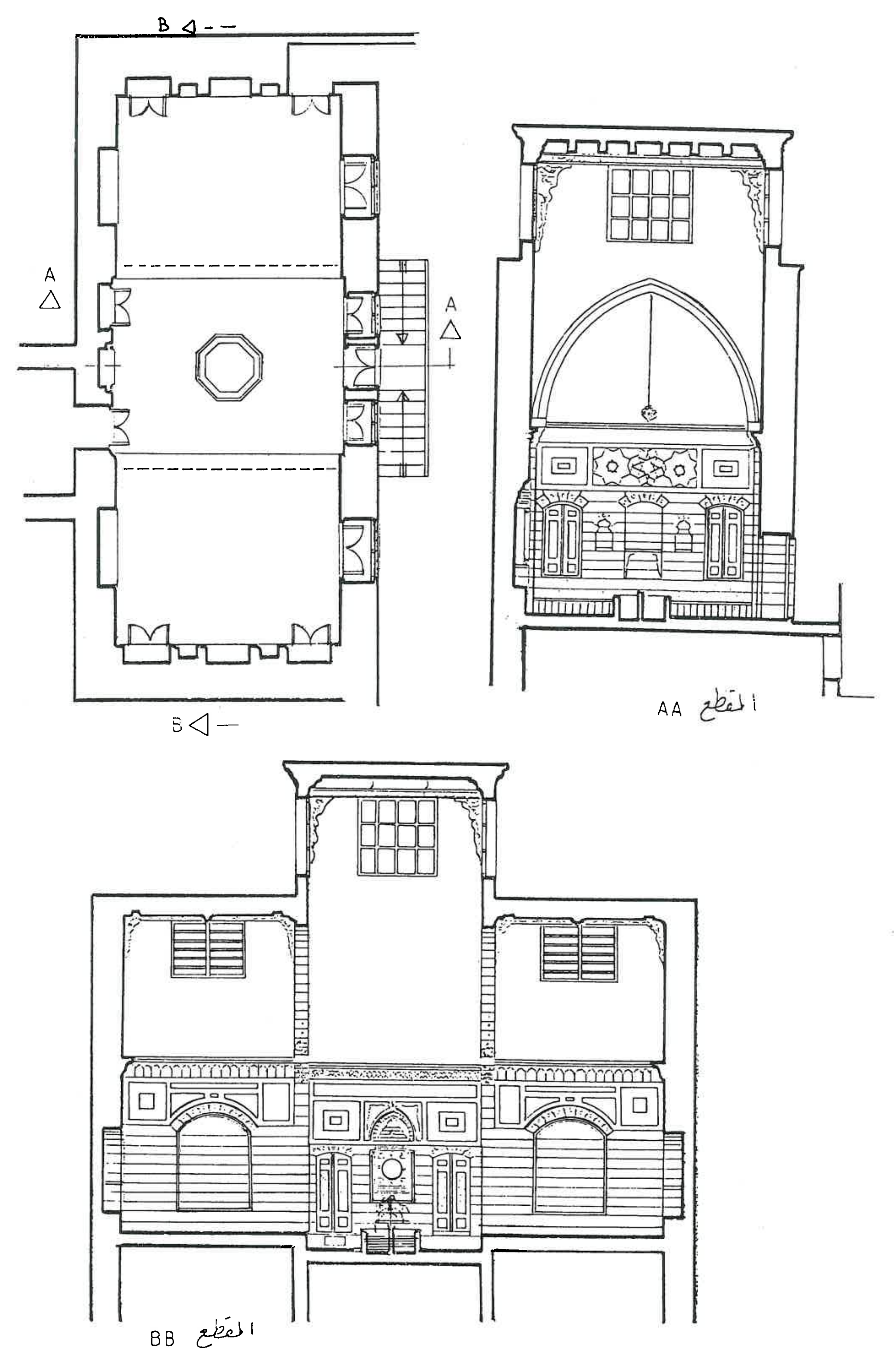
٦- اليوك :

خزانة أكبر من الخرستان يوضع فيه الفرش واللحف والوسائد وغيرها ، وهو ذو باب بمصراعين ، أو مكشوف بدون باب تسدل عليه ستائر من نوع الفرش .

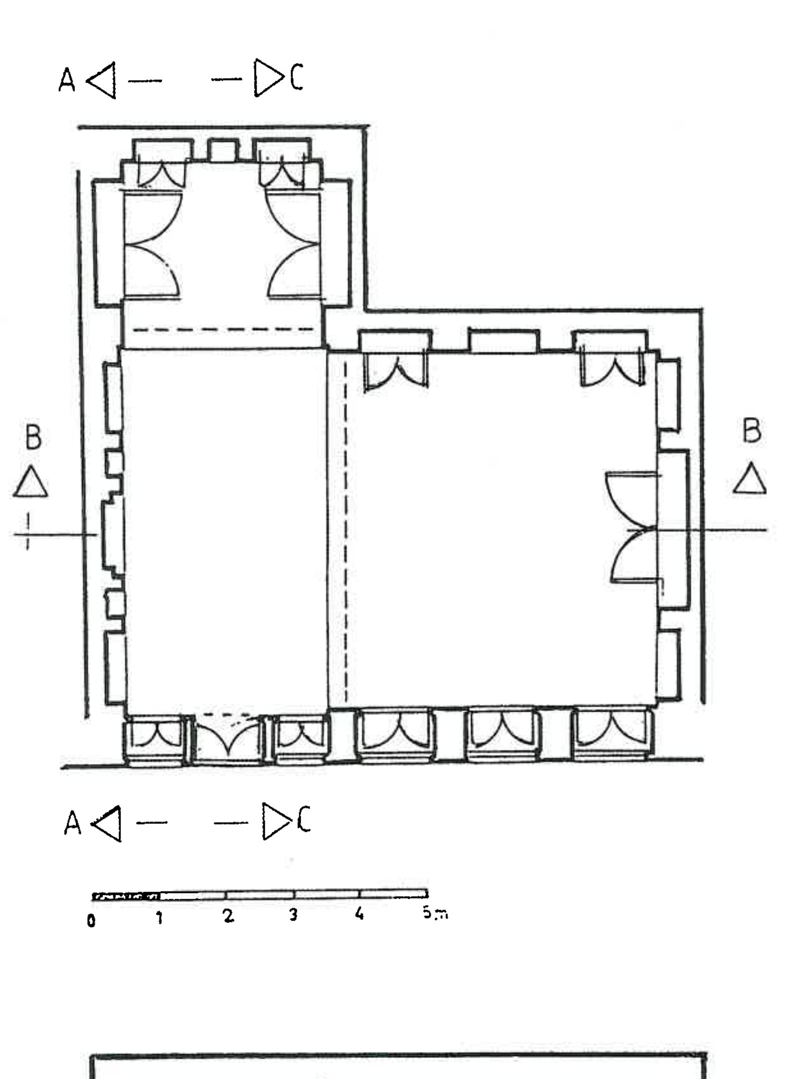
٧- النوافذ السفلية :

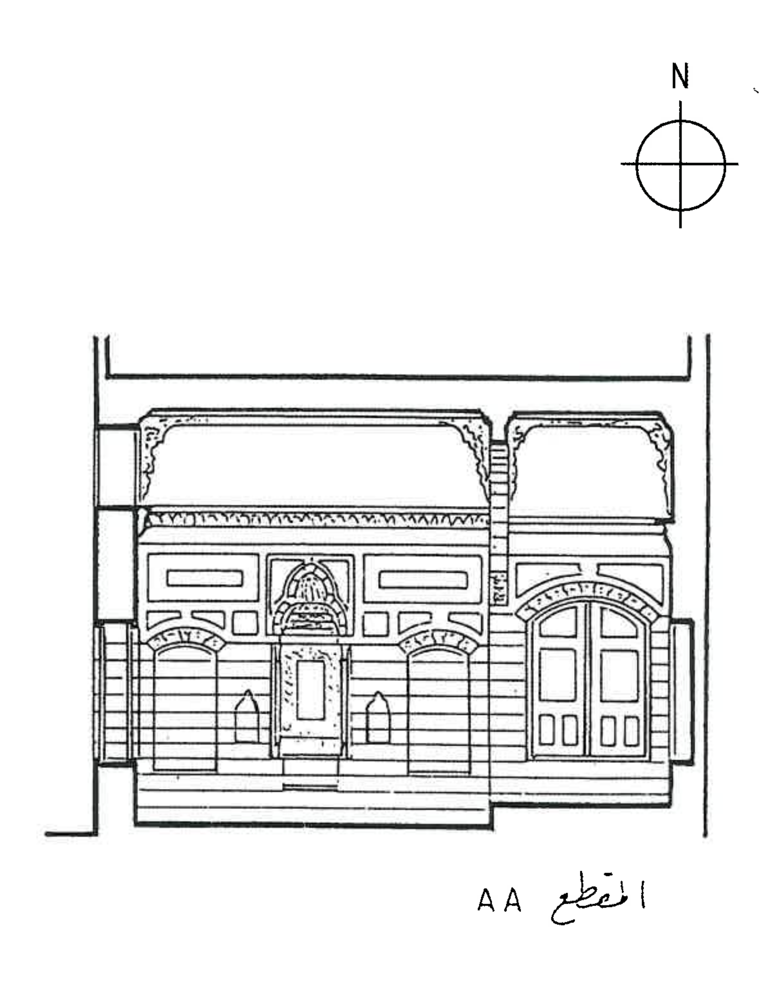
تكون مغلقة من الداخل في بعض القاعات بباب ذي مصراعين فتشبه الخرستانات ، وذلك للحماية من أشعة الشمس في القاعات الجنوبية أو الغربية أو الشرقية المستخدمة صيفاً ، ولكن وجود هذه الأغلاق في بعض القاعات الشمالية الواقعة على طرفي الإيوان دلالة على أنها تستخدم أيضاً لحجب القاعة عن الفناء .

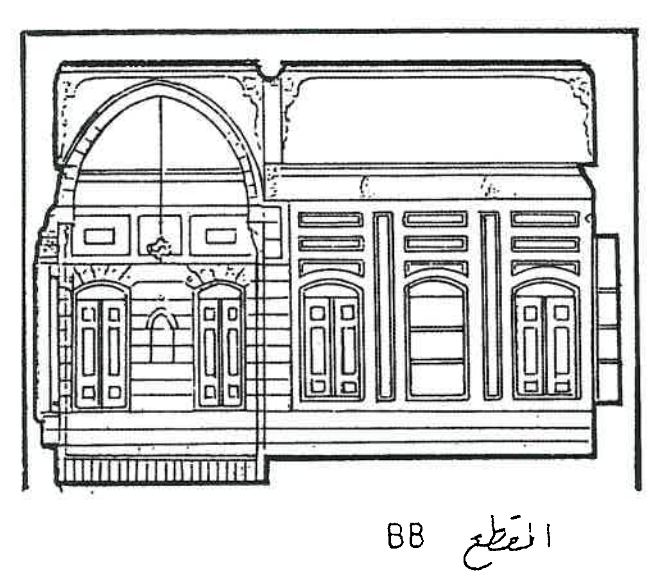
كما أن هذه النوافذ مزودة في معظم البيوت بشبك معدني قوي للحماية من السرقة .

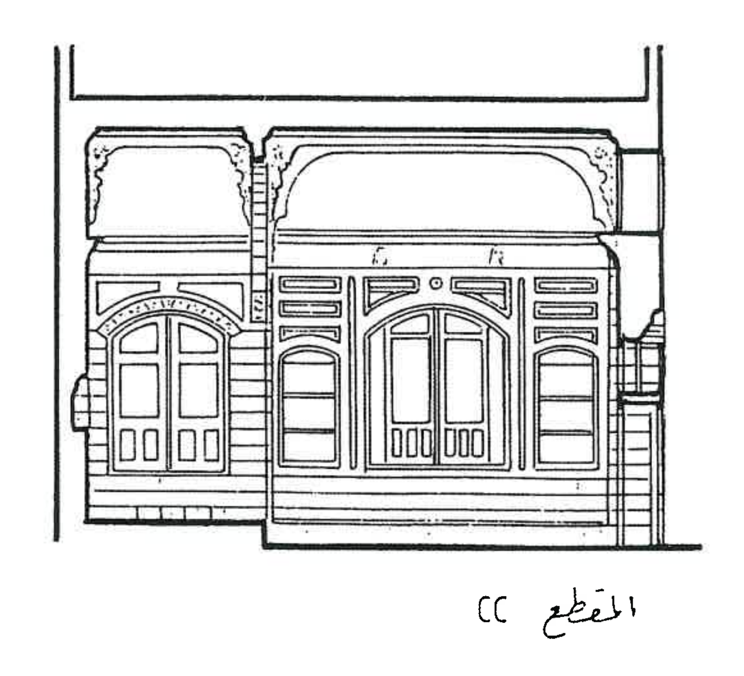


بيت السباعي . القاعة

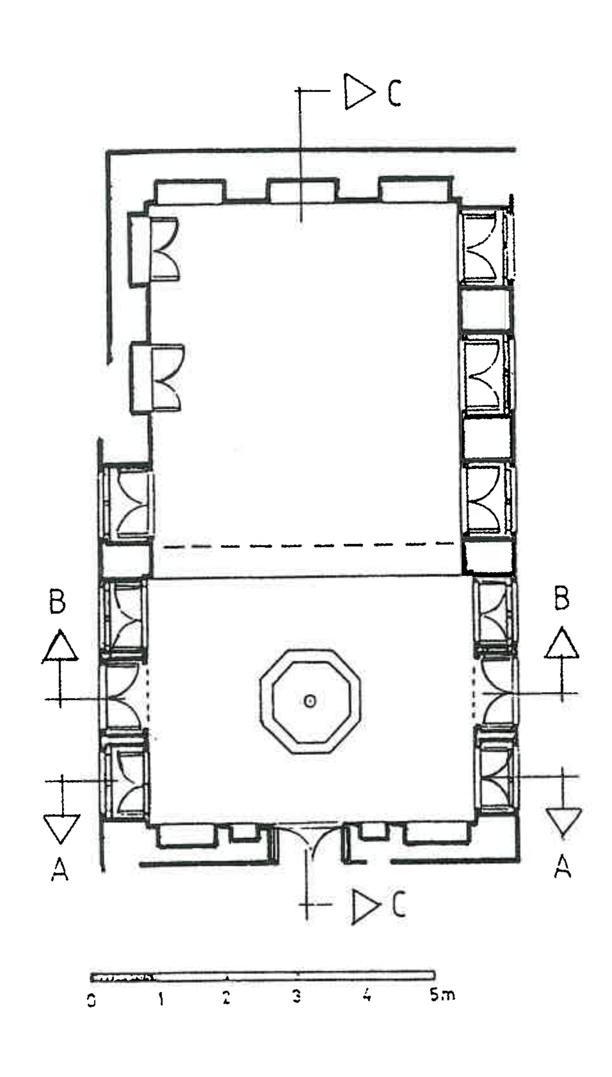


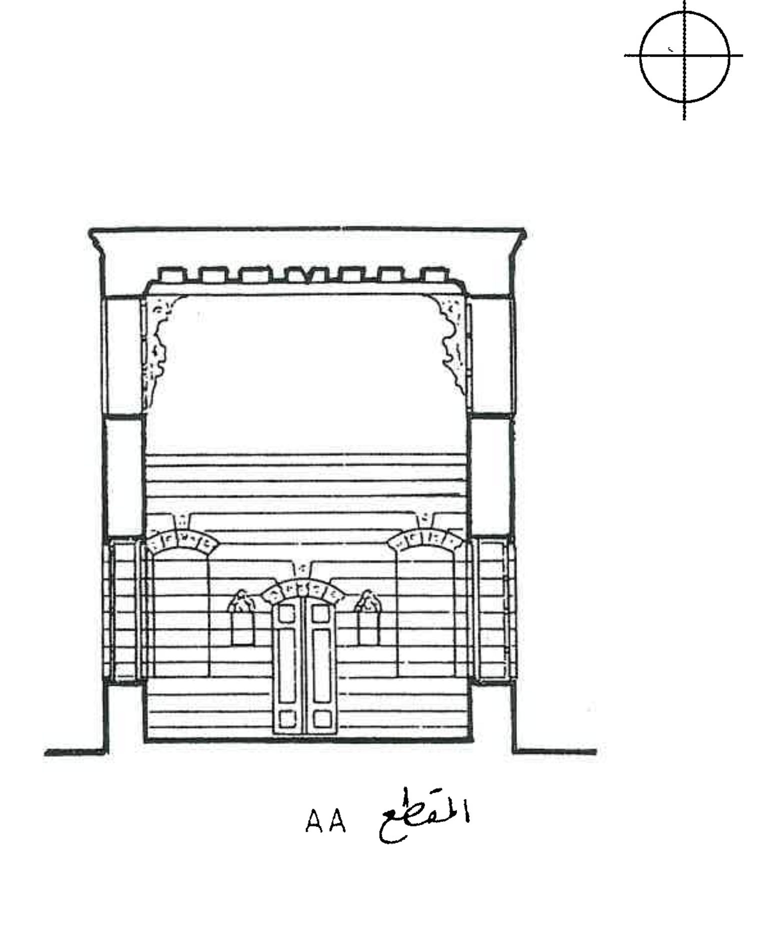


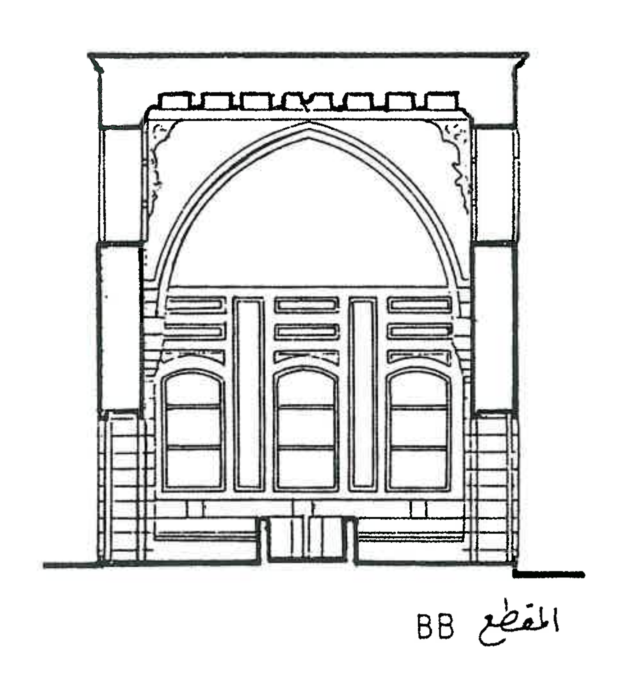




بيت السباعي ـ القاعة




المقطع AA


المقطع BB


المقطع CC

بيت السباعي - القاعة

٨- النوافذ العلوية :

موجودة في أغلب القاعات ، ويساعد على وجودها الارتفاع الكبير ، وهي تستعمل للإنارة في حال وجود أغلاق على النوافذ السفلية ، وكذلك للتهوئة وتلطيف الجو صيفاً .

٩- القوس :

غالباً ما يوجد القوس في القاعات ذات الطزر في المكان الفاصل بين العتبة والطزر لهدف إنشائي (لتخفيف الحمولات) . هو قوس حجري مغطّى بزخارف متنوعة ويتألف من: طنف ، باطن القوس ، القفل .

١٠- المشكاة :

عبارة عن طاقات صغيرة عرضها أقل من ٤٠ سم تتوضع في جدران العتبة لاحتواء النرجيلة وأباريق الماء لخدمة الضيوف ، بالإضافة إلى عناصر الإنارة من قناديل الكاز والشموع، كما أن شكل الطاقة ينسجم مع شكل الأواني التي يحتويها .

١١- المصب :

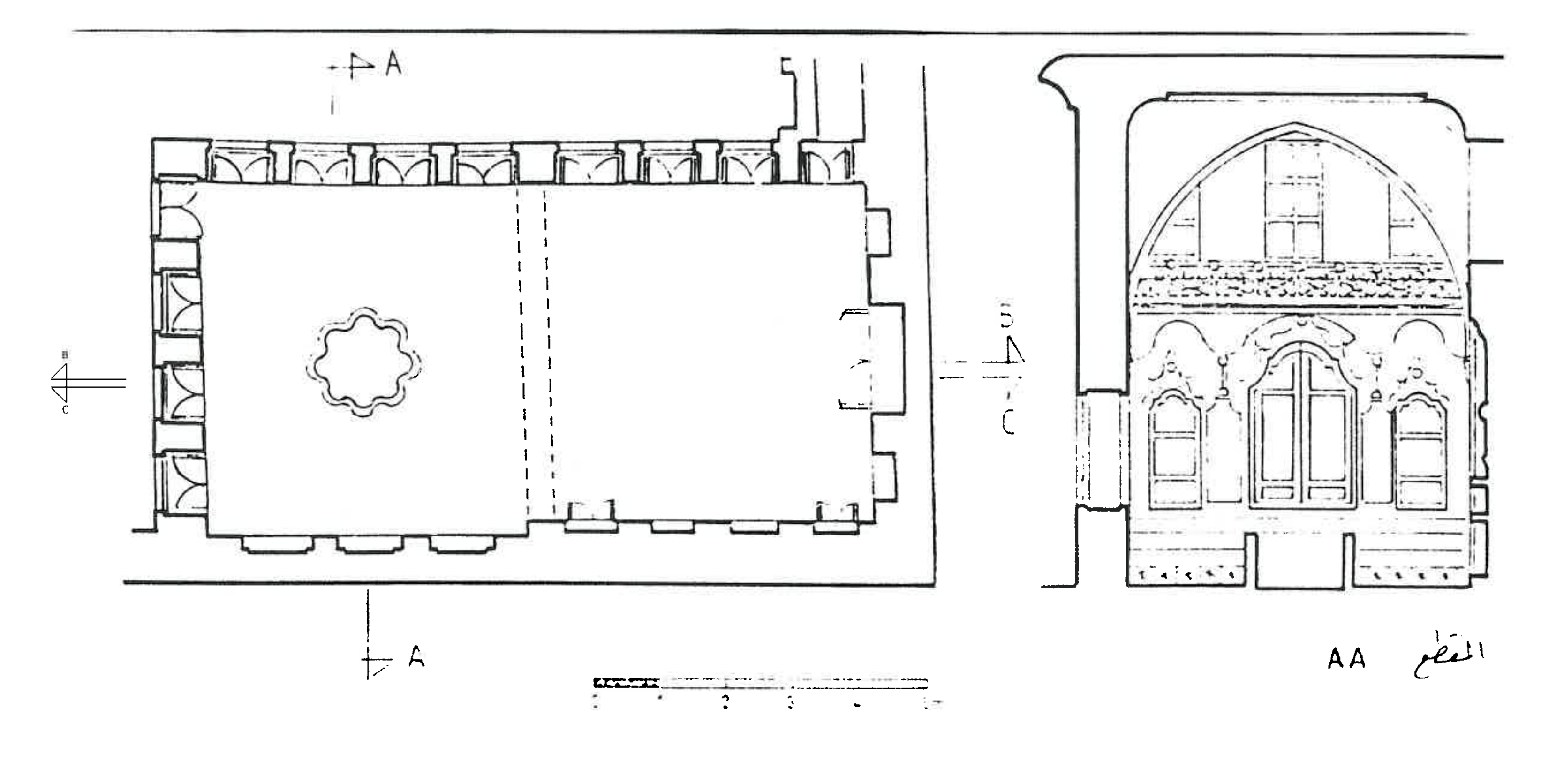
شق في جدار العتبة جعل لانصباب الماء منه .

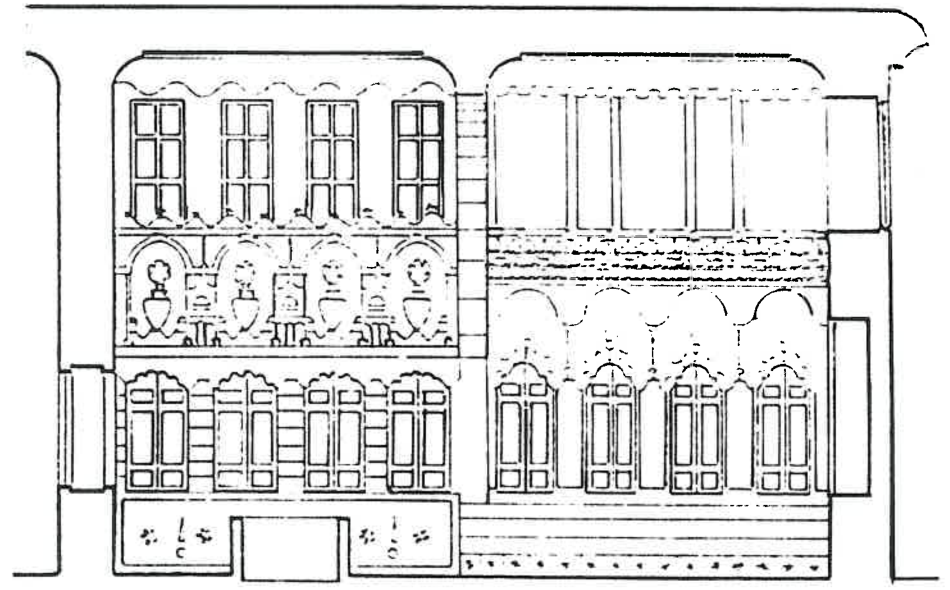
أنواع القاعات حسب شكلها : ☆

☆جحا ، البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي

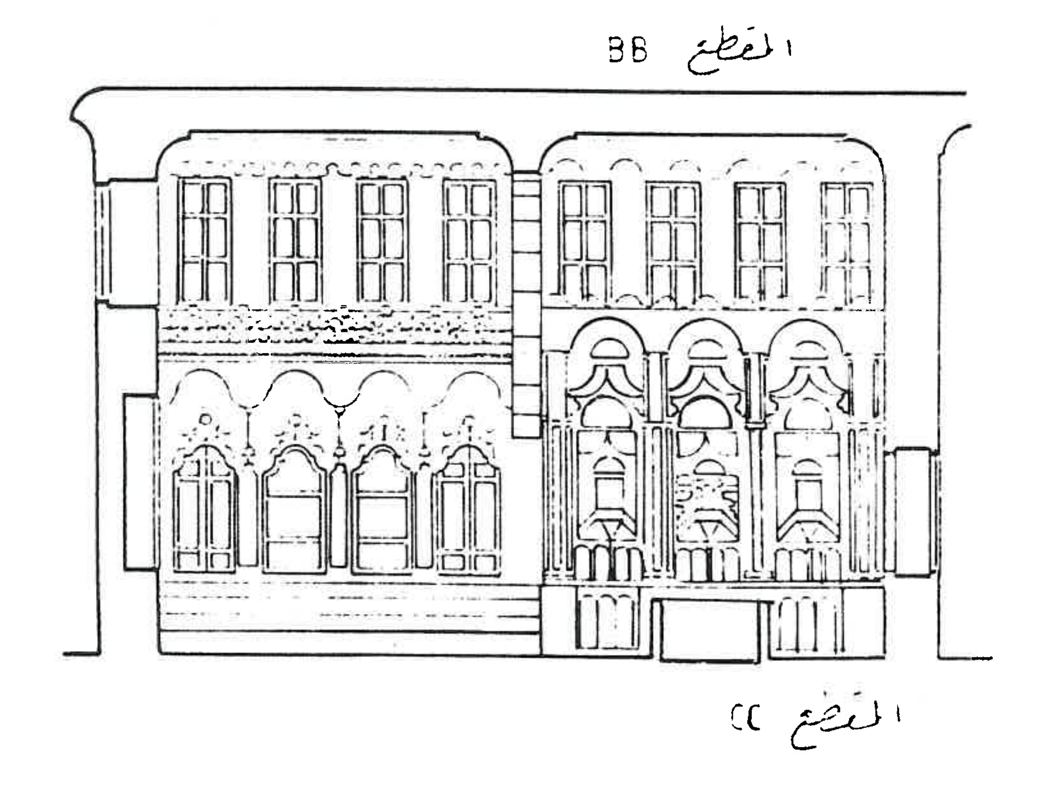
١- قاعة بدون طزر :

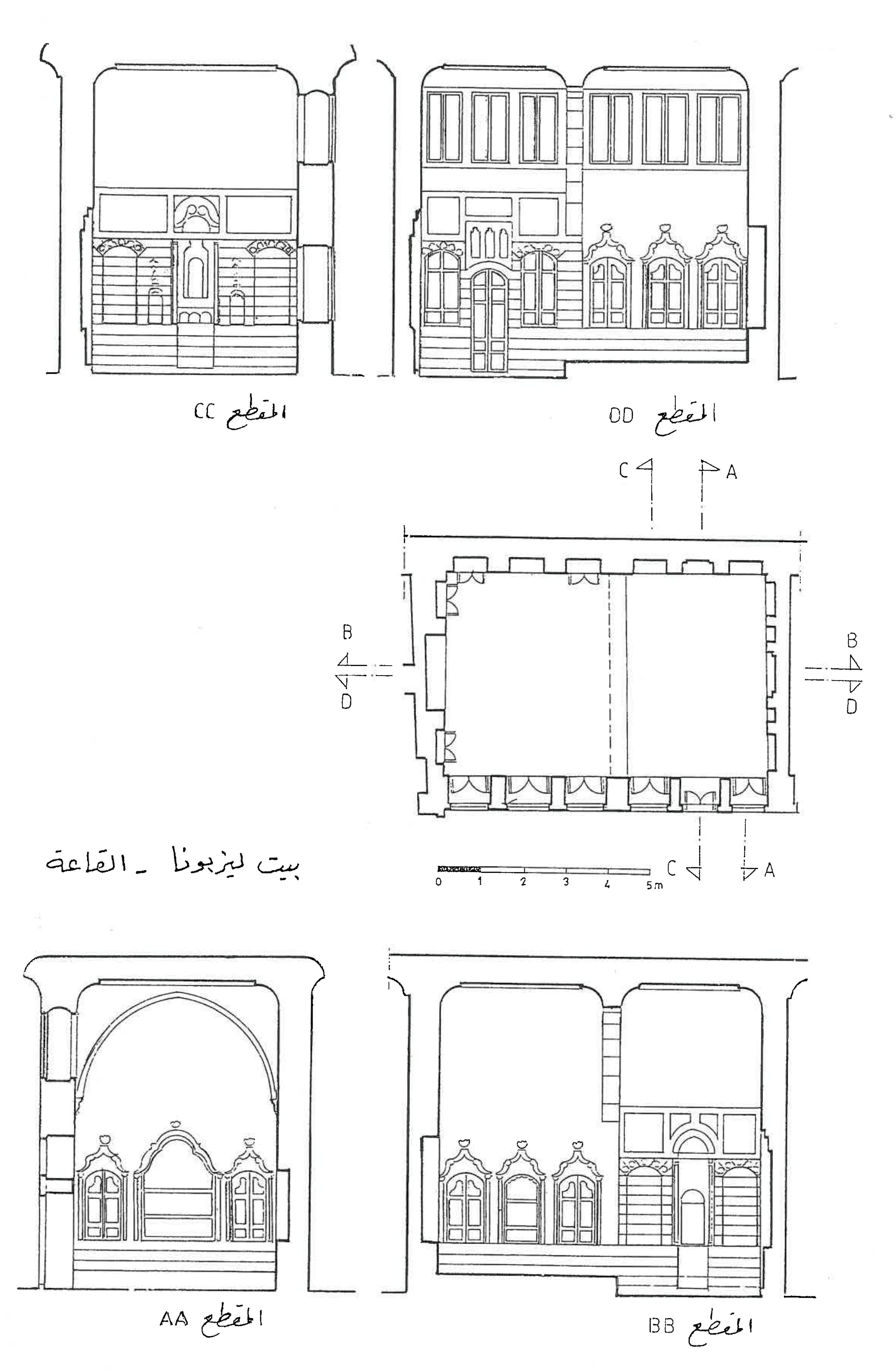
- شكل القاعة مستطيل ذات مدخل جانبي على الضلع القصير ، والدخول للقاعة من الباحة كما في بيت حلبي والسادات وسعدة .
- شكل القاعة مستطيل مدخلها جانبي على الضلع الطويل ، والدخول للقاعة من الباحة كما في بيت جمعة والوكيل .
- شكل القاعة مستطيل مدخلها محوري على الضلع الطويل كما في بيت البيروتي.
- شكل القاعة مربع مدخلها جانبي كما في بيت طيفور والوكيل والسر أميني .





بيت ليزبونا ـ القاعة




المقطع CC
المقطع DD
C
A
B
D
B
D
بيت ليزبونا - القاعة
0
1
2
3
4
5m
C
A
المقطع AA
المقطع BB

وبمقارنة هذا النوع من القاعات مع نماذج أخرى من قاعات البيوت الدمشقية نجد أن هذا النوع من القاعات يشابه القاعة الشمالية والقاعة غرب الإيوان لبيت القوتلي ، والقاعة شرق وغرب الإيوان لبيت جبري ، والقاعة الشمالية لبيت أبي رباح الجزائري .

٢- قاعة بطزر : تنقسم إلى نوعين

١) *قاعة بطزر وعتبة صغيرة وبدون قوس*

لايتجاوز عرض العتبة (١٠٠-١٢٠) سم وهي لاتحوي قوساً نظراً إلى صغر مساحة القاعة ، مدخلها من العتبة ، وجانبي على الضلع القصير كما في بيت الإسطواني وطيفور ، أو جانبي على الضلع الطويل كما في بيت جمعة . ولايوجد فسقية في عتبتها نظراً إلى صغر مساحة العتبة ، ويمكن أن ترتفع عن منسوب الفناء بعدة درجات نظراً إلى وجود قبو تحتها كما في بيت طيفور وجمعة .

وبمقارنة القاعات السابقة مع عينات مختلفة من القاعات الدمشقية نجد أن هذا النوع من القاعات يشابه القاعة الغربية لبيت أبي رباح الجزائري والقاعات الجنوبية لبيت نظام .

٢) *قاعة بطزر وعتبة كبيرة وقوس :*

ذات شكل مستطيل وابعادها أكبر من النموذج السابق تحوي قوساً إنشائياً لتخفيف الحمولات عتبتها عريضة (١٨٠-٤٠٠) سم وطولها (٣٦٠-٥٢٠) سم والمدخل إما أن يكون محورياً على الضلع الطويل كما في بيت سعدة ، أو محورياً على الضلع القصير كما في بيت الإسطواني .

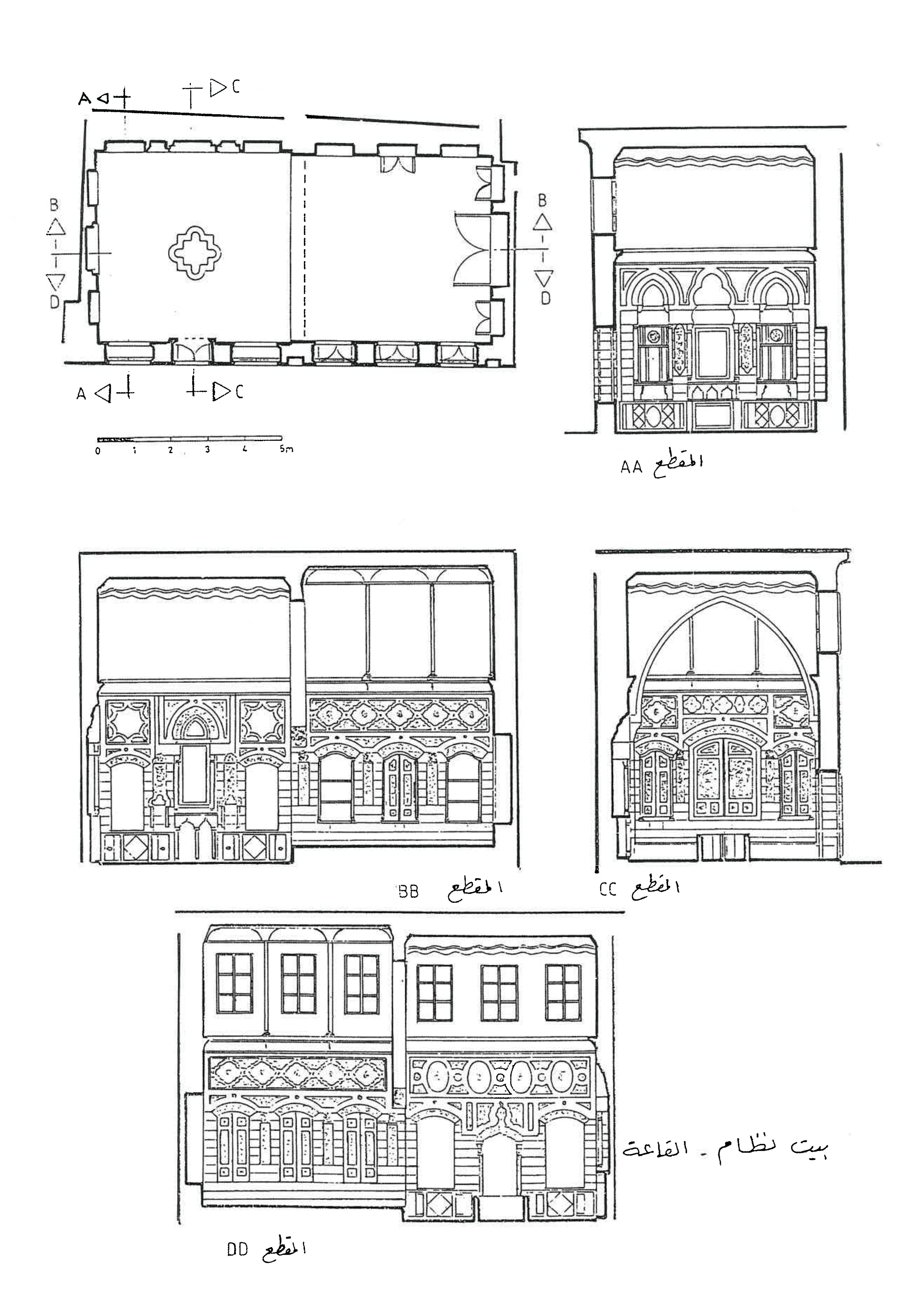
علماً بأن جميع هذه القاعات تحوي فسقية في عتبتها ماعدا بيت السر أميني .

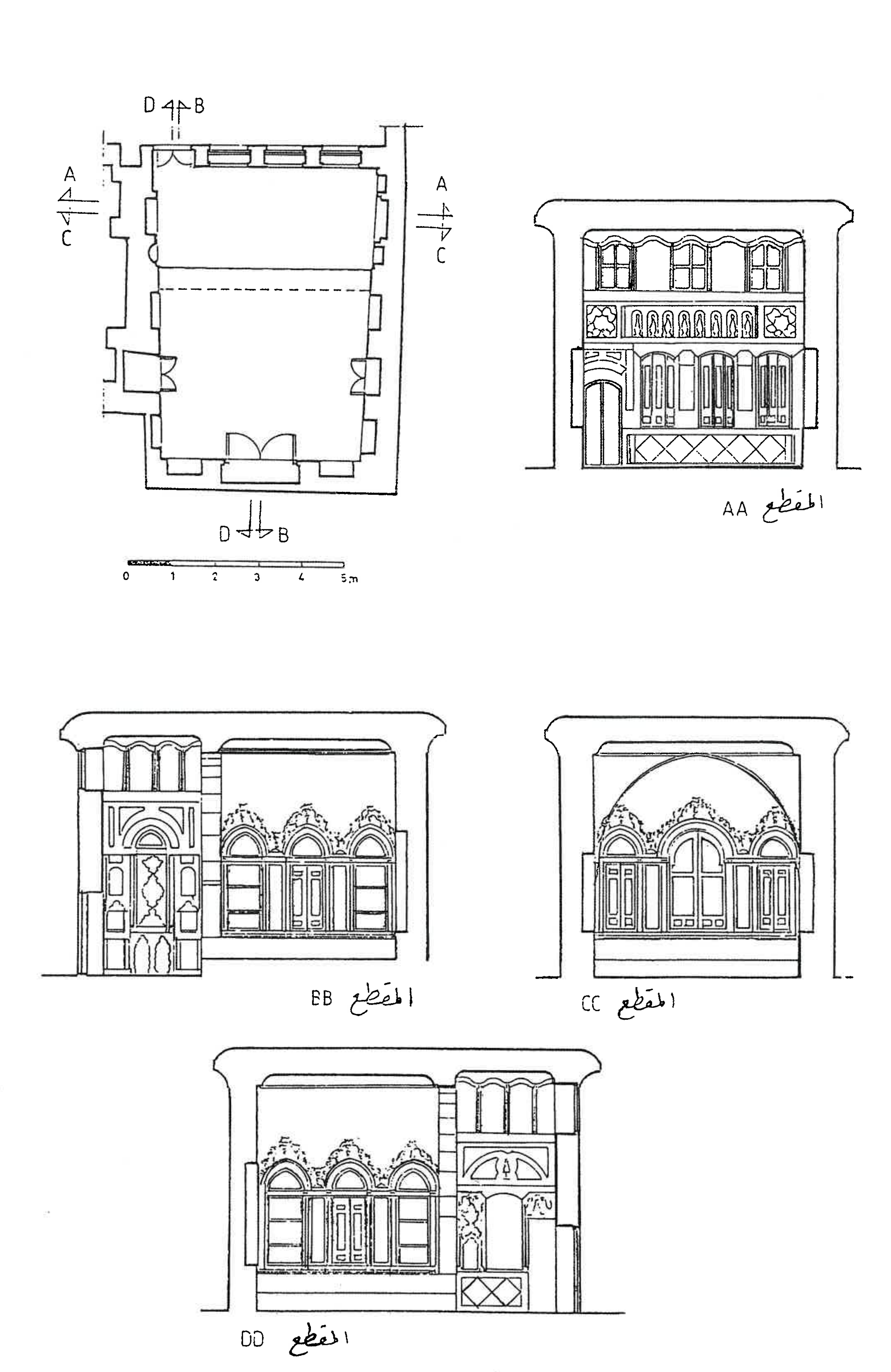
كما ويمكن أن يرتفع سقف العتبة عن سقف الطزر ، ويُستغلّ فرق ارتفاع الأسقف لفتح نوافذ الإنارة والتهوئة كما في بيت الإسطواني .

وبمقارنة هذا النوع من القاعات مع نماذج مختلفة من القاعات الدمشقية نجد أن هذا النموذج من القاعات يشابه القاعة الشمالية في بيت نظام والقاعة الغربية لبيت القوتلي .

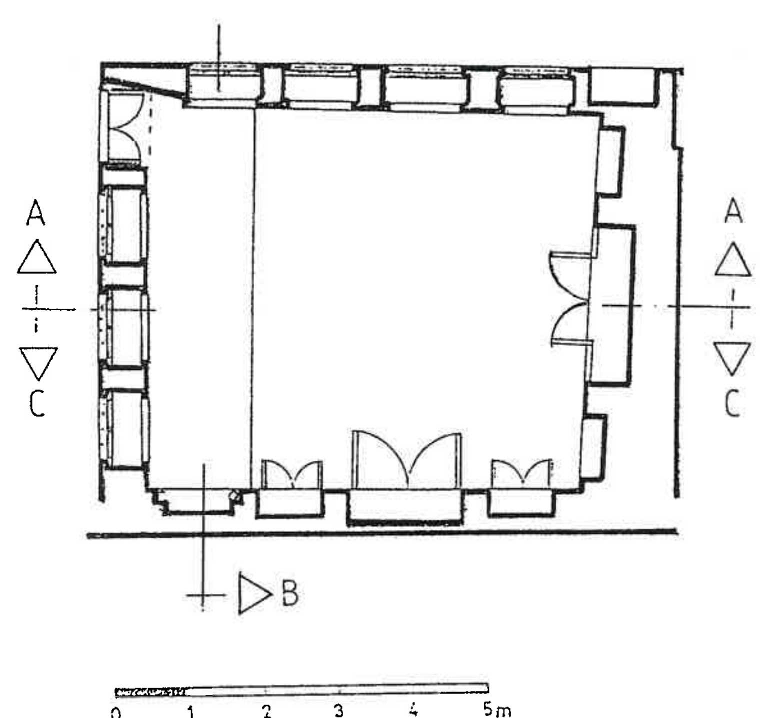
٣- القاعة بطزرين :

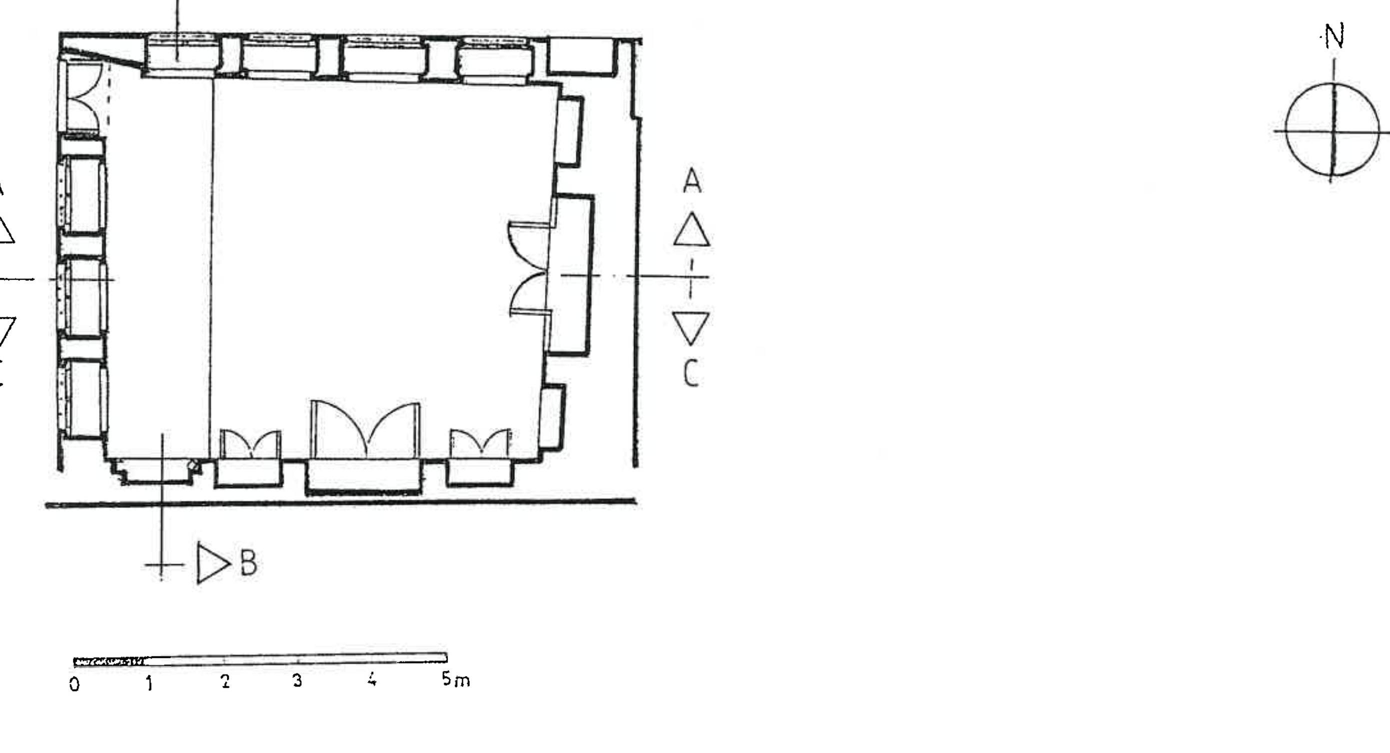
إضافة طزر مع وجود أقواس إنشائية دوماً في المستوى الفاصل بين العتبة والطزرين ، المدخل محوري على العتبة دوماً كما في بيت السر أميني والوكيل ، حلبي والسادات . وقد تحوي فسقية كما في بيت حلبي والسادات . وقد يكون منسوبها من الفناء أو تكون ذات منسوب نصفي نظراً إلى وجود قبو تحتها كما في بيت الوكيل .


A
C
B
D
A
C
0
1
2
3
4
5m
المقطع AA
المقطع BB
المقطع CC
بيت نظام ـ القاعة
المقطع DD



بيت نظام ـ القاعة





المقطع AA

المقطع BB

المقطع CC

بيت نظام ـ القاعة

وبمقارنة هذا النوع من القاعات بالإضافة إلى نماذج مختلفة مع القاعات الدمشقية ، نجد أن هذا النموذج من القاعات يشابه القاعة الغربية لبيت السباعي والقاعة الشمالية لبيت الشامي.

☆جحا ، البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي

مواد البناء والتغطية : ☆

فيما يتعلق بالناحية الإنشائية للقاعات الرئيسية نرى أنها تماثل إنشاء باقي المنزل حيث الأجزاء السفلية من البناء مشيدة بالحجارة الغشيمة وملفحة بالحجار النحتية أما الأجزاء العلوية فمشيدة بالخشب والطين كلياً . وقد اعتاد الدمشقيون على السقف المستوي والعوارض الخشبية التي تحمله والمشيد من الطين الممزوج بالقش لسقف غرفهم ، إلا أنه بحاجة إلى صيانة مستمرة بالرغم من أن موسم الأمطار الشتوية قصير جداً ، لكن العبء يصبح ثقيلاً على السقف إذا تراكمت الثلوج عليه ، ومع ذلك لم يلجأ الدمشقيون إلى السقوف المعقودة في الطوابق العلوية أو السفلية ، إلا أن إمكانيات مواد البناء هذه كانت تتحكم بالبعد الإنشائي للفراغات المراد إنشاؤها .

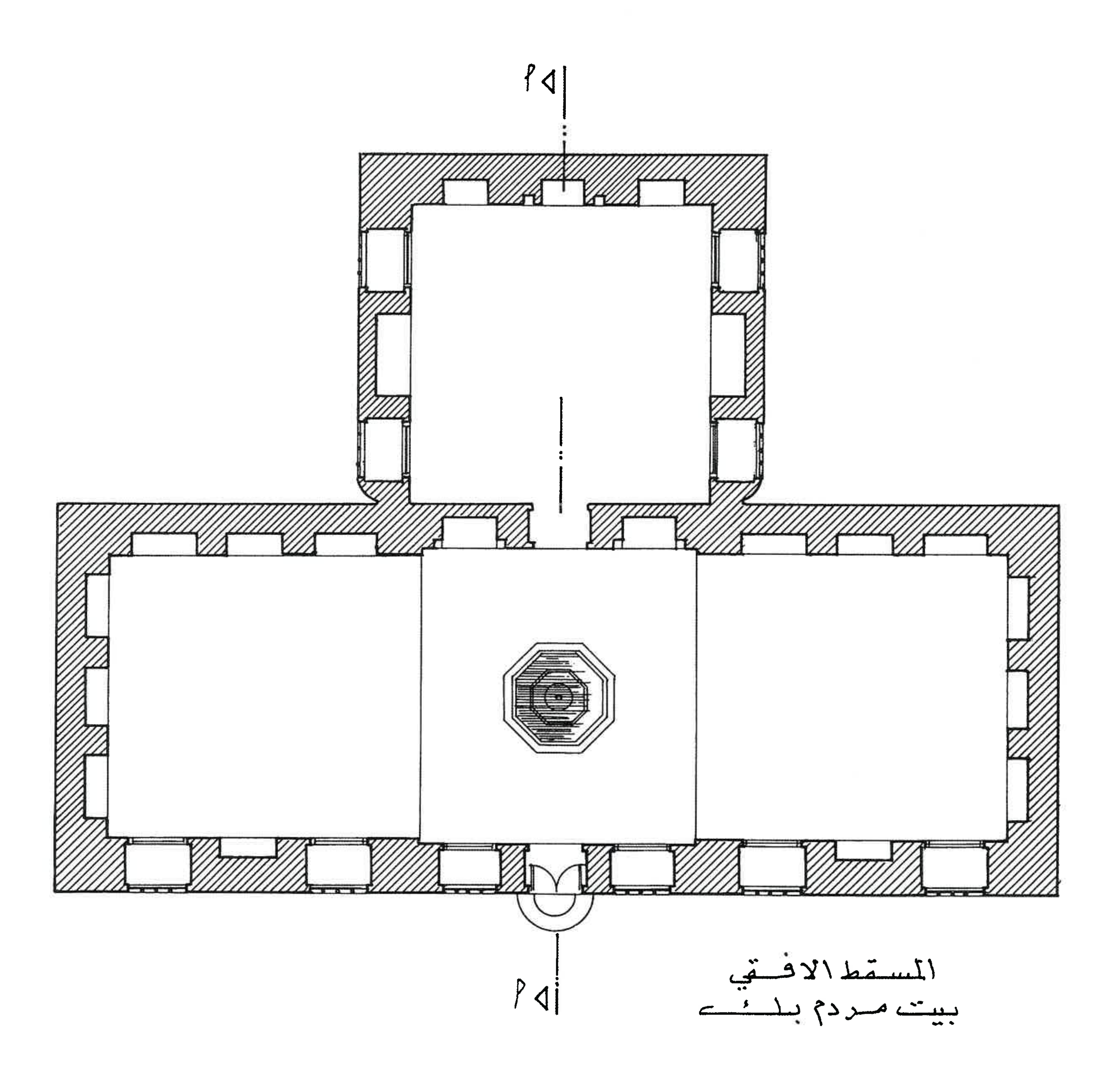
ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة بوضوح في القاعات الرئيسية حيث أن الإمكانيات الإنشائية لمواد البناء هي التي تحكمت بأبعاد القاعات وخصوصاً في عرض القاعة ، فبالرغم من اختلاف أطوال القاعات باختلاف النماذج نجد أن العرض ثابت تقريباً ويتراوح بين (٥٣٠ ، ٣٦٠) سم ، وهذه الأبعاد تعادل أطوال الخشب المتوفرة في تلك الفترة التي كانت لاتزيد عن ٦ أمتار من خشب الحور وبسماكة ٢٠–٣٠ سم حيث ترتصف العوارض في مسافات متباعدة بانتظام وتتراوح بين ٥٥–٧٠ سم .

☆الحوليات ١٩٦٣ ، العش ، ١٣٦←١٤٠

وكمثال بديع على القاعة نأتي على وصف قاعة أثرية أصيلة كما كانت في دار جميل مردم بك القديمة وتتألف هذه القاعة من أربعة أقسام : ☆

- العتبة .
- الطزر الأيمن .
- الطزر الأيسر .
- الغرفة الداخلية الشمالية .

يُدخل إلى العتبة من الباب الأوسط في الواجهة الجنوبية . سقفها عالٍ ذو رقبة مرتفعة ، تستمد نورها من نافذتين ترميان إلى الجنوب مجاورتين للباب ، فوقهما نافذتان أخريان ، وهي تستمد النور أيضاً من نوافذ عالية في الرقبة ترمي إلى جميع الجهات (نافذتين من كل جهة) .



المسقط الافقي
بيت مردم بك

الواجهة الشمالية للعتبة مؤلفة من باب ومصبين جانبيين يحيط بها رضم (مداميك) بيضاء وسوداء متناوبة ، يعلو كلا من المصبين والباب نصف قبة (طاسة) مقرنصة محفوفة بقوس مدبب قليلاً ، وقوسا المصبين مؤلفان من رخام أسود وأحمر معشق يتخللهما رخام أبيض .

قوس باب الغرفة الداخلية مؤلف من حجارة بيضاء وسوداء محفوفة بقوس آخر من الرخام الأبيض والأسود معشق على شكل زهرة الزنبق . في جانبي كل من المصبين عمودان من الرخام ذوا تاجين وقاعدتين . كسي داخل كل من المصبين بألواح من الرخام الأبيض والأسود والأحمر رتبت حسب أشكال هندسية ، ووضع في أسفل كل من المصبين رف من الرخام الأسود .

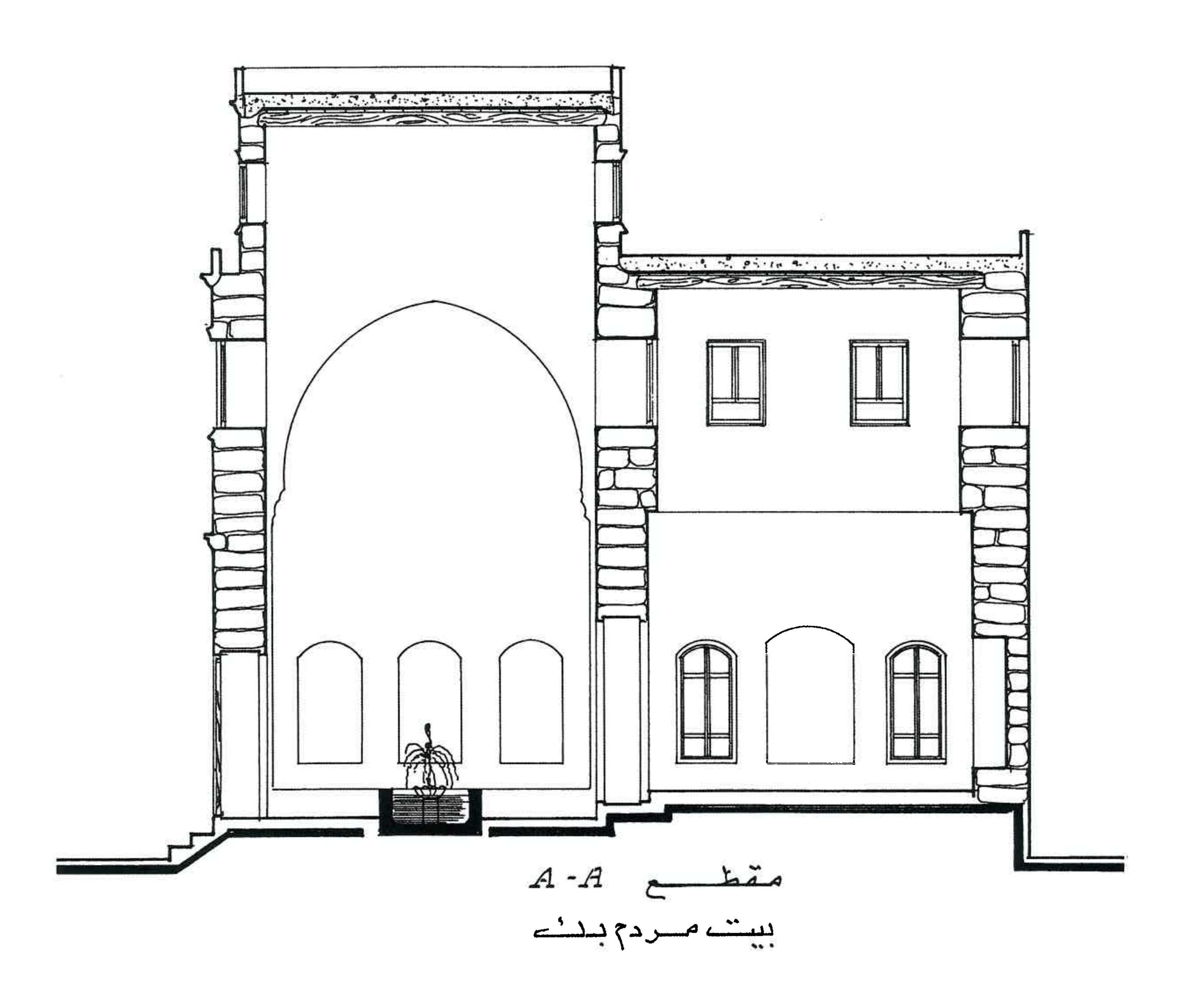
جمّل أعلى الواجهة بخيوط متشابكة حفرت على الحجر الأصفر ، حدّت أقواس الباب والمصبين والألواح التزيينية العالية . توجد لوحة رخامية مستديرة كبيرة فوق الباب مؤلفة من ثماني دوائر ذات ألوان مختلفة ودائرة تاسعة سوداء في المركز حبكت جميعها بخيوط رفيعة مقفولة ، وجمّلت الفوارغ الحادثة بين الدائرة والمستطيلات المجاورة بقرن من الرخام المفصص.

أما أعلى كل من المصبين فهو مزين بلوحتين رخاميتين مزخرفتين بخيوط متكسرة سوداء وحمراء على مهد أبيض .

أرض العتبة مفروشة بحصيرة من الرخام تتوسطها فستقية لطيفة نقلت جميعها إلى قاعة المحاضرات كما هي وهي تمسح ٤٤٦ × ٥٢٤ سم .

الطزران متناظران يمسح كل منهما ٥٢٩ × ٤٩٤ سم ، لكل منهما في كل من جهاته الثلاث نافذتان وبينهما خزانة (خرستان) . أعلى النوافذ مزين بألواح رخامية بيضاء وسوداء تستند إلى عناصر زخرفية هندسية ، وقد حبكت أطرافها وأطراف النوافذ بأطر من خيوط زخرفية تتألف من خطوط متكسرة بارزة أو من خطوط متشابكة تؤلف بتشابكها مسدسات ، جعل بين هذه الخيوط وأعلى النوافذ منطقة جملت في وقت متأخر بالدهان يبدو فيها عنصر متكرر مؤلف من دوائر متوضعة على شكل زهرة ثلاثية الأوراق . في صدر الطزر الشرقي خزانة خشبية بين النافذتين . تحمل تاريخ تجديد دهان القاعة وهو سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) أما في صدر الطزر الغربي ففيه كتيبة رخامية عوضاً عن الخزانة يعلوها قوس قليل الانحناء ، داخلها مقسوم بواسطة رف رخامي إلى قسمين .

يوجد لجميع النوافذ أغلاق خشبية مزينة بزخارف هندسية . يربط بين الطزر والعتبة قوس كبير يشكل واجهة للطزر مزين بزخارف محفورة ومملوءة بالجص الملون تستند إلى عناصر هندسية وهي ما تسمى باصطلاح البنائين بالأبلق .



مقطع A-A

بيت مردم بك

الغرفة الداخلية تمسح ٥٠٨×٥٠٥ سم ، يدخل إليهما من الباب المواجه لباب القاعة الرئيسي في صدر العتبة ، ويرقى إليها بدرجتين زينت جدرانها بكسوة خشبية تتألف من مكتبات وأبواب نوافذ وألواح من الخشب مزينة بزخارف نباتية وهندسية نافرة مدهونة بالألوان والذهب ، ضمّنت حشوات مكتوبة بالخط الفارسي النافر المذهب ، كل حشوة عليها بيت شعر من القصيدة الهمزية لشرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد الدلاصيري الشهير بالبوصيري المتوفى سنة ٦٩٤ هـ – ١٢٩٤ م :

كيف ترقى رقيك الأنبيـاء   ياسما[ءً] ما طاولتها سماء

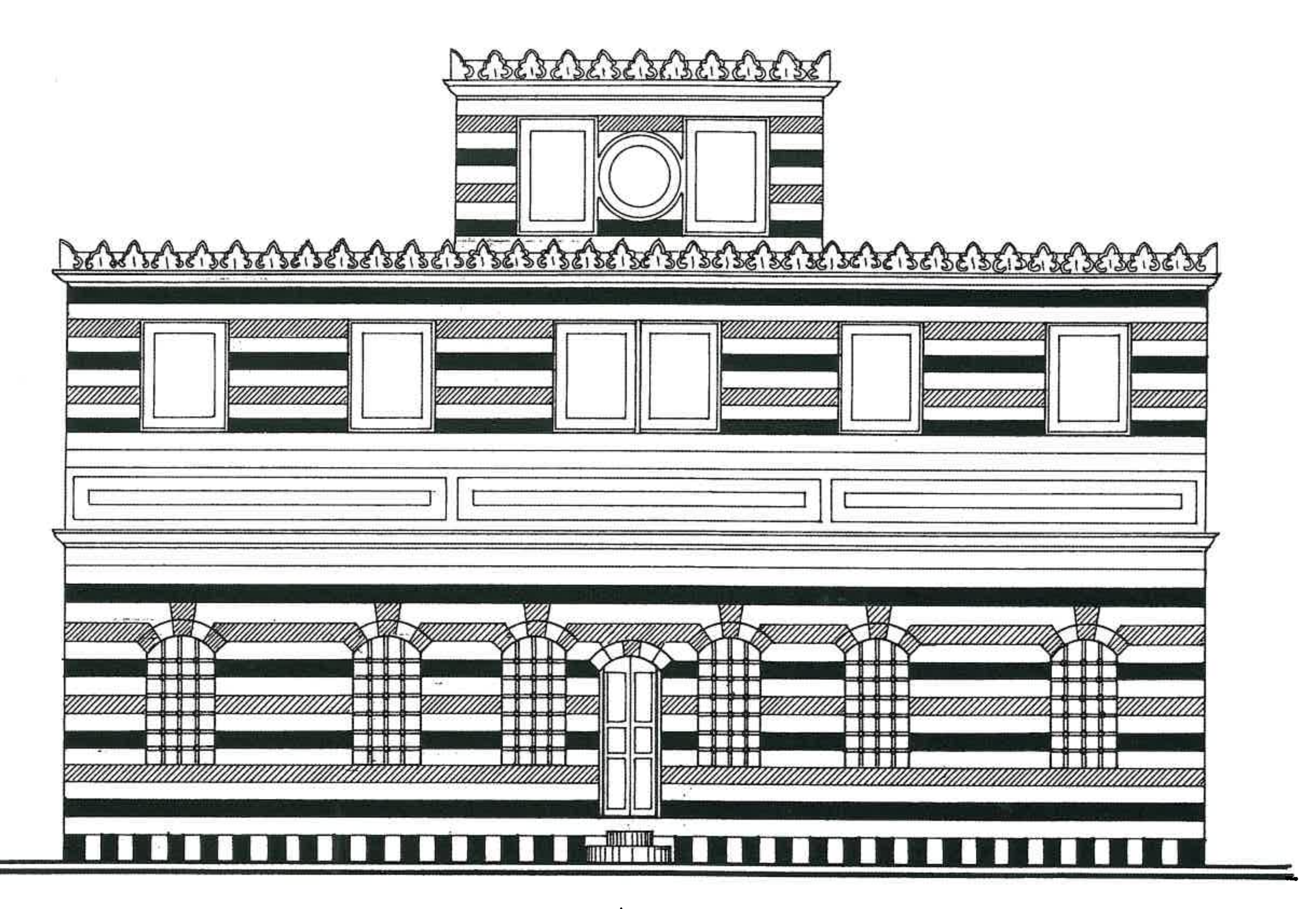
جمعت هذه الكسوة الخشبية ، وانتهت في الأعلى بطنف بارز ، زُيّن بنوعين متناوبين من المناطق : أحدهما مزين بزخارف شبه هندسية ، والآخر بزخارف نباتية قريبة من الطبيعية ، يفصل بينهما دعامات مقرنصة صغيرة .

زينت الجبهة العليا المستقيمة لهذا الطنف بزخارف هندسية ، وكتابات بالخط الفارسي في مدح الرسول ﷺ، وتحمل تاريخ القاعة ١١٥٠ هـ – ١٧٣٧ م .

في صدر هذه الغرفة وفي الوسط ثبتت مدخنة من الرخام تتصل في الأعلى بفجوة محفورة في الجدار برز منها نصف هرم ذو اثني عشر جانباً ، زُين بخيوط منكسرة سوداء وحمراء على مهد أبيض ، برز من تحته طنف من الرخام يساير أضلاع الجوانب وهو مزين بزخارف نباتية متكررة نافرة . ويتلو الطنف من الأسفل نطاق مؤلف من اثني عشر محراباً صغيراً تشكّلت من تلاقي أوراق نباتية مروحية بارزة ، زُين وسط كل محراب بوردة محورة بارزة ، وجميع هذه الزخارف النباتية جُملت بالذهب في خطوطها الرئيسية ، ويتلو هذا التركيب نطاق رخامي آخر في الأسفل فيه خمس كوى ، ثم يتلوه في الأسفل ألواح من الرخام مترابطة ، ولها قطع مائل من الأمام إلى الجانبين مقصّص الأطراف ، وهي تشكل فوهة المدخنة . في أرض المدخنة ركيزة من الرخام المجزّع . يحيط بالمدخنة بناء حجري ، أسفله مؤلف من حجر أبيض وحجر أسود توضّعا بالتناوب ، يبدو في كل جانب كوة ذات قوس مضبب . تحيط بالمدخنة في الأعلى لوحة رخامية جميلة مؤلفة من خيوط وزخارف هندسية ضمنت أحجاراً ملونة زهراء وصفراء ورخاماً معرّقاً .

سقف هذه الغرفة مربع تقريباً له كسوة من الخشب المحفور المزيّن بزخارف هندسية ونباتية ملونة ومذهبة .

أما واجهة القاعة الخارجية فهي مؤلفة من قسمين يعادلان طابقين عدا رقبة العتبة . يفصل بينهما طنف ضيق بارز وفي أعلى البناء طنف آخر بارز مثله ، يتوضع عليه مسننات لطيفة ذات تكوين يشبه زهرة ذات ثلاثة فصوص ، يعلو كل هذا رقبة العتبة على النسق نفسه (أي أن أعلاها مجمل بالمسننات أيضاً) . بين نافذتي الرقبة من كل جهة لوحة مستديرة منحوتة . الواجهة حجرية مؤلفة من قاعدة مكونة من حجارة مرصوفة طولياً : حجر أبيض



الواجهة الداخلية
بيت مردم بك

وآخر أسود بالتناوب ، يعلوها رضم (مداميك) سوداء تتناوب مع ثلاثة رضم بيضاء، فوق الطنف الفاصل بين القسمين الأسفل والأعلى ثلاث لوحات منفصلة على مستوى واحد لانعرف عناصرها الزخرفية .

تبدو نوافذ القسم الأسفل والقسم الأعلى بشكل متناظر رتيب . في وسط القسم الأسفل الباب ، نوافذ القسم الأسفل ينتهي أعلى كل منها بقوس قليل الانحناء ، أما نوافذ القسم الأعلى فهي مستطيلة ، وأعلاها مستو . تعتبر هذه القاعة هامة جداً من حيث المخطط ومن حيث توزيع النور ، يلاحظ أن لها نوافذ من جميع أطرافها تستمد النور منها : ومن نوافذ على مستوى القسم الأسفل ذات أغلاق خشبية ومن نوافذ عالية ، كما أن العتبة تستمد نورها من نوافذ الرقبة (أي أن للعتبة ثلاثة صفوف من النوافذ) .

واجهات داخلية
بيت مردم بك

٥- المطبـخ

يتواجد دائماً في الطابق الأرضي ، ويطل على صحن البيت ، ويحتوي على عناصر مختلفة، ويتواجد البئر أحياناً قريباً منه .

☆ جحا البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي

العناصر الرئيسية المكونة للمطبخ : ☆

يتألف المطبخ من ثلاثة عناصر رئيسية :

١- الكانـــون :

هو مكان طهي الطعام وهو العنصر الأكثر أهمية مصنوع من القرميد ويتألف من : -

-*الـوجــاء* : مـكـان تـوضـع الحجـر وقـد يـرتـكـز عـلـى الأرض أو يـرتـفـع عـنـهـا بمقدار بسيط .

-*فتحة العمل* : فتحة قوسية حجرية على عرض الكانون .

-*المدخنة* : عنصر سحب الهواء .

٢- المصدر المائي :

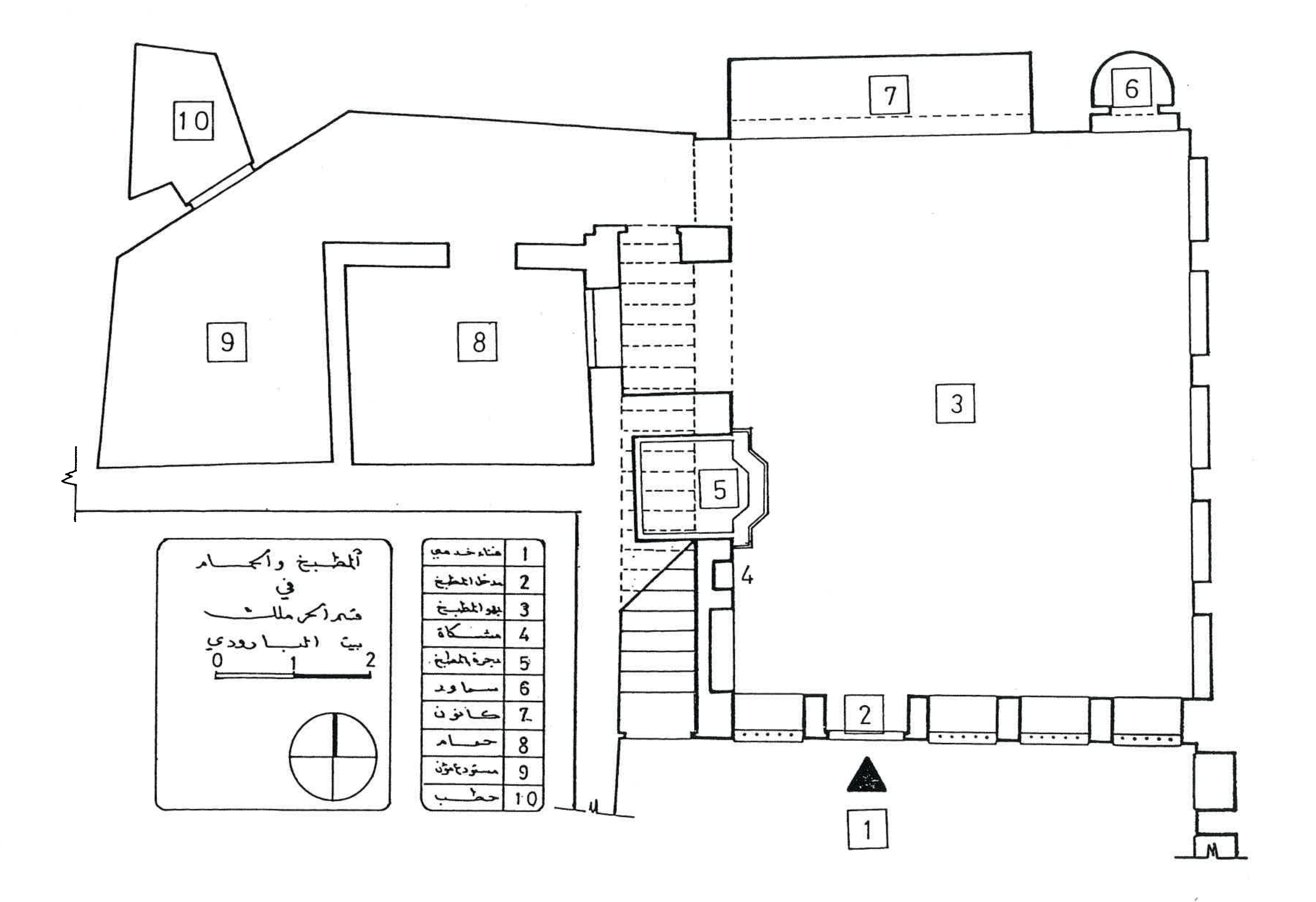
يتم عن طريق فسقية موجودة في المطبخ لتزويده بالماء للجلي والشطف والطبخ وتزود البحرة بالماء عن طريق الطالع .

٣- بيت المؤن :

وهو مكان حفظ الأطعمة ويكون تحت الأرض في المكان الأكثر برودة "قبـو" أو يكون بجوار المطبخ "مستودع" أو فوق المطبخ "السقيفة" .

ويجب أن تكون هناك علاقة وثيقة بين المطبخ وبين المؤن .

ومن خلال المقارنة بين مطابخ البيوت قيد الدراسة أمكن تصنيفها إلى نوعين أساسيين :
١- حسب الشكل ٢- حسب الموقع



المطبخ والحمام
في
قصر الحرملك
بيت البارودي
0 1 2
1 فناء خدمي
2 مدخل المطبخ
3 بهو المطبخ
4 مشكاة
5 بحرة المطبخ
6 سماود
7 كانون
8 حمام
9 مستودع مؤن
10 حطب
1
2
3
4
5
6
7
8
9
10

١) أنواع المطابخ حسب شكلها :

غالباً ما تأخذ المطابخ شكلين :

أ- شكل المطبخ قريب المستطيل :

غالباً ما تأخذ المطابخ الشكل المستطيل ، ويكون الدخول إلى المطبخ جانبي على الضلع الطويل ، كما بيت (الوكيل ، سعدة ، حلبي والسادات ، البيروتي طيفور) ، وهي بذلك تماثل مطابخ بيت (نظام ، القوتلي ، لزبونا) .

المدخل جانبي على الضلع القصير كما في بيت الإسطواني وهو بذلك يماثل مطبخ بيت حتوين .

ب- شكل المطبخ قريب المربع :

وهي حالة خاصة وجد فيها المطبخ قريب المربع ، كما في بيت السر أميني، لكن هذه الحالة وجدت في بعض البيوت الدمشقية كما في مطبخ بيت حتوين.

مما سبق نستنتج أن غالبية مطابخ البيوت المدروسة تأخذ الشكل المستطيل ذا المدخل الجانبي على الضلع الطويل ، وذلك حسب مكان توضعها في المنزل.

٢) أنواع المطابخ حسب موقعها بالنسبة إلى البيت :

أ- شمالي غربي :

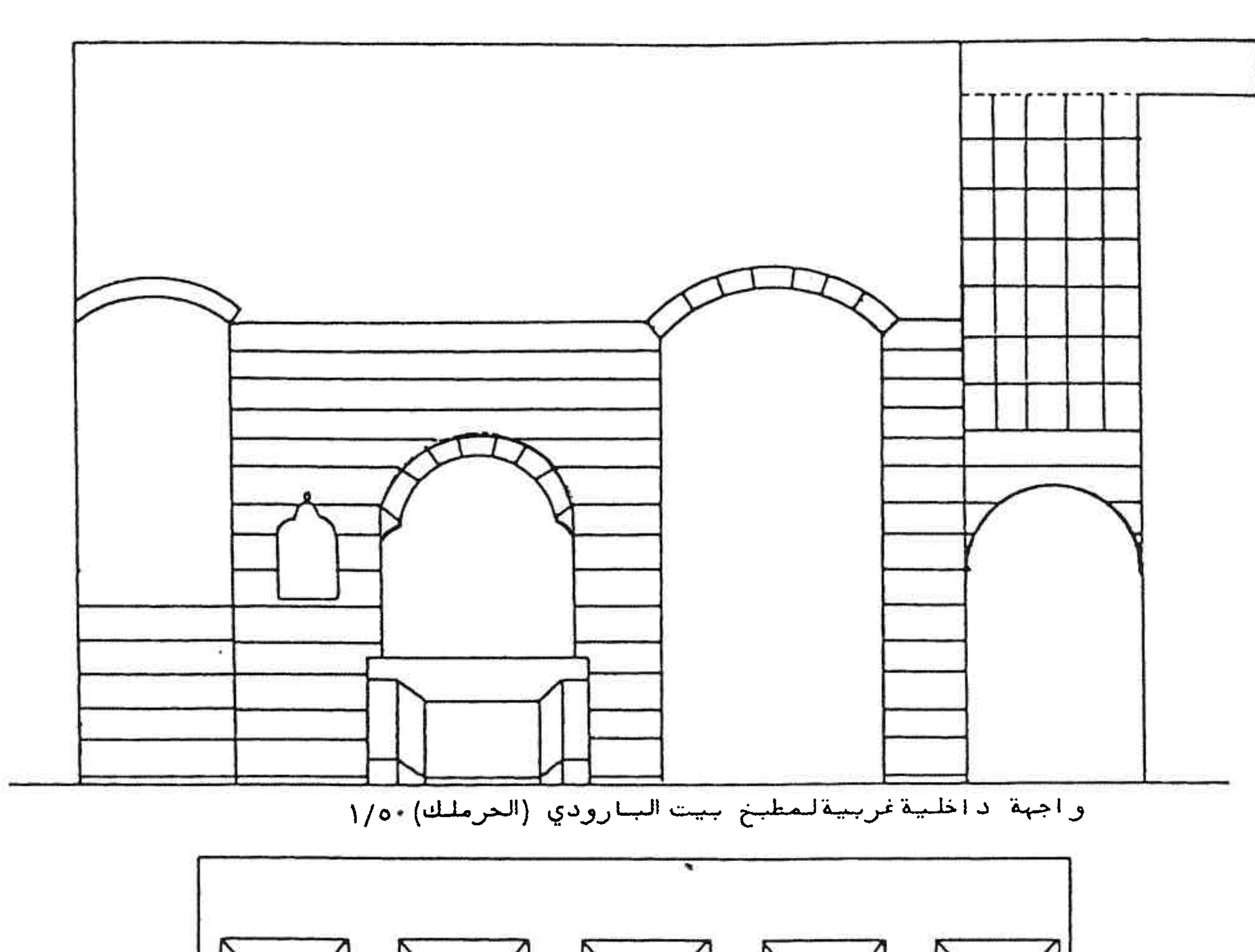
كما في بيت جمعة ، البيروتي، سعدة ، حيث يتوضع في الزاوية الغربية الميتة في البيت ، ولا يطل على الباحة السماوية إلا بباب كما في بيت البيروتي ، أو يتوضع ضمن بهو الخدملك كما في بيت جمعة أو أن نوافذه تقع ضمن دهليز الدخول كما في بيت سعده .

وبمقارنتها بمطابخ البيوت الدمشقية المختلفة وجدنا أن مطبخ بيت حتوين يماثل هذه المطابخ حيث يتوضع في أقصى الواجهة الشمالية الغربية وضمن فناء الخدملك .

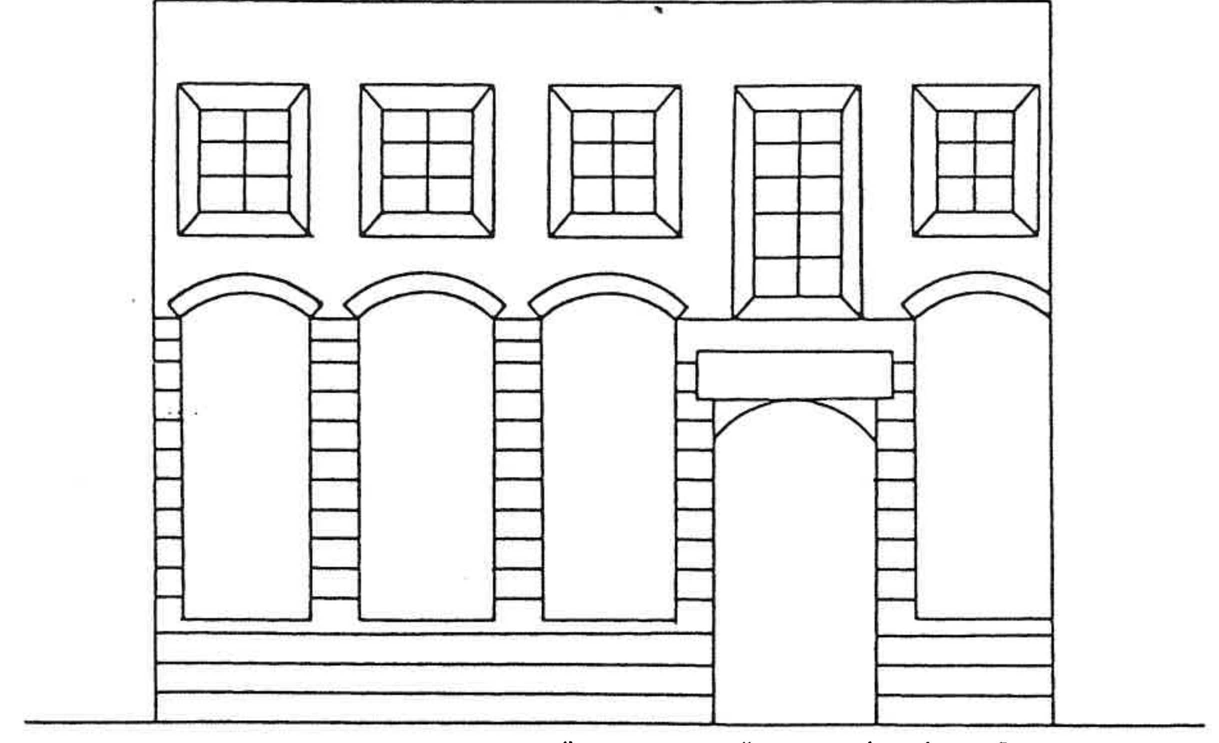
ب- جنوبي :

كما في بيت الوكيل والأسطواني وهي حالة نادرة وبالرغم من توضعها في الواجهة الجنوبية بجوار الإيوان إلا أنها لاتطلّ على الباحة السماوية والإيوان بنوافذ ، وممكن أن يكون لها نوافذ علوية لتأمين الإنارة فقط .

وهذه الحالة الخاصة لم نجد مثيلاً لها في البيوت الدمشقية .



واجهة داخلية غربية لمطبخ بيت البارودي (الحرملك) ١/٥٠



واجهة مدخل مطبخ بيت البارودي من الداخـــــل

ج- شمالي :

كما في بيت طيفور ، وبيت السر أميني وهي حالة قليلة أيضاً ، ورغم توضعه على الواجهة الشمالية إلا أن المطبخ يقع في القبو ، والدخول إليه جانبي . كما أن مطبخ بيت السر أميني يقع ضمن فناء الخدملك .

د- غربي :

كما في بيت حلبي والسادات .

النتيجــــة :

مما سبق يمكن أن نستنتج أنّ عدة بيوت تأخذ الزوايا المائلة على الزوايا الرئيسية ، وذلك لإخفاء ما بداخلها ، وانشغال الواجهات الرئيسية بالقاعات الرئيسية .

بعض المطابخ وهي حالات خاصة تأخذ الواجهات الرئيسية ، نجدها مدروسة بصورة لاتسبب أي عائق . فمطبخ بيت طيفور رغم وجوده على الواجهة الشمالية إلا أنه يقع في القبو تحت القاعة الرئيسية للبيت وذو مدخل جانبي . ومطبخ بيت الأسطواني بالرغم من وجوده بجوار الإيوان إلا أن له مدخلاً خاصاً ضمن بهو الخدملك . فهو بذلك لايؤثر على الواجهة الجنوبية والإيوان . كما أن موقع مطبخ بيت الوكيل أخذ الزاوية الجنوبية أيضاً ، كونه كان مفتوحاً مع بيت الإسطواني وبيت جمعة ، وهذه الزاوية تتجمع فيها خدمات تلك البيوت .

منسوب المطبخ :

أ- على سوية الباحة السماوية نفسها ، كما في بيت الأسطواني ، الوكيل ، البيروتي ، سعدة ، حلبي ، والسادات . وذلك لسهولة الحركة والتنقل .

ب- منسوبه أقل انخفاضاً من منسوب الباحة السماوية (قبـو) كما في بيت طيفور ، السر أميني . ولعل السبب في ذلك يعود إلى سهولة سيلان الماء على البيت من الطوالع . بالإضافة إلى ضرورة إخفاء المطابخ في حال توضعها على الواجهات الرئيسية .

٦- الحمام

يعود قلة تواجد الحمام في البيت الدمشقي إلى توفر حمامات السوق المنتشرة بكثرة في مختلف أحياء دمشق سواء ضمن السور أم خارجه .

وقد وجدت الحمامات في بيوت المجلد والشامي والشاوي ومردم بك وخالد بك العظم والبارودي .

وأما عملية تسخين المياه فكانت معظمها تتم عبر الكانون ، وهذا يعني العلاقة المباشرة بين المطبخ والحمام .

وأهم حمام وجد مطابقاً لمواصفات حمام السوق هو الحمام الموجود في قصر العظم .

☆ قدور ، قصر العظم ، ص٥٢-٥٤

☆حيث يعتمد في بنائه على حجرات متداخلة فُرشت أرضها بالرخام ، تعلوها قباب نصف كروية معقودة ، وتتخللها فجوات مستديرة رُكّبت عليها قطع زجاجية نافرة نصف كروية تسمح بدخول نور الشمس إلى الحمام . وتتميز قباب حمام القصر بزخرفة قواعدها بالمقرنصات الجصّية .

يتكوّن الحمام الخاص بقصر العظم من أربعة أقسام :

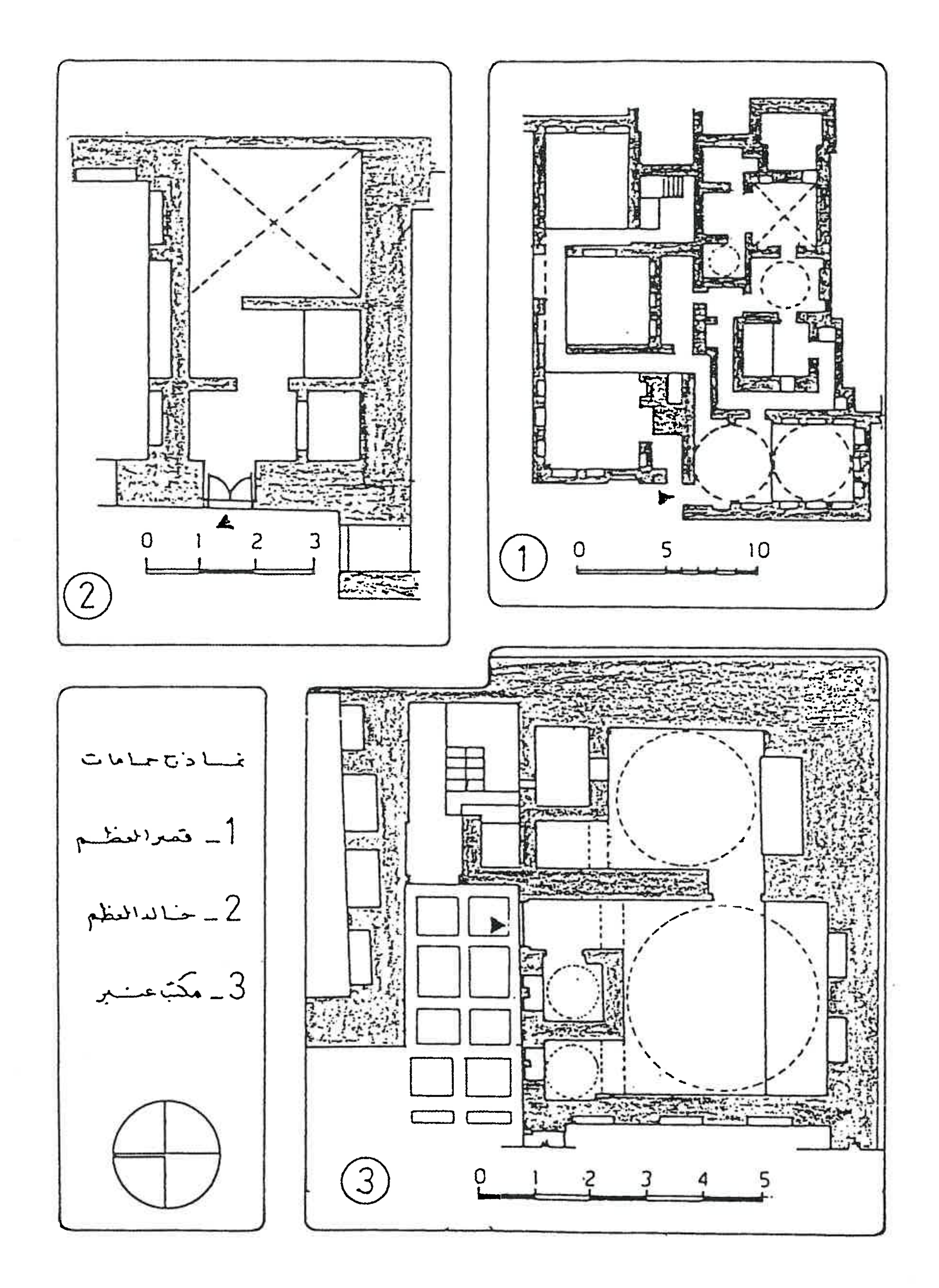
١- القسم الخارجي (البرّاني) : يتكون من طزر واحد يعلوه قوس مرتفع ، ومن عتبة فُرشت بالرخام تتوسطها بحرة ماء وتعلوها قبة شاهقة تنتهي بنوافذ زجاجية علوية . حرارة هذا القسم عادية .

٢- القسم الوسطاني : غرفة صغيرة فيها دكة رخامية مرتفعة ، زُيّن جدارها الشمالي بمحراب مقرنص ينحدر منه مسقط ماء يتصل بالفسقية الرخامية ذات النوافير الدقيقة القائمة وسط الدكة .

٣- القسم الداخلي (الجوّاني) : يتكوّن بناؤه من فسحة في منتصفها قوس ، ومن مقصورتين مفروشتين بالرخام ، وجهّزت جدرانهما بصنابير الماء الساخن والبارد التي تصب في أجران رخامية . هذا القسم مُعدّ للاستحمام وحرارته مرتفعة .

٤- الخزانة (الأمّيم) : وهي المكان المخصّص لتسخين الماء ، ولها مدخل مستقل في الجهة الشرقية من القصر لتزويده بالوقود .

هذه الأقسام المذكورة تتّصل ببعضها عن طريق ممرات ضيّقة ومتعرّجة لمنع التأثير المباشر للهواء الخارجي على المستحمّين ، ولإتقاء الرؤية المباغتة .



2
0 1 2 3
1
0 5 10
نماذج حمامات
1_ قصر العظم
2_ خالد العظم
3_ مكتب عنبر
3
0 1 2 3 4 5

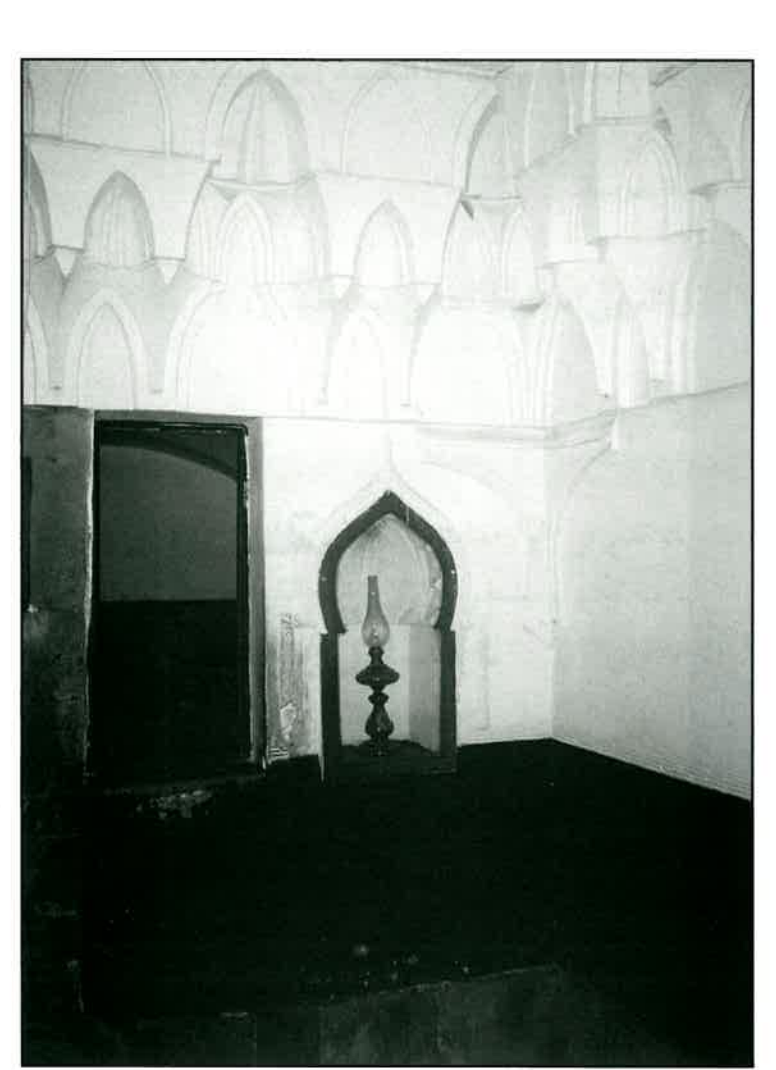
الوسـطـانـي



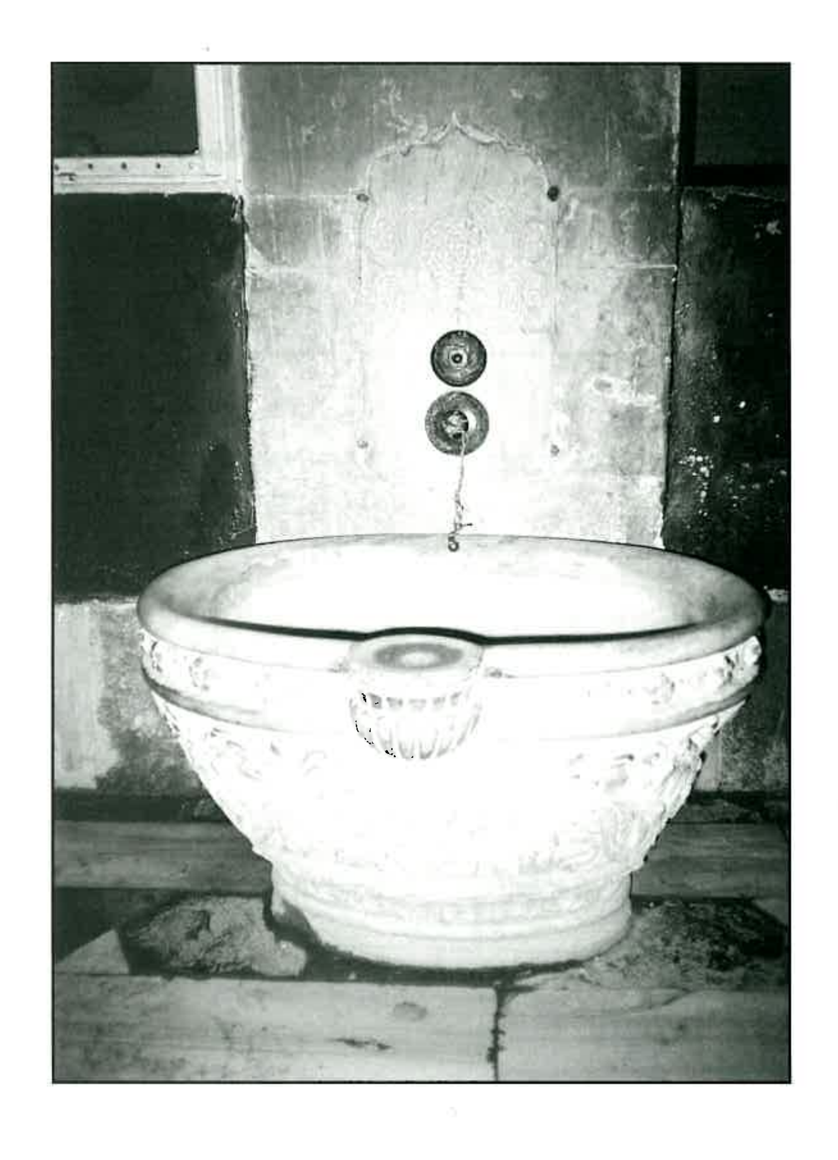


حمام قصر العظم

الجـوّانـي



الجــــرن



حمـام قصر العظم



الخــزانـــة
مـكان تسخين المياه

٧- دورات المياه

☆الصباغ ، الخدملك ،ص٦٧

☆إن أول ما يلفت الانتباه في جميع البيوتات المدروسة هو التوجيه الثابت لدورات المياه فيها ودون أن تشذ أيّة واحدة منها عن القاعدة .

يُلاحظ في جميع البيوت أنها :

١) متعامدة مع اتجاه القبلة .

٢) جميعها لها قياس ثابت .

٣) مصدر المياه على يسار الداخل (يمين المستخدم) .

٤) المصدر المائي دائم الجريان .

٥) ثبات زاوية ميل الانزلاق .

٦) ليس هناك جهة ثابتة لباب الدخول إلا أنه ليس هناك أيّة حالة دخول من الخلف .

٧) جهاز دورة المياه حجري بالكامل وذلك لتأمين الكتامة اللازمة .

☆ جحا ، البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي

تصنيف دورات المياه حسب موقعها بالنسبة إلى البيت :☆

١- دورات مياه شمالية غربية :

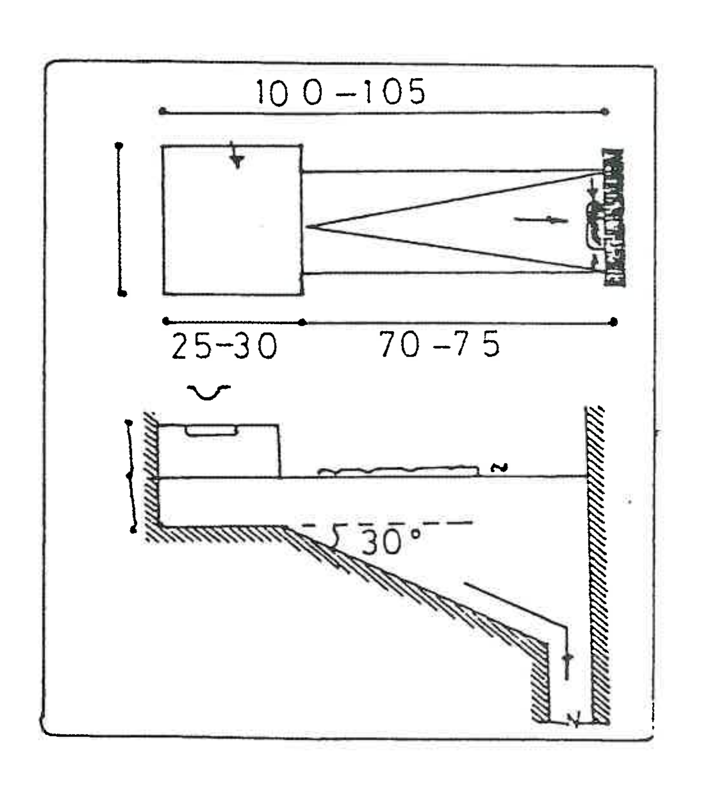
تقع في أقصى الشمال الغربي للواجهة كما في بيت طيفور .

٢- دورات مياه غربية :

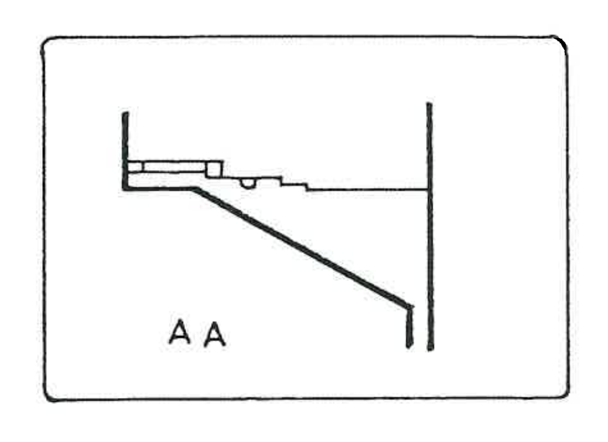
كثير من دورات المياه تقع في الواجهات الجانبية . نظراً لكون الواجهات الرئيسية الشمالية والجنوبية غالباً ما تكون مشغولة بالإيوان والقاعات الرئيسية كما في بيت السر أميني ، الأسطواني ، البيروتي .

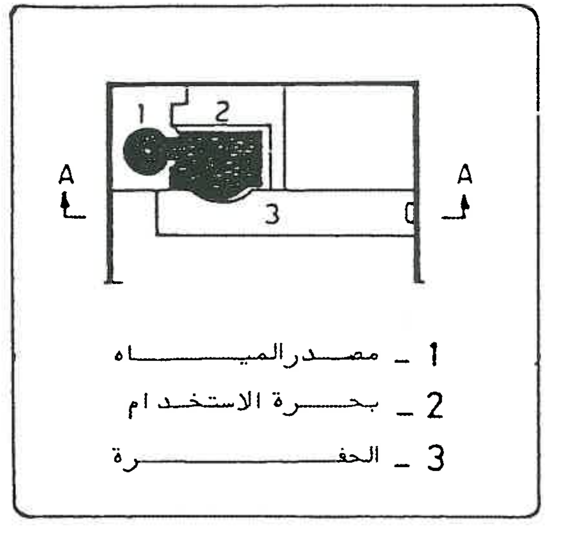
٣- دورات مياه شرقية :

كما في بيت السر أميني ، سعدة .



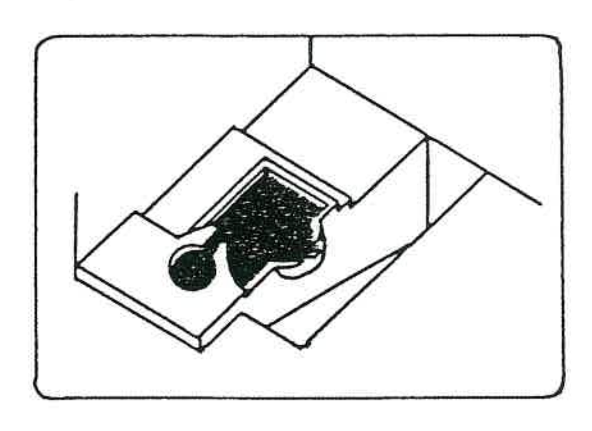
تفصيلة دورة المياه

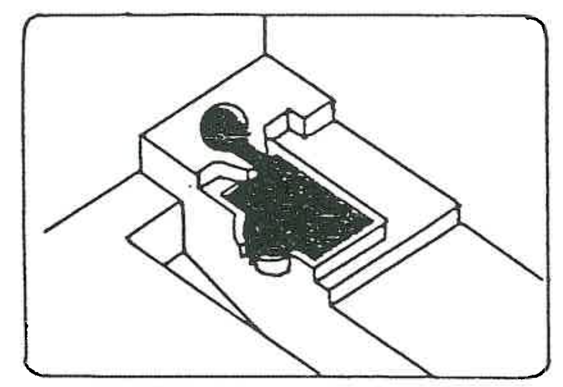




1 ـ مصدر المياه
2 ـ بحرة الاستخدام
3 ـ الحفرة

تفصيلات دورة المياه
نقلا عن كتاب الحمامات(ايكوشار)





٤- دورات مياه في الجهة الجنوبية :

تقع بعض دورات المياه في الجهة الجنوبية للبيت وليست في الواجهة الجنوبية كما في بيت الوكيل .

تصنيف دورات المياه حسب أماكن توضعها في البيت :

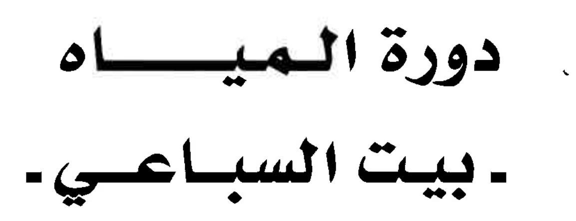
غالباً ما كانت دورات المياه تأخذ أماكن مخفية لتوضعها وخصوصاً إذا كانت في إحدى الواجهات الرئيسية وقد توضعت دورات المياه في فراغ المدخل (تحت الدرج) .

يمكن أن نستنتج مما سبق ، أن دورات المياه غالباً ما تتوضع في الجهات الثانوية (الغربية أو الشرقية) ، وذلك لكون الجهات الرئيسية مشغولة بالإيوان والقاعات الرئيسية ومع ذلك فإن دورات المياه لاتتوضع ضمن الواجهات المطلة على الباحة ، بل نجدها مختبئة تحت الدرج في بهو الدخول ، وفي حال عدم وجود بهو دخول نجدها تحت الدرج وهذه الظاهرة وجدناها في غالبية البيوت الدمشقية ولا يشذ عن القاعدة سوى بيت طيفور الذي يقع في الواجهة الشمالية الغربية . والسبب في ذلك كون الدرج موجود في تلك الواجهة ، بالإضافة إلى كونه متوضعاً بالقرب من أقسام الخدمات الأخرى .

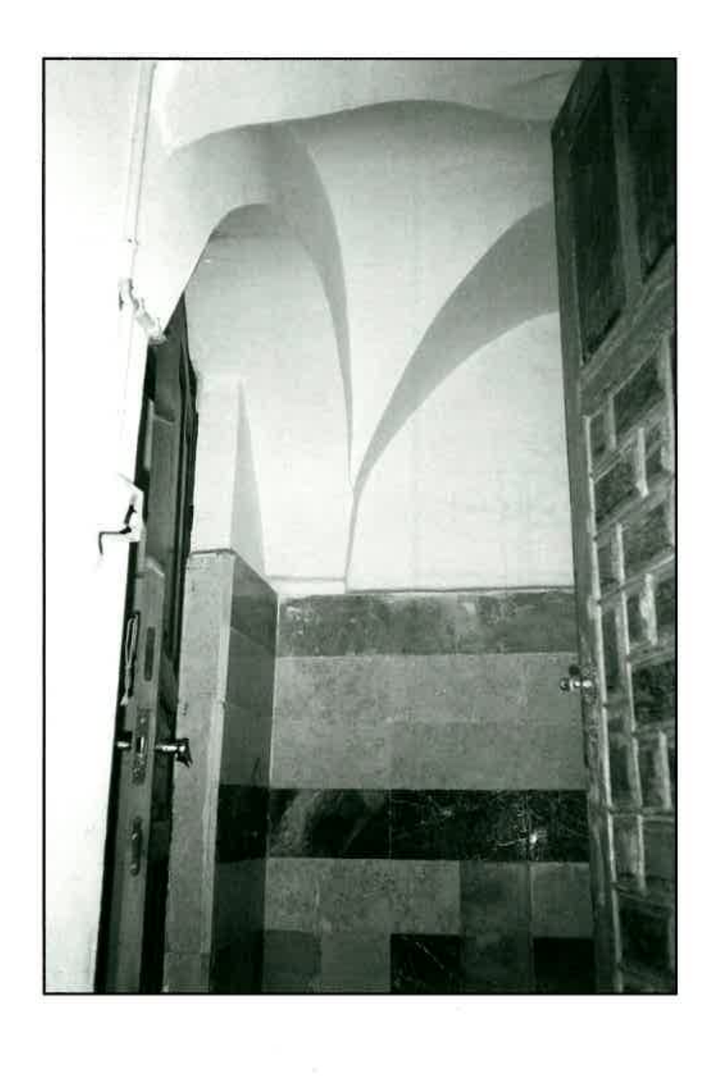
النسبة بين طول دورات المياه إلى عرضها :

غالباً ما تأخذ الشكل المستطيل وتتراوح مساحتها بين (١-١،٢) م٢ فهي ذات عرض ثابت تقريباً لايزيد عن ١٢٠ سم ولايقل عن ٩٠ سم ، أما الطول فقد يتجاوز العرض ليصل إلى ٢،٥ م في بعض الأحيان وبدراسة نسبة طول دورات المياه / عرضها ، نجد أن النسبة تتراوح بين (١،٢ – ٢) .

ويمكن أن نستنتج من استعراضنا لأبعاد دورات المياه . أن الطول لايتناسب مع العرض ، فالعرض ذو أبعاد معروفة وثابتة تقريباً تتراوح بين (٩٠-١٢٠) سم ، بينما الطول متغير .



دورة المياه
- بيت السباعي -



دورة المياه
- قصر العظم -



٨-غـرف الـنــوم

جاءت غرف النوم عموماً في الطابق العلوي موازية لخط القبلة ومفتوحة بشبابيك زجاجية وعلى رواق مطل على صحن البيت لتستقبل أشعة الشمس الدافئة في الشتاء .

وفي فصل الصيف تستعمل غرف في الطابق الأرضي للنوم تأميناً للرطوبة واعتدال الحرارة .



غـرف النــوم ـ بيت زيــن العــابدين ـ



غـرف النــوم ـ بيت الخالدي ـ

٩- السطح

هو المكان المكشوف الذي يعتلي الطابق الأول ويتميز بأنه مسوّر بدرابزين معدني .

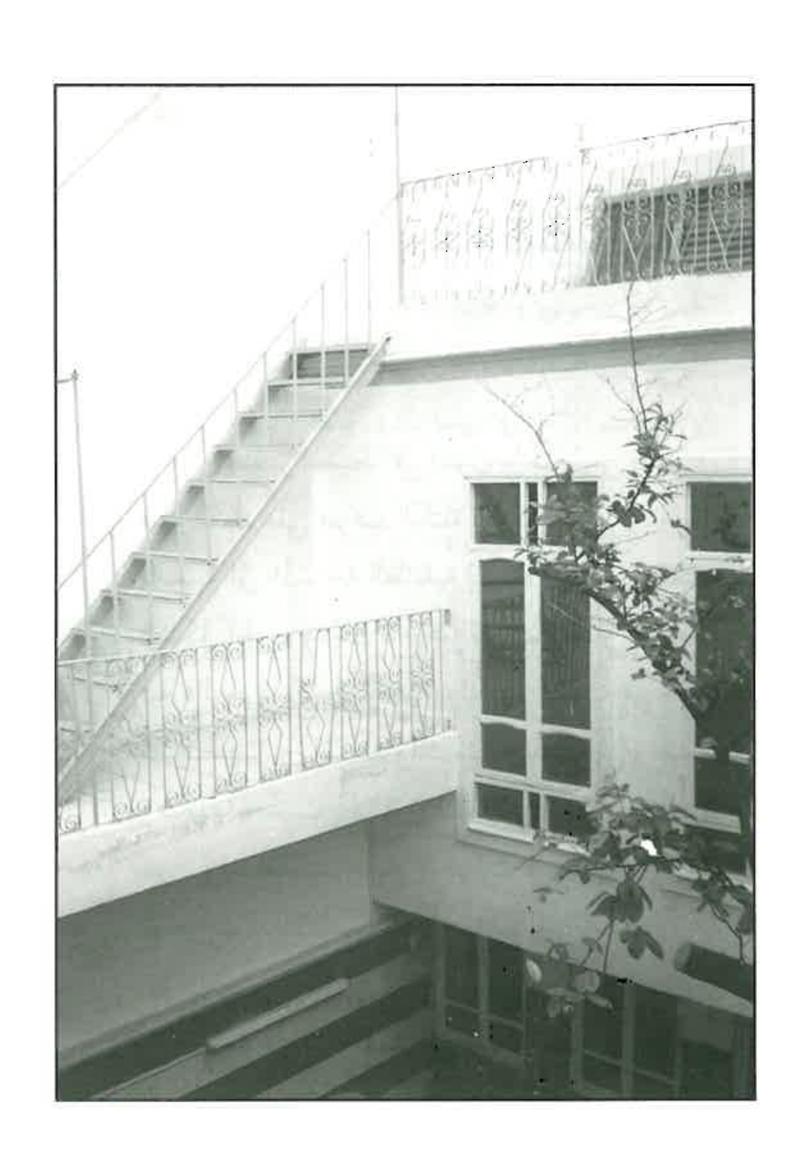
وقد توجد في بعض أمثلة البيوت غرفة مبنية على السطح غالباً ما تكون من الزجاج والخشب تسمى الطيارة بسبب ارتفاعها وإشرافها على المحيط الخارجي .

وقد أحيطت أجزاء من السطح سميت "المشرقة" بجدران عالية ساعدت على الحفاظ على خصوصية أهل البيت وحرمتهم .



سطح بيت السباعي





سـطـح بيـت الخالدي



مثال على عناصر التصميم المعماري للبيت الدمشقي:

☆بيـــوت ســوق ســاروجة.

☆الأبيض ، الفناء الداخلي في سوق ساروجا، ص١٦٤-١٦٥

صحـــن الـــدار

العنصر المسيطر في المنزل ولكنه ليس بالضرورة في مركزه فهناك عدد من البيوت يتوضع فيها الفناء على طرف الكتلة ، وكذلك من ناحية المساحة ، فقد تكون مساحة الفناء صغيرة بالنسبة إلى المساحة الطابقية للبيت . وشكل الفناء ليس منتظماً بالضرورة بل يمكن أن يأخذ الشكل الحر ، وذلك ناتج عن تقسيم العقار الواحد إلى عدد من البيوت . أما العناصر الموجودة فيه فالبحرة أكثرها أهمية ولكنها ليست موجودة دوماً إلا بالأفنية الكبيرة نسبياً وتختلف شكلها بين المربع والمثمن والمسدس ونصف دائري ، ويختلف كذلك كسوها وشكلها حسب الحالة الاقتصادية ، وفي بعض الأحيان عند عدم وجود البحرة كان يوجد بئر . وقد فقدت جميع البحرات في المنطقة وظيفتها السابقة بعد أن جف النهر المغذي لتلك البحرات لذلك أصبحت أحواضاً للنباتات والأزهار .

أما عنصر الخضار في المنطقة فهو موجود في أغلب البيوت ولكن ليس بالكثافة ذاتها التي في بيت الخطاب ولكنه يعتبر أحد العناصر الأساسية في البيوت .

وأرضيات الفناء تنوع كسوها بين الحجر والرخام في حالة الفناء الكبير والمنازل عالية القيمة ، وقد تكون أرضية الفناء عدسة وفي عدد كبير من البيوت يكون من الصعب التكهن بمادة الأرضية السابقة لأنها جددت ببلاط موزاييك حديث .

أمّا الدرج فقد يكون ظاهراً أحياناً ومكشوفاً في الفناء أو مغطى وله باب على الفناء .

الإيـــــوان

وهو العنصر الأهم بالفناء في أغلب البيوت ولكنه ليس موجوداً في كل الأفنية وعند وجوده فليس بالضرورة أن يتصدر الفناء فقد يكون في الوسط أو على الطرف ، والتناظر في واجهات الإيوان ليس ضرورياً ، حتى في كل البيوت .

الواجهات الجنوبية الداخلية للإيوان :

تشترك جميع البيوت بوجود كتبية وسطية وكتبيتين جانبيّتين وإن اختلف غناهما بالزخارف والرسوم وكثافتها حسب كل منزل .

الواجهة الشرقية والغربية :

لاتحوي كل البيوت قاعتين كما في بيت الخطاب ، فلذلك تختلف هاتان الواجهتان تبعاً لوجود قاعة أو عدم وجودها . وليس من الضروري أن تكونا متناظرتين فقد يكون أحد الجدران يحوي واجهة قاعة فقط ، أو فيه كتبية أو اثنتان ، وذلك حسب توضع الإيوان بالنسبة إلى البيت ، ولكن تبقى الواجهة الجنوبية المحتوية على إيوان دائماً هي الأكثر قيمة من الواجهات الأخرى مهما بلغت قيمة المنزل .

أرضية الإيـوان :

وهي في الغالب أعلى من أرضية الفناء قيمة وقد تكون من الحجر أو الرخام ، وتعطى تشكيلات جميلة جداً وزخارف متنوعةتدل على أهمية الإيوان بالنسبة إلى البيت .

الواجهة الجنوبية للفنـاء :

قد يكون قوس الإيوان الموجود في هذه الواجهة مدبّباً أو دائرياً وفي أغلب البيوت يكون مدبباً ، ونادراً ما يكون هذا القوس مزخرفاً ، أما ركيزتا القوس فقد تبقيان بسيطة دون أيّة زخارف على الإطلاق . ومن الممكن أن لاتوجد فتحات نوافذ على هذه الواجهة أبداً .

أما الكوّتان على طرفي الإيوان ، فهما غير موجودتين في جميع المنازل ، وكذلك الفتحات أعلى القوس الموجودة في بيت الخطاب ، فلايوجد مثلها في بقية البيوت .

الواجهة الشرقية للفناء :

غالباً ماتكون هذه الواجهة على منسوب طابقين لها نوافذ مطلة على الفناء ، وتحاط فتحات النوافذ والأبواب بأقواس حجرية أو إطار من الكلسة وقد يكون القوس كاملاً أو جزءاً من قوس ، ومن الممكن أن توجد قمرية أو "مندلون" للمحافظة على نسب الارتفاع للأبواب والنوافذ لتحافظ على الإيقاع المنظم للواجهة ، وغالباً ما توجد هذه العناصر في الأفنية ذات القيمة العالية ، أما غير ذلك فيمكن أن تكون الواجهة غير مدروسة ونتاجاً عفوياً للاحتياج .

الواجهة الغربية للفناء :

في بعض الأحيان ضمت الإيوان وهي بنسبة قليلة جداً في البيوت ، وينطبق فيها نظام الفتحات واختلافها مثل الواجهة الشرقية .

الواجهة الشمالية للفناء :

في أغلب الأحيان تتألف من طابقين ، فيها نوافذ مستطيلة يعلوها قوس، وفي الطابق الثاني كذلك، أو شكل مستطيل صريح فقط، وقد تكون مزيّنة بالحجر أو الجص أو يكتفى بالكلسة أو الطينة .

ويمكن أن تؤخذ ملاحظات عامة ، منها أن الإيوان في بعض البيوت فقد أهميته نتيجة لفقده وظيفته القديمة وذلك لكونه أصبح وكأنه غرفة بعد أن تم إغلاقه بالبلوك أو بالقواطع الخشبية ووضع له باب ونوافذ لتتم الاستفادة منه كغرفة أو مطبخ أو دورة مياه ، وأحياناً كمستودع ، وبهذا الاستعمال الخاطئ فقد الإيوان وظيفته الرئيسية التي من أجلها وجد وأُنْشِئ.

الأبـــــواب

وتكون مؤلفة من مصراع واحد أو مصراعين من الخشب وتختلف حسب المنزل وحالة أهله الاقتصادية والمادية ، فهي مزخرفة ومنقوشة بأبدع النقوش في المنازل ذات القيمة العالية ، وخشبية بسيطة في المنازل الفقيرة ، وكذلك فقد تنوعت النوافذ وأشكالها وإن غلب عليها في الطابق الأرضي الشكل المستطيل ، يعلوها قوس حجري نصف دائري أو جزء من قوس والنافذة من الخشب والزجاج ، ويكون كَسْو القوس بالحجر المزخرف أو غير المزخرف أو الكلسة .

الـنـوافـــذ

في الطابق الثاني تكون من الخشب والزجاج ، ذات شكل مستطيل ، وطولها أصغر نسبياً من النوافذ في الطابق الأرضي وإن كانت بالعرض نفسه ، وعلى الأغلب لايعلوها قوس حجري ومقسمة إلى مربعات من الخشب والزجاج كما هو مذكور سابقاً .

الفصل السابع

العناصر المعمارية للبيت الدمشقي



العناصر المعمارية للبيت الدمشقي

١- الباب	٨- الكتبية	١٥ - العقد (القوس)
٢- النافذة	٩- المكتبة	١٦- الدرج
٣- المشربية	١٠- المشكاة	١٧- المدفأة
٤- الواجهات	١١- المحراب	١٨- الكانون
٥- الأرضيات	١٢- السلسبيل (المصب)	١٩- المضياف
٦- الأسقف	١٣- البركة (الفسقية)	٢٠- الزخارف
٧- الخزانة (اليوك) خرستانة	١٤- العمود	٢١- الأثاث

١- الباب

أ) الباب الخارجي:

هو المدخل الذي يولج منه إلى داخل البيت ، ويتألف عادة من مصراع واحد أو مصراعين ويفتح دوما إلى الداخل .

وتعقد فتحة الباب في أعلاها بقوس مستقيمة ، أو بأقواس مختلفة الأشكال والأنواع.☆

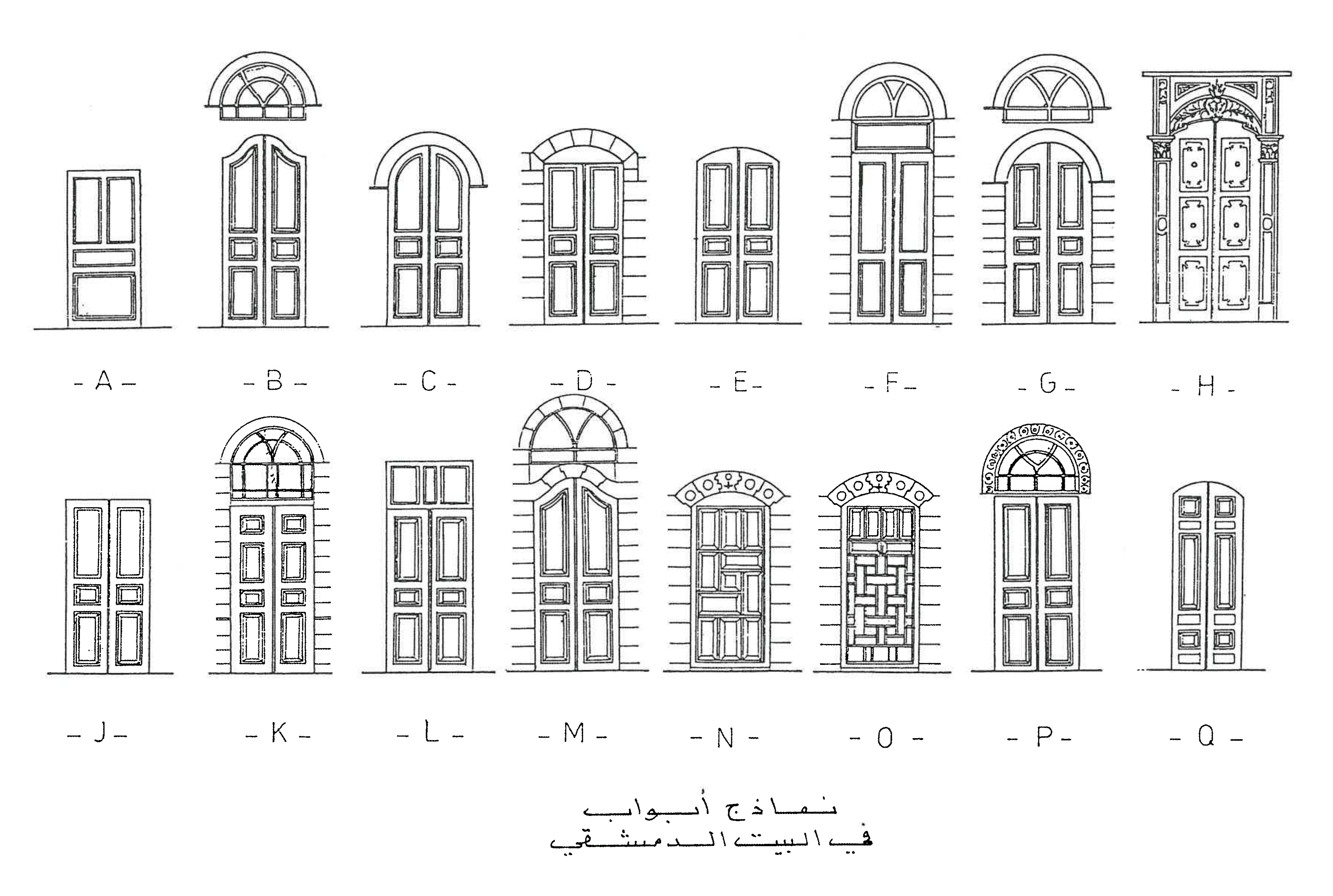
☆د. الشهابي ، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق ص٣٥

ويصنع الباب عادةً من خشب الزيتون الذي تكسبه الرياح والأمطار والشمس لوناً رمادياً ضارباً إلى الفضّي☆ ، أو الخشب المكسو بصفائح التوتياء أو النحاس المثبتة بأنساق كثيرة من المسامير المعدنية . وقد ينفذ الباب كله من الحديد أو من الحديد والتوتياء ويكون بسيطاً أو مزخرفاً ومطعماً بالنحاس ، وبشكل عام تتصف الزخارف الشائعة في أبواب البيوت الدمشقية بالبساطة والعفوية .☆

☆ولتسينجر وواتسينجر ، الآثار الإسلامية في مدينة دمشق، ص٥٣

☆د. الشهابي ، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق ص٣٥

وهناك شكل آخر من الأبواب كان منتشراً في بعض البيوت والمشيدات تعرف باسم "باب خوخة"، وهو عبارة عن باب صغير منخفض ضمن الباب الأساسي ، يفتح بسهولة



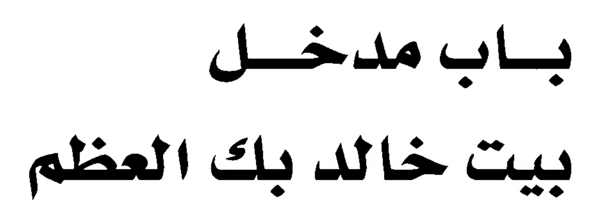
نماذج أبواب
في البيت الدمشقي



باب مدخل
بيت الخالدي

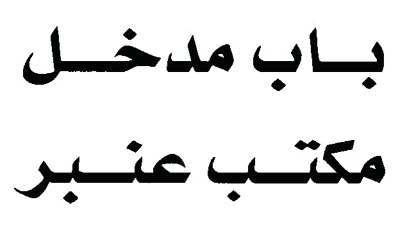


باب مدخل
بيت جبري



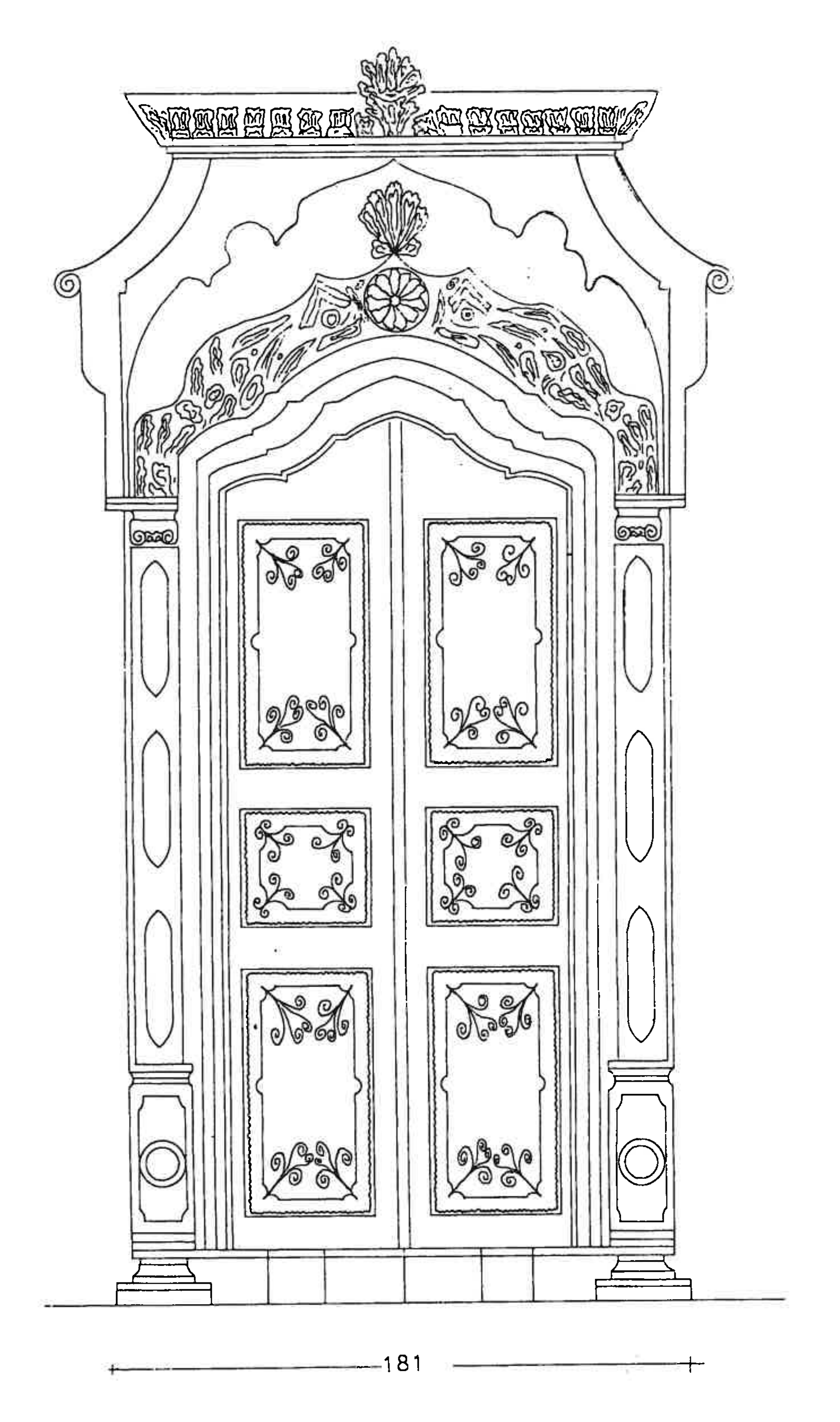
بـــاب مدخـــل
بيت خالد بك العظم



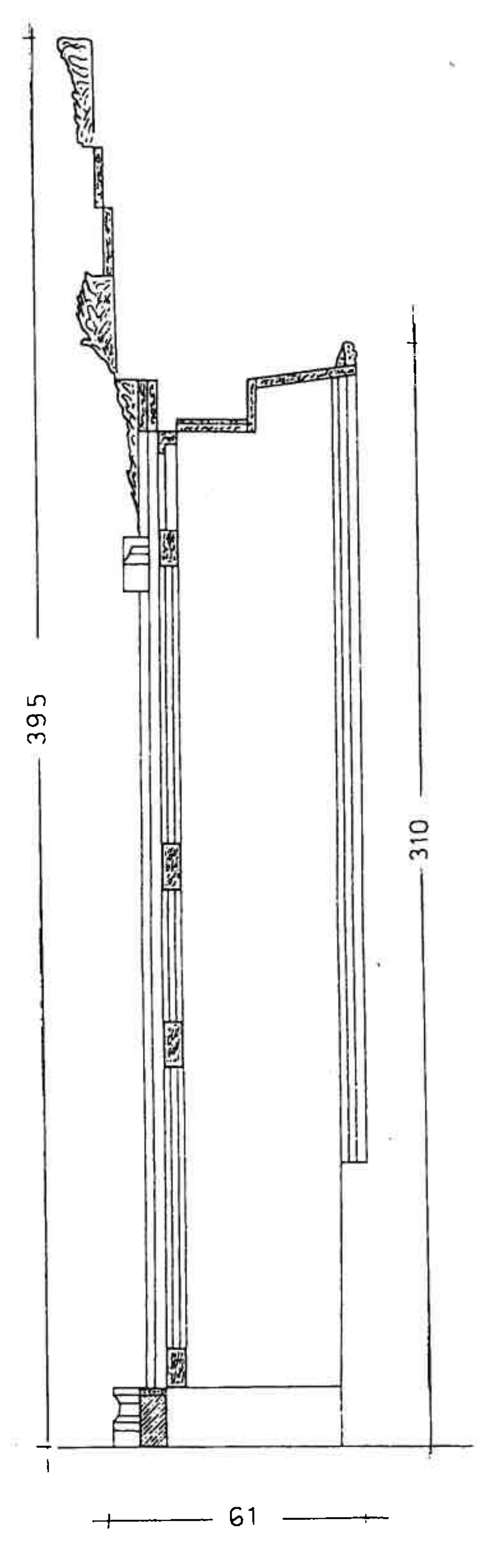


بـــاب مدخـــل
مكتـــب عنـــبر

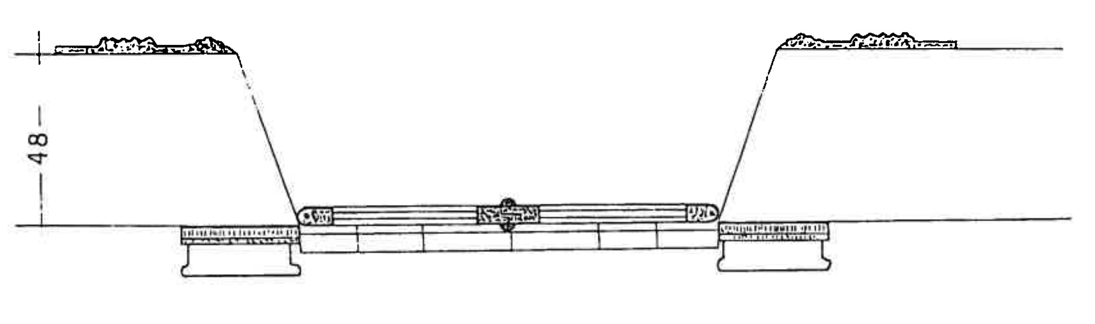




واجهة باب القاعة الأولى



مقطع طولي في الباب



مقطع عرضي في الباب

تفصيلة باب
بيت حسن الخراط

ولايتسع لمرور أكثر من شخص واحد ويضطره للانحناء عند الدخول بسبب انخفاضه ، وأما زخرفته أو عدمها فهي تتبع الباب الكبير الموجود ضمنها .☆

☆د. الشهابي ، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق ص٣٥

☆وأمّا أطر الأبواب في دمشق فهي من ثلاثة أنواع من الحجارة : الأول هو الحجر الكلسي الهش ذو اللون الأبيض الضارب إلى الأخضر – والثاني هو البازلت الخشن ذو اللون الرمادي القاتم أو الرمادي الضارب إلى الأزرق المستخرج من منطقة حوران – والثالث هو الحجر الكلسي المستخرج من جبل قاسيون ووادي بردى ، ويتميز بأنه شبيه بالرخام وقابل للصقل فضلاً عن العروق الحمراء والبنفسجية والصفراء التي تخترقه . وتتراوح نسبة العرض إلى الارتفاع في إطار المستطيل للأبواب بين ٢ إلى ٣،٥ على ٥ ، ويعلو هذا الإطار نافذة ضيقة مخرمة .

☆ولتيسينجر وواتسينجر ، الآثار الإسلامية في مدينة دمشق ص٥٣

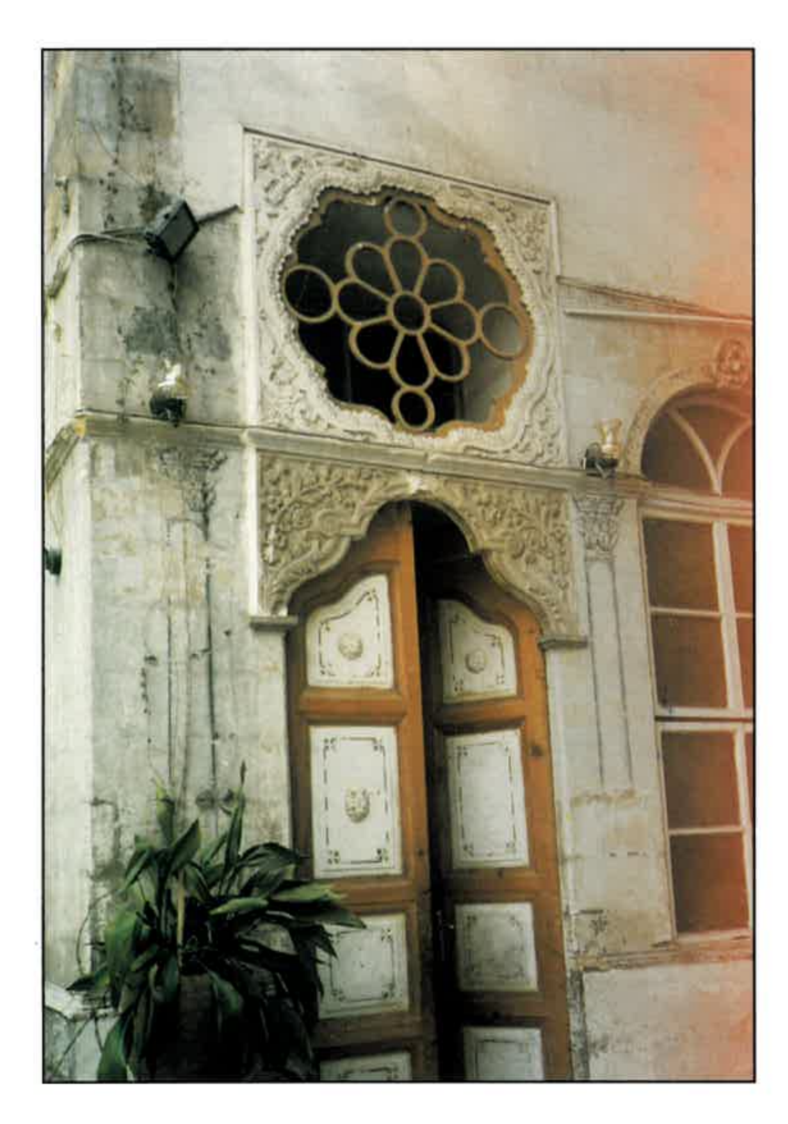
وأما الأبواب فمقاييسها عادة ٨٠–٩٠ سم لكنها تتجاوز هذه المقاييس في بيوت الأثرياء والوجهاء . ونواجه في الأبواب مختلف أنواع المطرقة ، بدءاً بالحلقة الحديدية البسيطة وانتهاء بالمطرقة البرونزية المخرّمة والمنزلة بالفضة وذات الشكل المسطح والجوانب المسننة .

وفي بعض البيوت الدمشقية وجدت نماذج من الأبواب لاتتمتع بإطار ، كما أن القوس المدبب الذي يأخذ أحياناً شكل حدوة الفرس ، يخترق الجدار الأملس المؤلف من حجارة جيدة النحت والرصف . ويعلو الباب شكل زهرة هندسية منفذة بطريقة الحفر النافر أو أسماء بالخط الكوفي أو لوحة كتابية . وأما زخرفتها فتتألف من حشوات مقولبة ومضلّعة .

ب) البــاب الداخلي

تتشابه أبواب الدور الأرضيّة بشكل عام من ناحية نوعيتها الخشبية ومن جهة التصميم والزخرفة . وتكون عادةً منافذ ضيقة قليلة الارتفاع منعاً للحرارة أو البرودة . وتلعب أنماط الزخارف التي تعلو الباب وعتبة الرخام دورها في الإشارة إلى نوعية الغرف المؤدية إليها وأهميّتها . ولايوجد منفذ بين غرفة وأخرى ، فالاتصال من خلال صحن البيت الذي تطل عليه جميع الغرف .

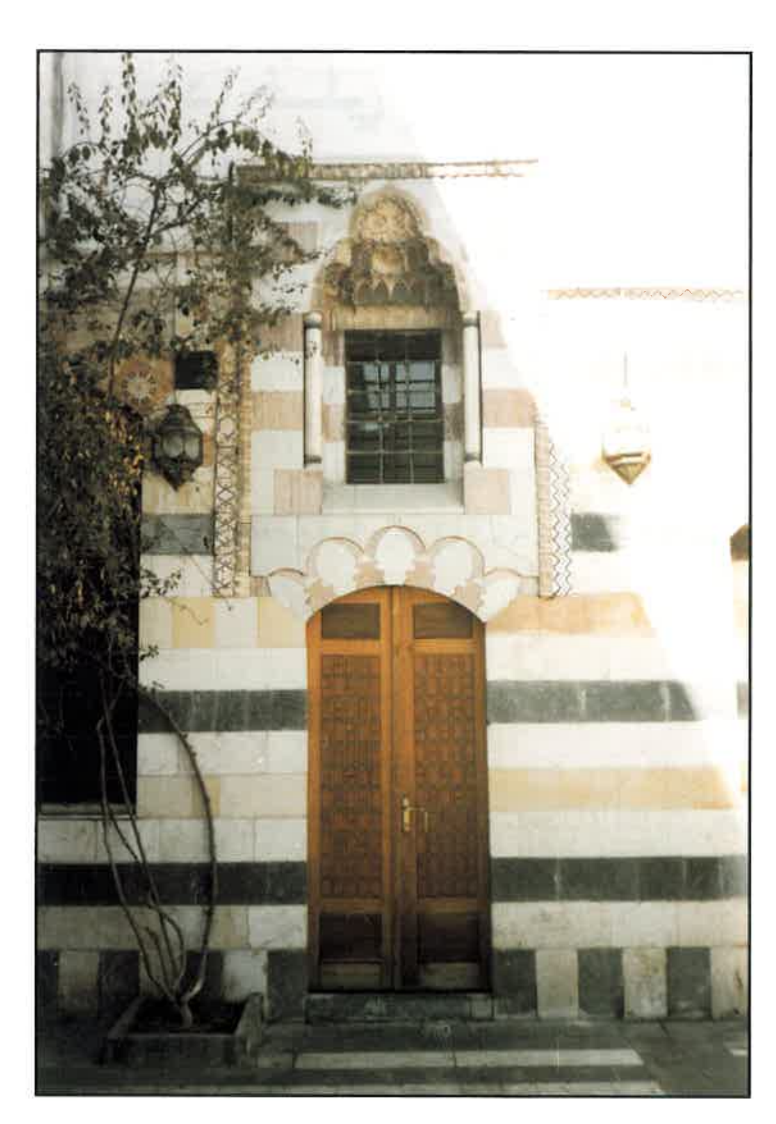
وأما أبواب الدور العُلْويّة فتكون خشبية وأكثر بساطة في التصميم والنوعية .



باب داخلي
بيت جبري

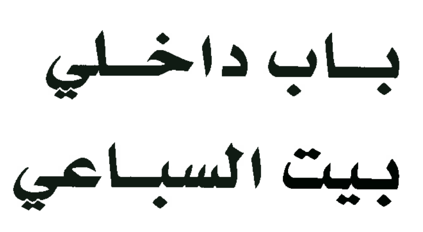


باب داخلي
مكتب عنبر



باب داخلي
بيت نظام





باب داخلي
بيت السباعي

٢- النافـذة

☆د. الشهابي ، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق ص٣٤١

النافذة على ثلاثة أشكال أساسية ، فإما أن تكون نافذة وظيفية وهي النافذة الاعتيادية المستطيلة ، أو نافذة وظيفية وتزيينية وهي النافذة الزخرفية المعقودة بأقواس مختلفة الطراز ، أو نافذة صماء توظف للتزيين فقط .☆

وتنقسم النوافذ إلى أربعة أقسام في البيت الدمشقي :

أ- النوافذ الخارجية :

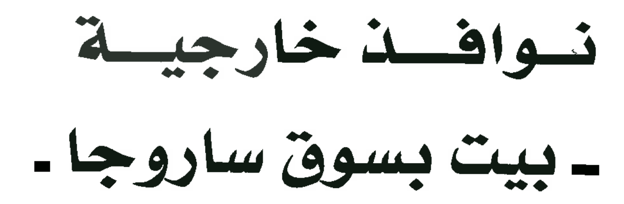
بما أن البيت الدمشقي يتميز بالانتماء والانفتاح على الداخل أي على صحن البيت ، فقد أهملت النوافذ الخارجية من ناحية النقوش والزخارف وقل عددها وصغر حجمها عدا ارتفاع منسوبها عن سطح الأرض .

وقد غطيت بشبكة من قضبان الخشب النحيلة ، متشابكة أو متقاطعة أو متعامدة أفقياً وشاقولياً ، تزخرف بتكوينات هندسية مثلّثة أو معّينة أو مربّعة ، أو قد لاتزخرف . وقد صُممت بأسلوب يجعلها تنزلق على مجريين في طرفي النافذة فترفع وتنزل حسب الرغبة ، أو قد تنفذ بشكل غير قابل للحركة . وهذه الشبكة الخشبية تسمى النافذة الشعرية وهي تحجب الرؤية من الخارج إلى الداخل وتسمح بالرؤية من الداخل إلى الخارج ، وهو اعتبار ديني يهدف للمحافظة على حرمة البيت وأهله .

وقد وجدت بعض النوافذ ذات مصاريع من الخشب العجمي أو المشبّك بتشبيكات هندسية ، وتعلوها سواكف قوسية محلاة بالزخارف الأبلقية المتنوعة ، وخلف هذه المصاريع الخشبية شباك زجاجي ، وأمامها حديد الحماية ، وتغطى أيضاً بعض النوافذ من الداخل بمصاريع خشبية مزخرفة تتبع الجدران ، وأشكال هذه الزخارف الخشبية تكون نباتية مستوحاة من الأزهار والأوراق ، أو مزينة بتشكيلات متشابكة لينة ، وجميع هذه الزخارف بارزة بمعجون ملون أو بتشكيلات هندسية ملونة ومحفورة بشكل بارز أو غائر .

ب- النوافذ الداخلية :

وهي نوافذ عالية ومنخفضة ، فأما العالية فأهميتها في إدخال الإنارة والتهوئة بشكل مستمر طيلة النهار ، ومزخرفة بأشكال نباتية أو هندسية . وأما المنخفضة فتبرز أهميتها في الإضاءة والتهوئة والرؤية ، وهي منفتحة على صحن البيت بمصراعين زجاجيّين ومزودة بحاجز مشبك من الخشب أو القضبان المعدنية . وغالباً ما يكون أعلاها معقوداً بقوس بأشكال مختلفة وزخارف متنوعة ، وهي منزلقة على مجريين أو بمصراعين متحركين .



نوافذ خارجية

- بيت بسوق ساروجا -



نوافذ داخلية

- قصر العظم -





نـــافـــذة

- قصـر العـظم -





نـــافـــذة

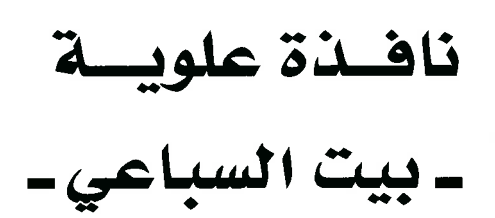
- قصـر العـظم -



نافـذة علويـة ـ مكتـب عنـبر

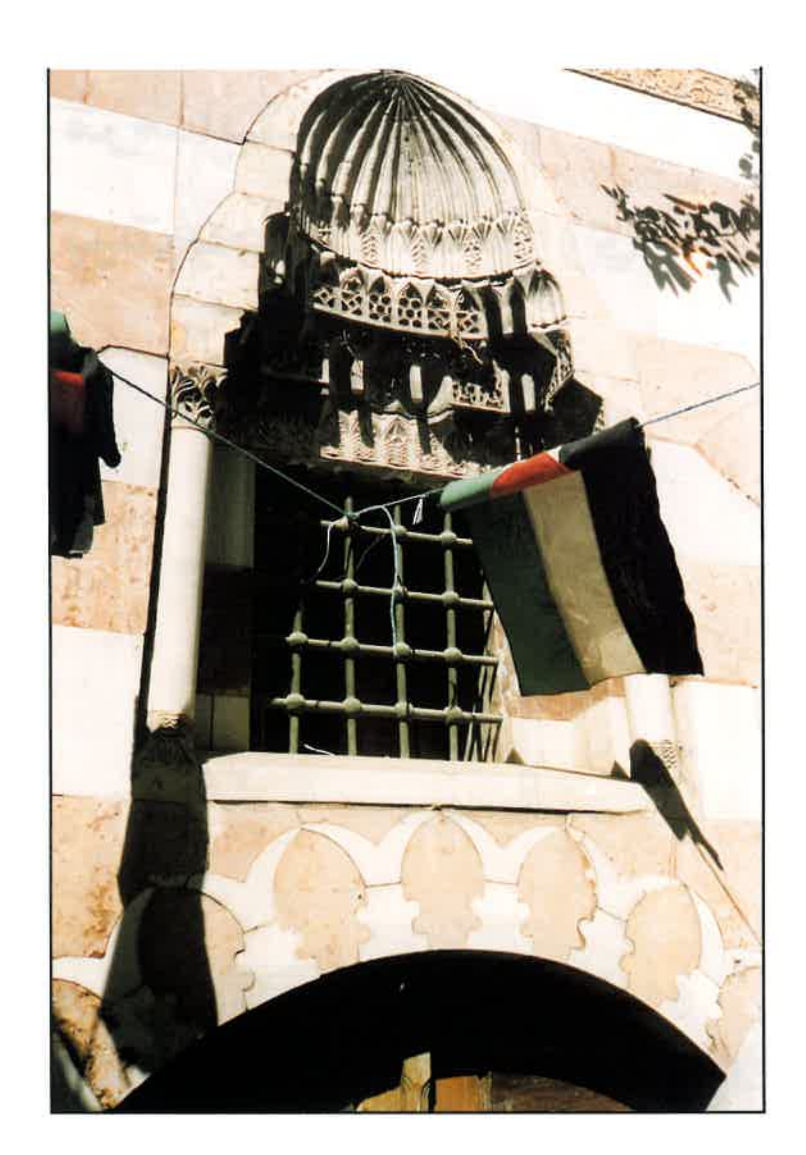


نافـذة ـ بيت جـبري



نافـذة علويــة

- بيت السباعي -



قمـــريّـــة

- بيت السباعي -



مرمـايــة

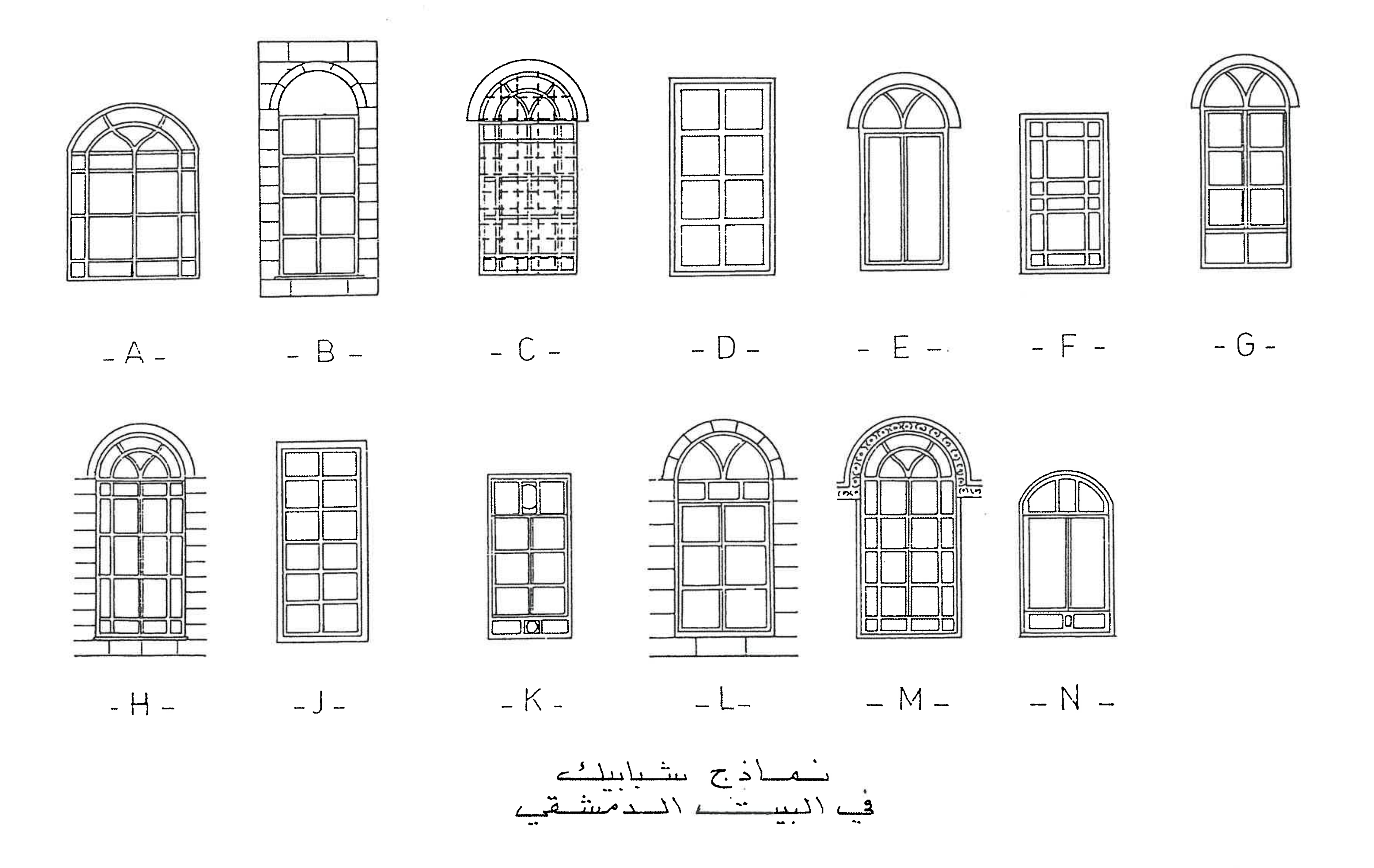
بيت بجادة الحمراوي



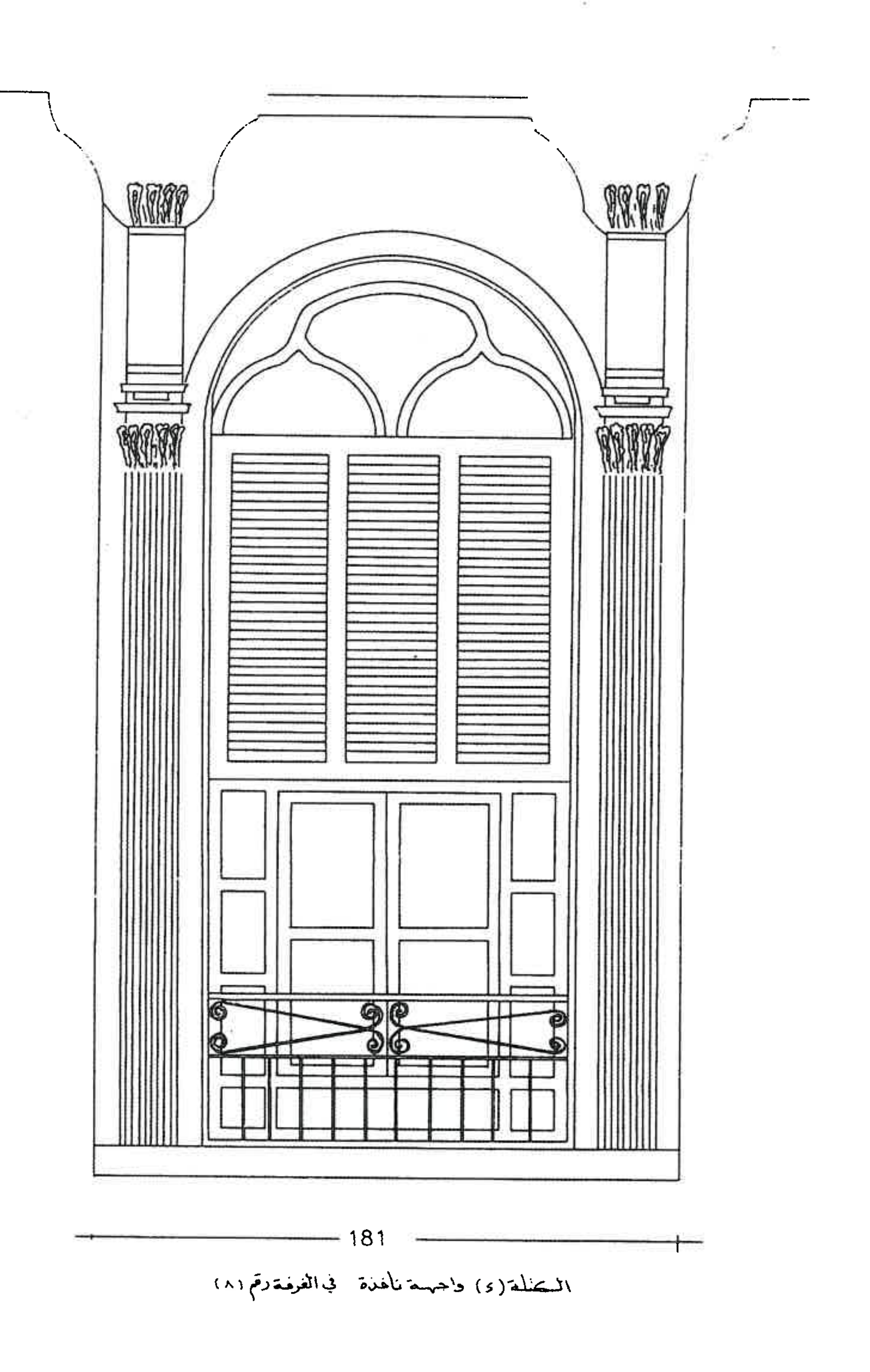
نوافــذ القبـــو

ـ بــيت نظــام ـ

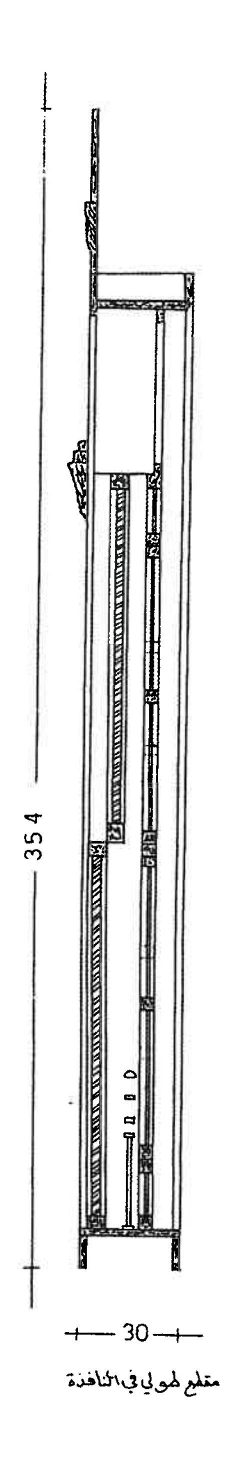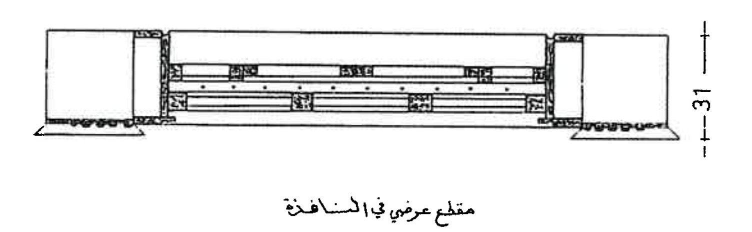




نماذج شبابيك
في البيت الدمشقي



الكتلة (ى) واجهة نافذة في الغرفة رقم (٨)

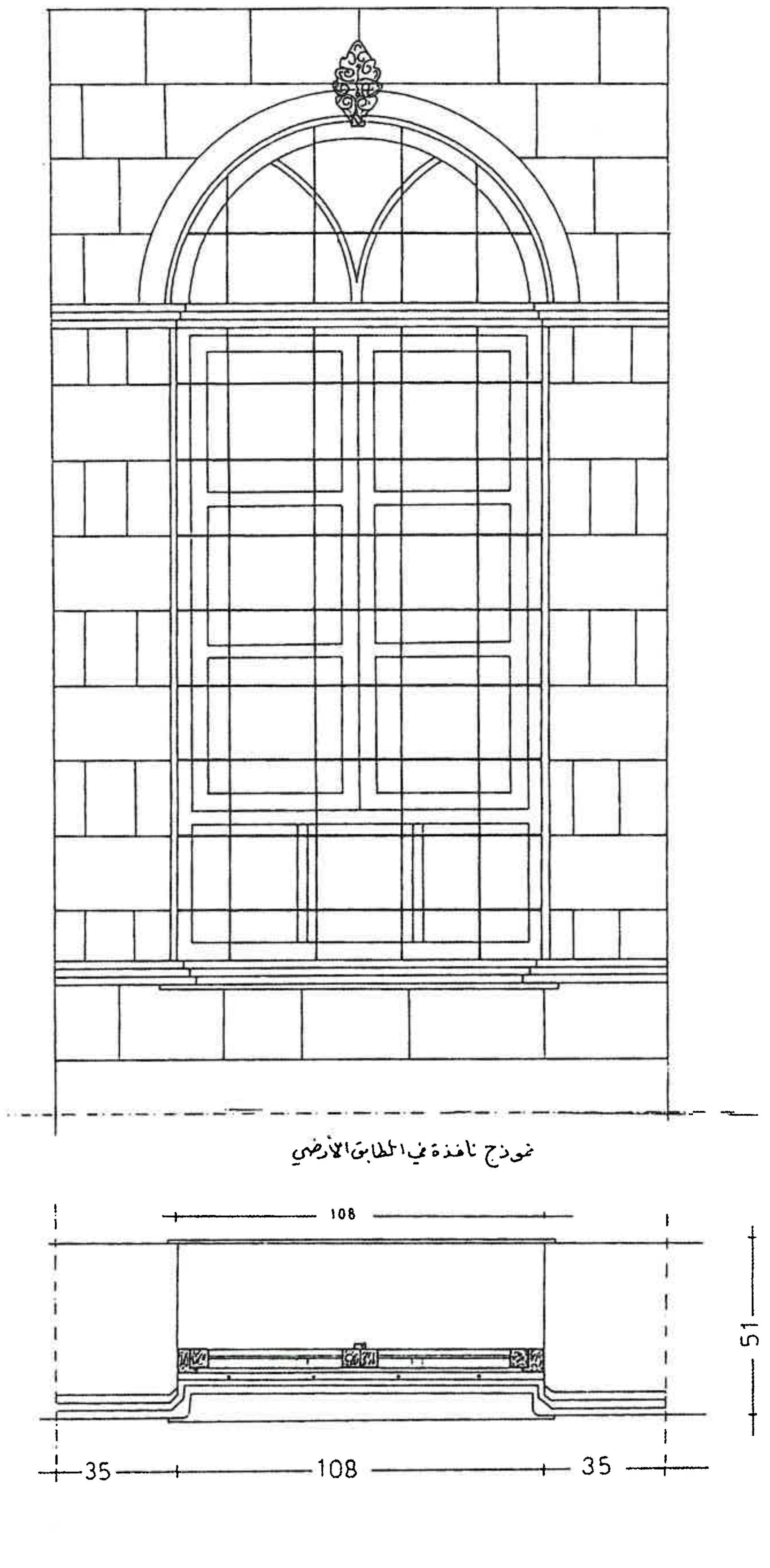


مقطع طولي في النافذة

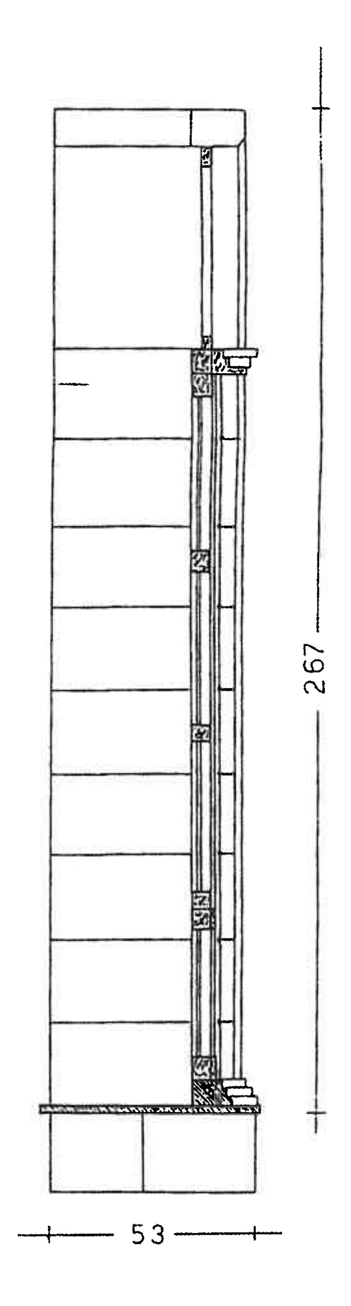


مقطع عرضي في النافذة

تفصيلة شباك
بيت حسن الخراط



مقطع عرضي



مقطع طولي

تفصيلة شباك
بيت حسن الخراط

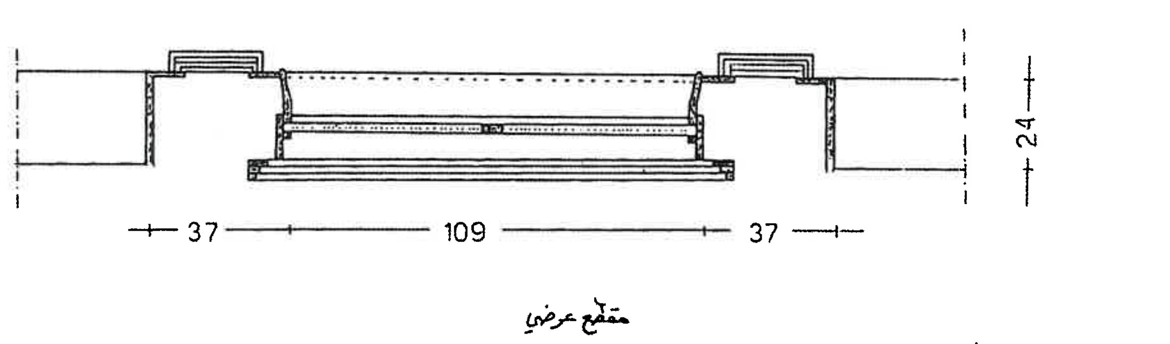
37 109 37

285

25

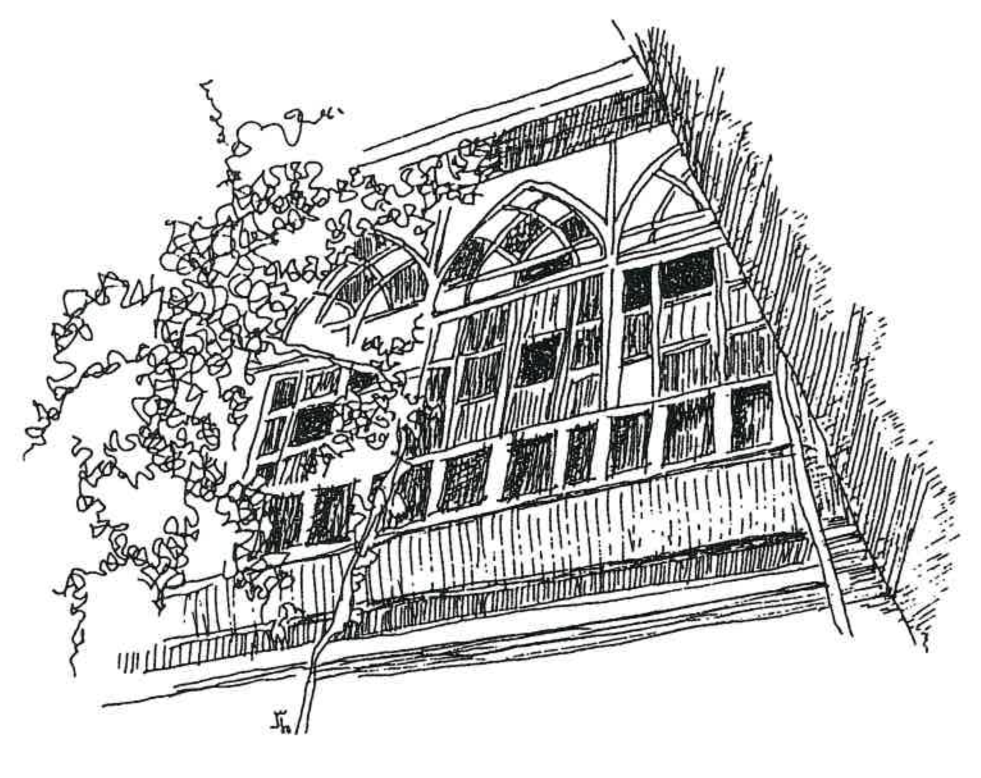
نموذج نافذة في الطابق الثاني

مقطع طولي

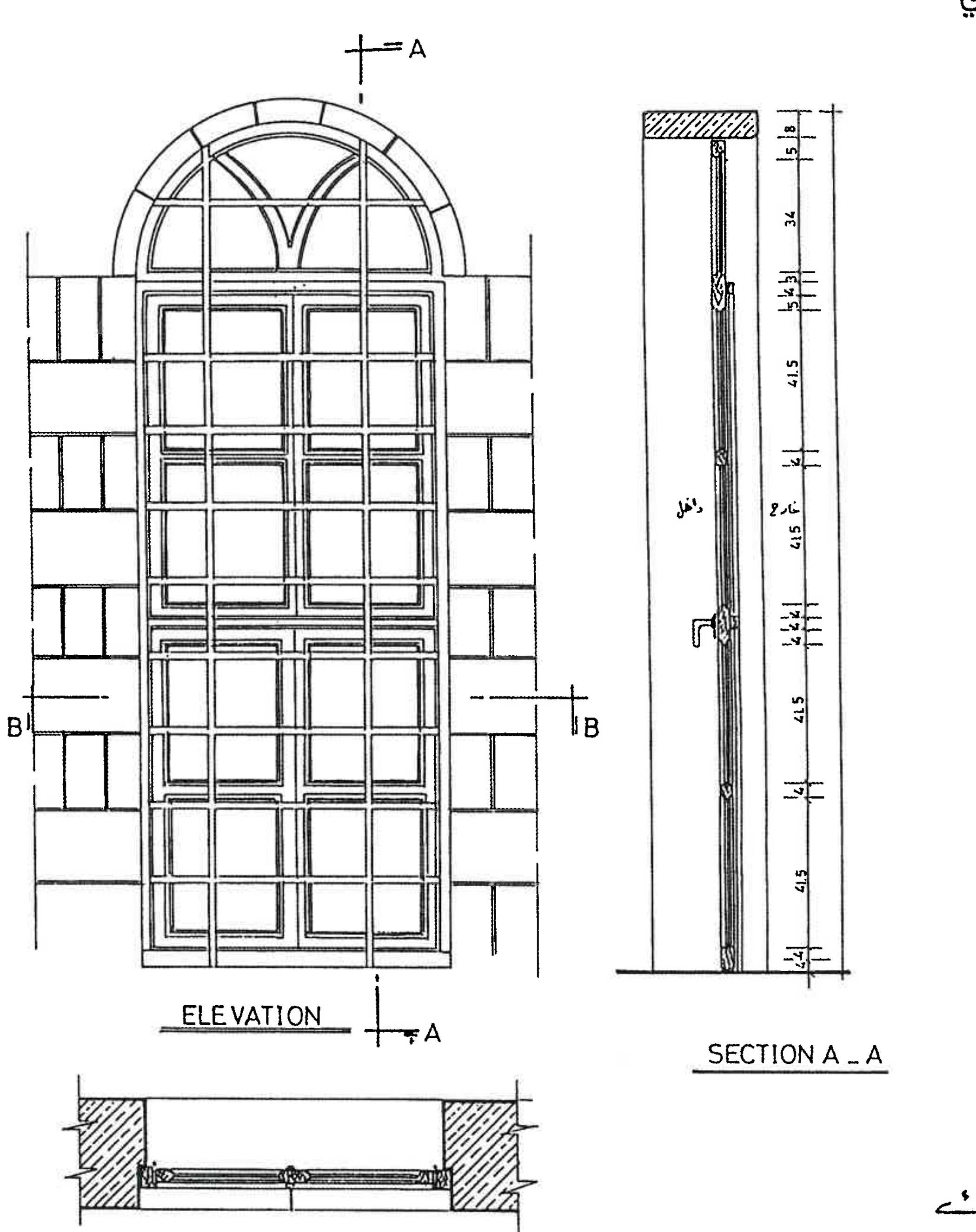


مقطع عرضي

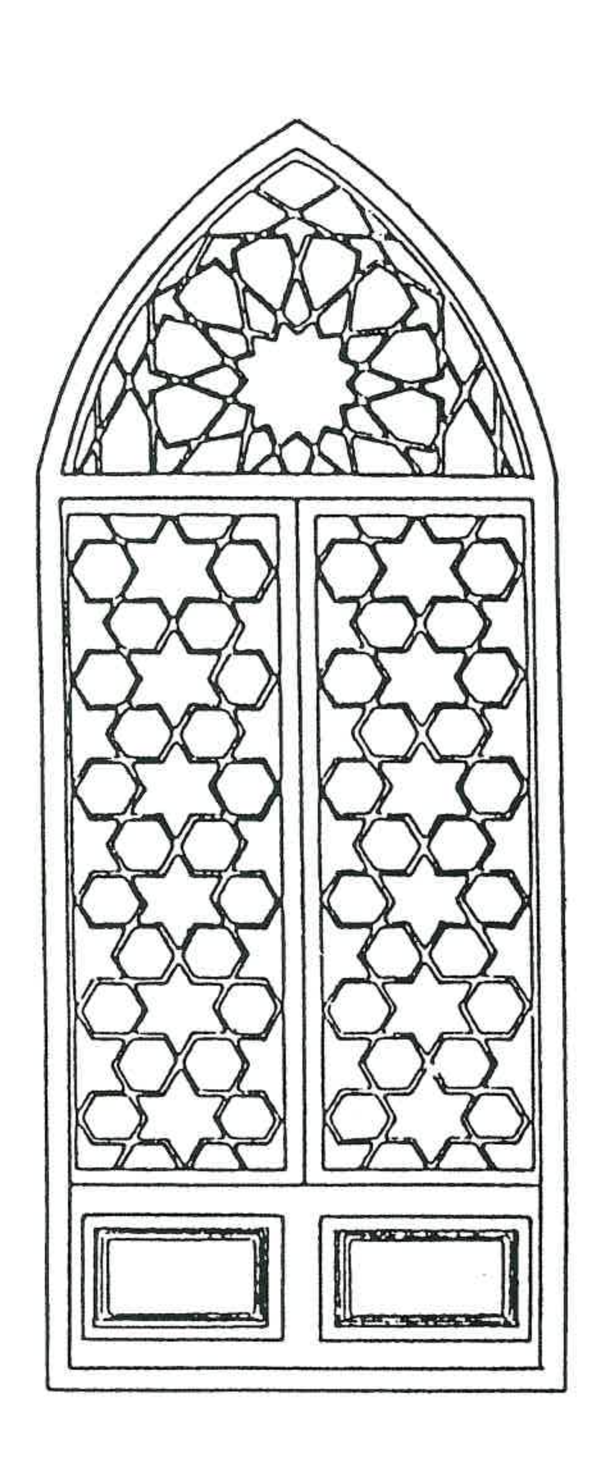
تفصيلة شباك
بيت حسن الخراط

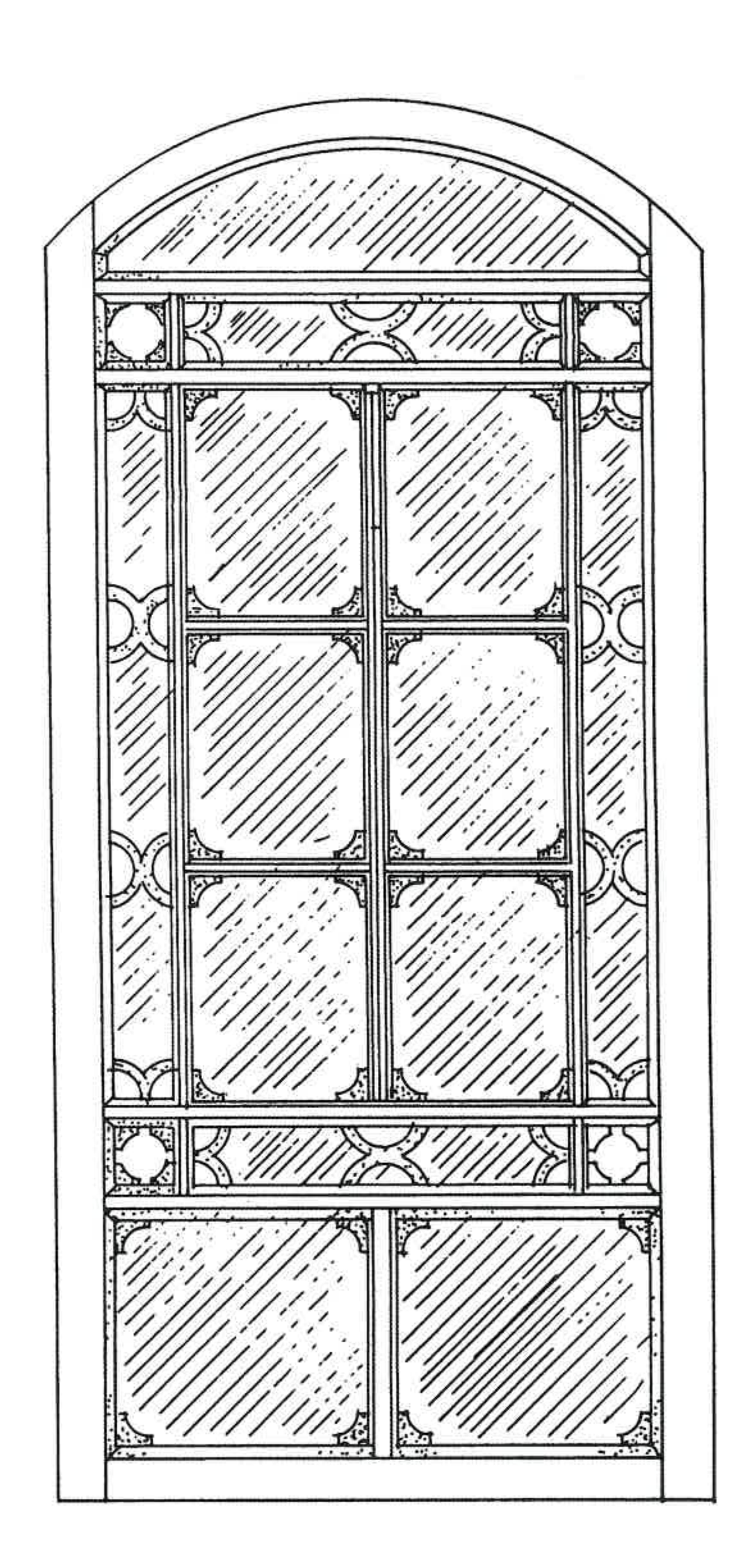


شبابيك غرف النوم
العلوية
بيت (١٢٤) في حارة جبري
- المنجد -

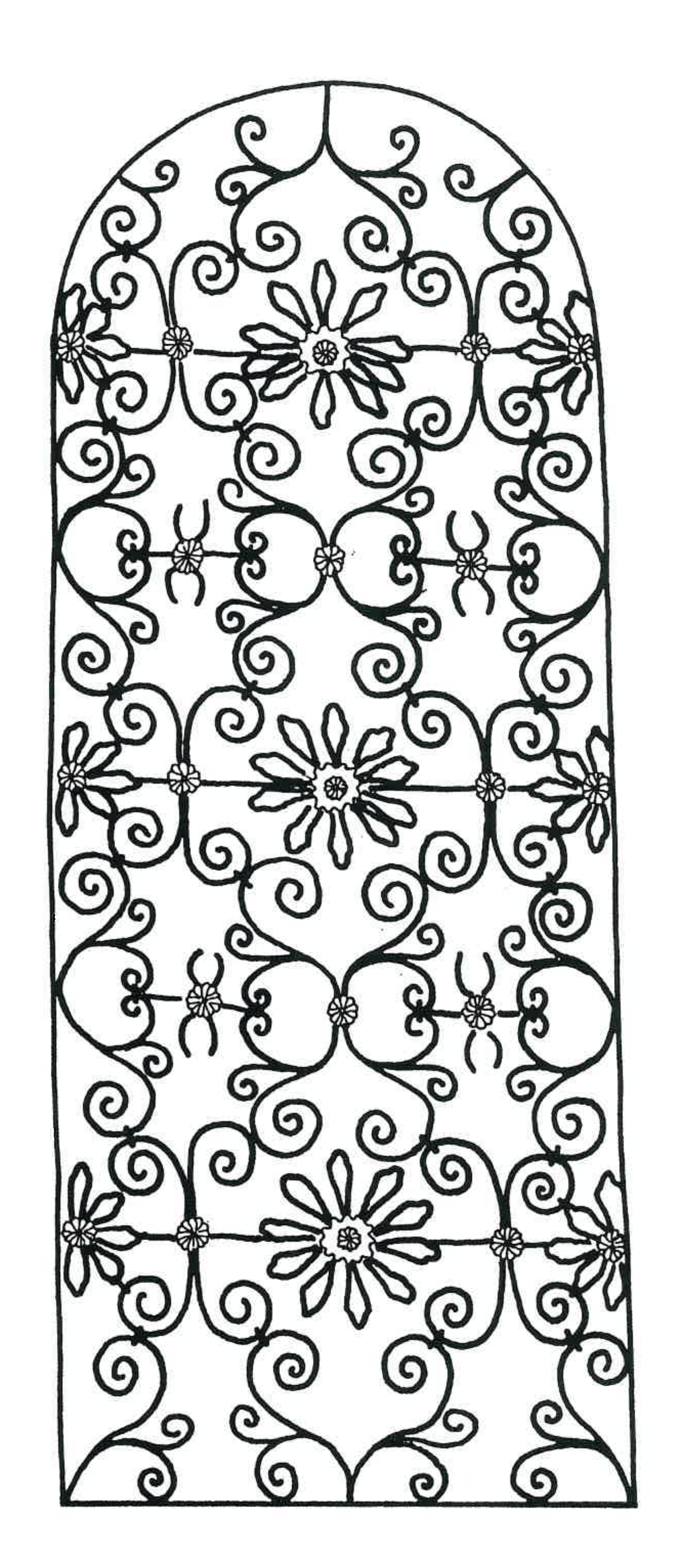


تفصيلة شباك
بيت في باب توما
- هباردي -





تفصيـــة شـبالك



تفصيلة نافذه معدنية
مكتب عنبر المقا - 297

نوافذ القبو :

وهي نوافذ ضيقة وصغيرة ، تكون قريبة من مستوى سطح الأرضية ومطلة على صحن البيت ، وأحياناً تكون مشطوفة بزوايا لتحقق أكبر قدر من الإنارة والتهوئة وهي نوافذ عادية بسيطة خالية من الزخارف والنقوش .

د- النوافذ القمرية :

وهي فتحات صغيرة في الجدار أعلى الباب أو أعلى النوافذ كما في القاعتين الجانبيتين للإيوان لتجلب النور إلى داخلها ، تشبه القمر التام أو البدر في استدارتها ، وتسمح بمرور الضوء أو الهواء أو كليهما بأقل مما تسمح به النافذة الاعتيادية . ويختلف شكلها بين الدائرة الكاملة أو نصف القمرية أو الهلالية أو الإهليليجية .☆

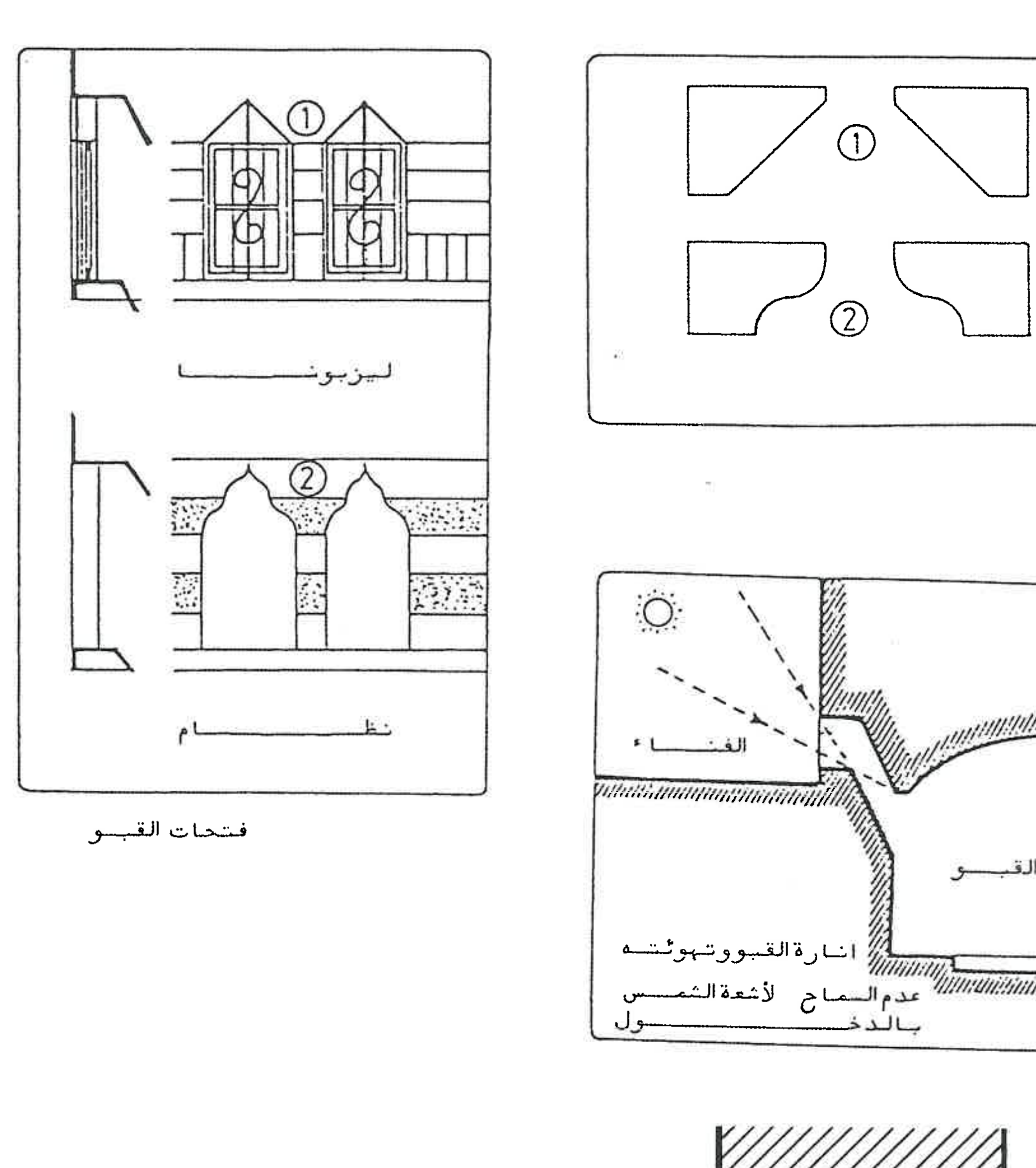
☆ د. الشهابي ، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق ص٣٨١

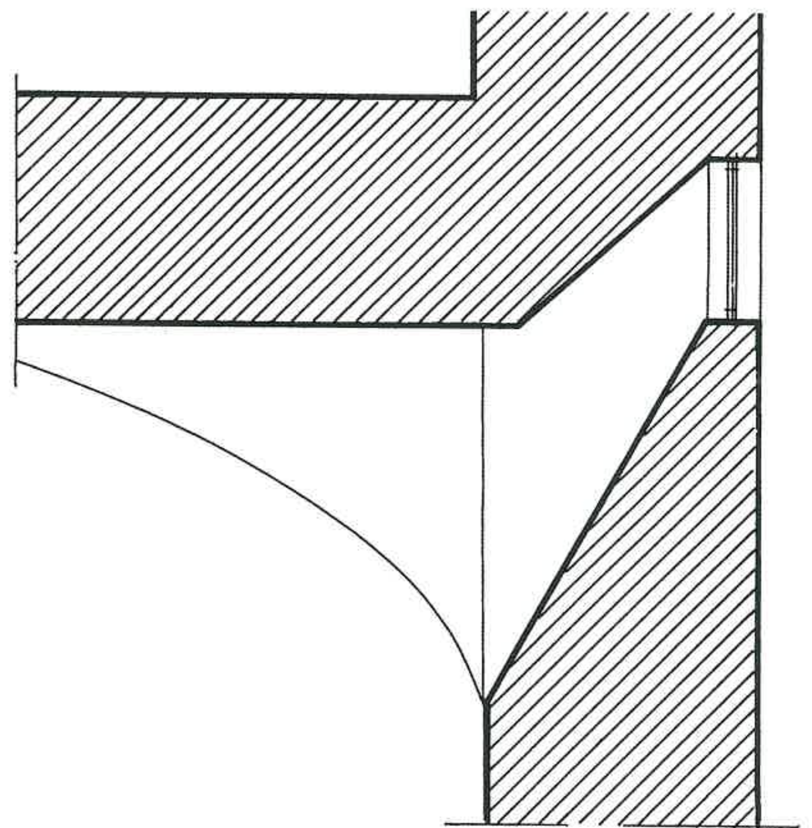
وتغطى أحياناً بالزجاج الملون بأشكال متنوعة كما في بيت الدادا .

☆ومن الفتحات الصغيرة ما يسمى بالنوافذ المرماية ، وهي خصّ خشبي صغير فوق باب البيت الرئيسي ، تنظر المرأة من خلاله لترى من الطارق ، أو لترمي من خلاله المفتاح للقادم أو النقود للبائع .

☆ سعدية ، دمشق الشام ، ص١١٩

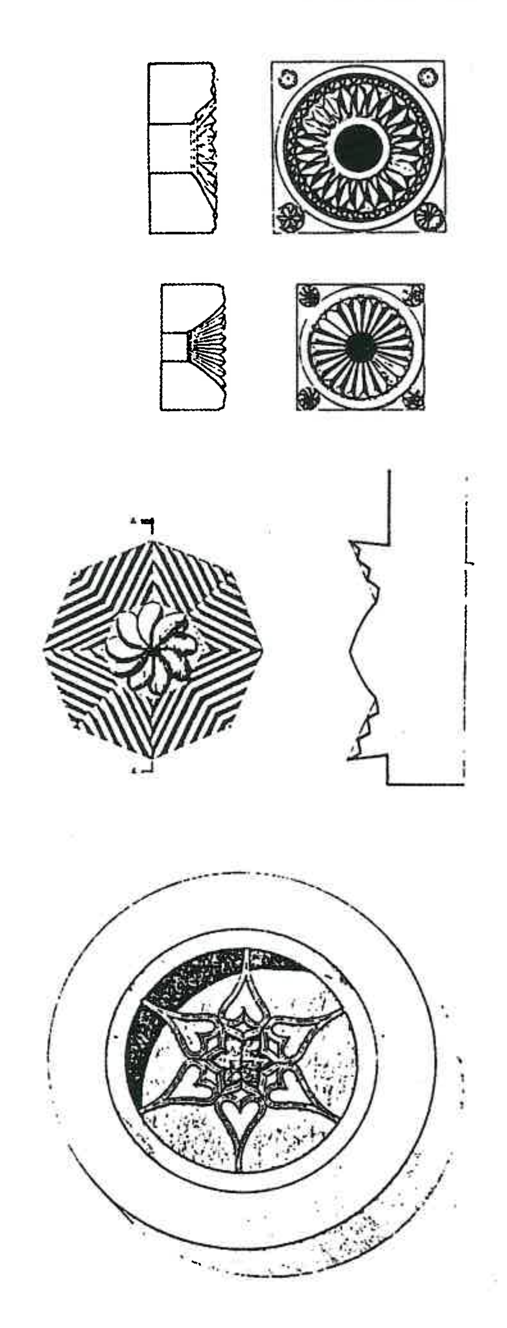
وأما الزجاج المعشق فهو طريقة تقليدية تقوم على تغطية نوافذ البيت بألواح من الجص المخرّق بتزيينات هندسية أو نباتية ، ثم أُلصقت على هذه التفريغات المنتظمة قطع من الزجاج الملون المختلف ، وقد ساعد هذا التلوين الشفاف على إدخال أنوار النهار ملونة إلى الغرفة ، أو إلى إخراج أضواء المصابيح الداخلية ملونة إلى صحن الدار .

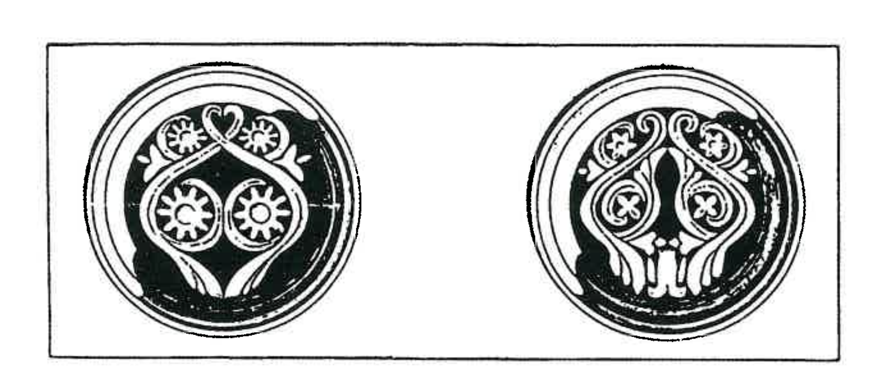




مقطع تفصيلي في شباك القبو
بيت عريضـــة

D. Circular Openings and Rosettes





نماذج نوافذ قمرية

(Ragette)

٣- المشربية

☆حسن فتحي ، الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية ص٩٤-٩٥

☆ إن التسمية "مشربية" مشتقة من اللفظة العربية "مشرب" ، وتعني في الأصل "مكان الشرب" . وكانت في الماضي عبارة عن حيّز بارز ذي فتحة منخلية (lattice opening) توضع فيه جرار الماء الصغيرة لتبرّد بفعل التبخّر الناتج عن تحرّك الهواء عبر الفتحة . أما الآن فيطلق الاسم على فتحة ذات شبكة منخلية خشبية (wooden lattice screen) مكوّنة من قضبان خشبية صغيرة ذات مقطع دائري تفصل بينها مسافات محددة ومنتظمة بشكل هندسي زخرفي دقيق وبالغ التعقيد .

وللمشربية بشكل عام خمس وظائف . وقد تمّ تطوير نماذج عديدة منها لتحقيق شروط مختلفة تتعلّق بواحدة أو أكثر من هذه الوظائف . وتشكل هذه الوظائف :

١) ضبط مرور الضوء .

٢) ضبط تدفق الهواء .

٣) خفض درجة حرارة تيار الهواء .

٤) زيادة نسبة رطوبة تيار الهواء .

٥) توفير الخصوصية . (privacy)

وتحقق أية مشربية بعضاً من هذه الوظائف أو كلّها . ولتصميم المشربية يجب اختيار المسافات بين القضبان المتجاورة وقطر كلّ منها ، إذ تعرف هذه النماذج المختلفة للمشربيات بأسماء مختلفة .

يتكون ضوء النهار الداخل إلى الحجرة من فتحة جنوبية من :

١) ضوء الشمس المباشر المكثف الذي تكون زاوية سقوطه بالنسبة إلى مستوى سطح الفتحة الكبيرة .

٢) الوهج المنعكس الأقلّ كثافة الذي يدخل بشكل شبه عمودي على مستوى سطح الفتحة ، ويفضّل عادة حجب ضوء الشمس المباشر القادم من خلال الفتحة لأنه يسخّن السطوح في داخل الغرفة . أما الوهج المنعكس الأقلّ كثافة فلا يسخّن السطوح داخل الغرفة بشكل فعّال لكنه يسبّب إزعاجاً للبصر .

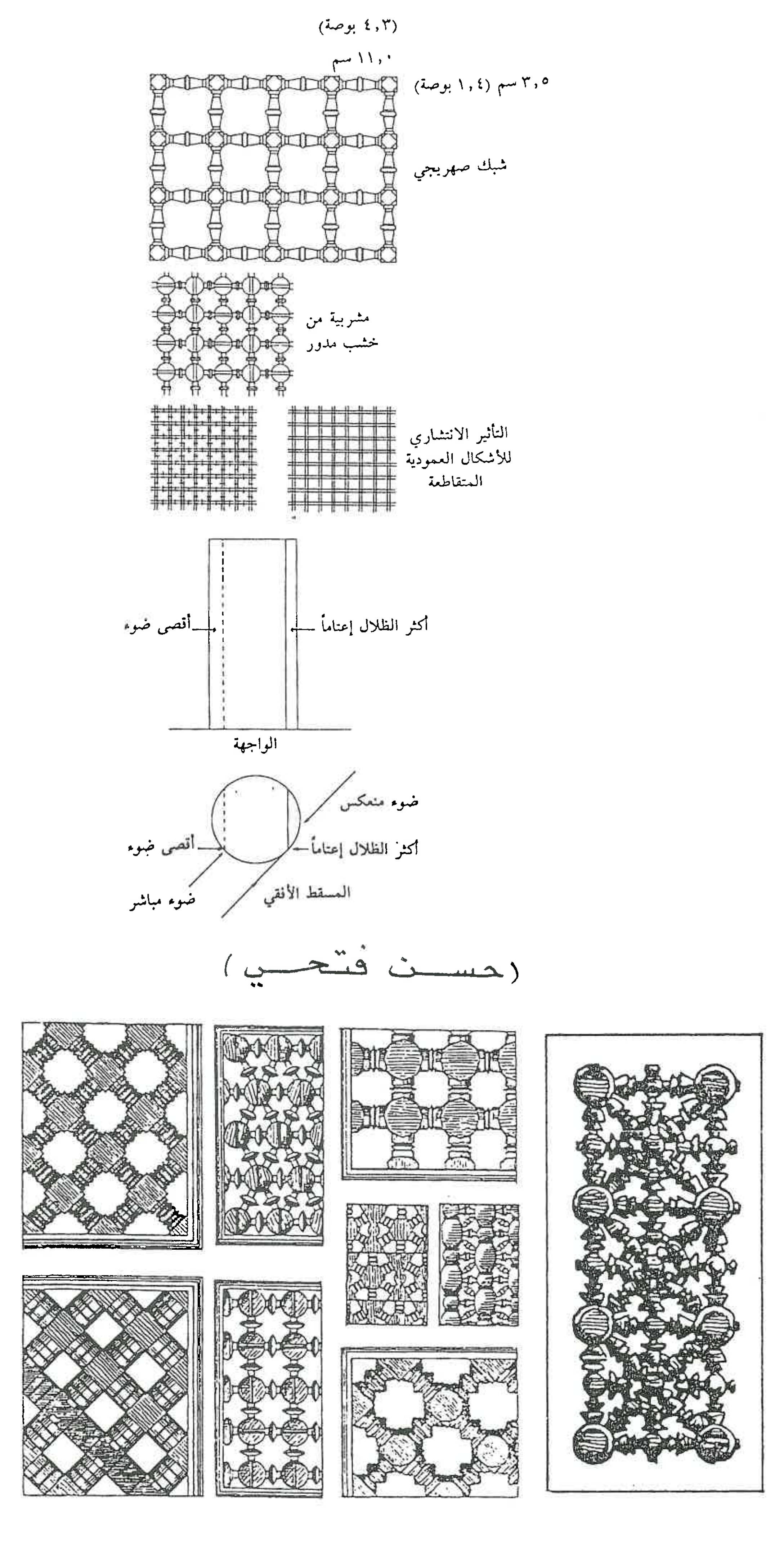
يختار المصمّم المسافات الفاصلة وحجم القضبان في المشربية التي تغطي فتحة في واجهة جنوبية لتعترض الإشعاع الشمسي المباشر . ويتطلب هذا الأمر مشبكاً ذا مسافات فاصلة صغيرة . ويقلل تدرّج شدة الضوء عند سقوطه على القضبان الدائرة المقطع من حدة التبيان



المشربية ـ بيت بسوق ساروجة ـ



المشربية ـ بيت بسوق ساروجة ـ



أشكال تخطيطيّة من الخشب المخروط

بين سواد القضبان غير المنفذة للضوء وسطوع الوهج من بينها ، لذلك لايبهر عين الناظر هذا التباين بين السواد والبياض عند استعمال المشربية ، بعكس ما يحدث عند استخدام كاسرات الشمس .

وينتج عن الشكل المميز للمشبك ذي الخطوط المتقطعة بفعل بروزات القضبان ، صورة مُظللة تنقل العين من قضيب إلى آخر عبر المسافات الفاصلة ، أفقياً وعمودياً مما يبطل التأثير اللاذع **(slashing effect)** الذي تسبّبه الأضلاع **(slats)** المستوية لكاسرات الشمس ، كما يعمل على مطابقة الإطلالة الخارجية بانسجام وعلى كامل الفتحة ، فوق النسق الزخرفي **(the decorative pattern)** للمشربية ، فتصبح شبيهة بقطعة من زجاج داكن مُحاك بالخيوط .

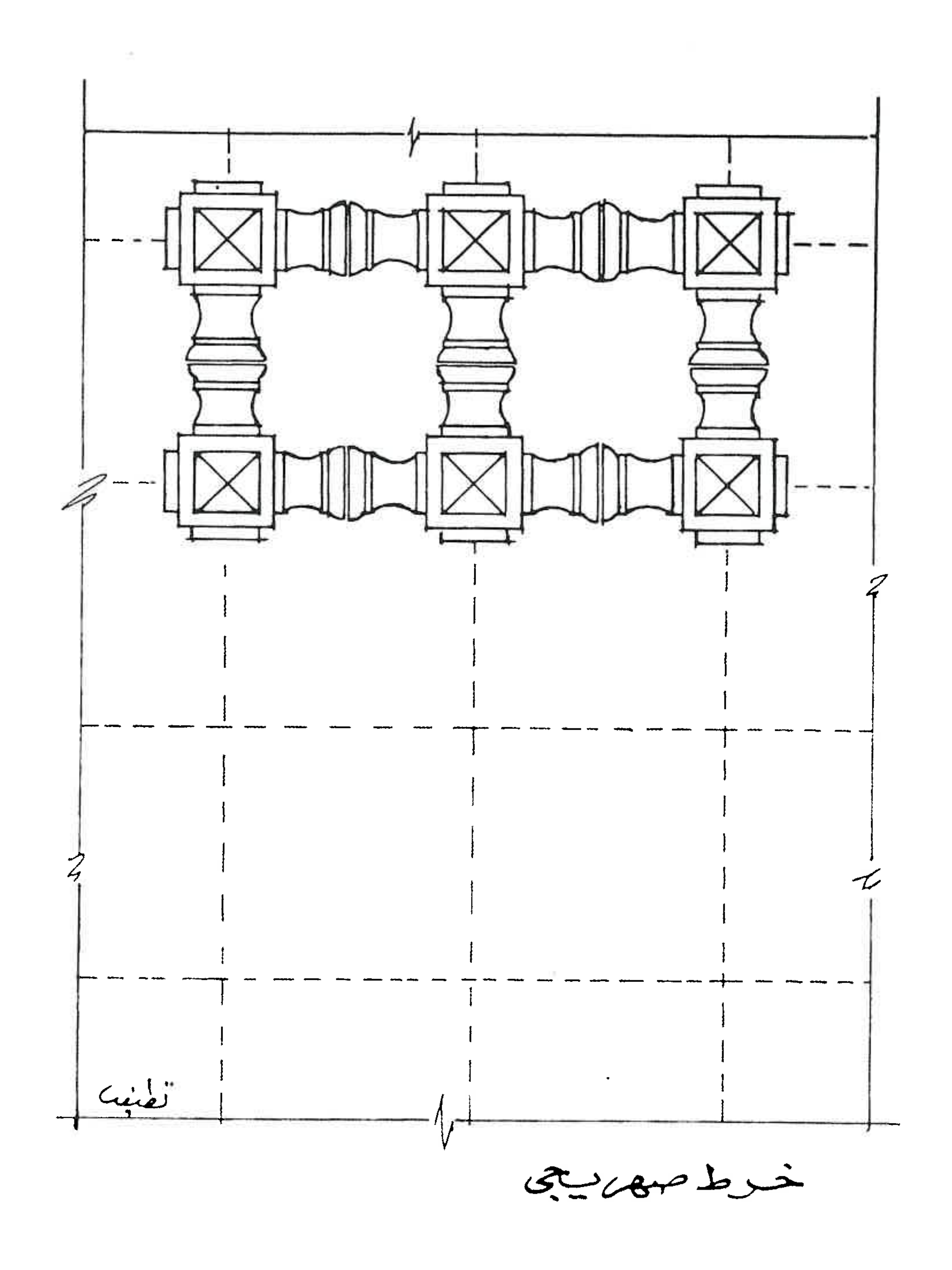
ويفضل أن تكون قضبان **(balusters)** المشربية التي تقع في مستوى نظر الإنسان قريبة بعضها من بعض لتعترض ضوء الشمس المباشر ، وتخفف من انبهار العين بالتباين بين العناصر المختلفة المكوّنة للمشربية . وللتعويض عن تناقص كمية الإضاءة المصاحب لهذا العامل يفضّل أن تكون المسافات الفاصلة بين القضبان في الأجزاء العلوية أكبر بكثير ، وتظهر النتيجة المدهشة التي يمكن الحصول عليها في حجرة ذات سقف عالٍ . ويسمح هذا الترتيب للضوء المنعكس بإضاءة الجزء العلوي من الحجرة ، في حين يمكننا استخدام مظلة صغيرة نضعها فوق الفتحة لمنع ضوء الشمس المباشر من الدخول .

أما بالنسبة إلى فتحات الواجهات الشمالية فيفضَل أن تكون المسافات الفاصلة بين القضبان كبيرة لتوفير إضاءة كافية للحجرات ، إذ لايسبب ضوء الشمس المباشر أية مشكلة .

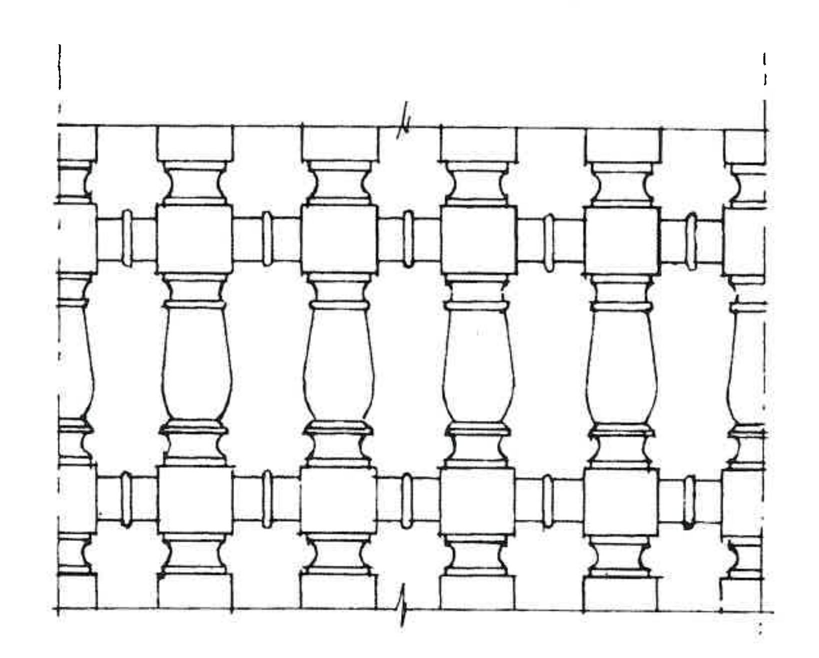
وتوفر المشربية ذات الفتحات الكبيرة الواضحة ، فراغات أكبر في المشبك ، مما يساعد في تدفق الهواء إلى داخل الحجرة . أما حين تتطلب الاعتبارات المتعلقة بضوء الشمس أن تكون المسافات الفاصلة صغيرة إلى حد يجعل تدفق الهواء غير كافٍ ، فيمكن عندها استعمال النموذج المفتوح الذي تكون المسافات الفاصلة بين القضبان في الجزء العلوي من المشربية قرب المظلة كبيرة بشكل كافٍ . لهذا السبب تتكون المشربية النموذجية من جزءين : جزء سفلي مكوّن من مشبك ضيق ذي قضبان دقيقة **(fine balusters)** ، وجزء علوي يتكوّن من مشبك عريض ذي قضبان أسطوانية الشكل .

وإذا تسبب صغر المسافات الفاصلة بين القضبان اللازمة لتخفيف حدّة السطوع من إعاقة تدفق الهواء بشكل كافٍ ، فإنه يمكن التعويض عن هذا الأثر السلبي المتعلق بنقص تدفق الهواء بزيادة حجم المشربية حتى لو اقتضى الأمر تغطية واجهة كاملة من واجهات الحجرة ويساعد الحجم الكبير لمثل هذه المشربية في التعويض عن ضعف الإضاءة الناتج عن وجود المشبك .

ويفقد الهواء المار من خلال المشربية الخشبية المنفذة بعضاً من رطوبته وذلك بامتصاص القضبان الخشبية لها إذا كانت معتدلة البرودة ، كما تكون في الليل عادة . وعندما تسخن المشربية بفعل ضوء الشمس المباشر فإنها تفقد الهواء المتدفق من خلالها هذه الرطوبة . ويمكن



خرط صهريجي



خرط برامق رأسية

استعمال هذه التقنية لزيادة رطوبة الهواء الجاف أثناء الحر في النهار ، وتبريد الهواء وترطيبه في أكثر الأوقات احتياجاً لذلك . ولقضبان المشربية والمسافات الفاصلة بينها (iterstices) حجوم مطلقة ونسبية مثلى تعتمد على مساحة السطوح المعرّضة للهواء ، ومعدل مرور الهواء من خلالها . لذلك ، فإن زيادة مساحة السطح عن طريق زيادة حجم القضيب تؤدي إلى زيادة التبريد والترطيب . إضافةً إلى ذلك فإن قضيباً كبيراً له في الوقت ذاته مساحة سطحية أكبر تزيد من قدرته على امتصاص بخار الماء بالإضافة إلى التبريد الناجم عن تبخر الماء فوق سطحه . كذلك ، تكون سِعة امتصاصه للماء أكبر مما يمكّنه من الاستمرار بعملية إطلاق بخار الماء عن طريق التبخر لفترة زمنية أطول .

بالإضافة إلى هذه التاثيرات الفيزيائية ، تقوم المشربية بوظيفة اجتماعية إذ توفر الخصوصية **(Privacy)** للساكنين مع السماح لهم ، في الوقت ذاته ، بالنظر إلى الخارج من خلالها . لذلك يفضّل أن تكون المسافات المعينة للمشربية المطلة على الشارع صغيرة ، باستثناء الجزء الذي يعلو عن مستوى النظر .

عندما نركز النظر على المشبك تظهر المشربية وكأنها حائط يخرج منه الضوء ، أما عند تركيز النظر على ماهو وراء المشبك يظهر المنظر الخارجي جلياً مع إعاقة بسيطة . ☆

☆حسن فتحي ، الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية ص٩٦-٩٧-٩٨

ونوجز فنقول إنّ المشربية هي :

بروز في جدار البيت على شكل نافذة بارزة من الخشب ، منفذة بالشعريات المتشابكة أو المتقاطعة أو المتعامدة . ☆

☆د. الشهابي ، زخرفة العمارة الإسلامية في دمشق ص٣٢١

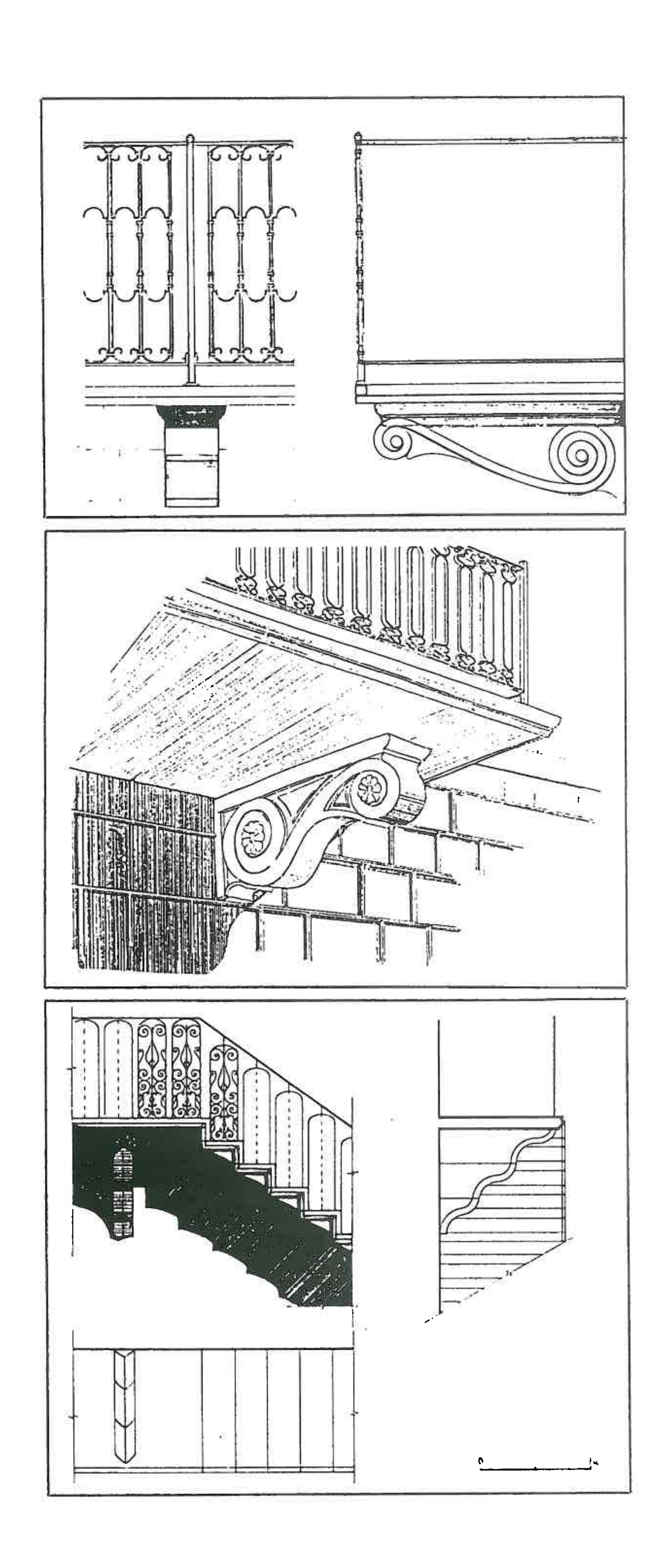
وترتكز المشربية على حوامل حجرية مثبتة داخل الجدار أو على جسور خشبية ممتدة من الداخل إلى الخارج وتكون على أشكال بسيطة أو زخرفة متنوعة .

وأما الأصل الفني للمشربية فإنها تطورت عن المشبكات أو الحواجز ذات الأشكال الهندسية التي توضع على النوافذ في العمارة الإسلامية ، ثم صنعت من الجص وعشقت بالزجاج الملون في كثير من بيوت دمشق في العهدين السلجوقي والأيوبي ، ثم صنعت بالخشب في نوافذ البيوت المملوكية كما صنعت من البرونز .

أما الروشن الخشبي فيرجح إدخاله إلى البيوت واستعماله في العهد العثماني وأطلق عليه اسم المشربية في مصر وغيرها . ☆

☆د. الريحاوي ، المجلة العربية للثقافة، ص١٣٤

وأما تصميم هذه المشربيات فقد صُنعت من برامق الخشب الدقيقة ، بمقاسات محددة من حيث أقطار هذه البرامق ومن حيث سعة الفتحات التي بينها بما يضمن أكبر كفاءة في حجب الرؤية من الخارج إلى الداخل ، مع السماح بالرؤية من الداخل إلى الخارج ، وفي حجب الحرارة وأشعة الشمس وفي السماح بمرور الهواء .



تفاصيل كوابيل حاملة

(Ragette)



كوابيل حاملة

بيت بجانب جادة النوفرة



بيــوت بجــادة
بحرة الأسعدية

٤ - الــواجهـــات

الوصف العام للواجهات المحددة للصحن :

١- تألفت الواجهة الشمالية من إيوان بارتفاع طابقين وقاعتين جانبيتين بارتفاعه أو بارتفاع طابق واحد تعلوها غرف .

٢- الواجهة الجنوبية توضعت عليها القاعات الشتوية وفي بعض البيوت القاعات المرتفعة بدرج ذي شاحطين جانبيين كما في بيت السباعي وجبري .

وفي بعض البيوت يوجد في الواجهة الجنوبية إيوان جنوبي كما في بيت البعلبكي والحلبي .

٣- الواجهتان الشرقية والغربية توضعت عليها القاعات الثانوية أو الخدمات . وأحياناً توضع فيها إيوانان شرقي وغربي كما في بيت الدادا . وتوضع عليهما أحياناً رواق كما في بيت السقا أميني وفارحي باشا .

ومما يلفت الانتباه أن الواجهات الخارجية للبيت الدمشقي بسيطة إلى حدّ الإسراف في التواضع مقارنةً بما في الداخل من الروعة والجمال . فالجدران الخارجية صماء خالية من الفتحات في الأصل ولاحقاً ، إلا من نوافذ ضيقة وعالية بالنسبة إلى مستوى الشارع . والجدران مبنية بالحجر الغشيم في أجزائها السفلى وبالآجر واللبن والخشب فيما تبقى .

ونظرة واحدة داخل صحن البيت وما يحيط به ، يدرك فيها صاحب الحس المعماري المرهف أن العالم الداخلي للبيت الدمشقي آية في الذوق والروعة والجمال .

إن الانسجام المعماري الراقي للواجهات الرأسية والأفقية وما تحتويه من عناصر زخرفية جمالية ليثبت المقدرة الفذة للمعماري المسلم الذي بذل جهده ليجعل من داخل البيت جنة مصغرة بأرقى المستويات المعمارية .

وجاء التفاوت والتداخل في المسطحات الجدارية من أبواب ونوافذ ومحاريب وأقواس ومشاكي وغيرها ، وكذلك التفاوت في ارتفاعات الأرضيات والأسقف ليعطي انطباعاً بالمستوى الوظيفي والجمالي الراقي الذي وصل إليه البيت الدمشقي على يد معمارييه الأصيلين.

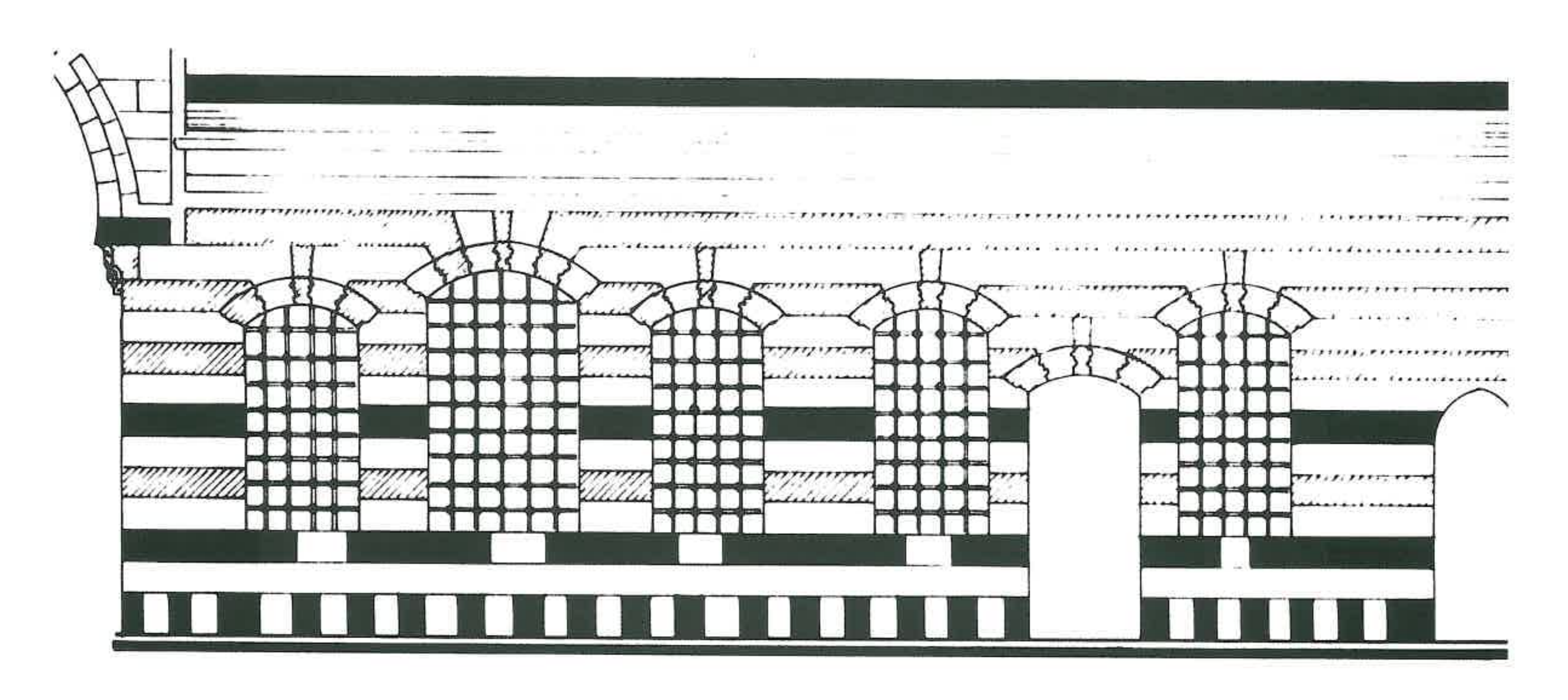
وظهر تفاوت في الألوان واستعمالاتها في الحجر والخشب والرخام جلياً لكل عين بصيرة صاحبة تذوق وتقدير .



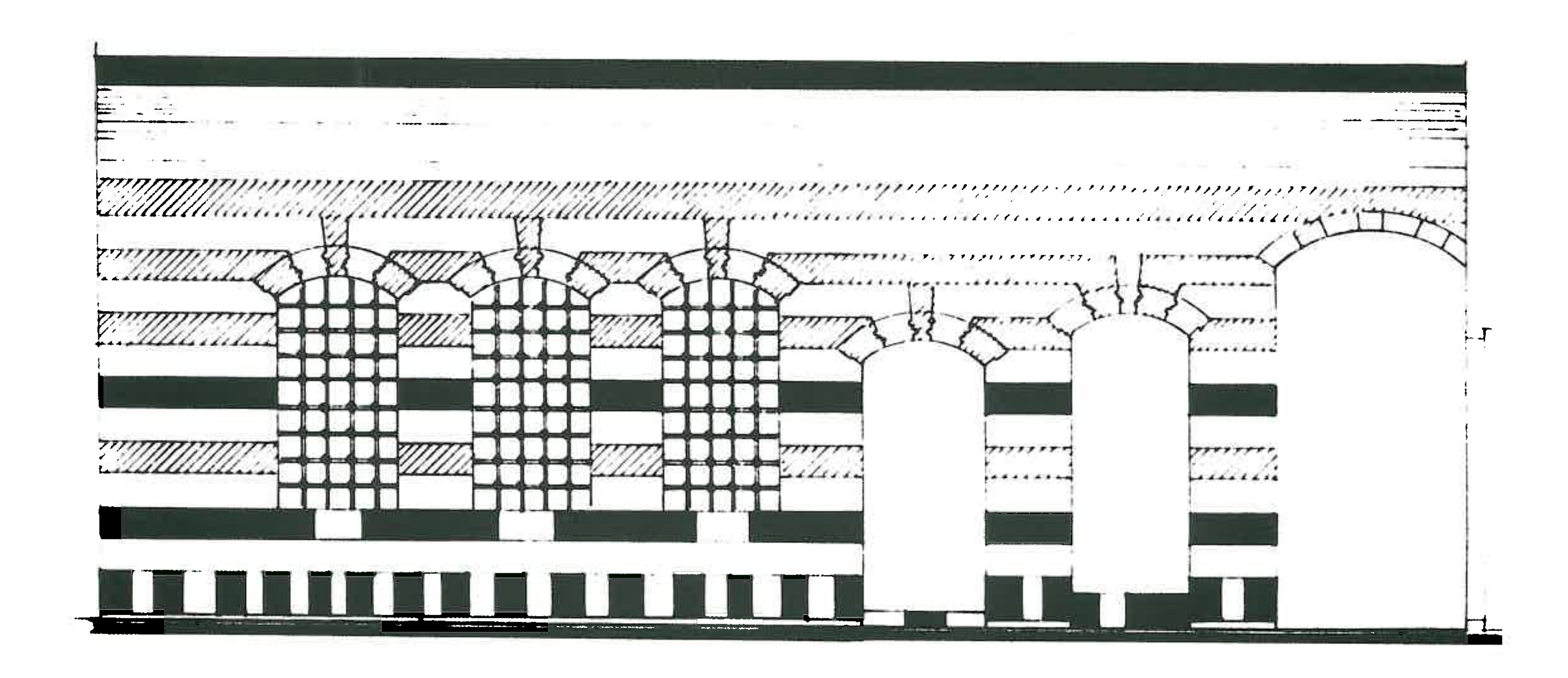
الأبلـق - بيـت السبـاعـي-



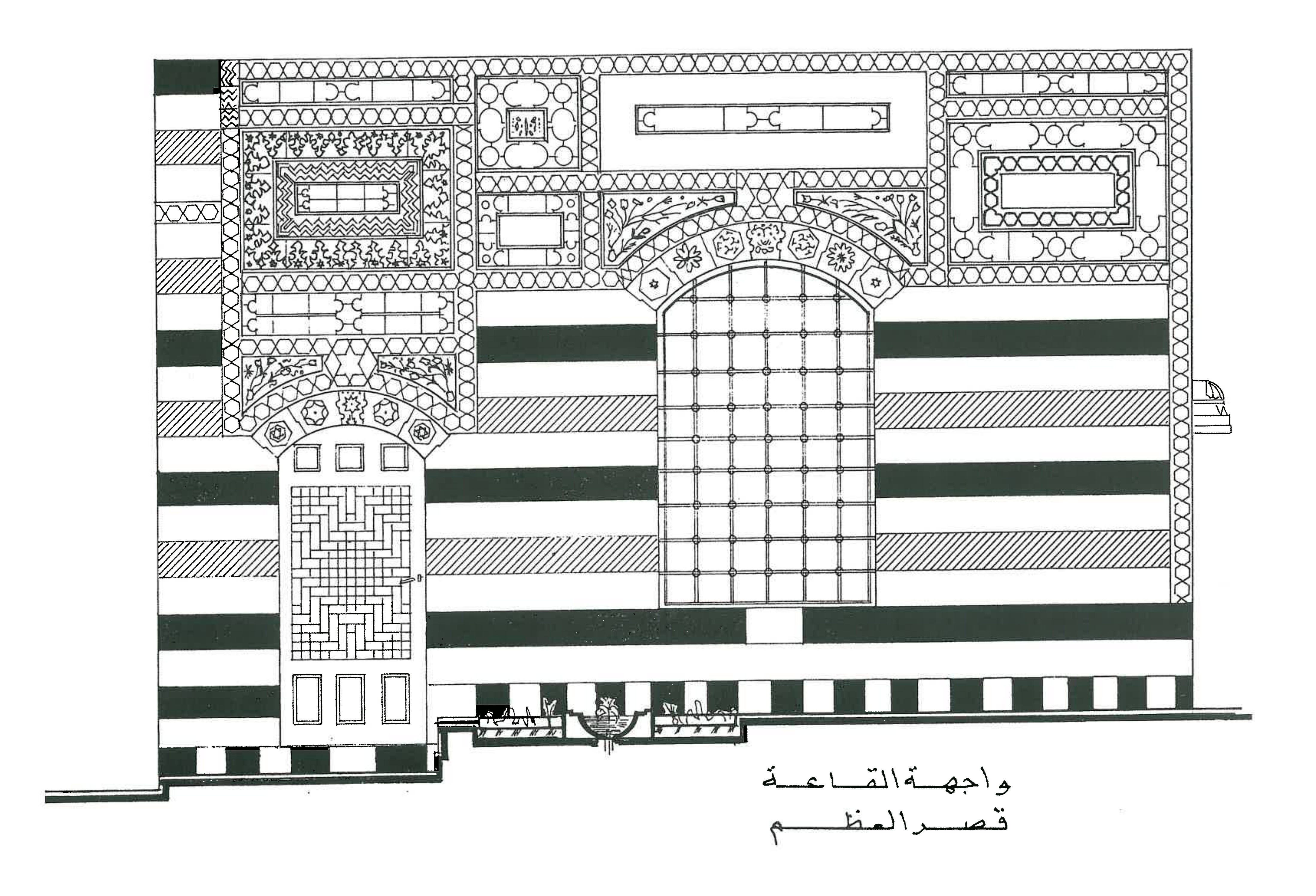
الأبلـق - قصـر العظـم-



الواجهة الشمالية - باحة الحرملك
قصر العظم



الواجهة الغربية - باحة الحرملك
قصر العظم



واجهة القاعة
قصر العظم

وقد تميزت الواجهات الداخلية للبيت الدمشقي بتناوب ألوان مداميك الحجر فيها ، وتسمى "الأبلق" . وهي صفوف حجرية أفقية تتناوب فيها الألوان كالأسود والأبيض أو الأحمر والأبيض أو كليهما ، وكذلك الأسود والأصفر أو الأحمر والترابي وغيرها .

إن فكرة البناء بالمداميك الحجرية ذات الألوان المتناوبة (الأبلق) قد استمدت من متطلبات فنية أكثر منها احتياجات وظيفية ، فتناوب اللونين الداكن والمشرق في المداميك يخفف إلى حد ما من ثقل كتلته لا بالوزن بل بالخداع البصري ، كما أن أفقية الخطوط فيه تجعل الكتلة تنساب عرضياً فيبدو البيت أقل ارتفاعاً وأكثر عرضاً .

وأما واجهة الإيوان فقد جاءت في الجهة الجنوبية من الصحن بسقف عالٍ بارتفاع الطابقين ، وبمنسوب أعلى من منسوب صحن البيت أو بمنسوبه نفسه ، وهو معقود بقوس كبير بعرض الإيوان مرتكز على تاجين مزخرفين . وواجهاته الداخلية إما حجرية وإما مرخّمة وفيها المحراب والكُوى .

وأما واجهة القاعة التي تقع في الجهة الشمالية من الصحن فتتميز بغنى فتحاتها المطلة على الصحن ، حيث يظهر الباب بزخرفته الخشبية ويعلوه القوس المزخرف بعدة زخارف ملونة لكل حجرة على السواء وتعلوه عدة مداميك حجرية مزخرفة . وأما النوافذ فقد جاءت معقودة بأقواس مزخرفة أيضاً ولها مصاريع زجاجية محمية بشبك معدني . وقد كسيت واجهاتها الداخلية بالرخام المشقف أو بنقوش من الحجر المزخرف أو برسومات ملونة .

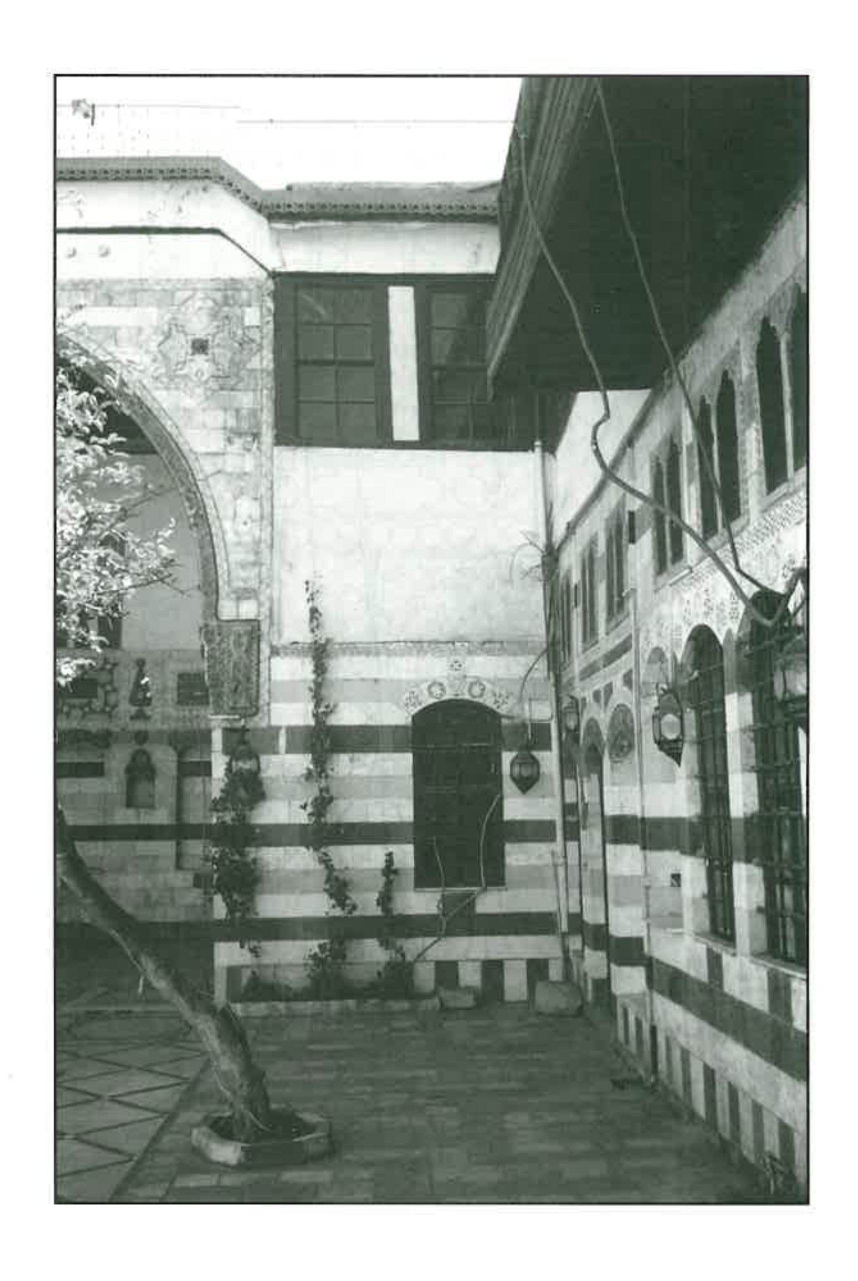
وعموماً فإن الجدران المحيطة بالصحن مغطاة بالتزيينات الهندسية المحفورة على الحجر الأبيض النحيت والمملوء بالجص الملون ، يتخللها أحياناً حجارة صفراء ناتئة مزخرفة بزخارف بارزة ، يحيط بالتزيينات جميعاً خيط عربي من الحجر الأصفر المضفور . وحول أبواب القاعات والنوافذ أقواس وكوى فيها مقرنصة أو تزيينات نباتية بارزة على الحجر الأصفر .

ومن الملاحظ أن هناك تنظيماً في تقسيم طول الدار من أجل تعيين مواضع فتحات الأبواب والنوافذ والكوى الصغيرة الموجودة بين نافذة وأخرى وبجانبي الباب وفي أعلاه . ويُراعى على الأغلب التناظر في تصميم القاعات والأبواب والنوافذ والكوى حتى في الدرجات الموضوعة أمام أبواب القاعات الشتوية التي تكون أكثر ارتفاعاً من مستوى الصحن لتتلقى أشعة الشمس .

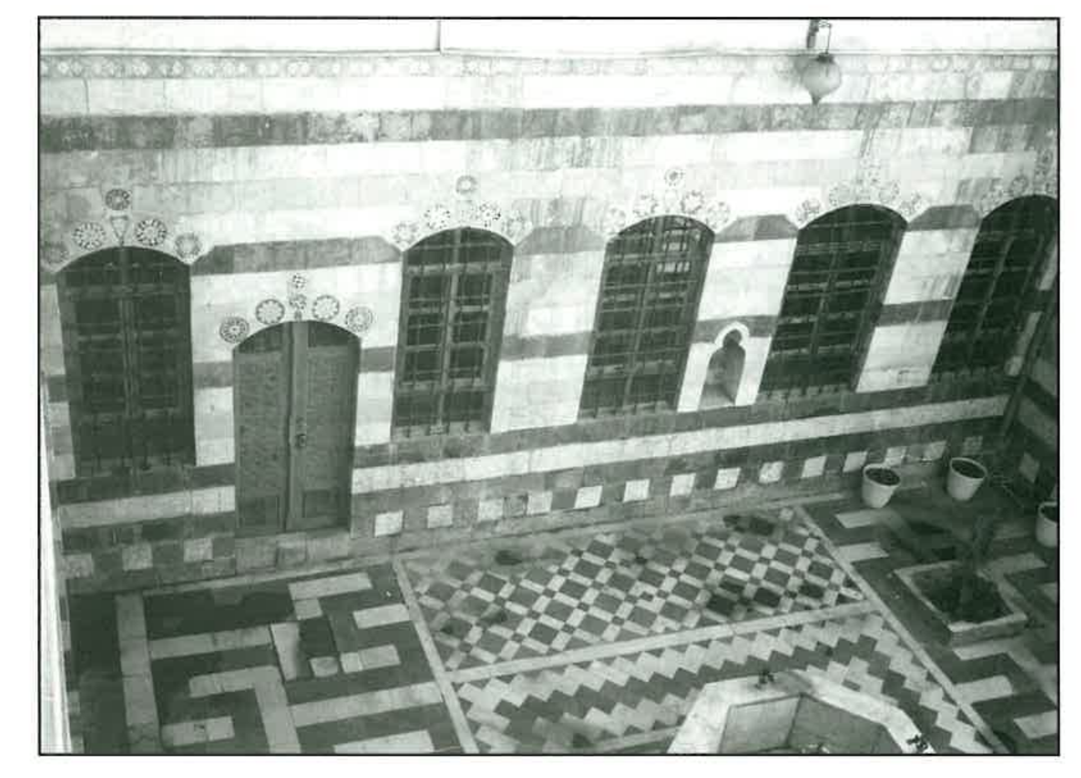
وفي الدور الكبيرة كقصر العظم ودار عنبر ودار السقا أميني بدمشق ، يُشاهد رواق فخم في أحد جوانب الصحن تبدو فيه أناقة الأعمدة وتقدم الصنعة في نحت الأقواس والتيجان . وقد يكون الرواق أمام الإيوان الأكبر كما هو الحال في بيت فارحي باشا .

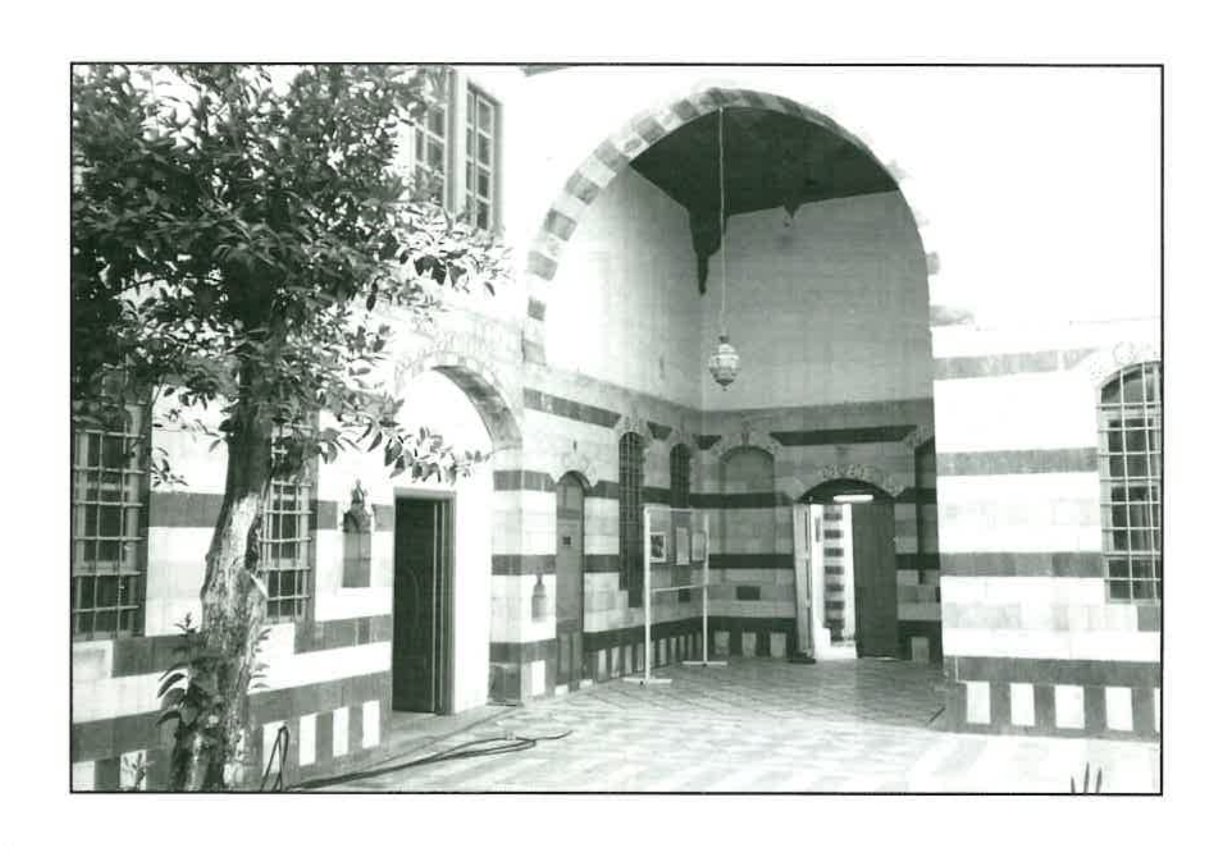
واجهات داخلية

- بيـت نظــام -



بيت السباعي



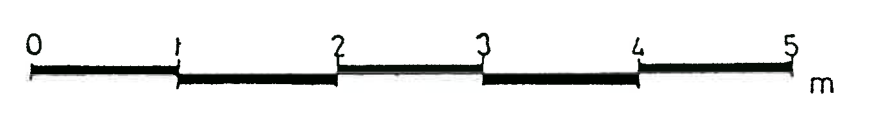


واجهة داخلية ـ بيت خالد بك العظم



واجهة داخلية ـ بيت الإسطواني

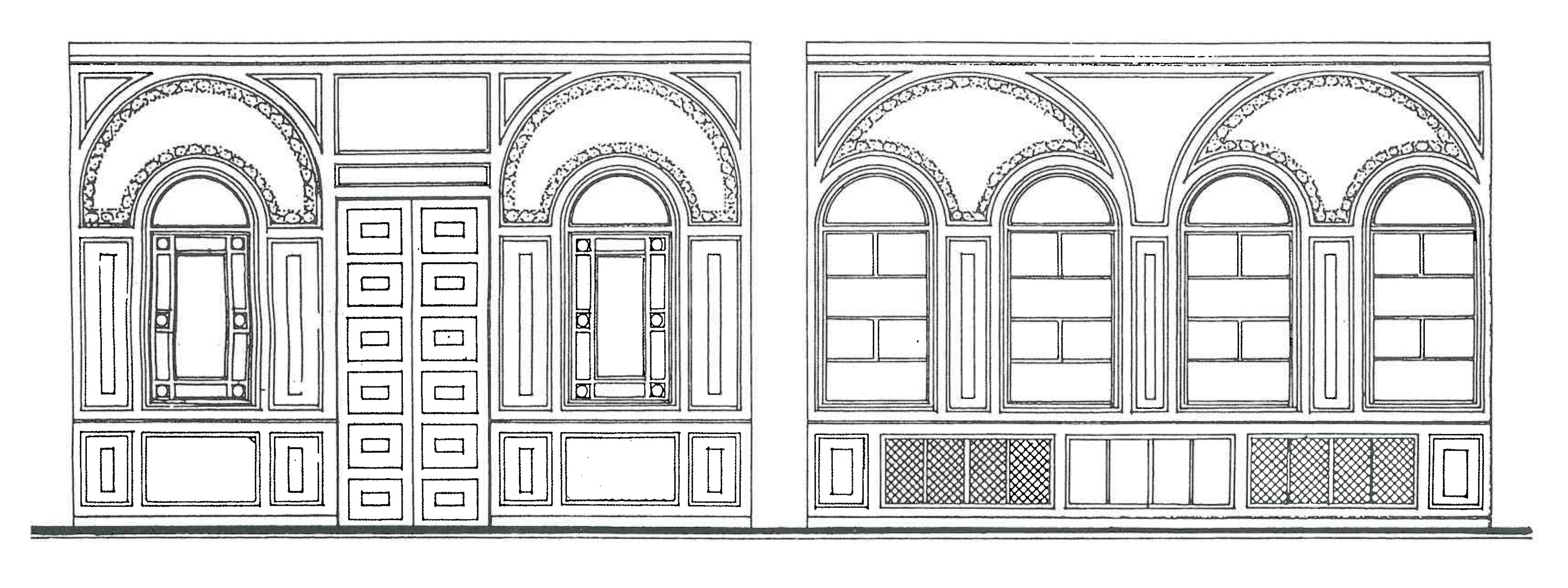
٣-٩٧



قصر الثقافة

غرفة الاجتماعات - الواجهة الجنوبية

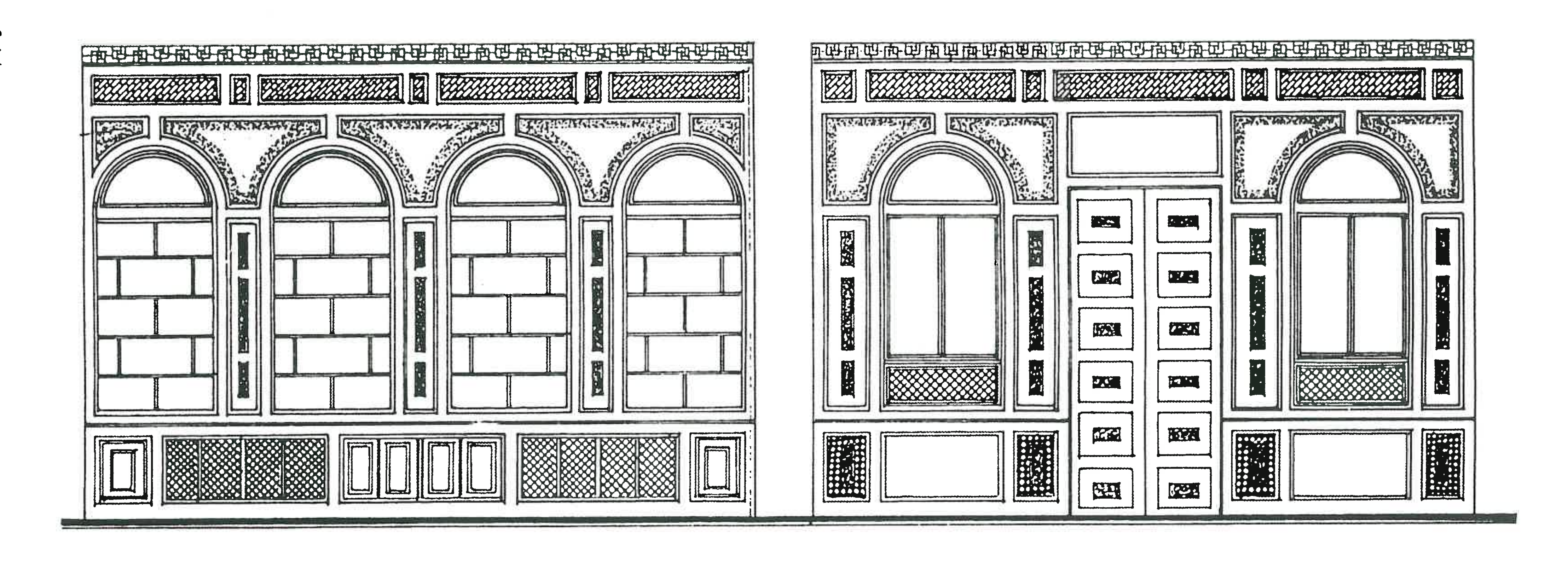
٤-٩٧



قصر الثقافة

غرفة الاجتماعات
الواجهة الشرقيّة

غرفة الاجتماعات
الواجهة الغربيّة


غرفة المحافظ
الواجهة الشرقية
قصر الثقافة
غرفة المحافظ
الواجهة الغربيّة
0 1 2 3 4 5 m

ويُلاحظ أيضاً في باحات البيوت درج ذو مصعد واحد أو مصعدين متناظرين يؤديان إلى قاعة مرتفعة مبنية فوق قبو . وهذا الدرج يشكل ، أمام باب القاعة ، شرفة ذات رواق محمول بأعمدة رخامية لطيفة كالشرفة الموجودة في دار آل الشيخ قطنا في المسكية بدمشق .

وقد تميز خط الواجهات (خط الأفق للصحن) بأنه مستوٍ دائماً ، وإذا ماكانت واجهة الإيوان منخفضة قليلاً ، يتم الاتصال مع الواجهتين الجانبيتين عبر أجزاء من قوسين متناظرين على الجانبين ، ومنتهٍ بطنف زُيّن بزُنّار من الزخارف الموردة الخشبية كما في بيت صوان .

وعموماً فإن الفتحات قلت في الطابق الأرضي حيث هي لتحقيق التهوئة والإنارة للقاعات ، والحفاظ على البرودة التي تتسرب ليلاً إلى القاعات والغرف عبر الفناء . أما في الطابق العلوي فقد تواجدت الفتحات على طول الواجهة ضمن شريط من النوافذ الزجاجية بدا في معظم البيوت وبشكل دوار على الواجهات الثلاث لتحقق مساحة كبيرة تدخل أشعة الشمس عبرها شتاءً بأكبر كمية ممكنة فتسمح بالتدفئة الطبيعية شتاءً . ☆

☆حسحس وأبو زرد ، الفناء والإيوان في البيت الدمشقي ص١٩

وقد أحيطت أجزاء من السطح بجدران عالية سميت "المشرقة" عملت على حماية الأسقف الخشبية من الحريق والحفاظ على خصوصية أهل البيت وحرمتهم .

وفي بعض البيوت وضع درابزين معدني بأشكال زخرفية على خط الواجهات المحيطة بالصحن فوق الطنف الخشبي البارز .

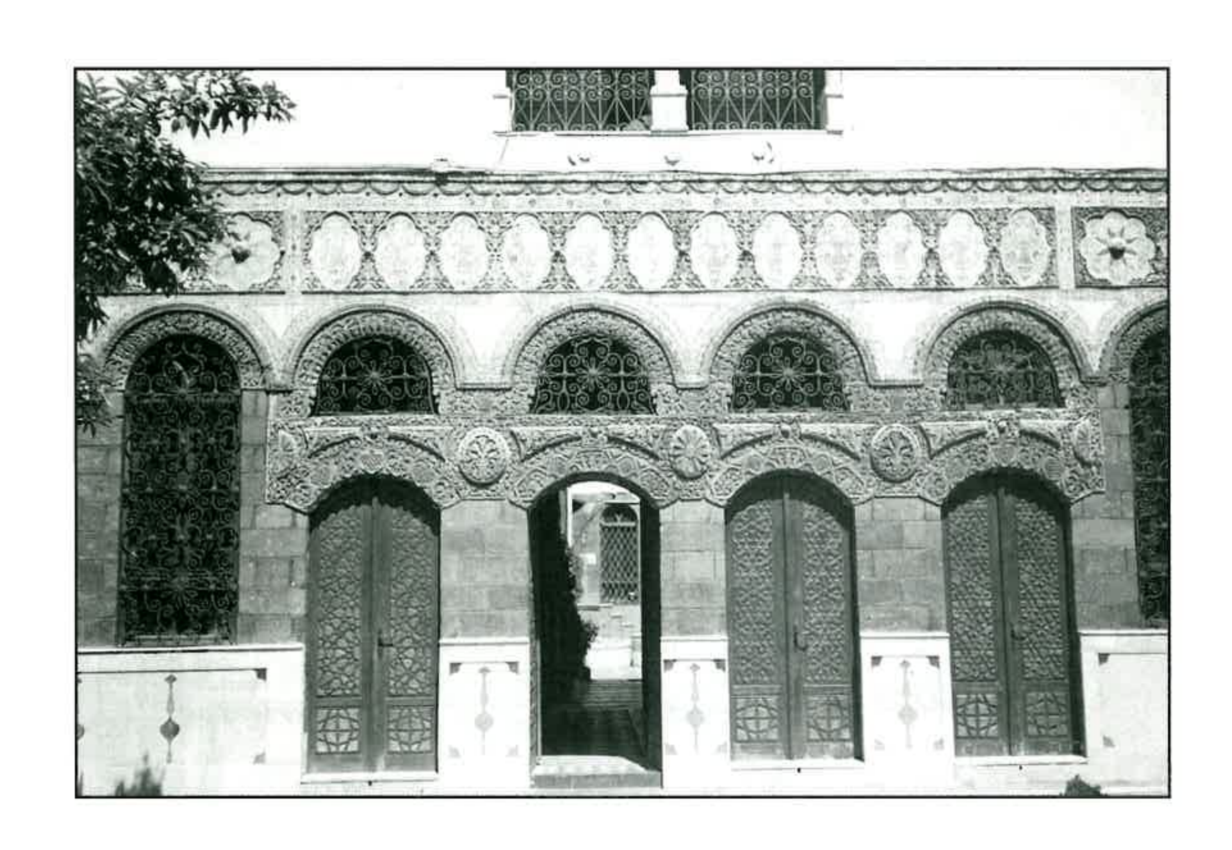
ويحل الخشب المزخرف في كسوة الجدران بدلاً من الرخام حيث ترتفع إلى ثلثي الجدران والباقي أبيض مكسو بالكلس المصقول تنفتح فيه نوافذ صغيرة عالية من الزجاج المعشق وتتخلله المكتبات والخزائن ، وقد اشتهرت البيوت الدمشقية باستعمال هذا النوع الجميل من الخشب في الأسقف والجدران ويطلق عليه الحلقة العجمية ، تغطي الخشب الزخارف النافرة النباتية والهندسية المصبوغة بالألوان الجذابة ، ويُغشى بالذهب ، وتتخلله ألواح عليها آيات قرآنية وأبياتٍ شعريّة مكتوبة بماء الذهب .

وتوزّر جدران الغرف والقاعات عادة بكسوة من الرخام الملون تتخلّلها لوحات زخرفية من الفسيفساء .

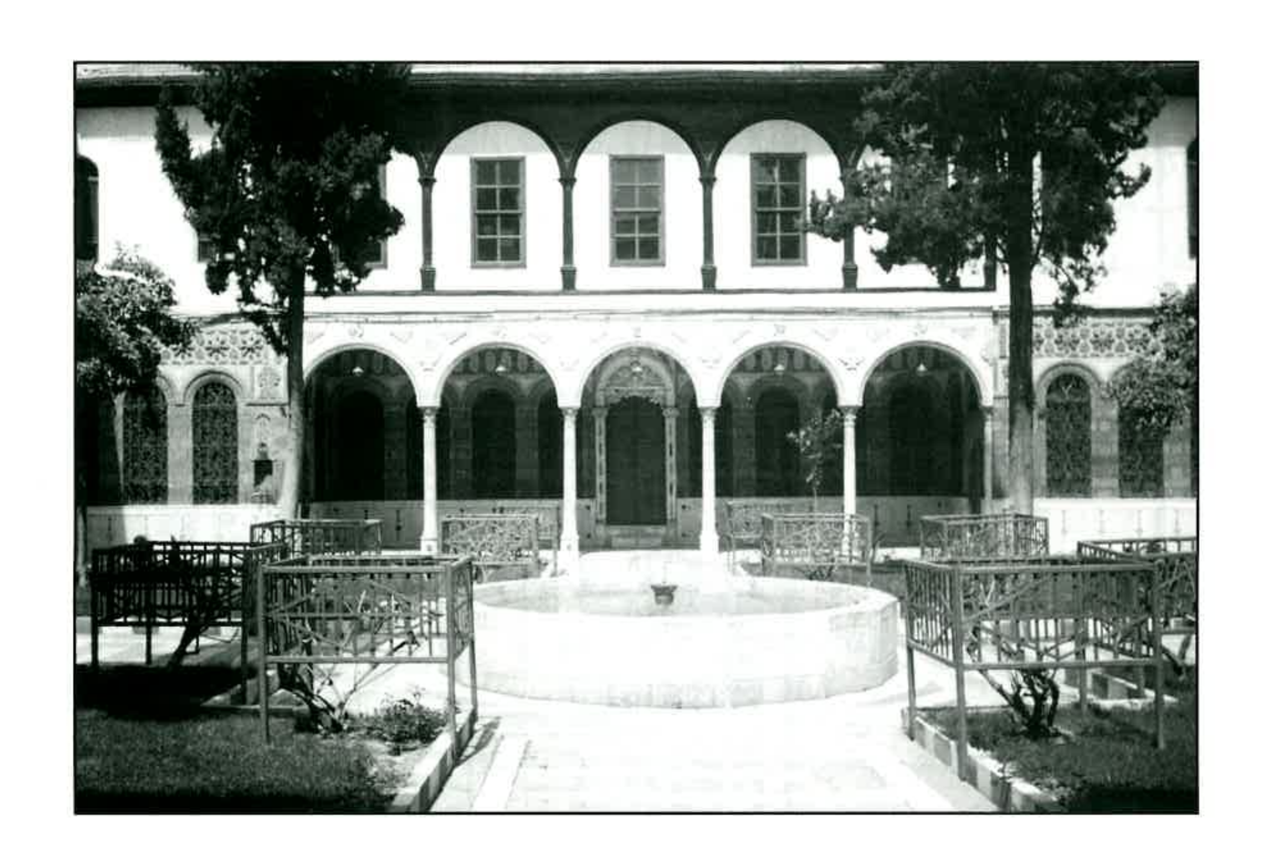
☆وفي مرحلة متأخرة دخل أسلوب الباروك في تزيينات الواجهات وزخرفتها ، وتحول الطنف الرئيسي لواجهات الصحن إلى شريط أفقي متموج كما في بيت القوتلي .

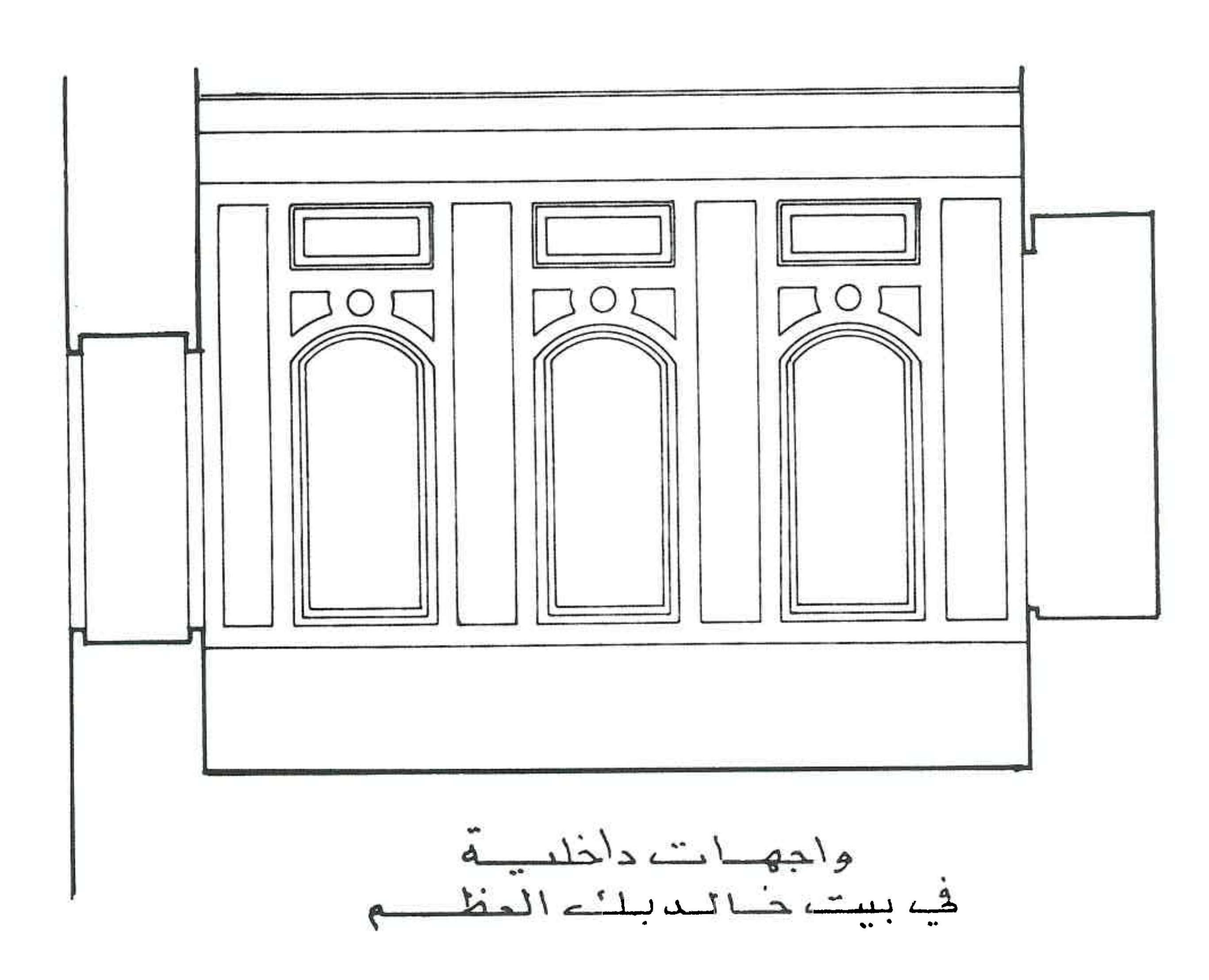
☆حسحس وأبو زرد ، الفناء والإيوان في البيت الدمشقي ص١٧

ولابد لنا أن نشير إلى أن البناء الدمشقي رغم أنه انتحل عناصر من الروكوكو والباروك ، فإنه استطاع وبفن يبعث على الدهشة والإعجاب الجمع بينهما ضمن البيت الواحد وتحويلها لتتآلف مع فنه الأصلي .

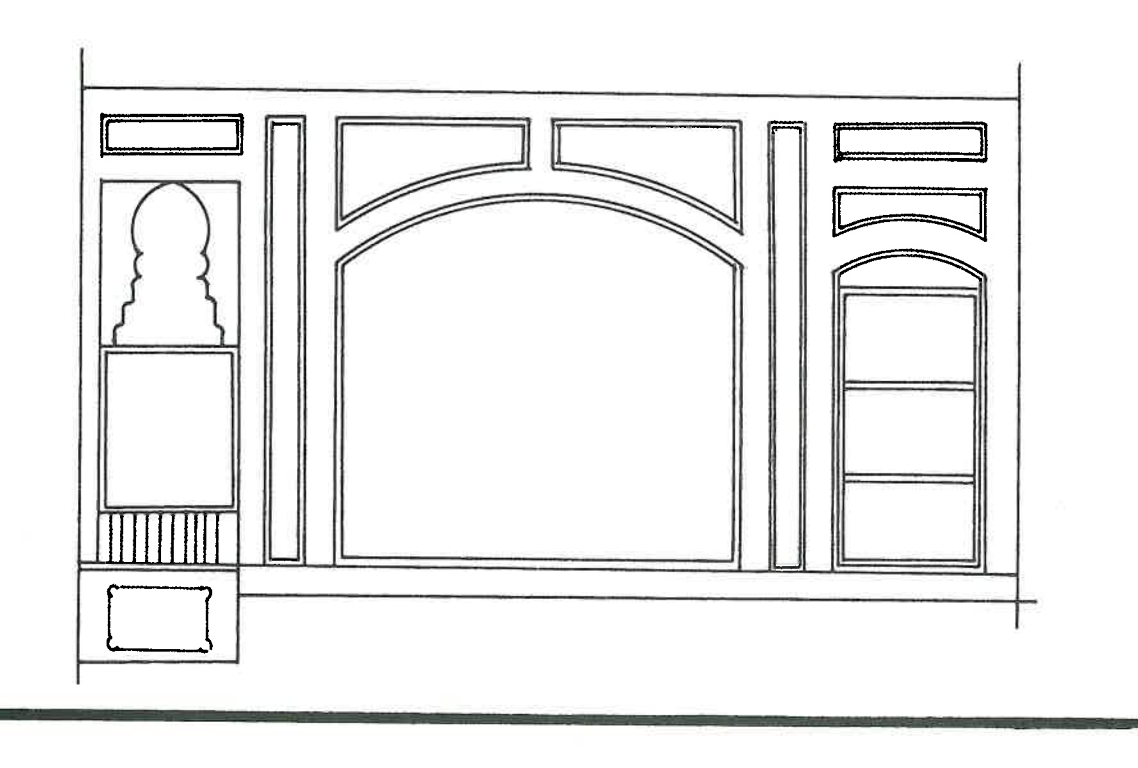


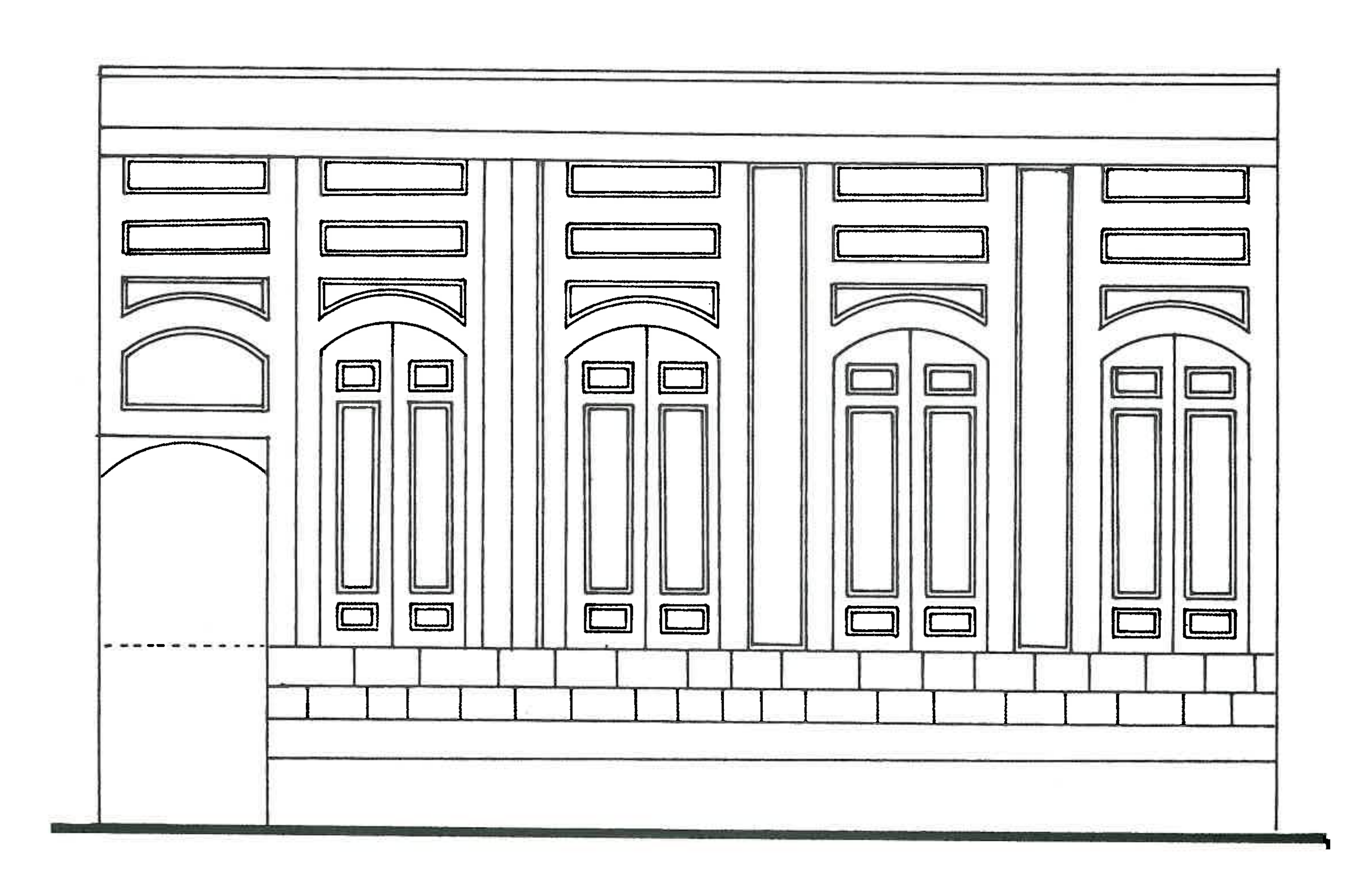
واجهات داخلية - مكتب عنبر -





واجهات داخلية
في بيت خالد بك العظم





واجهـات داخليـة
في بيت خالد بك العظـم

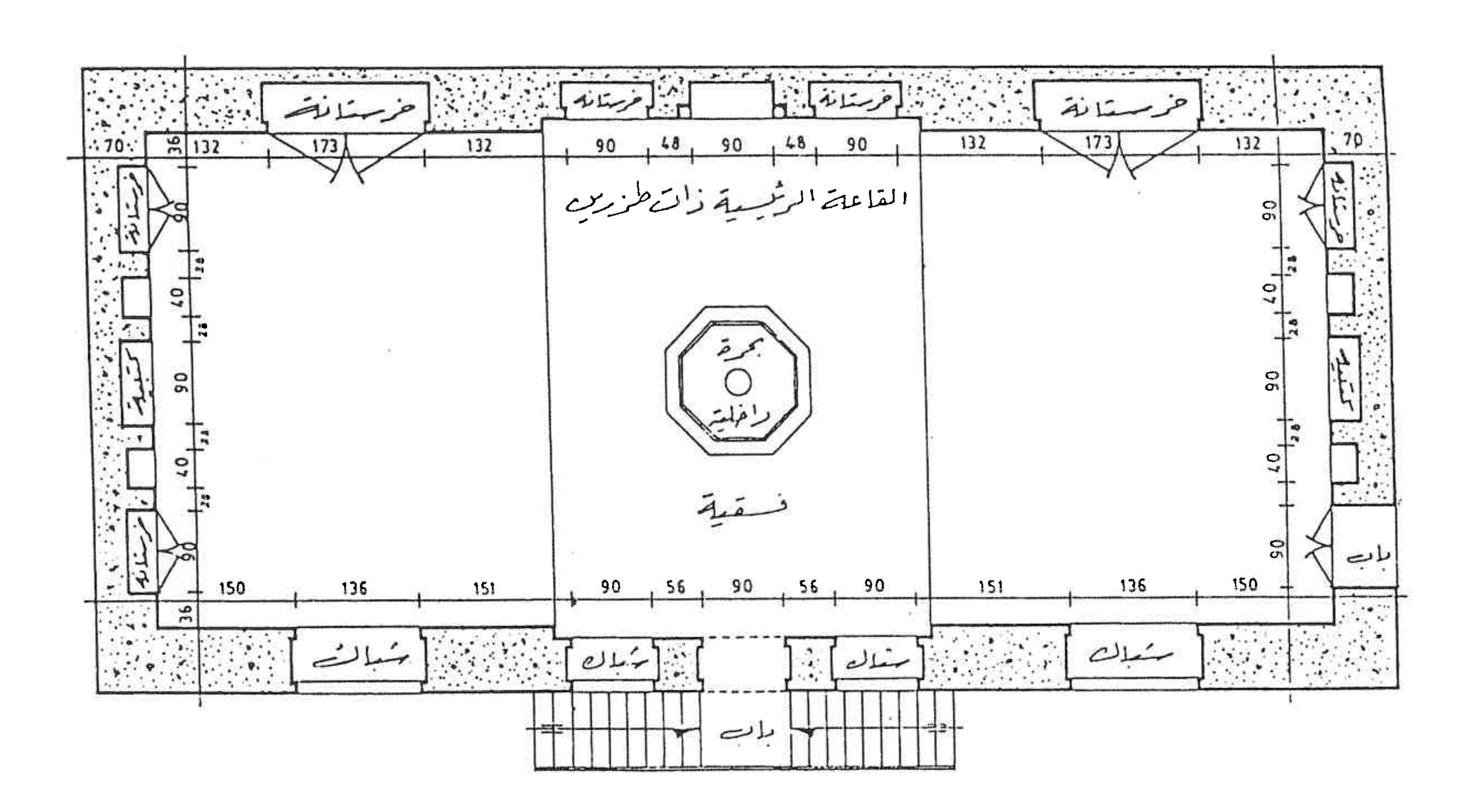
خرستانة كتبية خرستانة

36 90 28 40 28 90 28 40 28 90 36

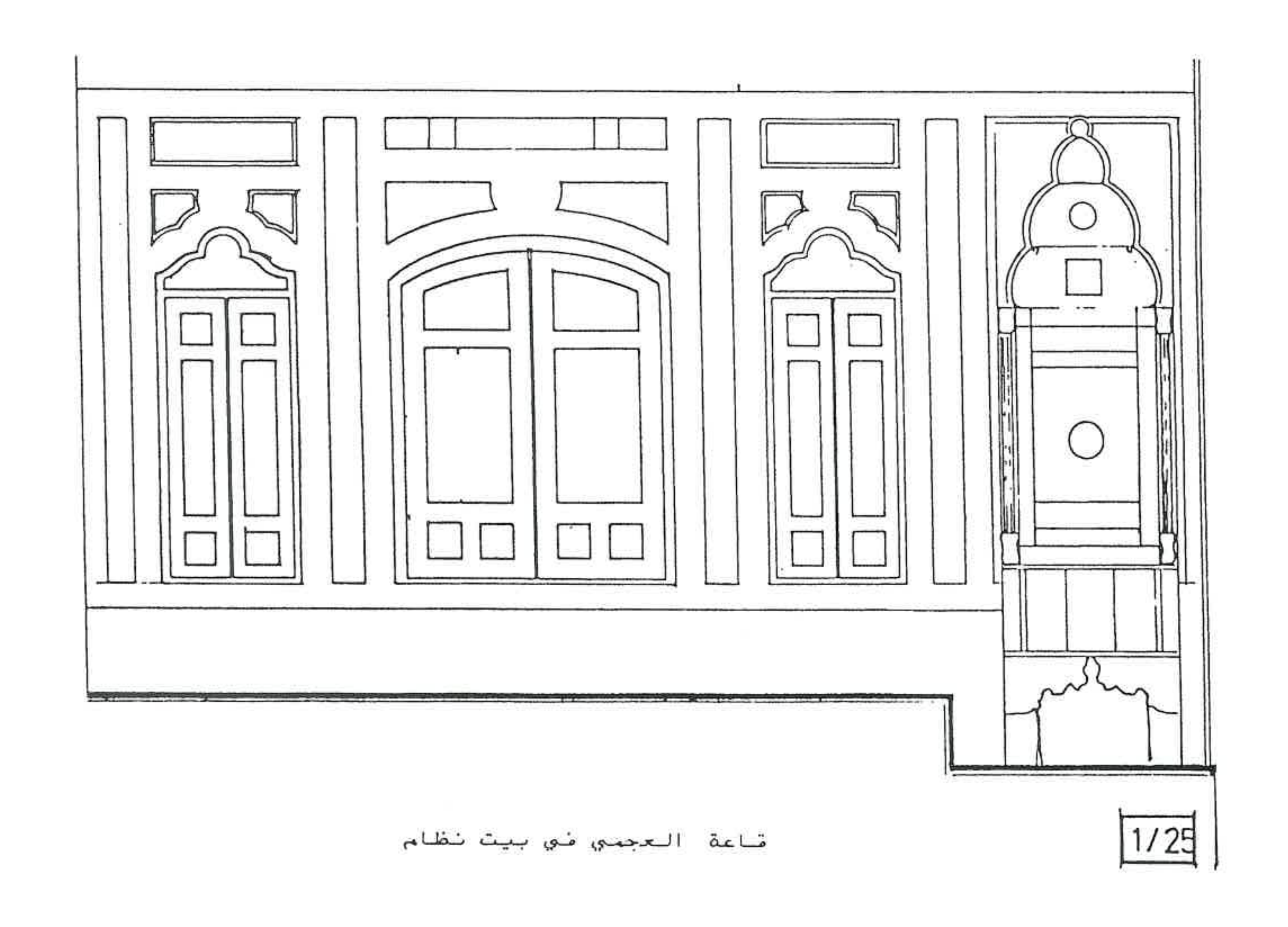
مسقط

قطاع

خرستانة



القاعة الرئيسية في بيت السباعي



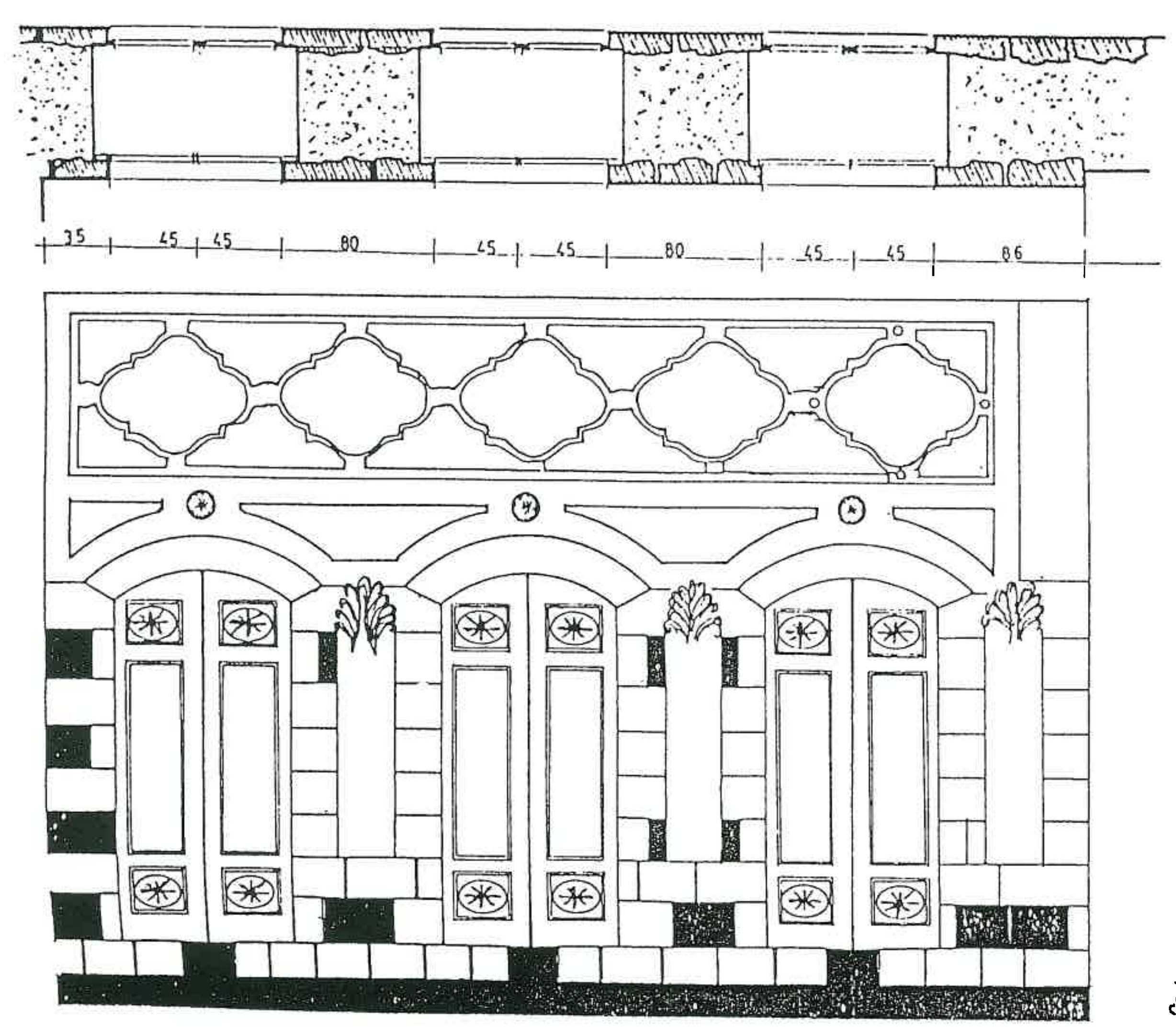
قاعة العجمي في بيت نظام

1/25

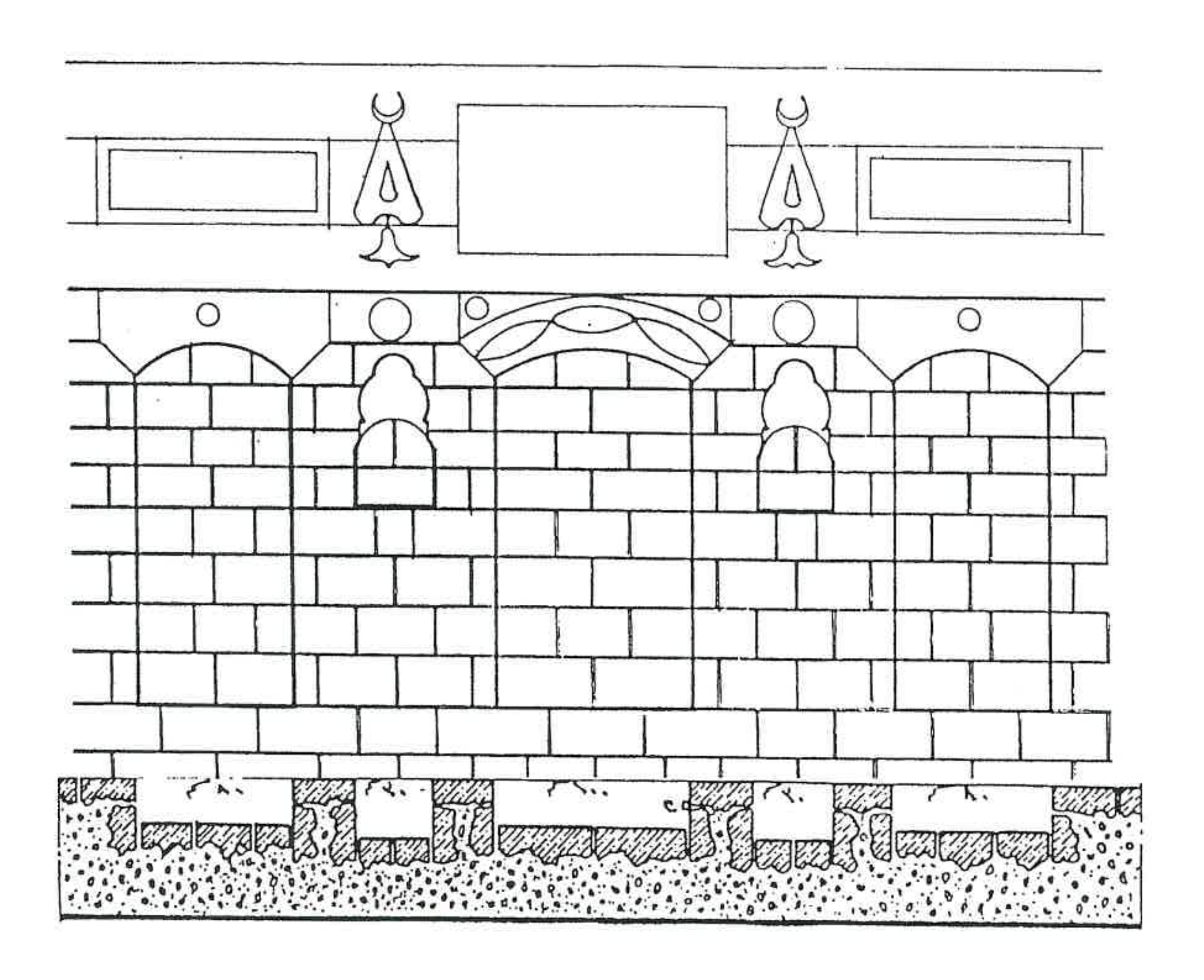
خرسانة كتبية خرسانه كتبية

4 34 14 85 14 34 14 14 22 14 85 14 28 14 85 14 28 14 85 14 28 14 85 14

زهر



واجهة قاعة



واجهة الايوان

ونوجز فنقول إنّ نوعية الكَسْو في الواجهات ينقسم إلى قسمين : ☆

قسم الجدار السفلي :

من بداية الطابق الأرضي إلى نهايته مزخرف بتقنيات مختلفة مثل المداميك المتناوبة من الحجارة الملوّنة ، والمنطقة العلوية منه الواقعة أعلى النوافذ وعند نهاية الطابق الأول تتميز بزخارف يختلف تعقيدها حسب الواجهة وتتراوح بين مداميك الحجر والنقوش الخفيفة والرسم إلى النقوش والزخارف النافرة .

القسم العلوي :

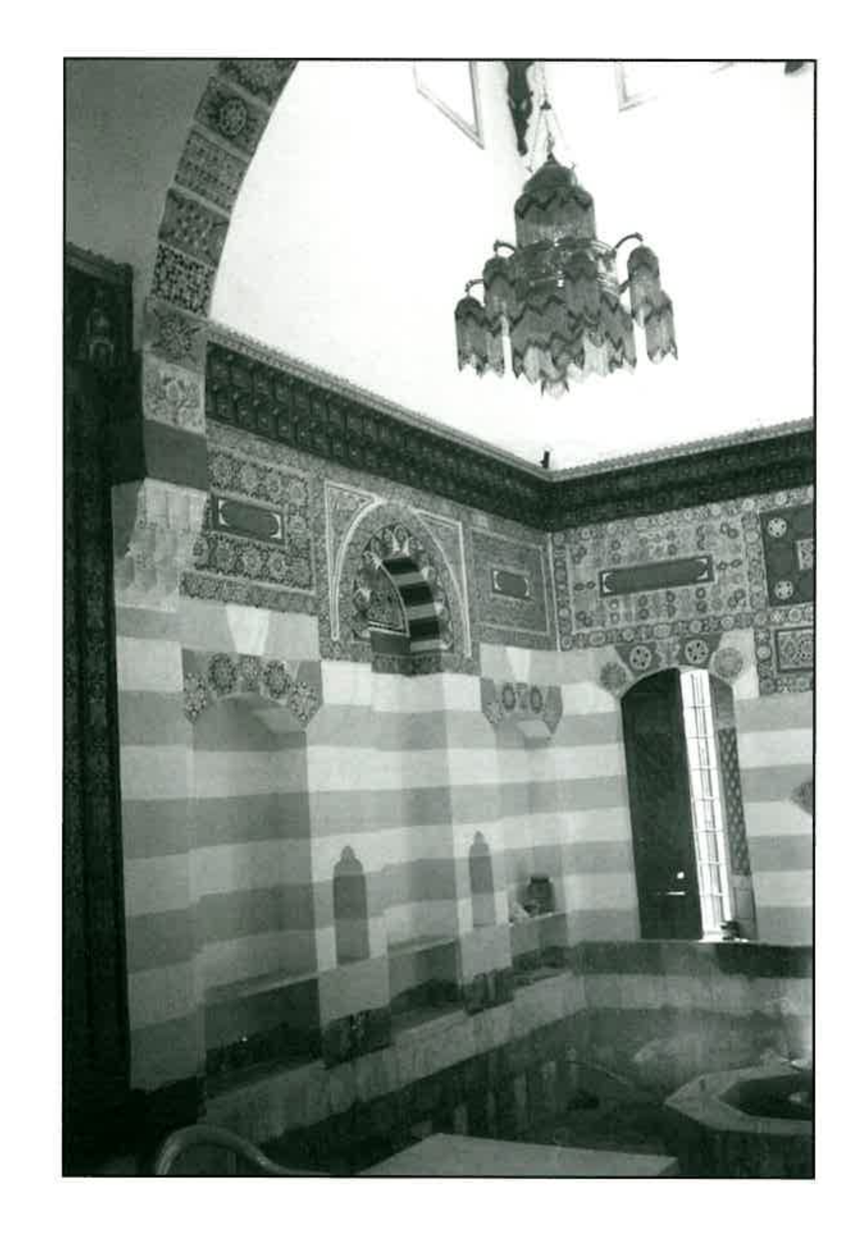
من الجدار ومن نهاية الطابق الأرضي حتى نهاية الواجهة ، غالباً ما يغطى بالكلس الأبيض.

وكمثال على ذلك نورد مثالاً النموذج التالي :

الواجهات الداخلية لبيت جمعة :

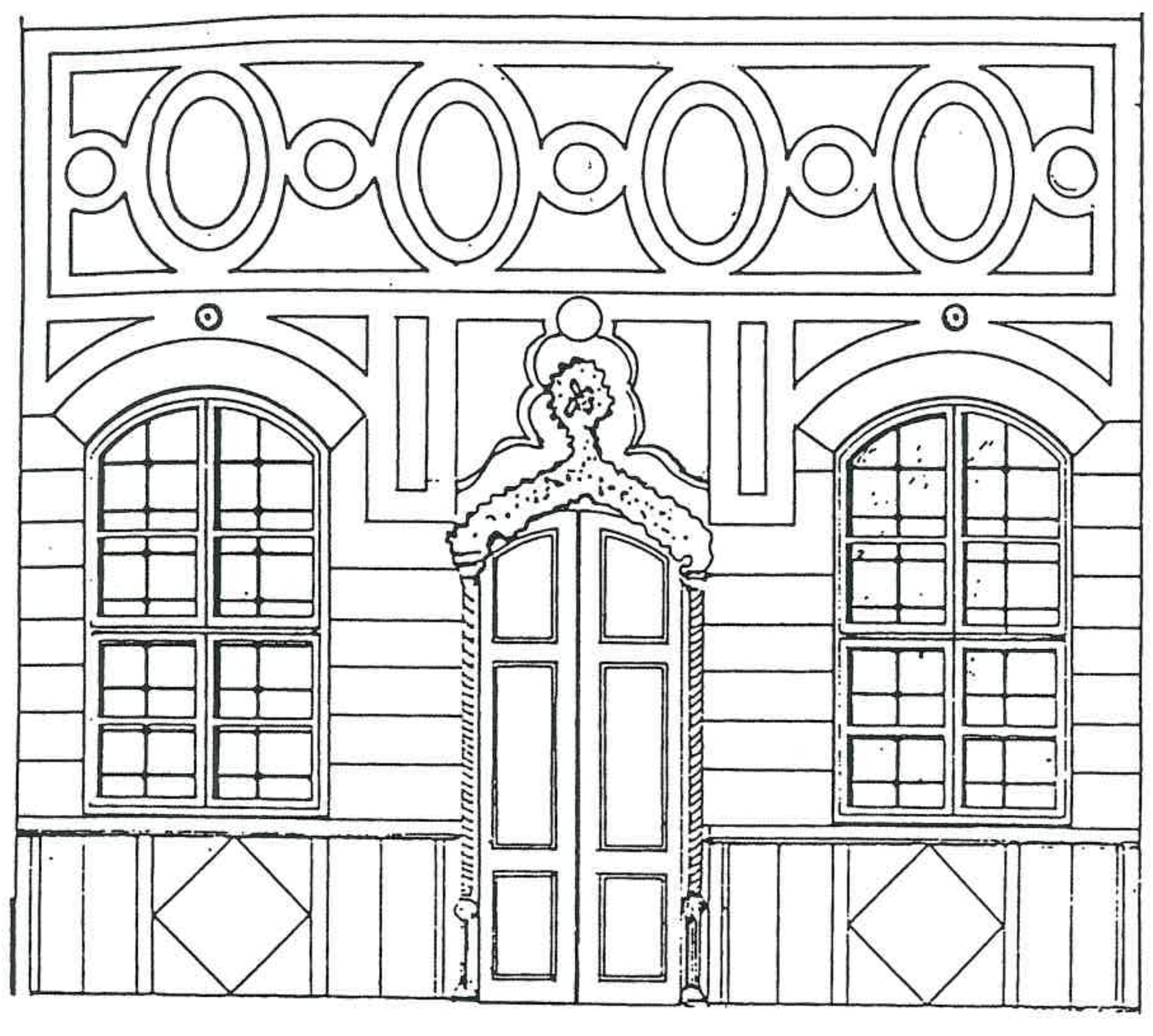
القسم السفلي يبدأ من بداية الطابق الأرضي حتى نهايته ، وهو مبني من تبادل مداميك الحجر الأبيض الكلسي والبازلتي الأسود والموزعة من الأسفل إلى الأعلى ، ثلاثة مداميك بيضاء وعشرة سوداء ، تنتهي عند بداية أقواس النوافذ ، تعلوها ثلاثة مداميك من الحجر الأبيض وتتخلّلها بعض الأحجار البازلتية وبعض الزخارف من الرخام المشقف المتوضع بطريقة عشوائية ، ويعلو النوافذ والأبواب قوس حجري تتناوب فيه الأحجار البازلتية والكلسية ، ولايزيد عرض النوافذ والأبواب عن "٩٠ سم" بارتفاع متساو وأشكال متشابهة ومتناظرة لجميع الواجهات .

القسم العلوي يبدأ من نهاية الطابق الأرضي إلى نهاية الواجهات وهو مغطى بالكلس الأبيض ولا يحوي زخارف ، تتخلله نوافذ مستطيلة الشكل متساوية الأبعاد لايزيد عرضها عن "٩٠سم".

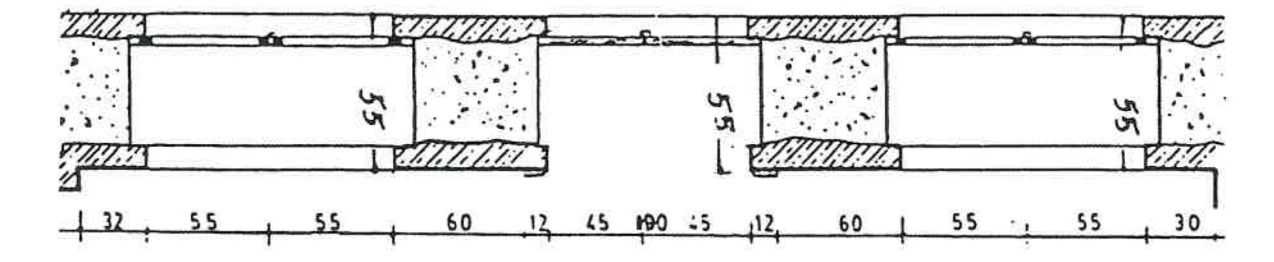


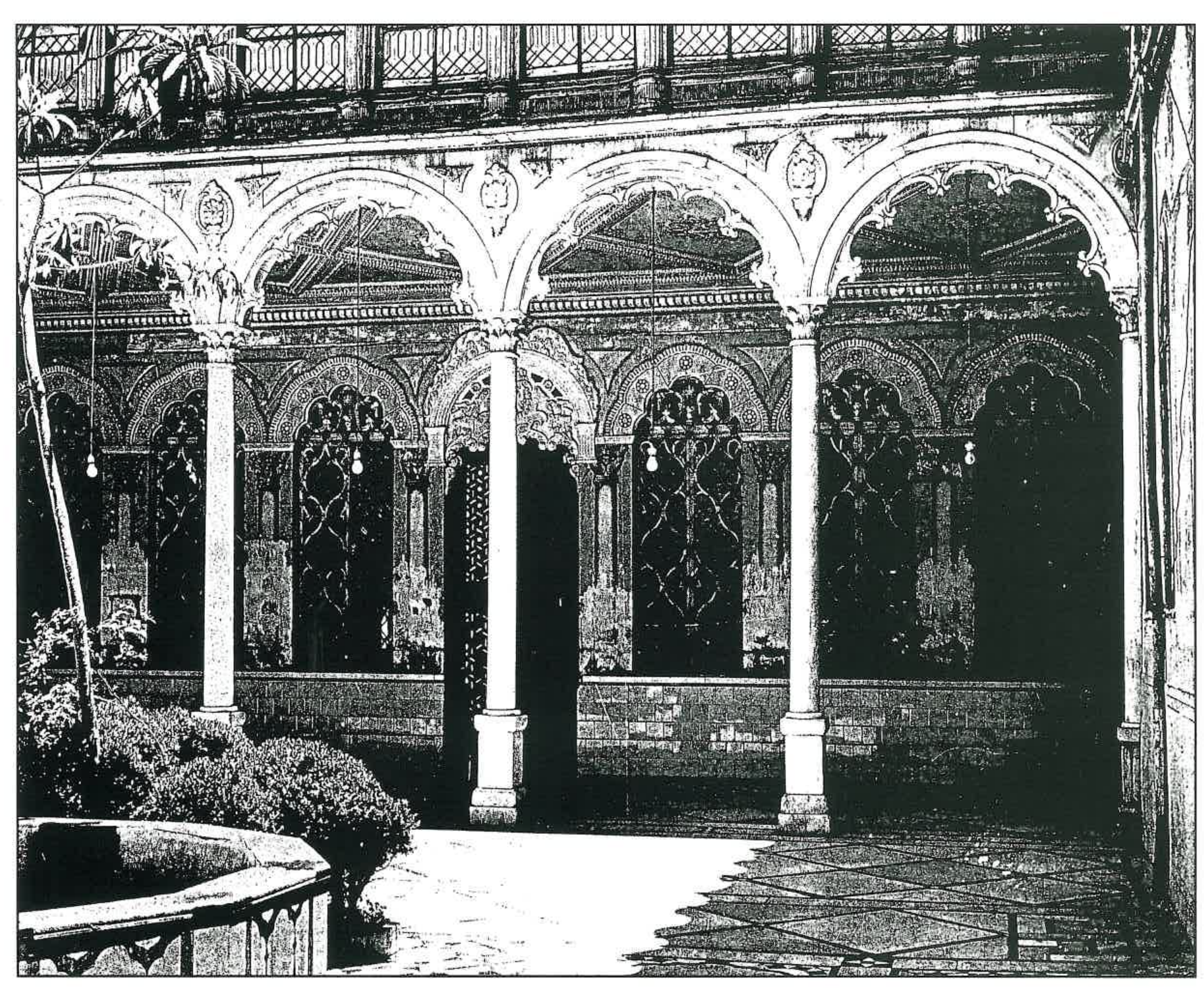
الواجهات الداخلية لعتبة قاعة بيت الإسطواني





واجهة المدخل (القاعة الرئيسية في بيت نظام)





واجهة داخلية ـ بيت المجلد (مسلماني)

٥- الأرضيــات

نالت الأرضيات في البيت الدمشقي اهتماماً خاصاً ، فقد تفنن المعمار بتنفيذ الحجارة أو الرخام التي تغطيها وذلك وفق اختلاف أهمية الأمكنة والغرف .

ففي صحن البيت كانت الأرضية على شكل حصيرة حجرية ذات تشكيلات فسيفسائية هندسية كبيرة من الحجر البازلتي الأسود والسمّاقي والمزاوي الأحمر أو الجيري الأبيض ، أو من قطع الرخام الملون والمشقف الملون بأشكال هندسية دقيقة وخصوصاً الرخام الأبيض والأحمر والأسود .

حيث كان لتناوب الألوان في الحجر والرخام دور في تحقيق التوازن الحراري في البيت بحسب ألوانها ، فالأرضية ذات اللون الأسود والأبيض والسماقي تؤثر تأثيراً إيجابياً في عكس الأشعة وامتصاصها ، فالأبيض يعكسها والأسود يمتصّها والسماقي عامل وسيط بين امتصاص الأشعة وعكسها .☆

☆حسحس وأبو زرد ، الفناء والإيوان في البيت الدمشقي ص١٩

☆وأما في أرضيات الغرف فقد استخدم الرخام على أشكال هندسية متداخلة أو نباتية وبألوان متعددة مشكلة لوحة فنية وخصوصاً في قاعة البيت الرئيسية أو على شكل إطار هندسي للأرضية .

☆زين العابدين ، البيت العربي والبيت التركي ، ص٢٦٧

وعموماً فإننا نجد الأرضيات في الدور الميسورة مفروشة على الغالب بالرخام الناصع ، وتحيط بالبحرة الرئيسية والأحواض تزيينات هندسية من الرخام الملون تتألف من مستطيلات ومربعات وقُرن محبوكة بخيوط مقفولة تتضمن نجوماً وأشكالاً هندسية من الرخام الأسود والأحمر .

أما الباحات الواسعة جداً والدور المتوسطة فباحتها مفروشة بخيوط من الحجر البركاني الأسود متداخلة مع خيوط من الحجر المزي الأزهر.

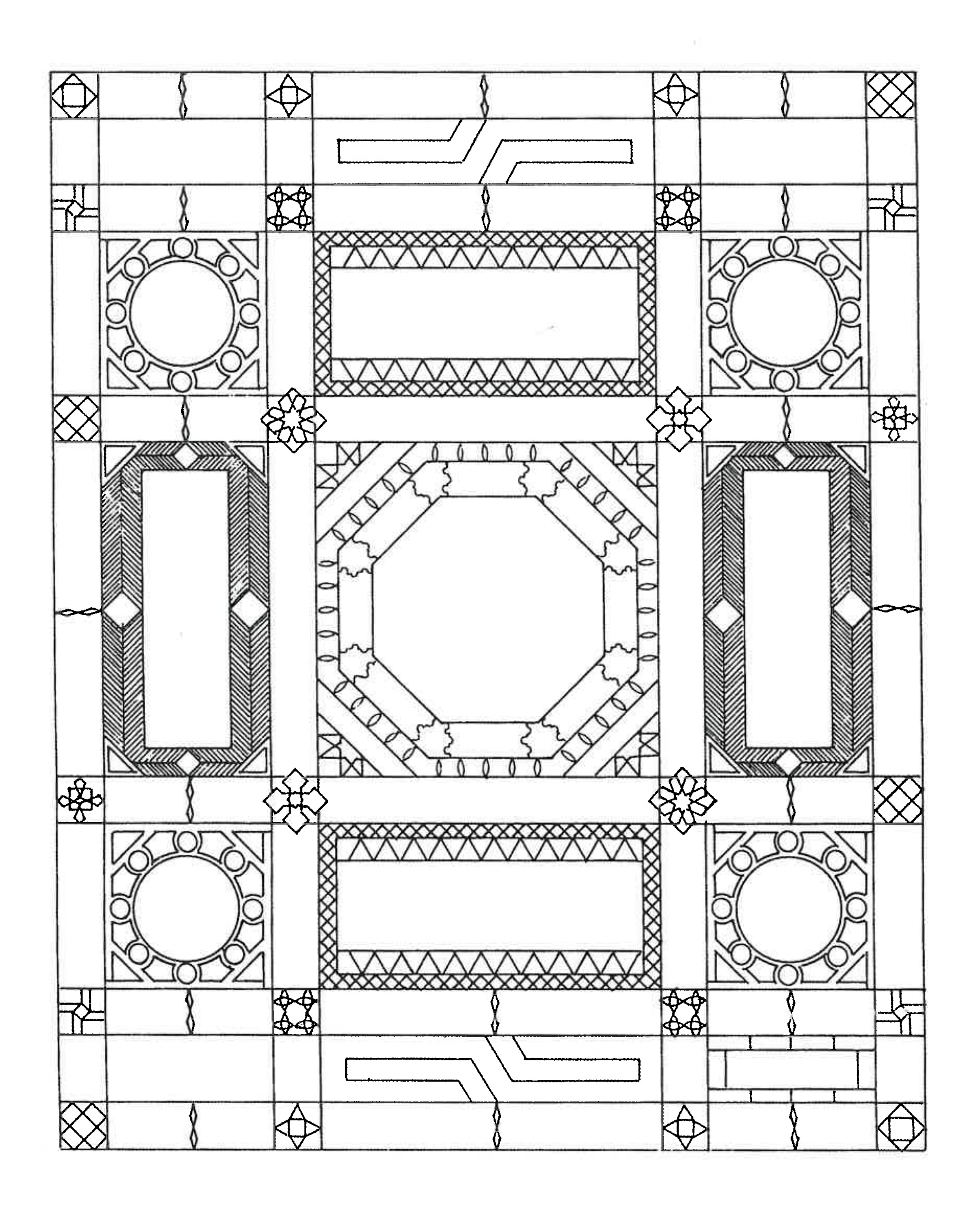
وقد تكون الحلقة المحيطة بالبركة رخامية إذا كانت البركة من الرخام ، أو تكون من الحجر الزهريّ إذا كانت البركة قد بُنيت منه .

ونستعرض أمثلة عن أرضيات باحات خمسة بيوت دمشقية كالتالي : ☆

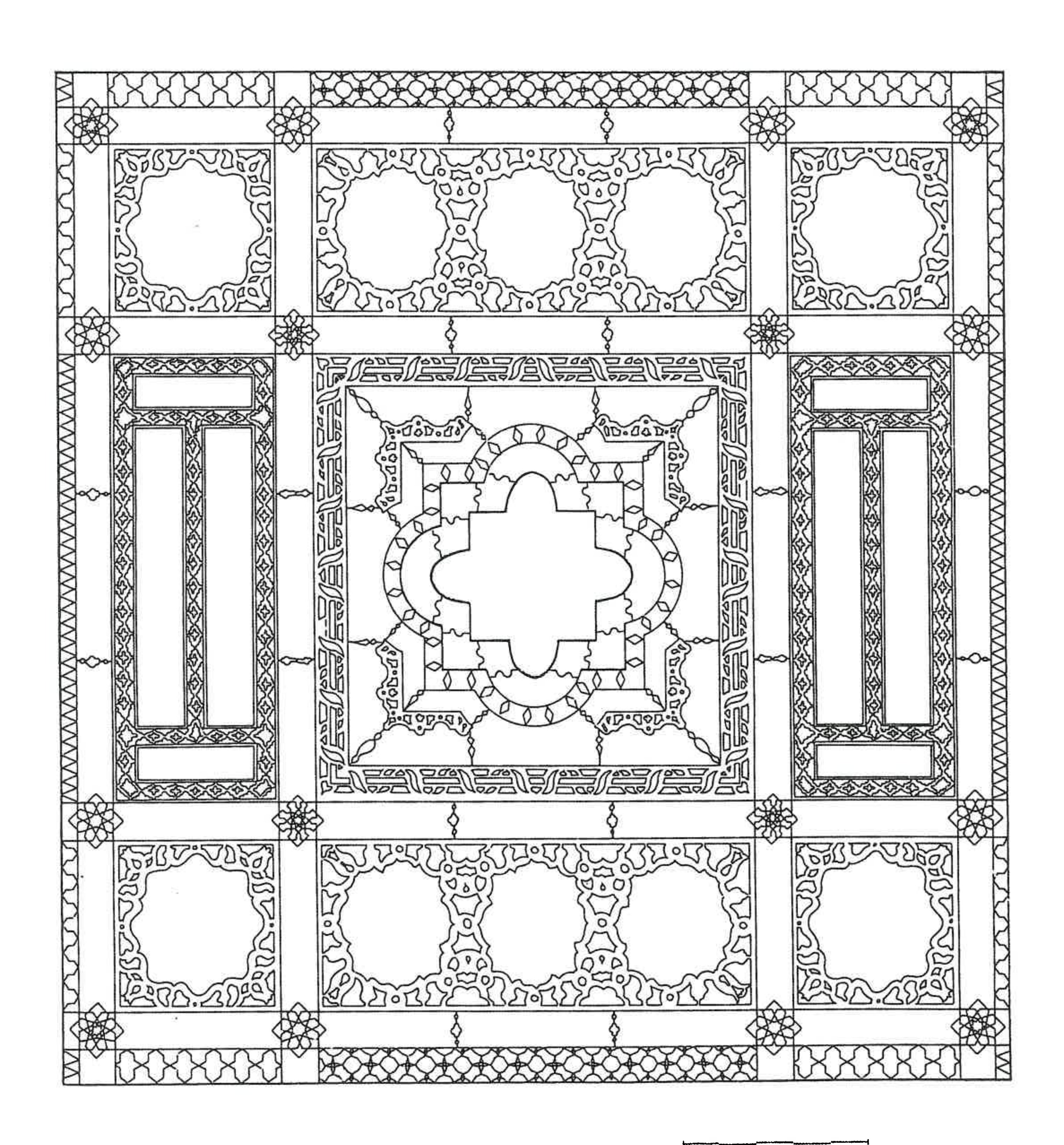
☆جحا ، البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي

- أرضية باحة بيت السرأميني :

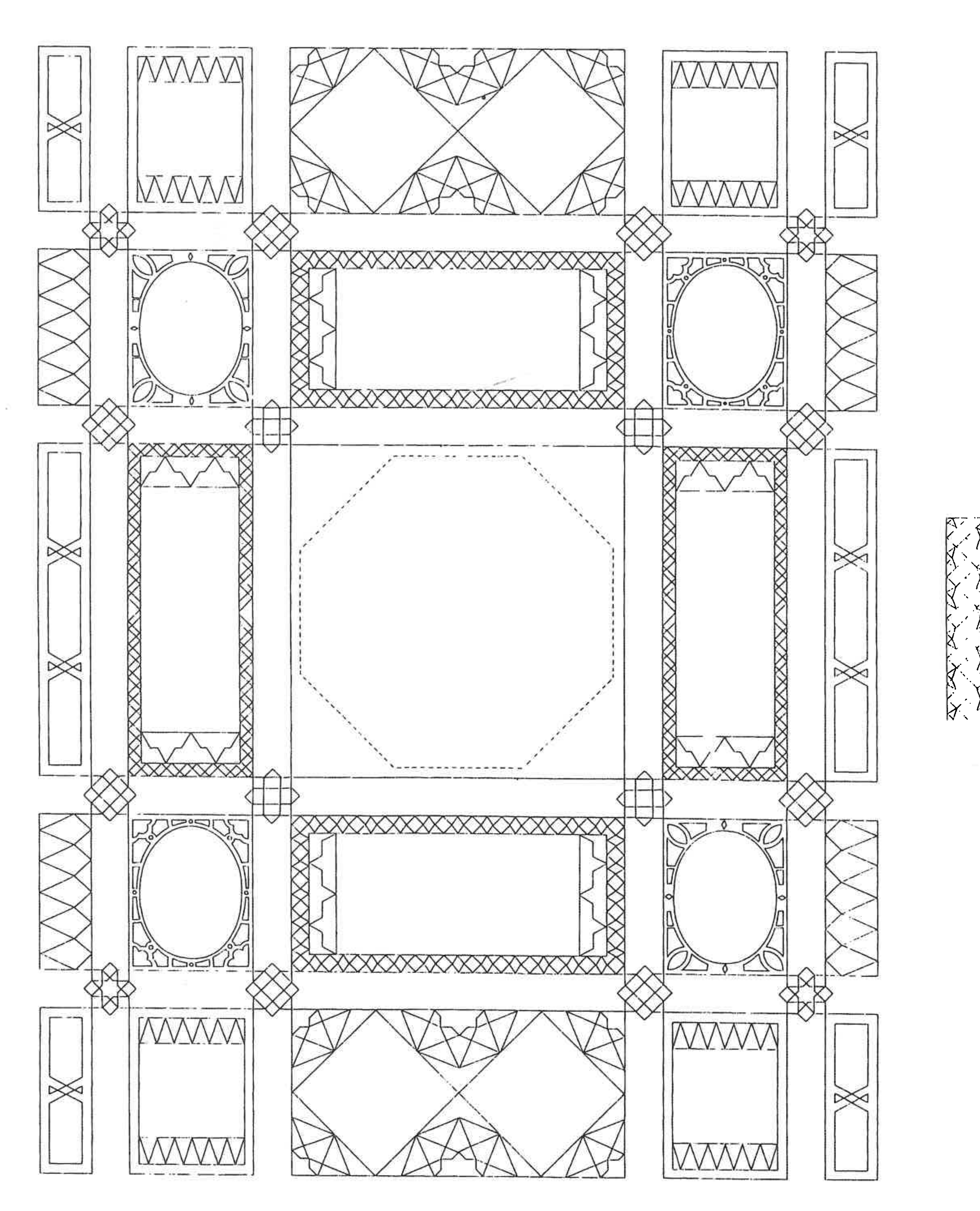
تتكون من الحجر الملون (أبيض – أسود – سماقي) الموزع بالتناوب بشكل عرضي وبقياسات مختلفة وعشوائية ، يحيط بالبحرة إطار حجري مربع الشكل طول ضلعه "٣٥٠ سم" تتوضع عند زواياه الأربعة حجارة مربعة الشكل تحصر بينها مستطيلات على



تفصيلة الأرضية حول البركة
في بيت جبري



تفصيلة الأرضية حول البركة
في بيت ناصيف باشا العظم (نظام)



تفصيلة الأرضية حول البركة
في بيت حسن الخراط

طول أضلاع المربع يحصر المربع والبحرة المثمنة قطع مثلثة الشكل في الزوايا الأربع ، بينما نجد المنطقة الواقعة بين البحرة والإيوان تتميز بنوعية متميزة في الزخرفة ، فعلى امتداد ضلع المربع وفي المنطقة الواقعة بين البحرة والإيوان نجد نوعية متميزة ومختلفة في رصف الحجارة ، ففي المنطقة المركزية يتوضع مستطيلان حجريان كبيران نسبياً يحصران بينهما زخرفة حجرية على شكل معينات وبطول مساوٍ لعرض أحد أضلاع البحرة "١٢٠ سم" بينما نجد على كلا الطرفين رصفاً مختلفاً للحجارة ، فتتوضع عند الزوايا الأربع حجارة مربعة الشكل كبيرة نسبياً تحصر بينها ثلاثة مستطيلات صغيرة .

- أرضية باحة بيت البيروتي :

تتكون من حجر ملوّن على شكل إطارين مربعين عرض كل منهما "٤٠ سم" يشكلان إطارين للباحة يحصران داخلهما مربع تتوضع عند زواياه الأربعة مربعات معالجة بدوائر مركزية ومثلثات صغيرة ملونة ، بينما تتوضع حجارة مستطيلة الشكل على طول أضلاع المربع وبعرض يماثل عرض المربعات المتوضعة في الزوايا ، أما البحرة فيحيط بها عدة إطارات مربعة مركزية من الحجارة الملونة .

- أرضية باحة بيت جمعة :

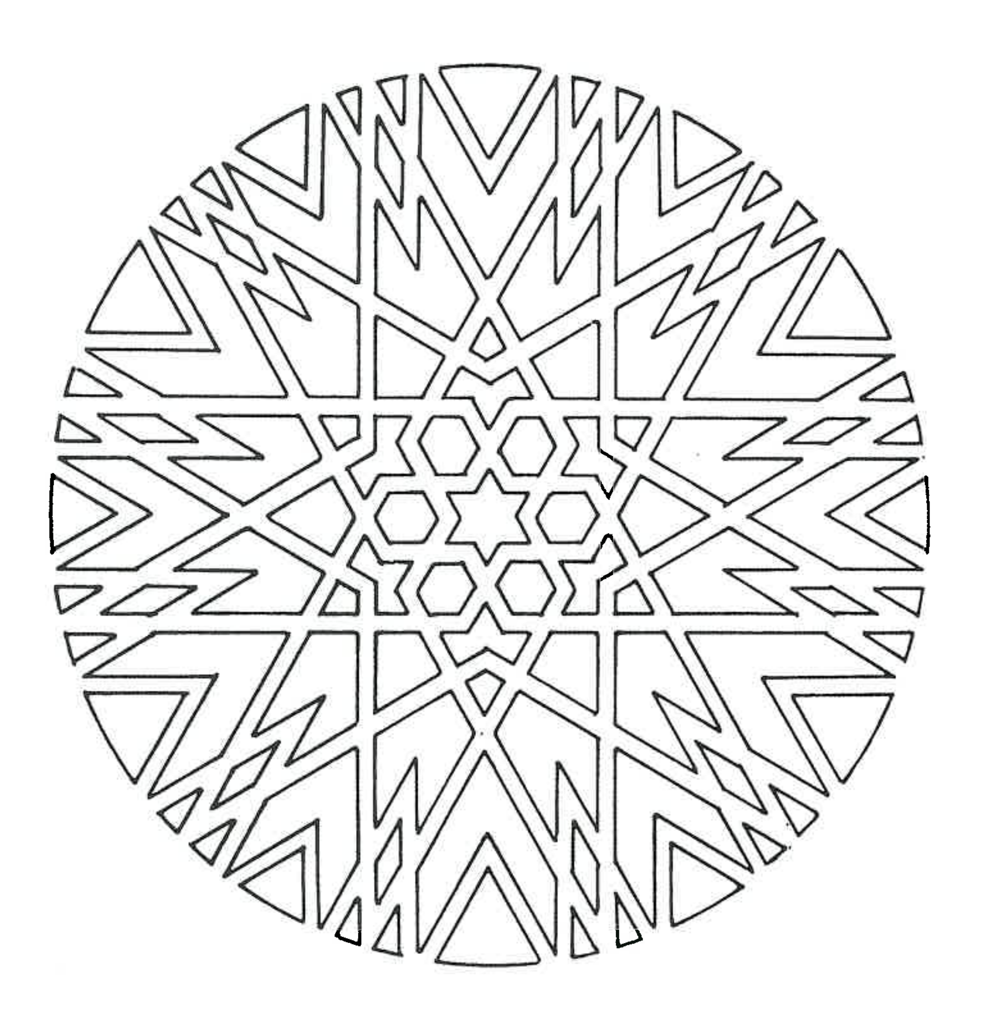
تتكون من الرخام الملون ، يحيط بالباحة صفّان من الرخام على شكل إطار لهما ، بينما تتوضع في الداخل تبليطات رخامية على زاوية "٤٥" تفصل بينها إطارات سود تنشأ من تقاطعهم مربعات صغيرة ، ونجد إطاراً آخر يحيط بالبحرة على شكل مربع ، ترتصف التبليطات الرخامية فيه بطريقة مماثلة للإطار الخارجي للباحة .

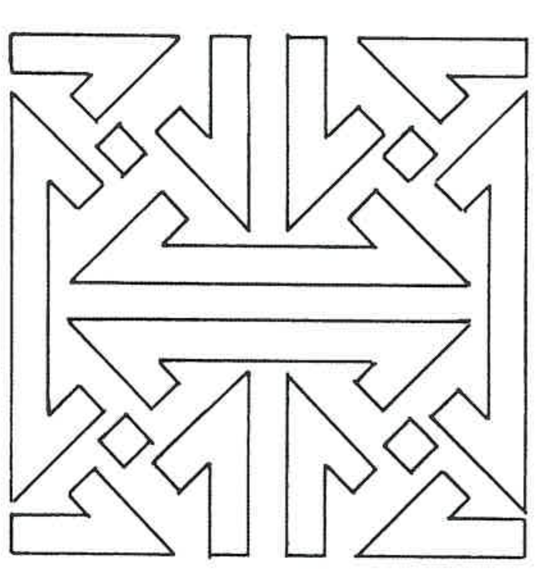
- أرضية بيت الوكيل :

تتكون من الحجر الملون (الأبيض ، الأسود ، السماقي) ترتصف بطريقة هندسية لكن لكثرة الحفريات التي تمت في تلك الباحة لإصلاح أعطال التمديدات الصحية وبناء غرف في أرضية الباحة ، شوّهت شكل الأرضية و لم يعد يظهر منها سوى أشكال بسيطة .

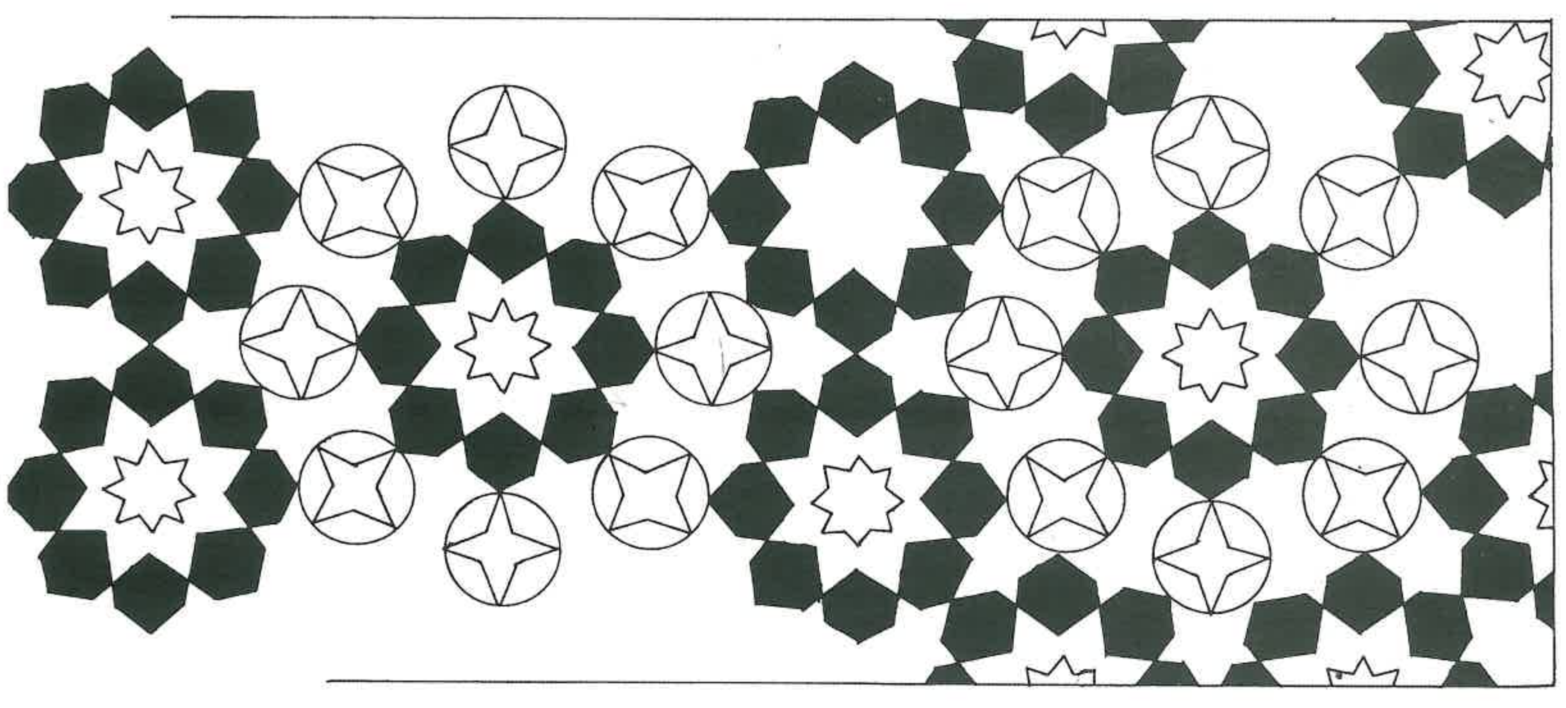
- أرضية باحة بيت حلبي والسادات :

أرضية الباحة من البلاط الملون والزخرف ، فيجتمع كل أربع بلاطات مع بعضها بعضاً لتكوّن معيّناً بداخله نجمة مثمنة خضراء اللون ، ويحيط بالبحرة إطار مربع من البلاط العادي يحصر بينه وبين البحرة قطع مثلثية الشكل في الزوايا الأربع .

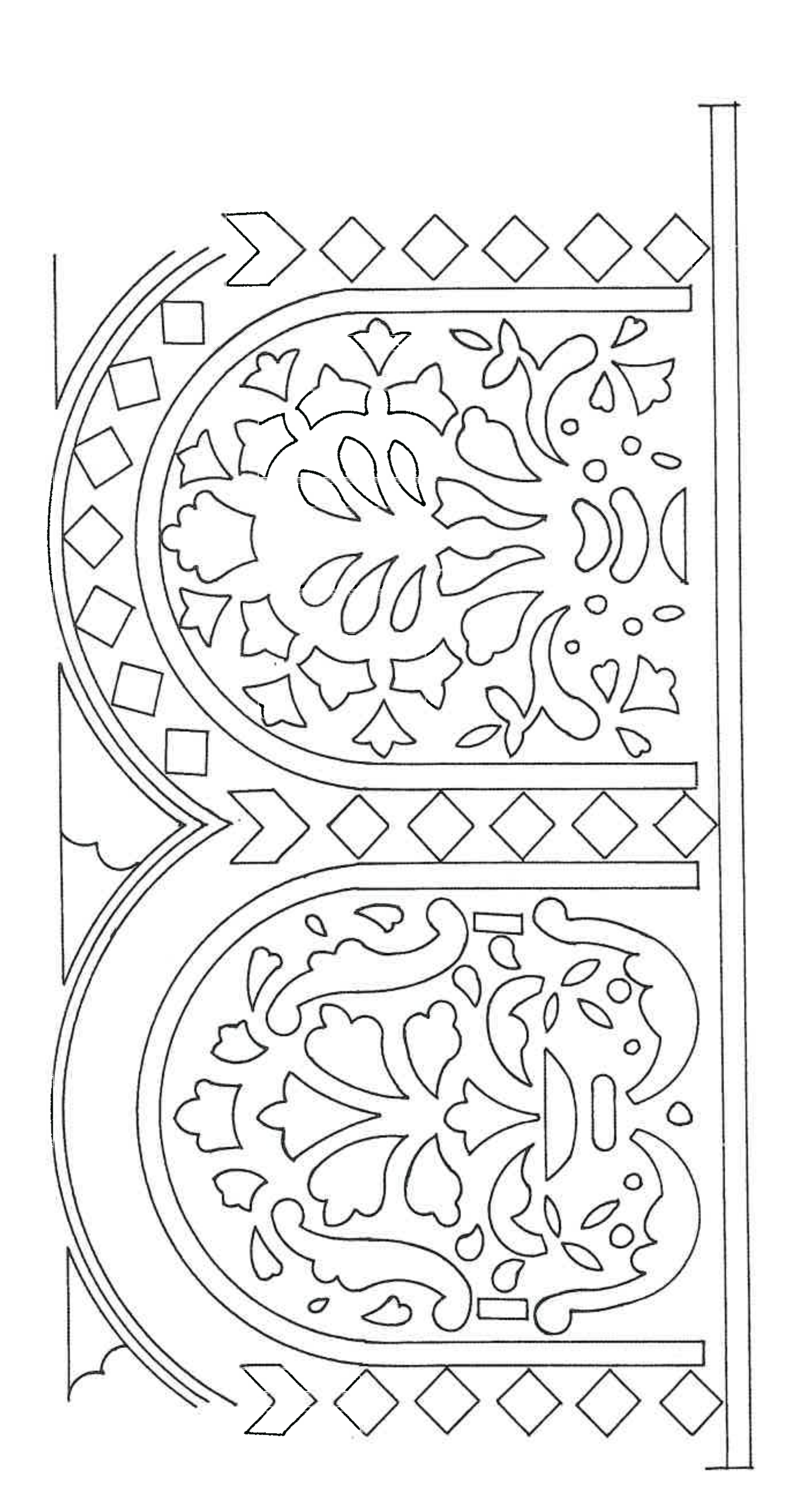


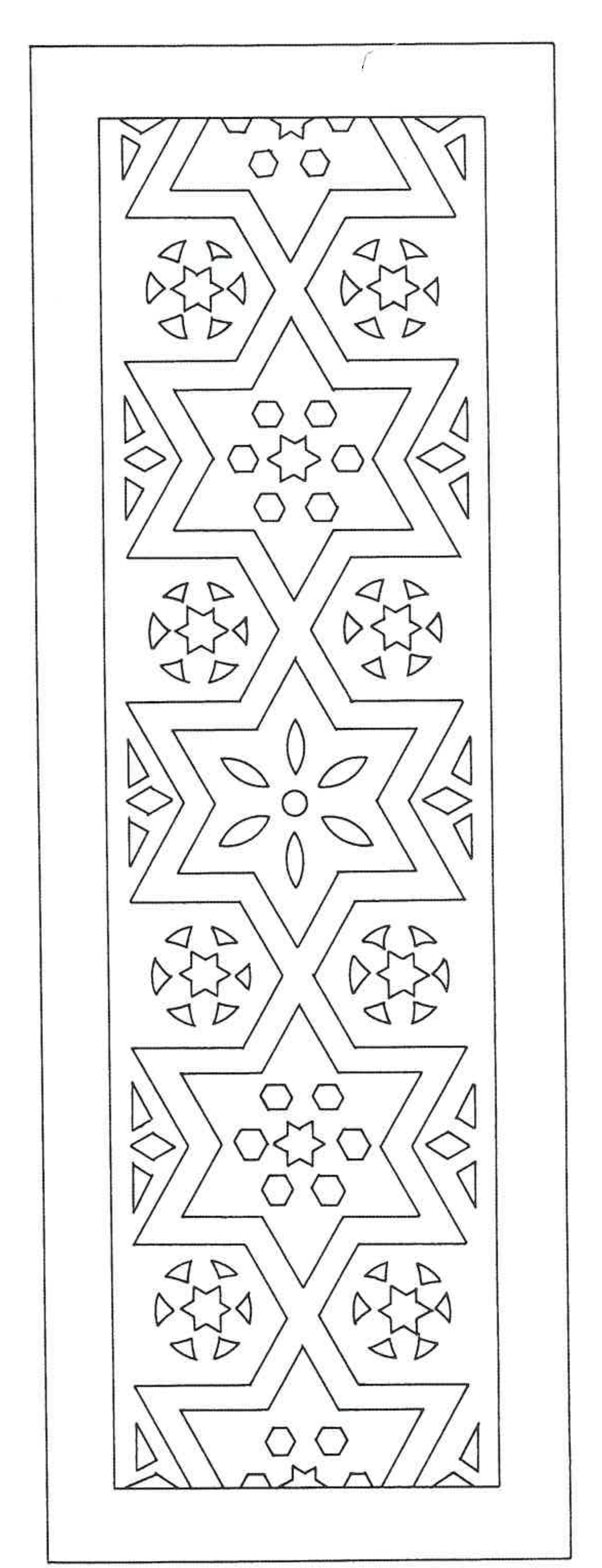


زخارف أرضيات
بيت السباعي



نماذج أُرضيات
في بيت خالد بك العظم





نماذج أرضيات
في بيت خالد بك العظم

النتيجـــــة :

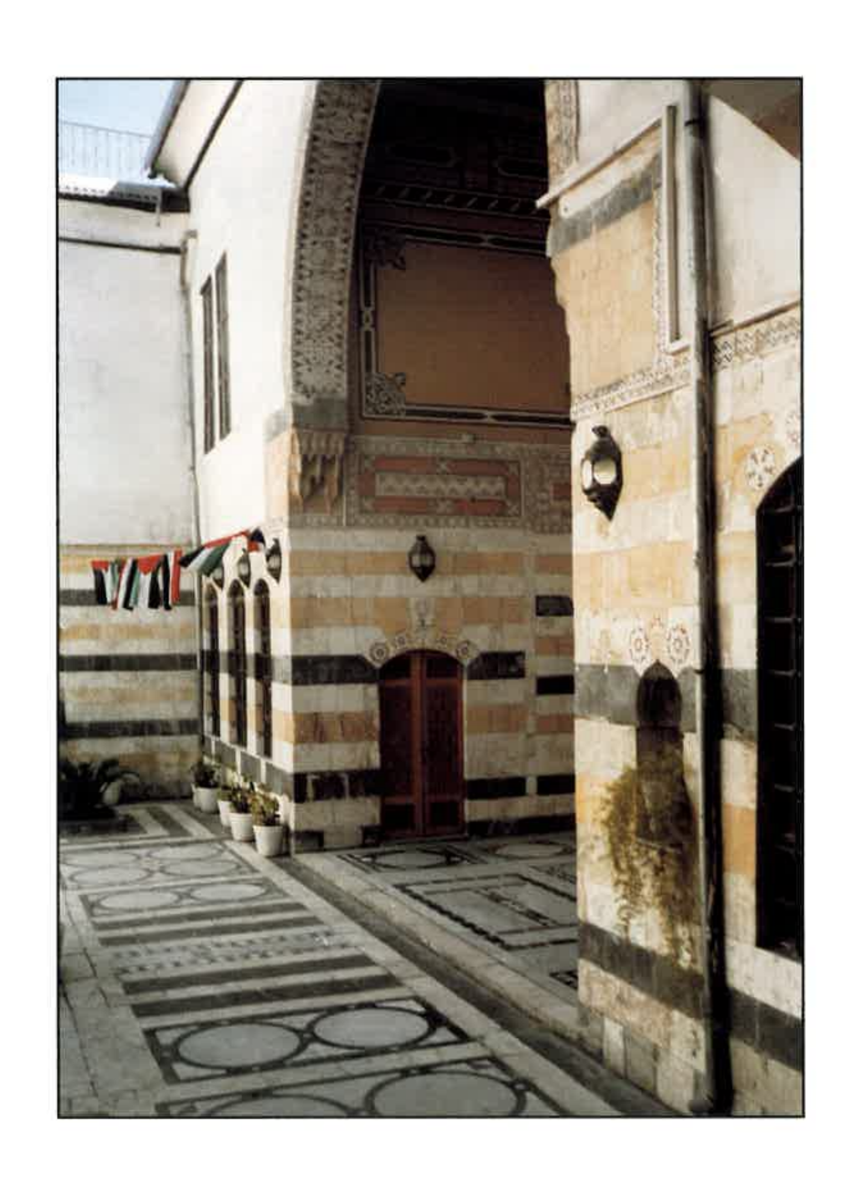
بمقارنة مواد كسو الأرضيات في البيوت المدروسة (الحجر الأبيض ، السماقي ، البازلتي) مع مواد إكساء أرضيات نماذج مختلفة من البيوت الدمشقية ، نجد تشابهاً في مواد كسو الأرضيـات المستـخـدمـة والسبب في ذلك مـنـاخـي ، فـألـوان الحجر هـذه تـلعب دوراً في تحقيـق التـوازن الحراري لـلـبيت ، فـالـبازلـتي الأسود يمتص الحرارة بينـما الأبيض يعكسـها ، والسماقي يوازن بينها .

كما أن نوعية مواد الكسو مرتبطة بقدم البيت وحداثته ، فالحجر السماقي والمزّي المستخدم يدلّ على قدم البيت بينما البازلتي أو الرخام أو البلاط الملوّن يدلّ على أن البيت بني في مراحل متأخرة .



أرضية صحن بيـت
خالـد بـك العظـم





أرضيات إيوان بيت نظام





أرضية قاعة بيت جبري



أرضية قاعة قصر العظم

٦- الأســـقف

إن طريقة السقف بالعوارض الخشبية هي حصيلةتراث دمشقي عريق في فن التغطية ويعتبر السقف المحمول على العوارض الخشبية من أقدم الأنواع وأجملها .

وجرت العادة على تنميق العوارض بأشرطة كتابية تتضمن أدعية ، وتستند العوارض على طنف ثقيل – مقرنص أو بدون مقرنصات . ويتدلى من زوايا السقف أشكال مقرنصة أو أوراق محفورة ، وترتبط العوارض بقوالب محدبة تثبت عليها الألواح الخشبية ، وتم رصف القوالب رصفاً هندسياً فنياً لإخراج أشكال مثلثية ومسدسية الأضلاع .

وقد تم دهن الهيكل الثقيل والمصنوع من الخشب الخام للسقف بأدق الزخارف الهندسية والنباتية الملونة ، وعندما يتساقط عليها النور المنبعث من النوافذ العلوية تبدأ الألوان تتراقص وتتناغم بكل حيوية .

☆ويعتبر السقف أيضاً عنصراً معمارياً تزيينيّاً في الغرفة ومكملاً للخزائن الخشبية الموجودة فيها ، ويُصنع من الصفائح الخشبية المتداخلة على شكل قطع ، وهو غني بالنقوش والرسومات المذهبة ، خصوصاً في القاعة الرئيسية للبيت . أما بالنسبة إلى الغرف الأخرى فتقل درجة العناية بالنقوش والتزيينات .

☆زين العابدين ، البيت العربي والبيت التركي، ص٢٦٥

☆وبشكل عام كانت السقوف من الخشب المزخرف والملون على طريقة العجمي ، وكانت محاطة بطنف عريض يغطي زوايا السقف العليا ، أما الأركان فكانت تغطيها نوازل ضخمة من الخشب العجمي تسمى السراويل ، ويكون من شأنها أن تربط بصورة غير مباشرة بين السقف الخشبي والكسوة الجدارية .

☆ د. بهنسي ، جمالية الزخرفة العربية ،ص٩٢

وهناك أيضاً أسقف بقبب في وسط القاعة الرئيسية للبيت الدمشقي ، وسقف القاعة الرئيسية يكون عموماً مرتفعاً أكثر من سقف باقي الغرف .

وتعود أقدم نماذج السقوف الموجودة في بيت الشيخ أحمد البسطامي إلى منتصف القرن الثامن .

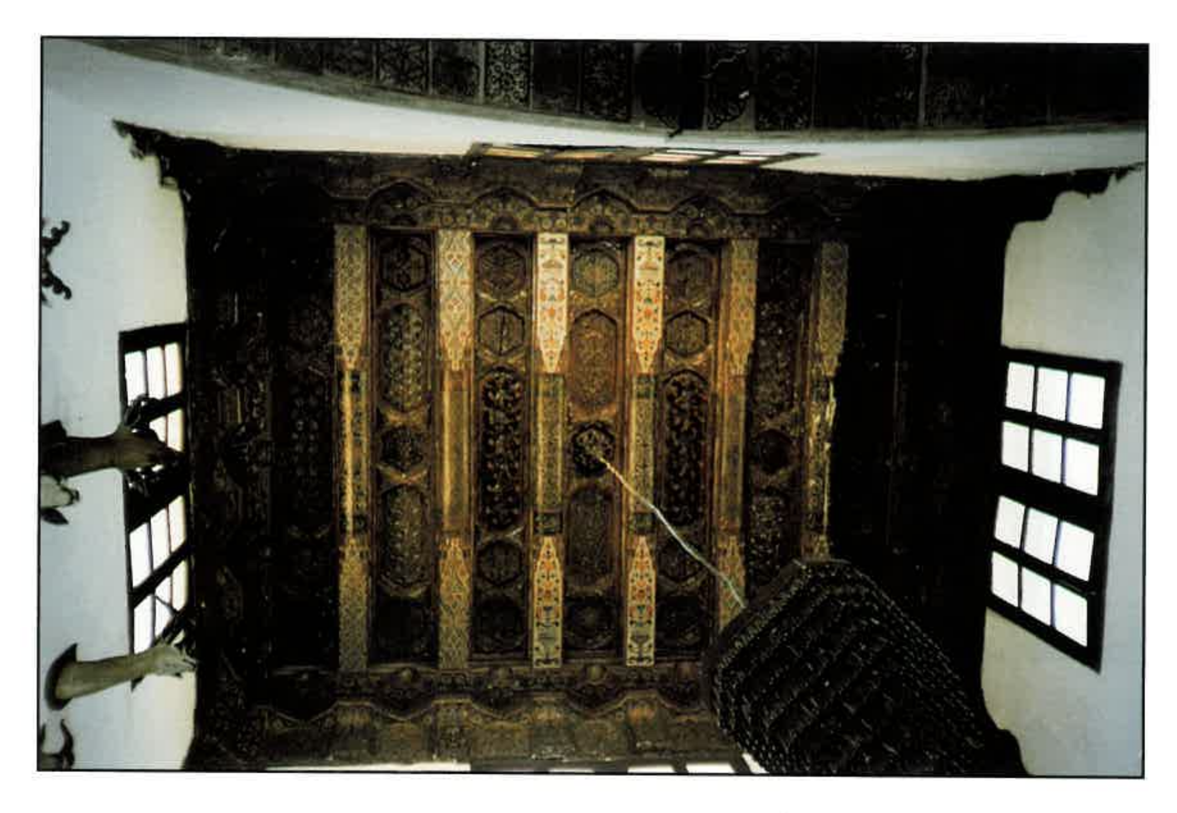
وفي بيت البسطامي نواجه سقفاً فوق المجلس ، وفيه تختفي العوارض الخشبية وراء السقف الخشبي المدهون وزخارفها . والسقف مؤلف من قضبان خشبية محفورة بأشكال هندسية حيث تتكرر لتؤلف سلسلة من الأشكال السداسية .

☆وفي دار جميل مردم بك نجد سقف الغرفة الداخلية للقاعة الأثرية مربعة الشكل تقريباً ، ويبدو في الوسط نجمة ثمانية كبيرة في داخلها نجمة مماثلة صغيرة ركبت فيها قطعة متدلية مقرنصة يحيط بها إطار مثمن كل ضلع منه مشغول بعناصر هندسية ، يمس رؤوس

☆ الحوليات ١٩٦٣، العش ص١٤٩-١٥٠



السقف المقبب لمدخل قصر العظم



سقف عجمي - بيت السباعي



سقف قاعة قصر العظم



سقف قاعة بيت الإسطواني

المثمن منتصفات أضلاع مربع كبير ، شُغلت الفراغات الحاصلة بين المربع والمثمن بزخارف نباتية ، وجُمّلت بالألوان والذهب . يحيط بالمربع من كل جهة صفان من المثمنات الغائرة حصلت جميعاً من تشابك خيوط مزدوجة بارزة ، زينت هذه المثمنات بعناصر هندسية متنوعة ونسقت بشكل يضمن التناظر والتوازن . ينتهي السقف في الأطراف بما يشبه المحاريب الموجودة في القرن ، وتتضمن محرابين صغيرين علاوة على المثمن المزين بوردة زوبعية أشغلت القرن ما بين السقف والطنف الأسفل بزوايا متدلية ، كل واحدة مؤلفة من جزءين متكاملين يبدآن من الأعلى بعرض يناسب المحراب ثم تنتهي الزوايا بما يشبه رأس زهرية ثلاثية الأوراق .

وفي القرن التاسع عشر عندما دخلت طرز بناء وافدة مع مهاجري كريت والألبان مع أسقفها المائلة ودخل القرميد المستورد من فرنسا ، تمت تغطية أجزاء من السقف الأخير بالأسقف المائلة كما في بيت اليوسف وسويد والشاش والبارودي .



سقف قاعة قصر العظم



سقف قاعة بيت الإسطواني

٧- الخزانة (اليوك)

كانت لسماكة جدران البيت الدمشقي التي تحمل السقف الأثر المباشر للسماح للمعماري بأن يستغل هذه السماكات ليجعل خزائن مختلفة في مختلف الغرف .

حيث جعل لها مصاريع خشبية ذات زخارف وأشكال هندسية محفورة على سطح المصراع . وبهذه الطريقة لم تأخذ الخزانة حيزاً من فراغ الغرفة . وظهرت أجمل هذه الخزائن في القاعة الرئيسية للبيت حيث يكون لها إطار زخرفي جميل . وأما خزائن الغرف الأخرى فاستعملت في وضع الحاجات اليومية أو الموسمية .

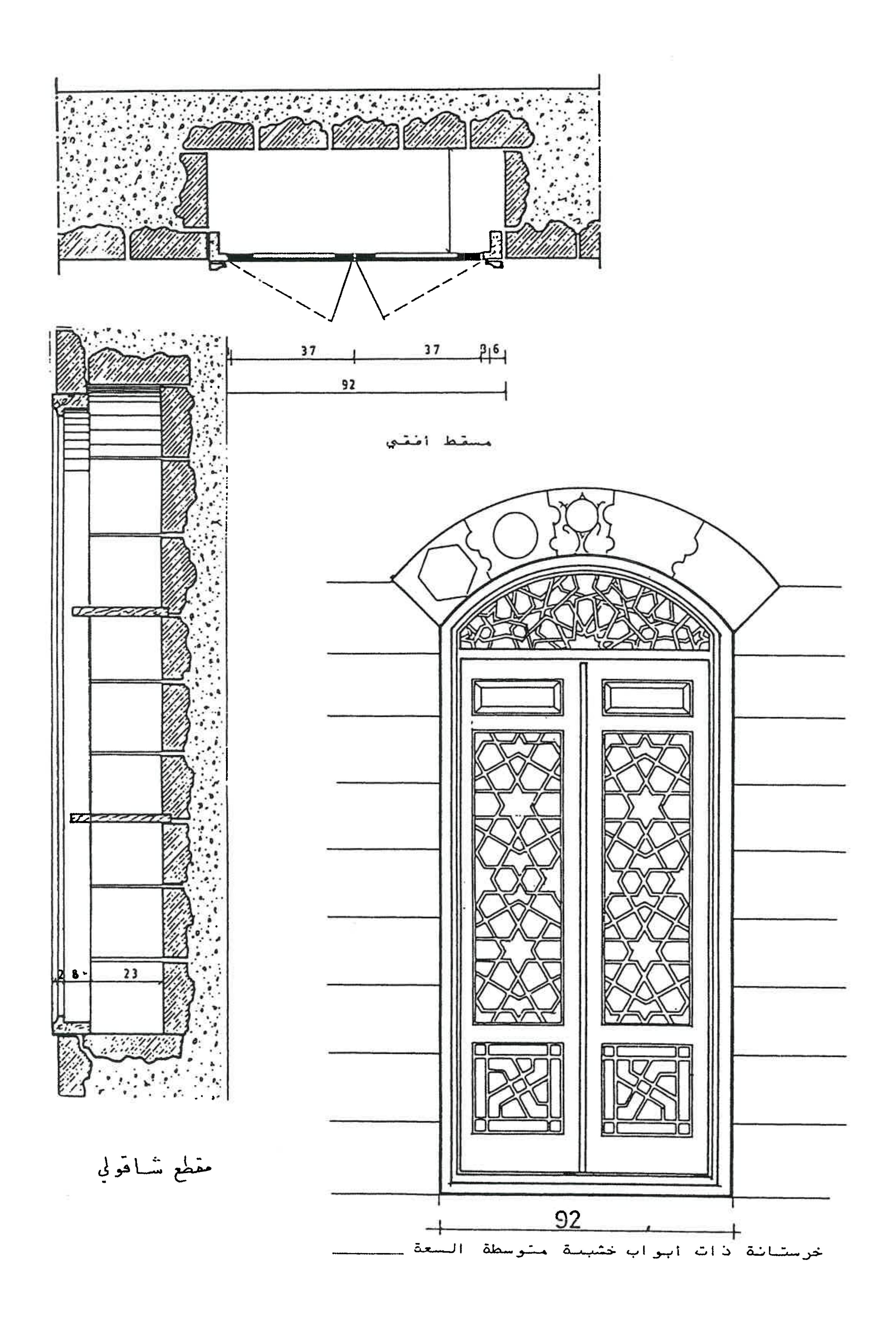
وهناك أيضاً الخزائن المرتفعة ضمن الجدار لوضع الأغطية أو الألبسة الموسمية لأنها تستعمل بشكل دائم .

خرستانة قاعة
بيت الاسطواني





خرستانة قاعة قصر العظم



خرستانة ذات أبواب خشبية متوسطة السعة

٨- الكتبيـــة

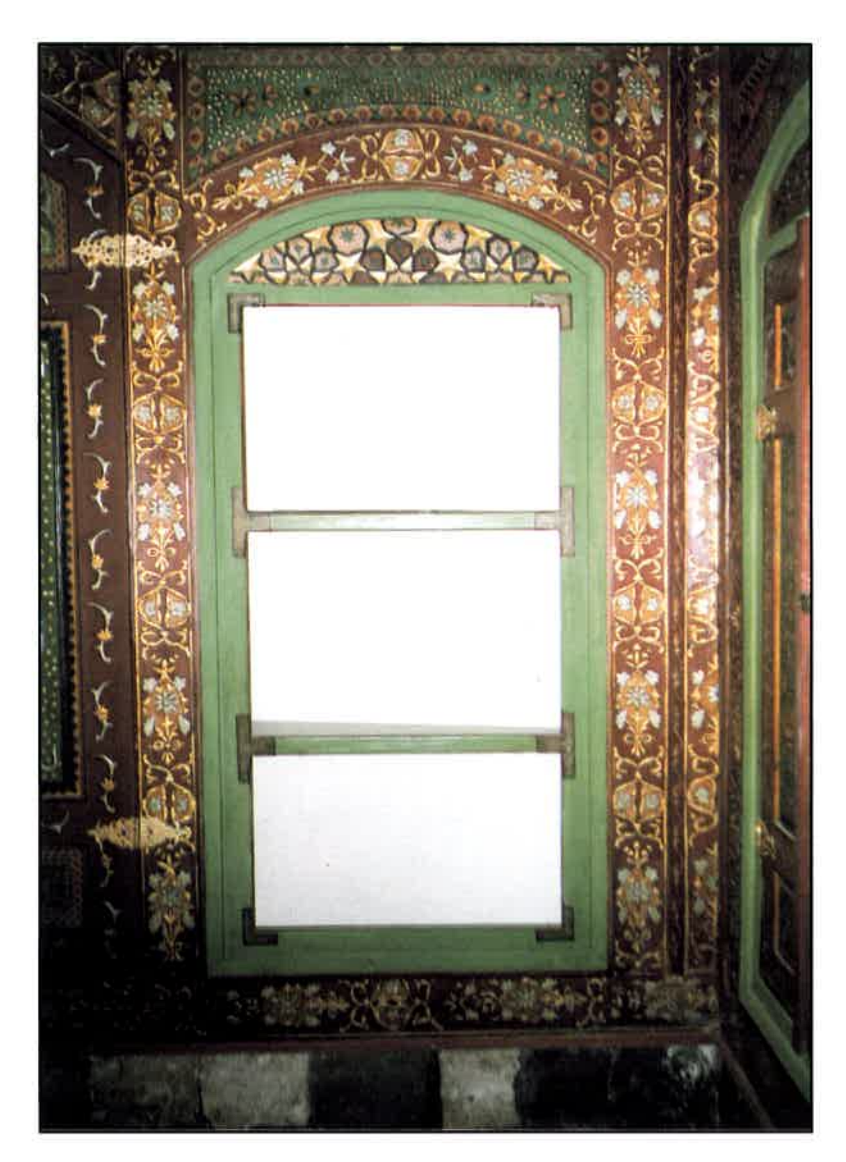
وهي عبارة عن خزائن ثابتة ضمن سماكات جدران الغرف ، تقل عرضاً وعمقاً عن اليـوك وبعرض بين ٨٠-٩٠ سم ، وتكون مفتوحة أو بمصاريع زجاجية لعرض التحف والزجاجيات والنحاسيات وغيرها .

وأكثر ما تظهر في الإيوان والقاعة في البيت الدمشقي .

وقد استعملت الزخارف المرمرية النافرة فيها ، وأحياناً زخارف الجص ، وفي مراحل متأخرة المرايا ، وبدت أحياناً الفسيفساء والقاشاني ، ومن ثم في مراحل لاحقة بُسّطت الزخارف ثم اختفت تقريباً كما في بيت أبي رباح .☆

☆حسحس وأبو زرد ، الفناء والإيوان في البيت الدمشقي ص٢٧

وفي بعض الأمثلة يجمل وسطها بلوحة رخامية مزينة ومزخرفة بزخارف نباتية بارزة ، وتلّون العروق بالذهب أحياناً . ويجعل في الكتبية رف من الرخام وأحيط القسم الأسفل بإطار رخامي.



الكتبية في قاعة بيت الاسطواني



كتبيات قاعة قصر العظم

٩- المكتبة

وهي عبارة عن خزائن ضمن جدران القاعات وغيرها وهي على نوعين :

١) المكتبات المفتوحة من الطرفين :

وهي عادة متوضعة على نوافذ جدران القاعات وهي نوعان :

آ- مكتبة مفتوحة من الطرفين بمصاريع زجاجية وتكون في جناح الحرملك (مكتب عنبر) وهي تسمح بدخول أشعة الشمس إلى داخل القاعة .

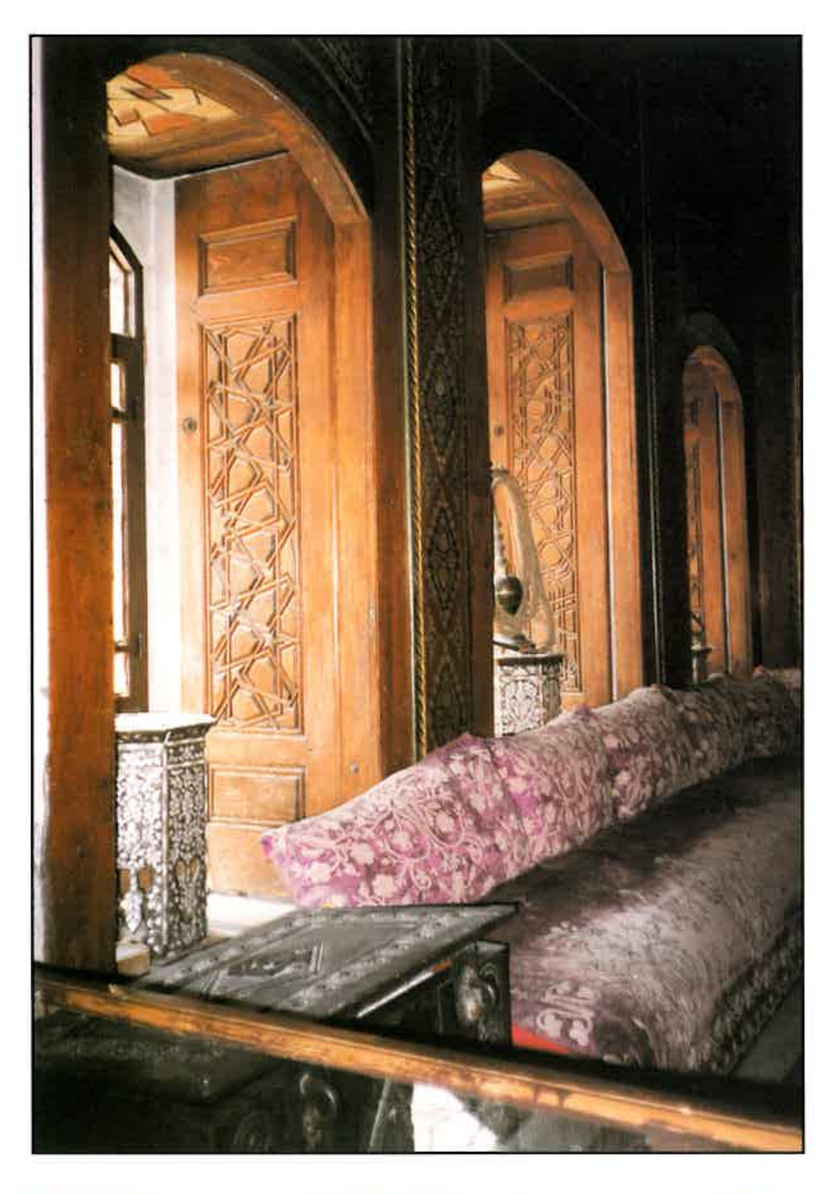
ب- المكتبات المفتوحة من الطرفين بمصاريع زجاجية على الفناء ومصاريع خشبية نحو الداخل . ويوجد هذا النوع في جناح السلاملك وقد يكون الهدف منه مزدوجاً أولاً : لأن قسم السلاملك يجتمع فيه الضيوف ، فتغلق المصاريع الخشبية ، وثانياً : لعدم سماح دخول أشعة الشمس مباشرة ، لكي لاتوثر على ألوان الغرفة أو القاعة ونقاوتها ، بالإضافة إلى الفرش.

وأحياناً استفاد المصمم من هذه المكتبات بوضع بحرات صغيرة بين النافذة الزجاجية والخشبية لتلطف جو الغرفة ، بذلك استعاض عن وجود الفسقية في القاعة ، كما في بيت السباعي .

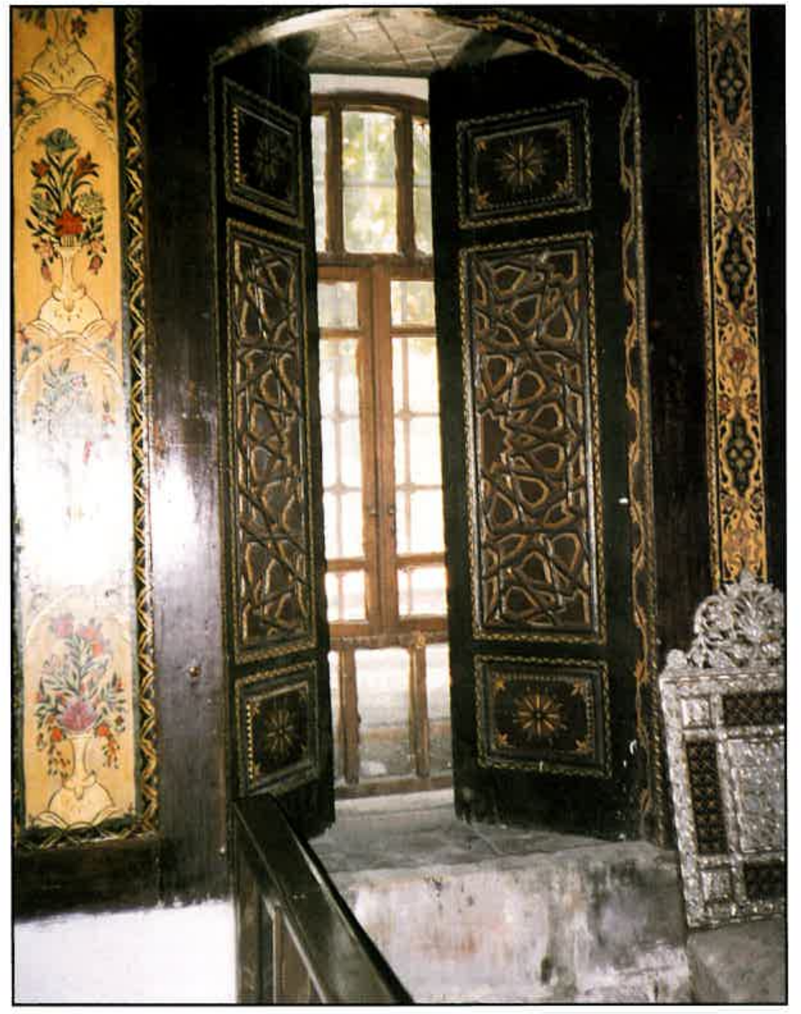
كما أن هناك تشابهاً بين الخرستانة والكتبية في عنصر آخر .

٢) المكتبة ذات المصاريع الزجاجية :

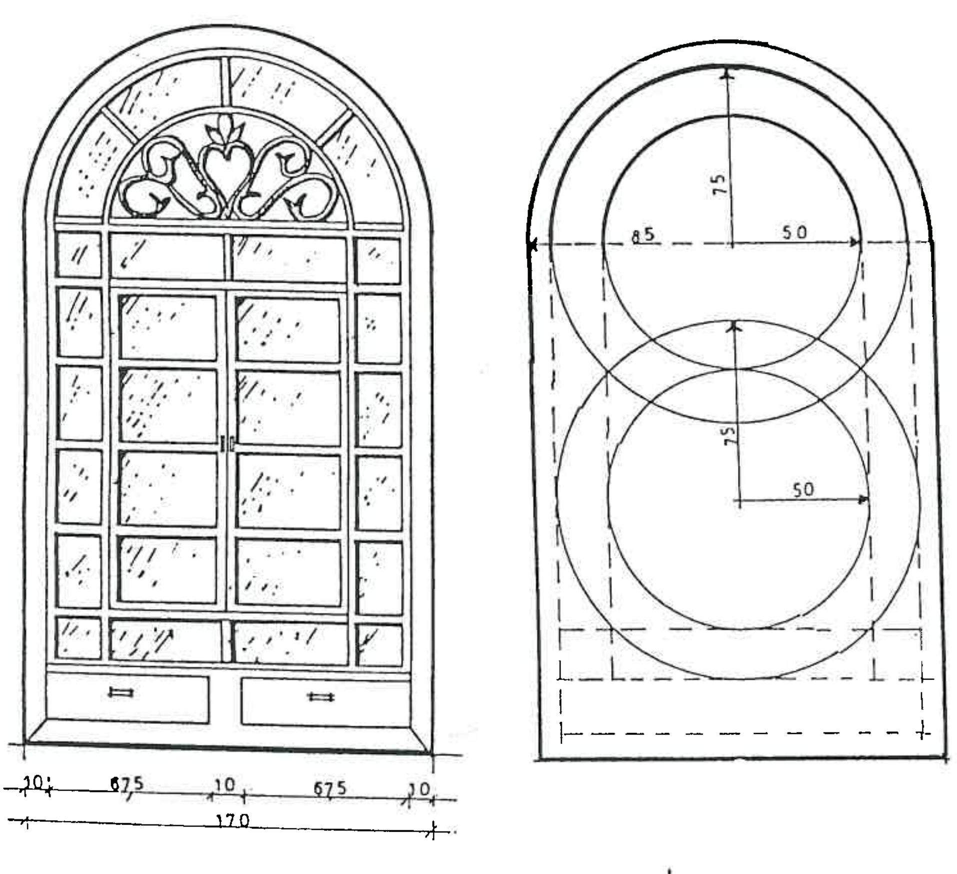
وهي موجودة بكثرة في مكتب عنبر ، وقليل منها في بيت نظام والسباعي ، وهي تستعمل لإظهار التحف الفنية وغيرها بهدف حفظها من العوامل الجوية .



قصـر العظـم



١٠٧-١



مكتبة ذات مصاريع زجاجية
تستعمل لعرض التحف مضافاً
اليها درجان لوضع الاغراض
التي لايجوز رؤيتها .

مكتبة واسعة ذات مصاريع زجاجية للمعروضات ال

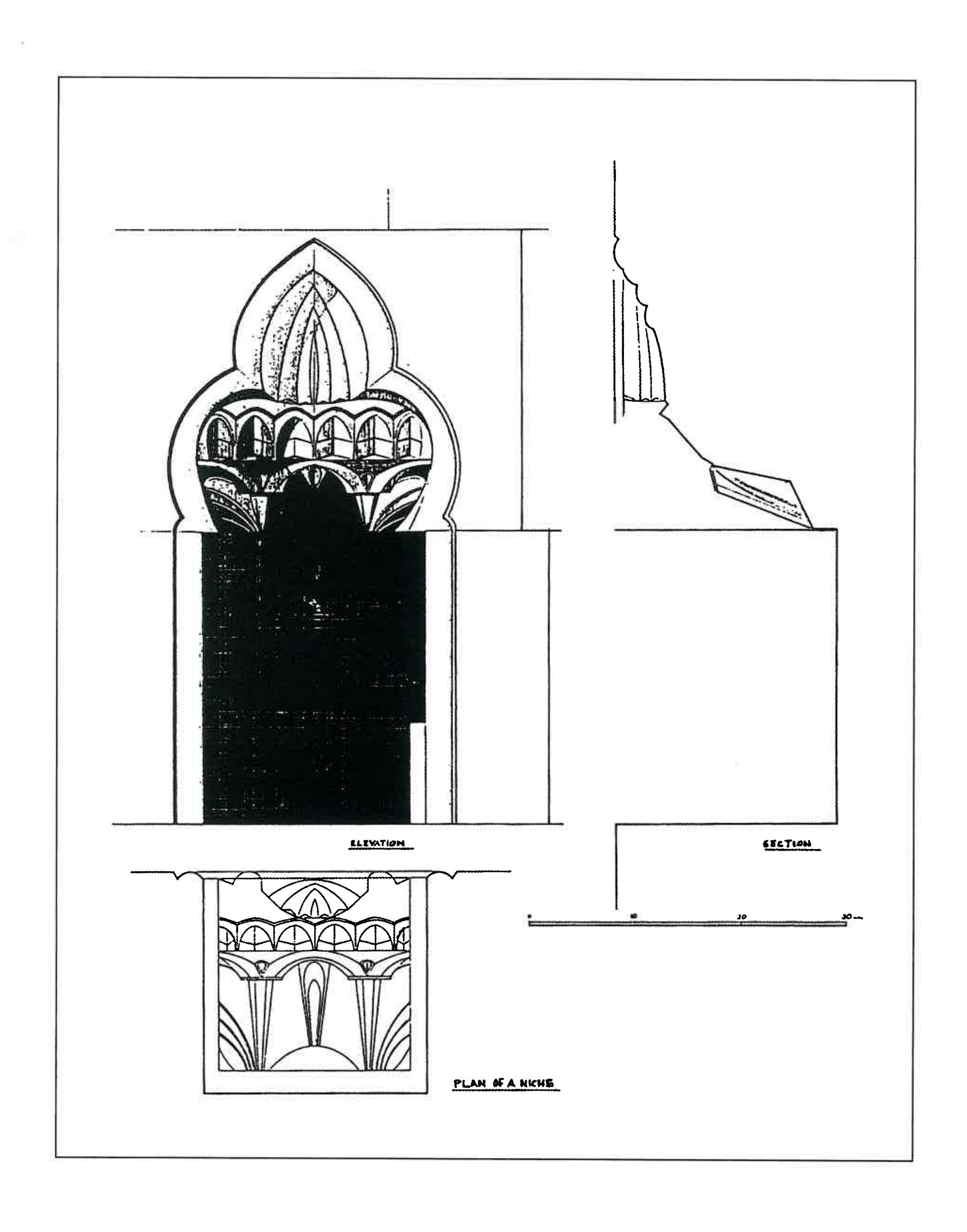
مكتبة ذات مصاريع زجاجية (مكتب عنبر)

١٠- المشكاة

عنصر وظيفي وزخرفي في البيت الدمشقي حيث تم تزويد الواجهات المشرفة على الصحن وكذلك بعض الجدران الداخلية للغرف وخصوصاً الإيوان بهذه المشاكي وهي على شكل كوة غير نافذة ذات أبعاد صغيرة ، معقودة ، مقعرة ، مسقطها نصف دائري أو مسطح .

وهي بذلك تشبه المحراب ، تغور في الحائط خصيصاً لتوضع فيها مصابيح الزيت للإنارة مساءً .

وتُعقد المشكاة بقوس زخرفية ، أو يزخرف عقدها بنقوش حجرية مخرّمة ، أو تجعل فيها مقرنصات بديعة مختلفة ذات إطار زخرفي ملون جميل وعرض فتحتها حوالي ٤٠ سم .



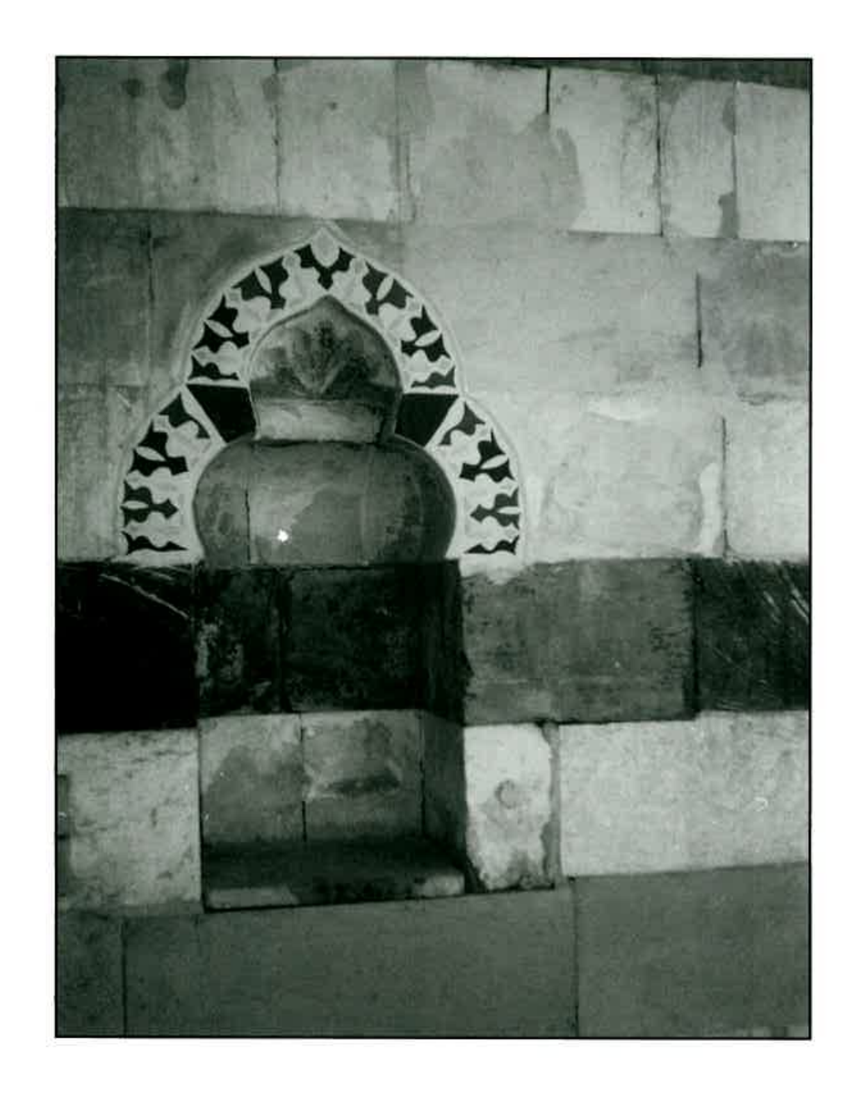
تفصيلة الشكاة بمقرنصات

(Ragette)



المشكـاة

- قصر العظم -



المشكـاة

-بيت نظام-

١١ - المحـــراب

عادة ما يكون في صدر الإيوان أو في أحد الجدران الداخلية ، تزينه في الأعلى نصف قبة مزخرفة بالنقوش العربية الملونة .

وهذه المحاريب هي رمز ديني إسلامي ، وتكون دوماً باتجاه الكعبة وتوضع فيها المصاحف الشريفة .





المحـــراب

- قصر العظم -

١٢ - السلسبيل (المصب)

السلسبيل أو المصب هو الفجوة المستطيلة التي تكون عادة مزينة بالرخام المفصص أو المشقف أو بالصدف والمرايا يمرّ على سطحها الماء .

☆والسلسبيل يقوم في وسط جدار القاعة ويتألف من مصب تسيل عليه المياه ببطء على سطحه العمودي المائل قليلاً ليصب في حوض من الرخام الجميل .

☆د. الريحاوي ، المجلة العربية للثقافة ، ص١٣٢

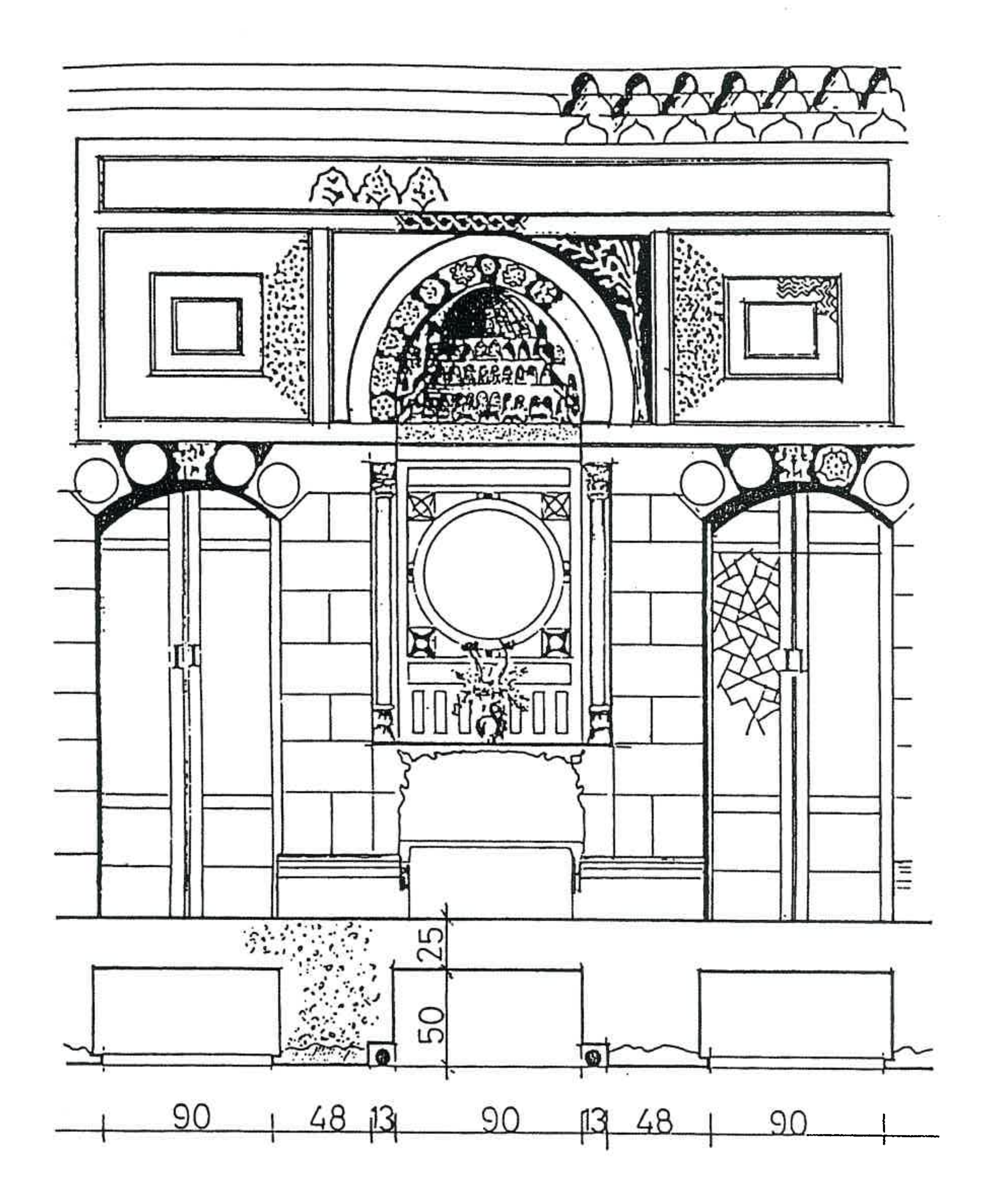
وتجري مياه السلسبيل الساقطة في قناة مستطرقة متصلة ببركة ، تكون صغيرة تشبه القائمة في الصحن ، أو هي فسقية منخفضة مؤلفة من الحجر المشقف الصغير والملون والذي يشكل نجميات متتابعة بشكل إشعاعي رائع .☆

☆د. بهنسي ، جمالية الزخرفة العربية ، ص٨٦

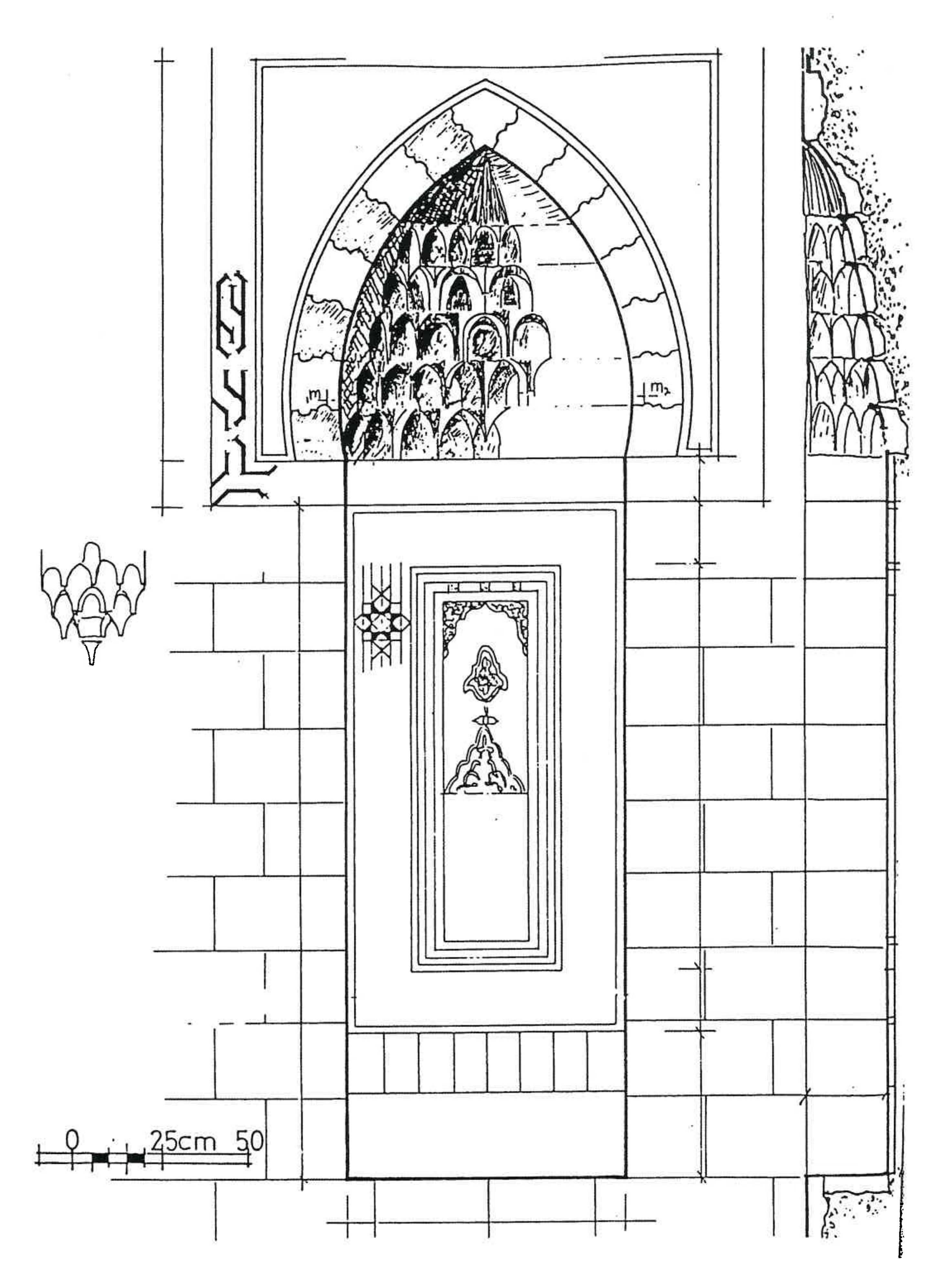
يتألف السلسبيل غالباً من مقرنص في الأعلى يحيط به قوس مدبب مؤلف من أجزاء رخامية بيضاء وسوداء وحمراء معشقة متكاملة ، ومحمول من الجانبين على عمودين رخاميين على قاعدتين مضلّعتين تقريباً مزيّنتين بعناصر هندسية ونباتية ولهما تاجان مزينان بأوراق نباتية بارزة .

وفي قلب المصب ركبت لوحة رخامية لها إطار عريض ، مزيّنة بنجوم هندسية ملونة .

وقد كان يستعمل كملطّف لجو القاعة الرئيسية حيث يسيل الماء من الأعلى إلى الأسفل بشكل بطيء ، فيشيع في الغرفة جواً من الأنس والروعة عدا ترطيب الهواء الداخلي للقاعة .

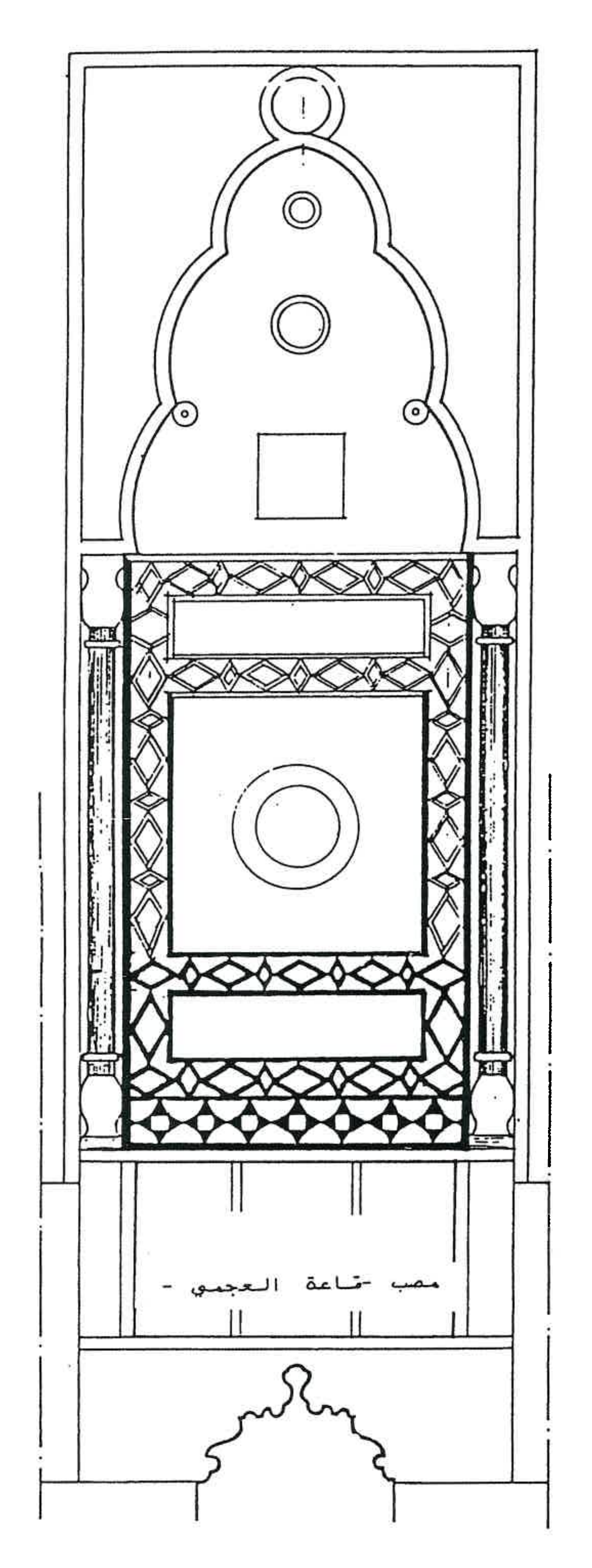


واجهة للسلسبيل
بيت السباعي

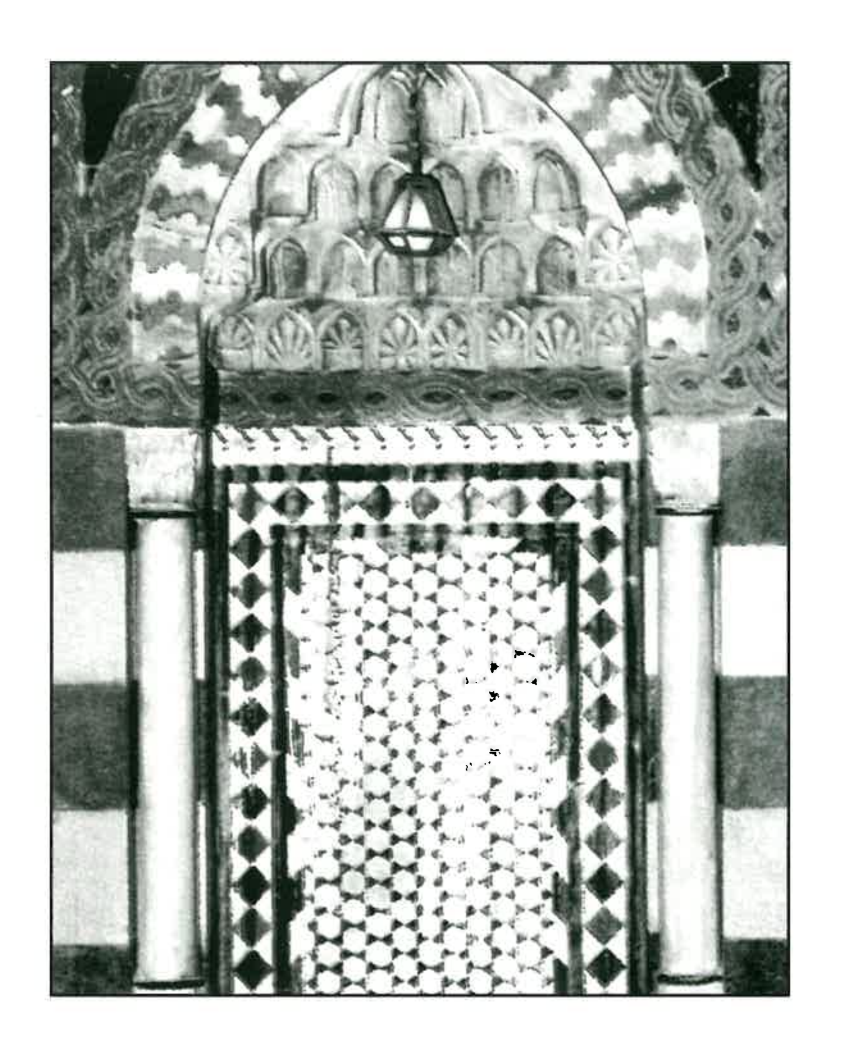


واجهــة للســلسبيل

بيت ناصيف باشـا العظـم (نظـام)



واجهة للسلسبيل
بيت ناصيف باشا العظم (نظام)



المصب وعلى صفحته
تنساب مياه السلسبيل
(القاعة الشامية ـ المتحف
الوطني بدمشق)



السلســبـيـل
ـ قاعة قصر العظم ـ

١٣- البركة (الفسقية)

تحفل البيوت الدمشقية بالبرك والفسقيات حيث يوجد الماء في جميع البيوت ، وغالباً ما توجد بركة أو أكثر تزين باحات الرخام والقاعات ذات السقوف العالية تؤمن وسائل الرفاه لسكانها ، وذلك بفضل تأثيرها الزخرفي الذي يشبه المرايا وبفضل انسياب مياهها الكريستالي.

وتقوم البركة ضمن الصحن أمام واجهة الإيوان وأقرب له وفي منتصف محور قوسه الكبير والذي يستخدم للجلسة الصيفية . وأما مواد بناء أرضية البركة فهي من الآجر المشوي رصفت فوقها الحجارة المقطعة المزيّة أو الكلسية أو البازلتية السوداء .

ويصب الماء في البركة من كأس حجري منحوت ، أو من كاسة رخامية مفصصة ملونة تكون في وسطها ، أو من مناهل حجرية أو نحاسية تمثل أشكالاً مختلفة وتجعل على أطرافها ، وهي متصلة بالقساطل الممدودة تحت الأرض المؤدية إلى الطالع الذي يقسم الماء على الدور بنسبة استحقاقها . وكانت مواد بنائها من الصلصال الذي يدوم أحقاباً عديدة .

وعندما تمتلئ البركة يفيض ماؤها في مجرى ثانٍ ، ويجري إلى بركة أخرى أو إلى أحواض الزهور أو إلى بيوت الخلاء حيث يختلط بالماء الفائض من المطبخ ويسيل مستوراً إلى المجرى العام.

يتراوح قطر بركة الصحن الأساسية بين ثلاثة وستة أمتار ، ويتراوح عمقها من ٥٠ إلى ٦٠ سم وهو عمق قليل بالنسبة إلى سطحها ، والسبب في ذلك أن العامل الأساسي في الترطيب هو سطح التبادل ما بين الماء والهواء المار فوقه . ☆

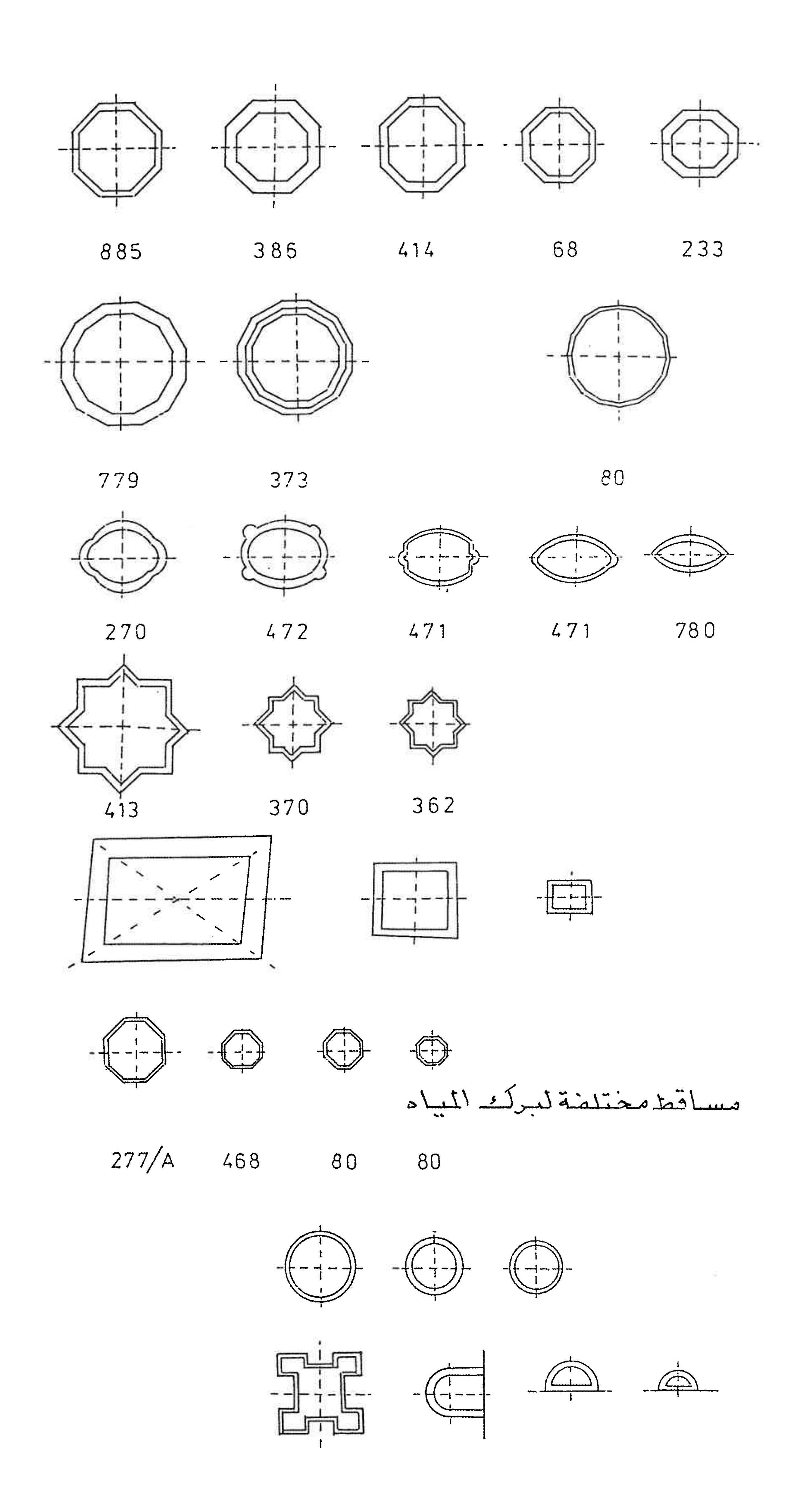
☆حسحس وأبو زرد، الفناء والايوان في البيت الدمشقي ص١٣

وقد تكون مضلعة أو مستديرة أو ذات أشكال منحنية أو بيضوية ، أو ذات أشكال هندسية مختلفة مكسوة بزخارف من الحجر أو الرخام المشقف والملون أو بالألواح المجردة أو المحفورة والمزخرفة والملونة ضمن أطر أضلاع البركة .

☆فقد جاءت البركة مثمنة كما في بيت الأسطواني ، جمعة ، الوكيل ، السر أميني والبيروتي وغيرها ، وجاءت اهليلجية كما في بيت التيناوي وسعدة ، وجاءت مستطيلة دائرية الحواف كما في بيت طيفور .

☆شربجي ، العناصر المعمارية المميزة في البيت الدمشقي

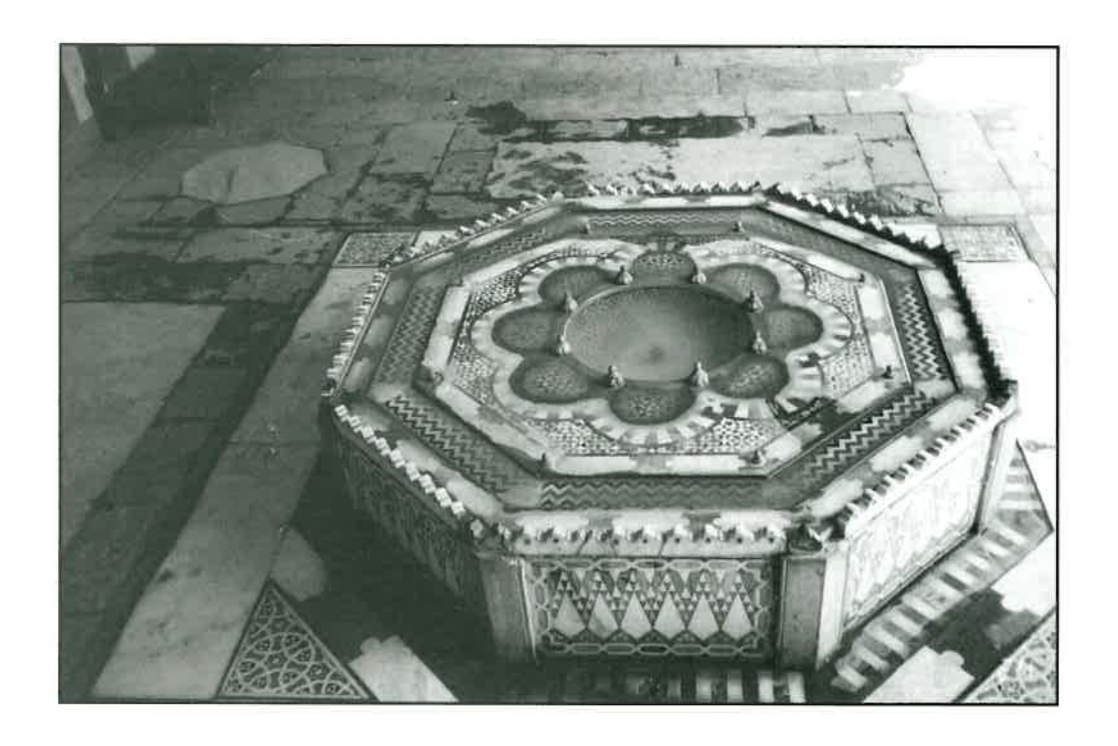
أما الفسقية فهي صغيرة قطرها متر ، وتكون مرتفعة أو منخفضة وتصنع من الرخام المشقف أو من الفسيفساء الرخامي الهندسي أو أن تكون مكسوة بالقيشاني ومكانها ضمن القاعة في العتبة .



مساقط مختلفة لبرك المياه

نماذج بحـرات

قصـر العظـم



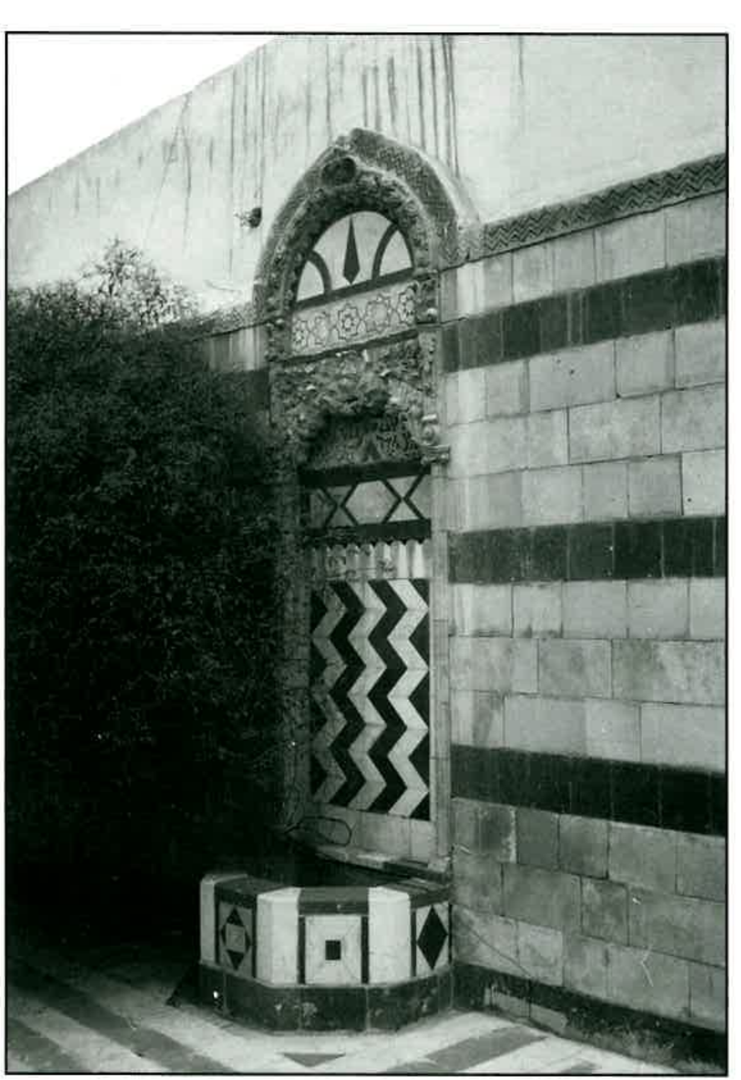
بيــت نظـام



قصـر العظـم







بحــرات جداريّــة

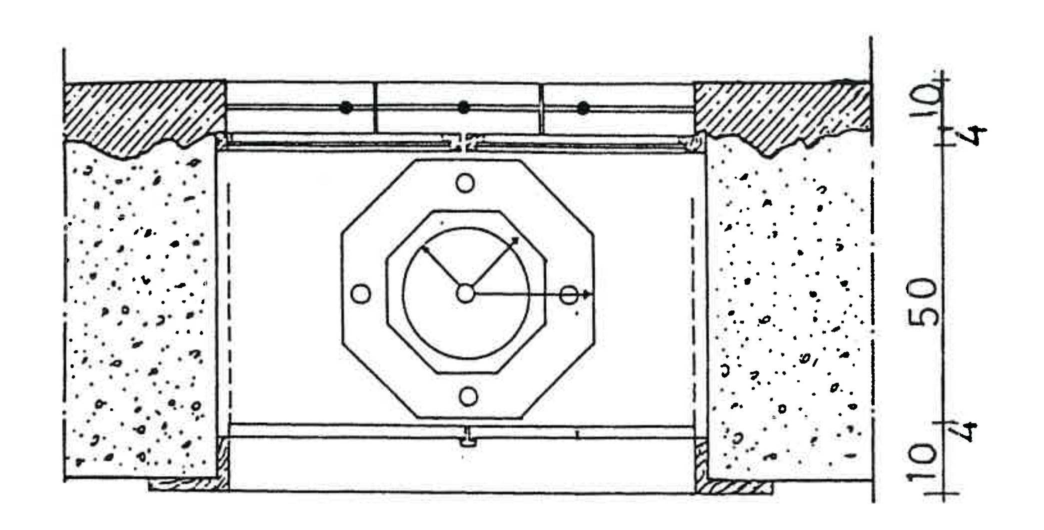
ـ بيت خالد بك العظم

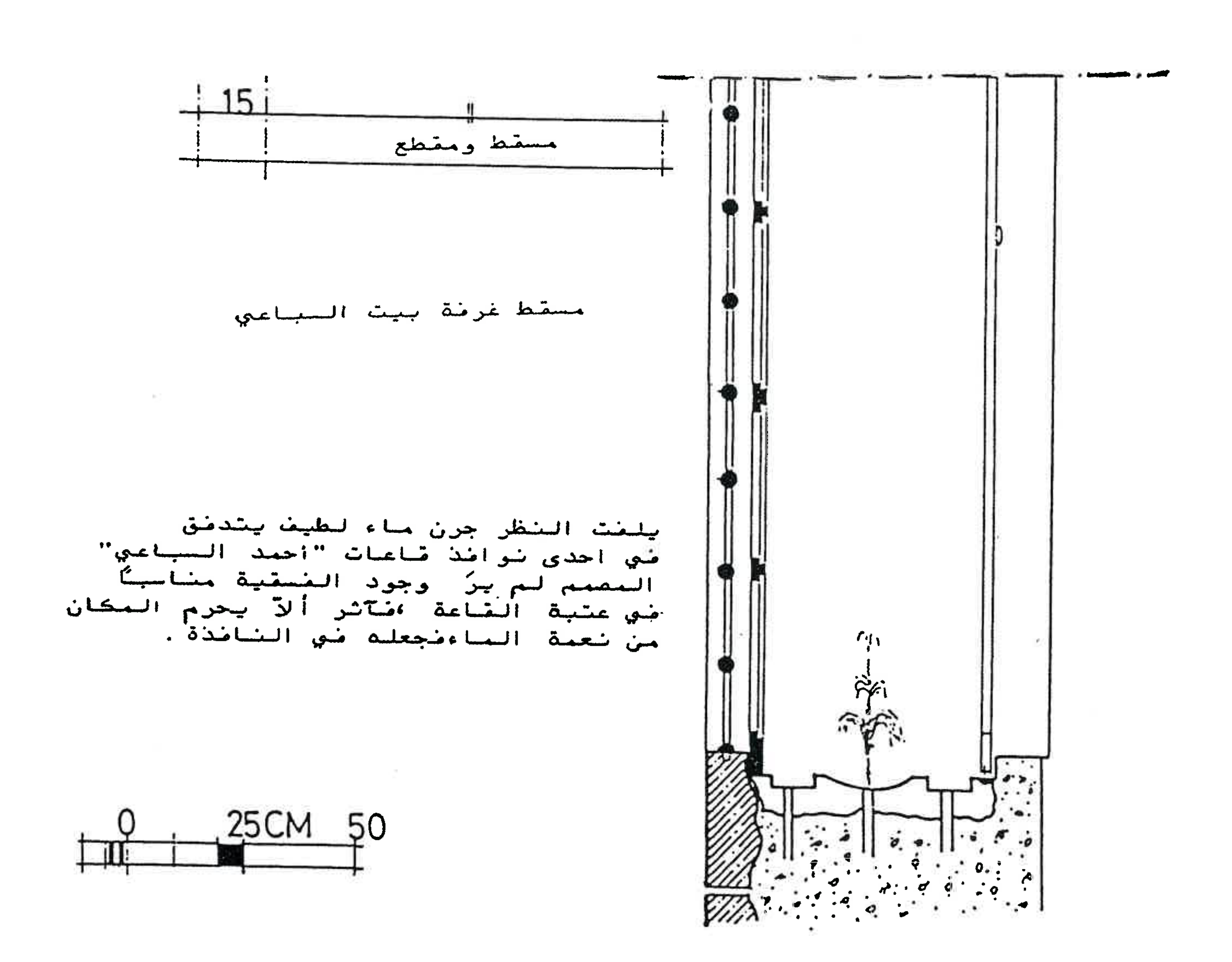
واهتمام المعمار الدمشقي بالمياه محاولة لتلطيف الجو الجاف في داخل البيوت بل وفي داخل الغرف أيضاً .

وهذه البرك والفسقيات بالإضافة إلى الرطوبة التي توفرها للباحات الداخلية ولحجرات الطابق الأرضي التي تمثل سكن الصيف ، فإنها تترقرق دون انقطاع ليلاً نهاراً وتضفي على البيت سحراً كبيراً .

ويجري تنفيذ الأحواض المائية ليصبح مستوى الماء فيها ملامساً للخرزة العليا كي ينساب الماء على جوانبها فتتجمع عند الأسفل ضمن قناة تصريف .

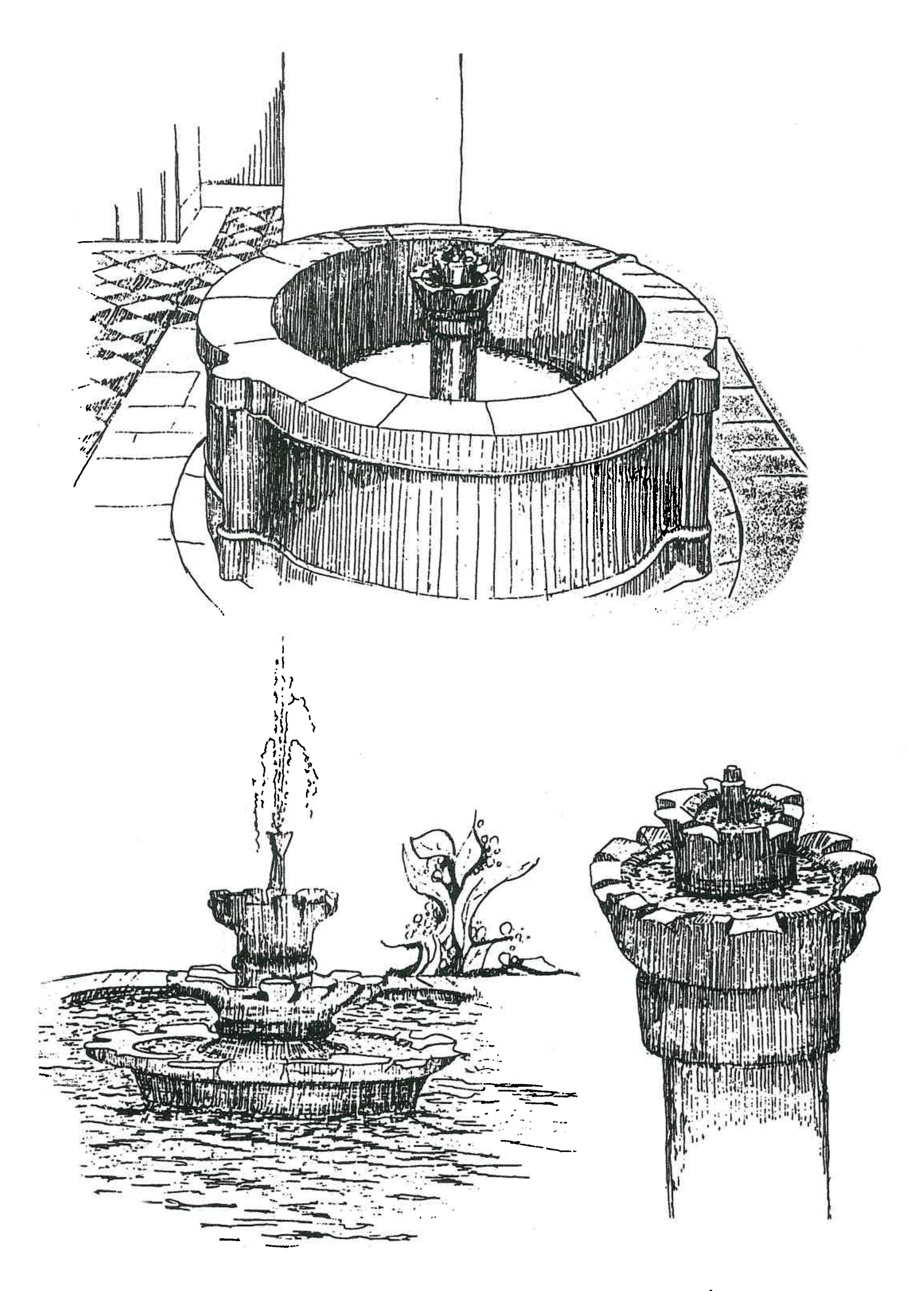
وتكتسب ألوان الموزاييك الرخامية لمعاناً وتزداد رونقاً وإشراقاً بواسطة الغشاء الرقيق للماء الذي ينساب على الجوانب . كما أن مساحة تبخر الماء تتضاعف عشر مرات فتجلب رطوبة قصوى للهواء الذي يملأ المكان .





مسقط غرفة بيت السباعي

يلفت النظر جرن ماء لطيف يتدفق
في احدى نوافذ قاعات "أحمد السباعي"
المصمم لم يرَ وجود الفسقية مناسباً
في عتبة القاعة ،فآثر ألاّ يحرم المكان
من نعمة الماء،فجعله في النافذة .



تفاصيل البركة في الصحن





نماذج بحـرات
ـ قصر العظم ـ

١٤ - العمود

☆د. الشهابي ، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق ص٢٣٧←٢٤٠

☆هو الجزء الطولاني الداعم لسقف أو جدار أو جائز أو عقد ، ويختلف مقطعه بين الدائري أو المربع أو المستطيل أو البيضوي أو نصف الدائري أو أكثر من النصف وما إلى ذلك .

ويشمل العمود : الجذع والتاج والقاعدة .

وعند الفتح الإسلامي لدمشق سنة ١٤ هـ (٦٣٥ م) ، استعمل الأمويون أشكالاً للأعمدة كانت قائمة منذ العهد الهلنستي والروماني والبيزنطي .

وقد ظهر في العهد المملوكي نقش الأعمدة بالمراسيم الكتابية في أمكنة محدودة ، وتعددت أشكال الأعمدة في العصور الإسلامية اللاحقة ، فكان منها الإسطواني والحلزوني والمضلع والمثمن والمربع والمستطيل وما إليها . ومنها ما كان من الرخام أو الحجر أو مكسواً بالمرمر أو بالجص أو بالقاشاني أو بالذهب .

وأما تيجان الأعمدة فقد صارت لها منذ القرن الرابع للهجرة أشكالها الخاصة التي تميزها عن التيجان الإغريقية والرومانية والبيزنطية ، فقد أضحت إسلامية الانتماء ، زخارفها نباتية وهندسية ، ممزوجة أحياناً بالكتابات القرآنية أو الشعرية أو الأقوال المأثورة .

وفي العهد الأيوبي بدأ ظهور التاج المقرنص ، وانتشر في العقود اللاحقة .

وفي هذه العقود الإسلامية الأخرى طورت أشكال التيجان فظهر منها التاج البصلي والناقوسي والمزخرف بأوراق النبات إضافةً إلى التاج المقرنص .

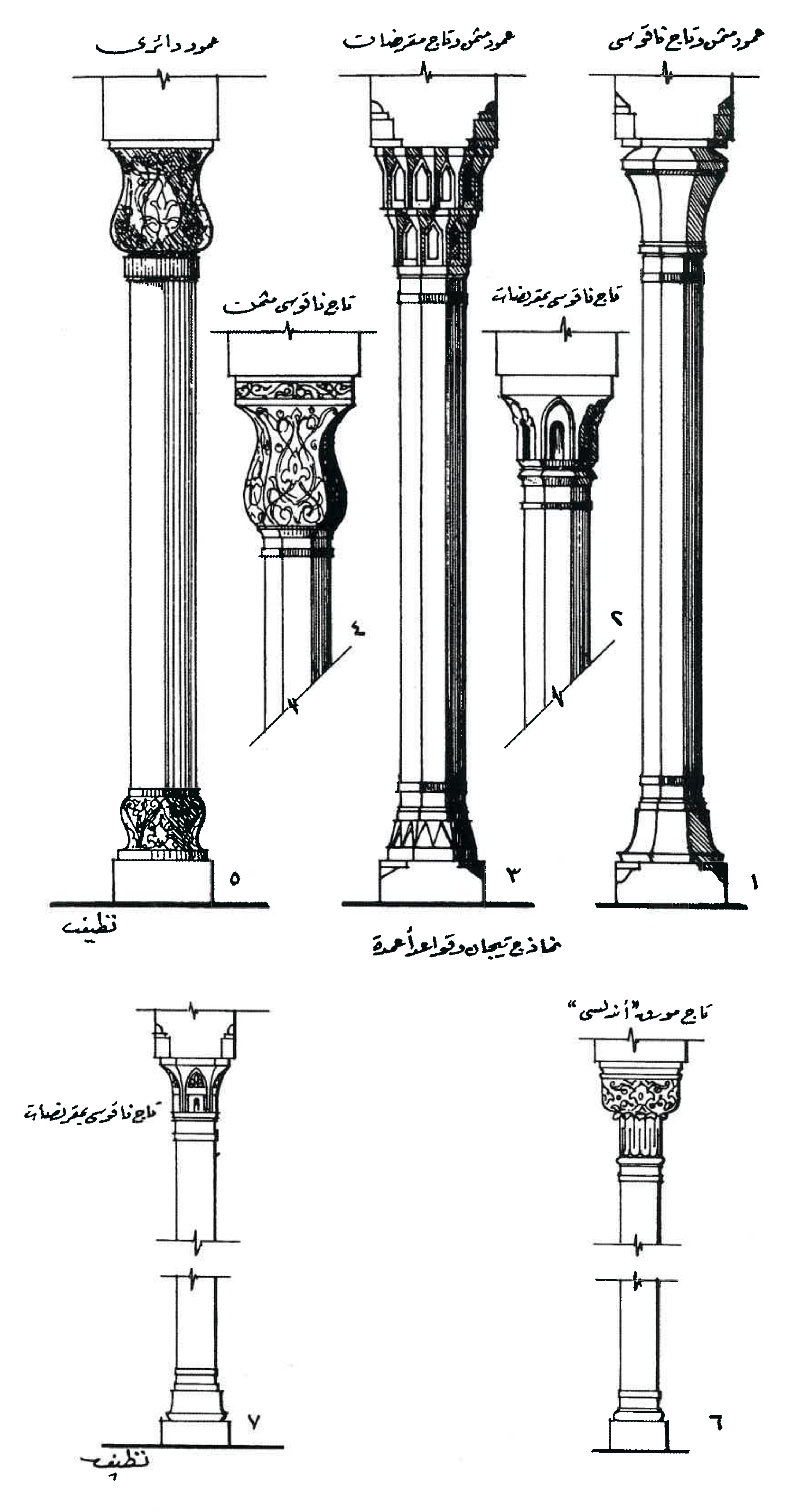
وطورت في العهد العثماني تيجان الأعمدة وأخذت الأشكال الجديدة بالظهور ، كالتيجان المزخرفة بالأشكال الهندسية ، المثلثية منها والمعيّنية ذات السطوح الملساء ، النافرة والغائرة ، ولكن جذوع الأعمدة بقيت ملساء .

ويلاحظ أن البنائين كانوا يضعون طبقة من الخشب بين التيجان والأقواس أحياناً ، لتجنب أضرار الزلازل أو للتخفيف منها .

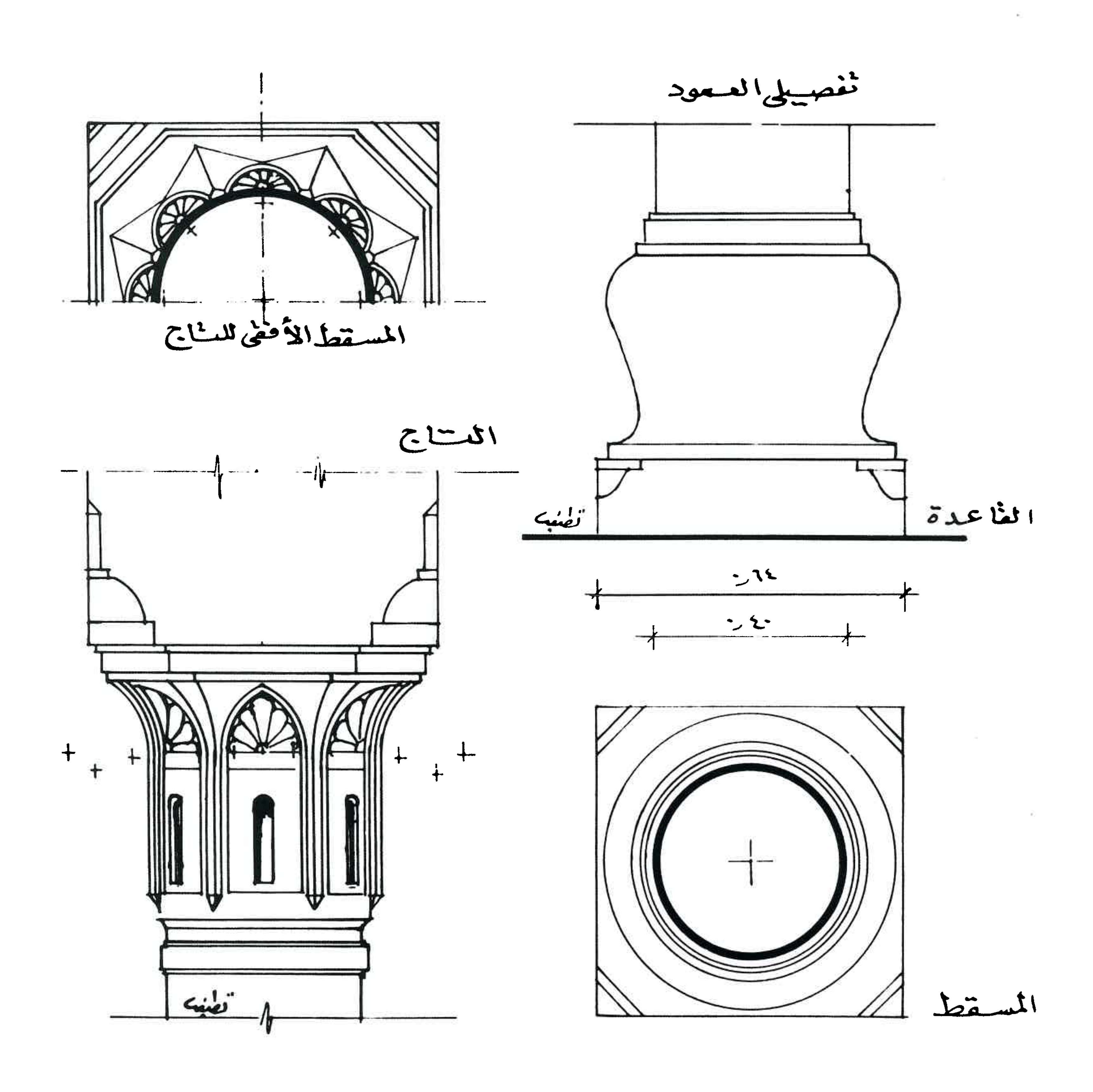
☆نظيف ، دراسات في العمارة الإسلامية، ص٦٠

☆ **أنواع الأعمدة :**

١– عمود بدنه مثمن وتاج ناقوسي وقاعدته العليا ناقوسية والسفلى مشطوفة.
٢– عمود بدنه مثمن وتاج مقرنصات طبقة واحدة .
٣– عمود بدنه مثمن وتاج مقرنصات طبقتين وقاعدة مثمنة .
٤– عمود بدنه مثمن وتاج ناقوسي وقاعدته الجزء الأول منها ناقوسي مثمن .
٥– عمود بدنه دائري وتاج ناقوسي وقاعدته الجزء الأول منها ناقوسية دائرية.
٦– عمود بدنه دائري وتاج مورق (أندلسي) .
٧– عمود بدنه دائري وتاج ناقوسي محلّى بمقرنصات كبيرة وقاعدة ناقوسية بسيطة.



نماذج أعمدة
(نظيف)

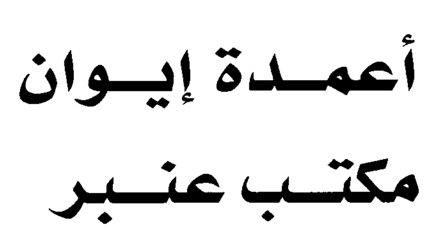


تفصيلة قاعدة وتاج عمود

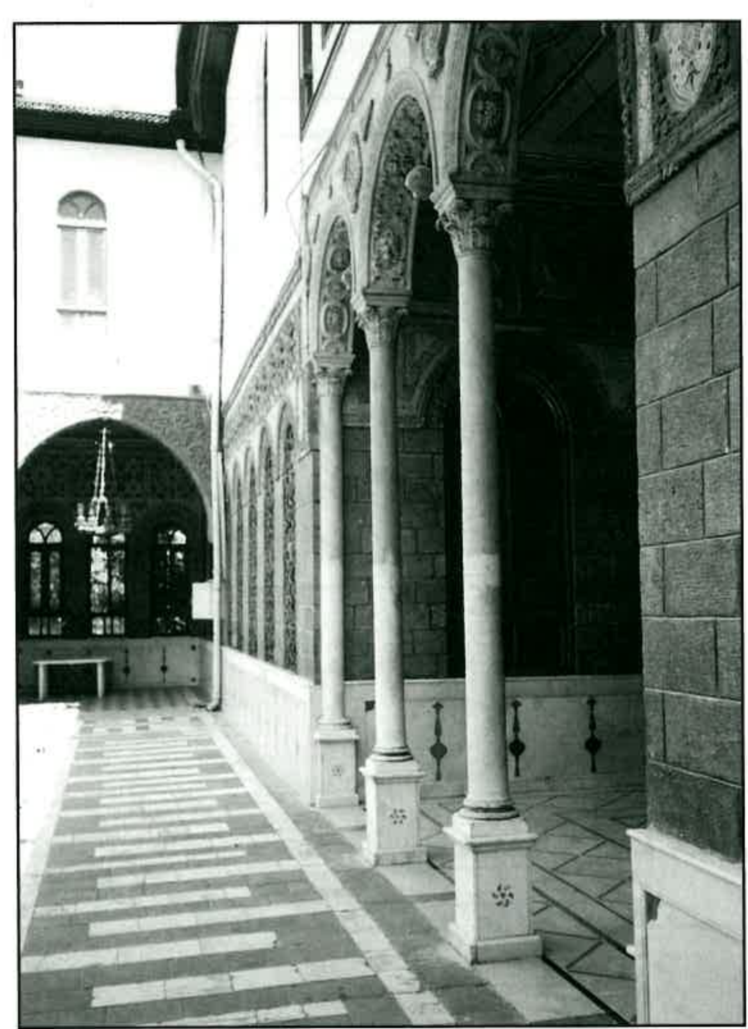
(نظيف)

عمـود رواق
قصر العظم





أعمـدة إيـوان
مكتـب عنـبر



٣-١١٣

١٥- العقد

☆العقد عنصر معماري مقوّس على شكل قطاع دائرة يعتمد على نقطتي ارتكاز .

☆د. الشهابي ، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق ص٢١٧

وقد طور العرب المسلمون هذا العقد فظهرت أنواع كثيرة ومتعددة الأشكال والزخارف لتضفي على العمارة الإسلامية أبعاداً وأنماطاً معمارية بديعة .

وقد كان تصميم العقود المحمولة على الأعمدة الرخامية أو الحجرية لسببين :

١– ناحية إنشائية لتعطي زيادة في قوة تحمل السقف وذلك بتوزيع الأحمال الرأسية.
٢– ناحية معمارية لتعطي جمال الشكل والطراز .

☆وأما الأشكال الرئيسية للعقود المستعملة فيمكن إيجازها في عشرة أنواع :

☆نظيف ، دراسات في العمارة الإسلامية ، ص٤٦-٤٨-٥٠-٥٢

١- العقد الدائري ذو المركز الواحد : يرتفع مركزه عن رجلي العقد فيتألف من قطاع دائري أكبر من نصف الدائرة ، ويسمى العقد المرتد .

٢- العقد المرتد المدبب : هو نفس العقد الأول ، ولكنه يختلف عنه في أن قوس العقد يقف عند زاوية معينة للتمهيد في أعلاه إلى العقد المرتد المدبب .

٣- العقد ذو الفصوص : عبارة عن العقد الدائري ذي المركز الواحد ، ولكن يختلف عنه باستقامة نهاية رجلي العقد . وبطينة العقد تتألف من سلسلة أقواس نصف دائرية وتنتهي عند رجلي العقد إما بكابولي أو مقرنصة .

٤- العقد المخموس : هو العقد ذو المركزين ، تقسم المسافة بين قوسي العقد إلى خمسة أقسام متساوية .

٥- العقد الثلاثي : العقد الأعلى ذو مركز واحد ، والعقدين الآخرين المكمّلين له فيهما صفّين أو ثلاثة صفوف من المقرنصات تأخذ الاتجاه الدائري إلى الداخل .

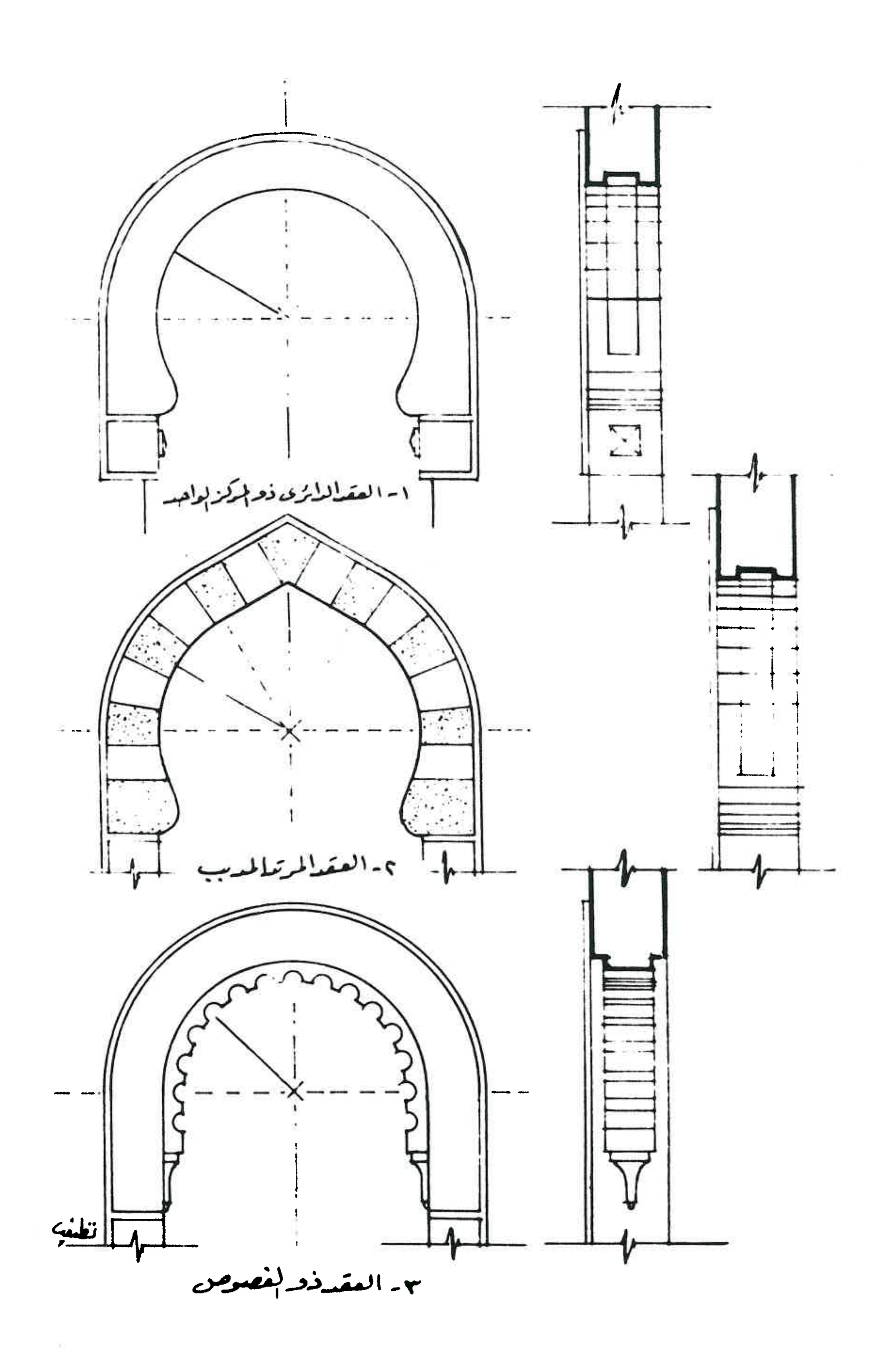
٦- العقد البصلي : يتألف من مركز واحد ليعطي قوسين متماثلين ، كل قوس منهما مقوس من الأسفل ، ومحدب من الأعلى .

٧- العقد المدبب : عبارة عن مستقيمين مائلين بزاوية معينة يتقابلان فيها إلى أعلى ليكوّنا هذا العقد .

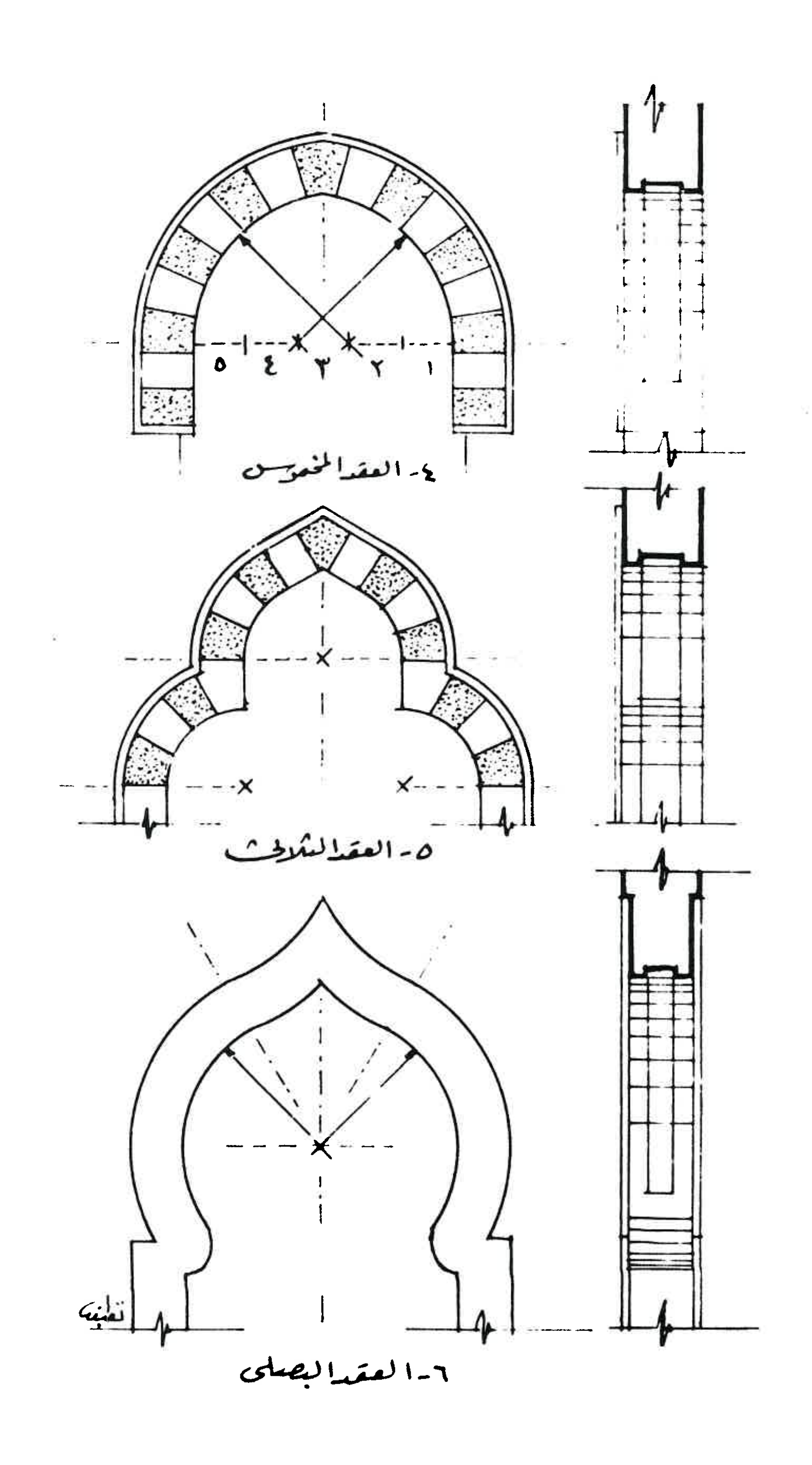
٨- العقد المدبب ذو المركزين : وهو مثل العقد المدبب ولكن يختلف عنه بانتهاء الخطين المستقيمين إلى الأسفل بقوسين لهما مركزان .

٩- العقد المركّب : يتكون من نوعين من العقود ؛ العقد الخارجي بمركز واحد ليعطي قوسين متماثلين ، والعقد الثلاثي موضعه في بطينة العقد الخارجي وله ثلاثة مراكز.

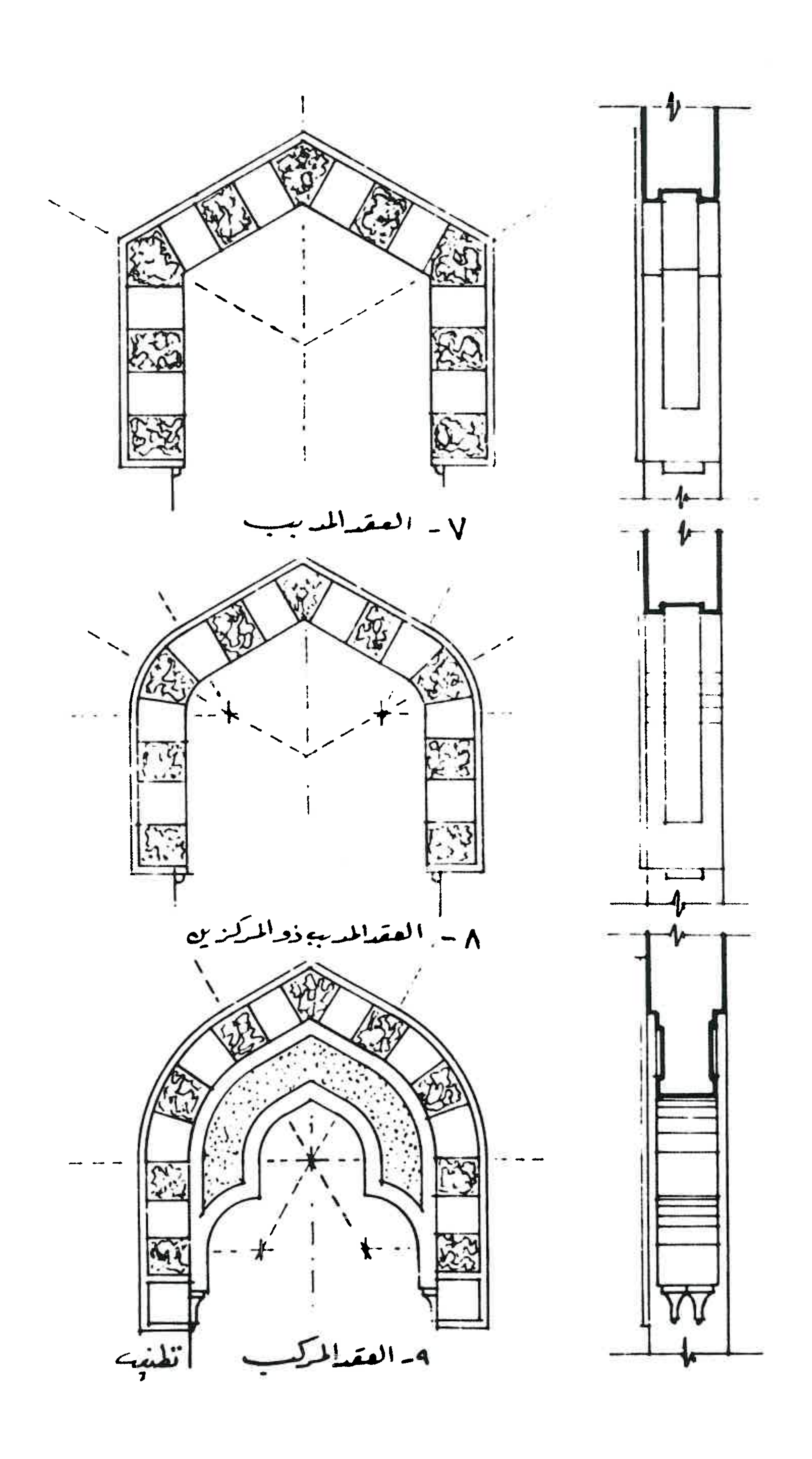
١٠- العقد ذو المقرنصات : وله ثلاثة أنواع :
آ– المقرنصات في بطينة العقد .
ب– تكوين عقد من المقرنصات نفسها .
جـ– المقرنصات المعلّقة .



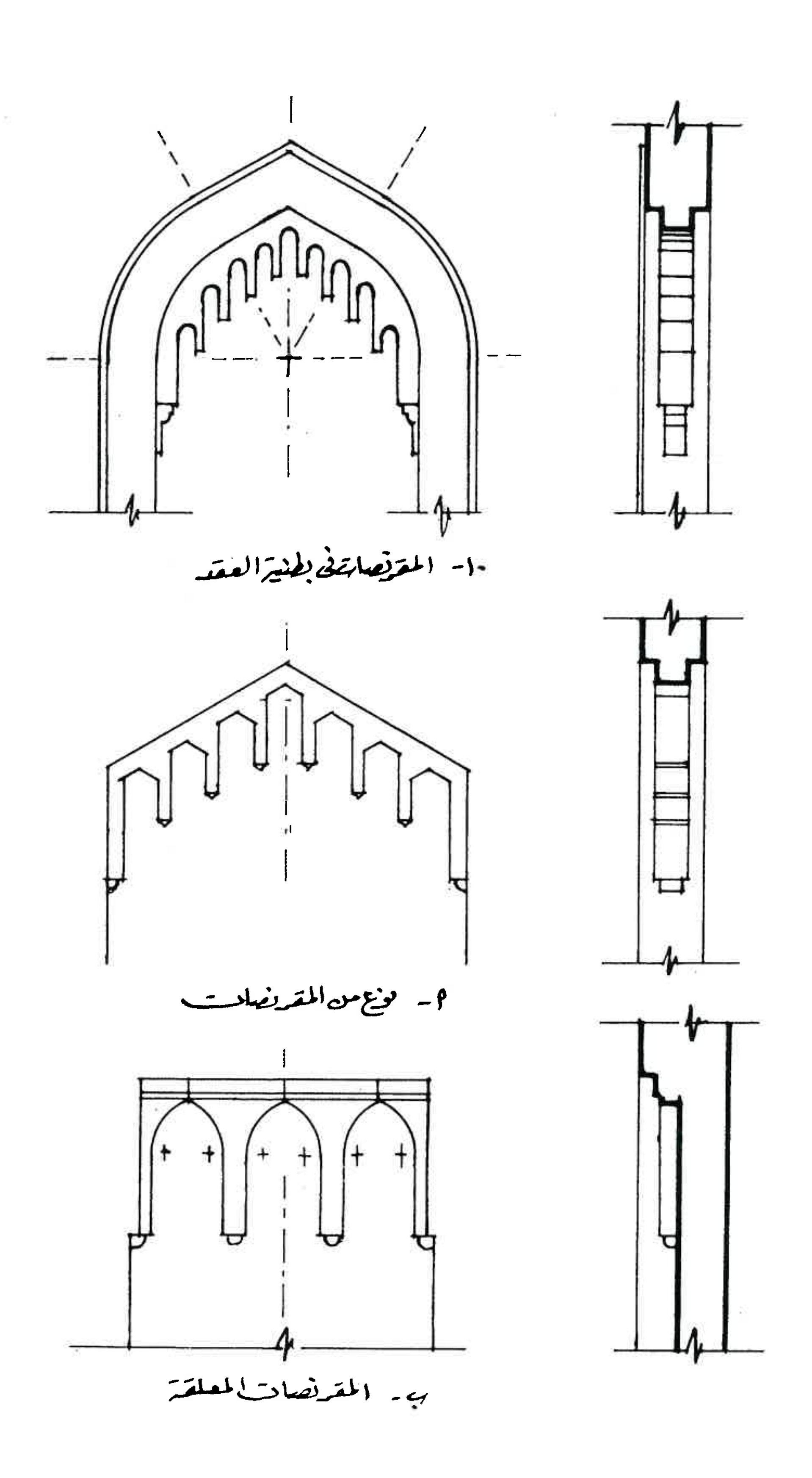
نماذج عقود
(نظيف)



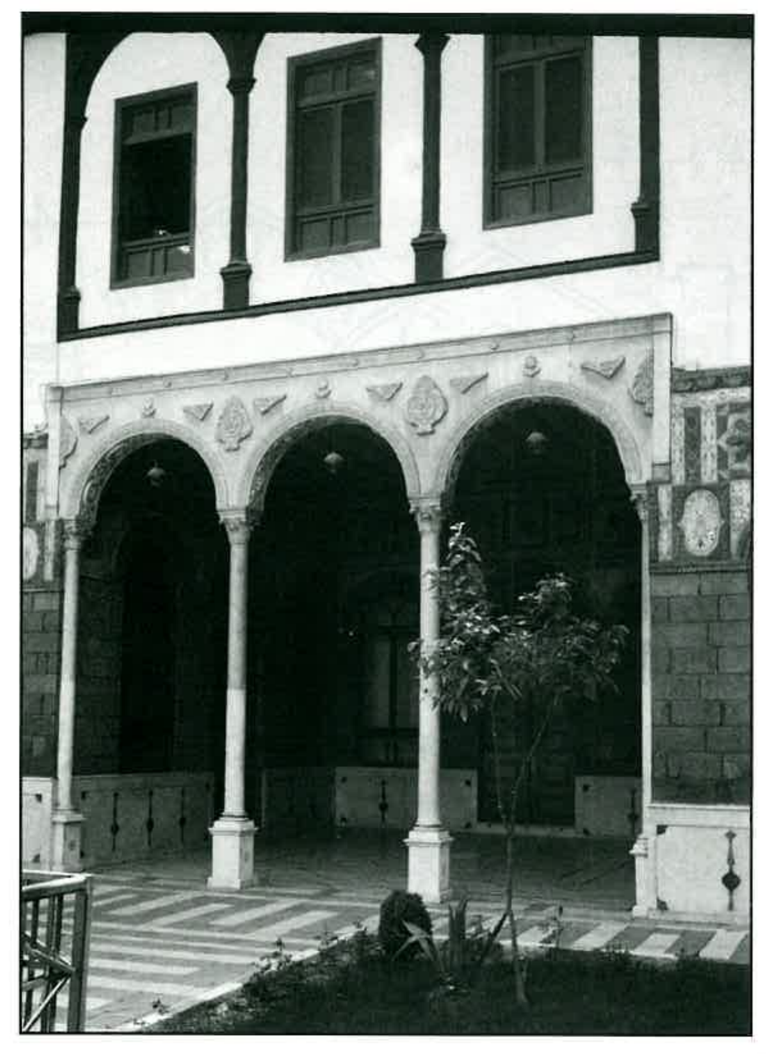
نماذج عقود
(نظيف)



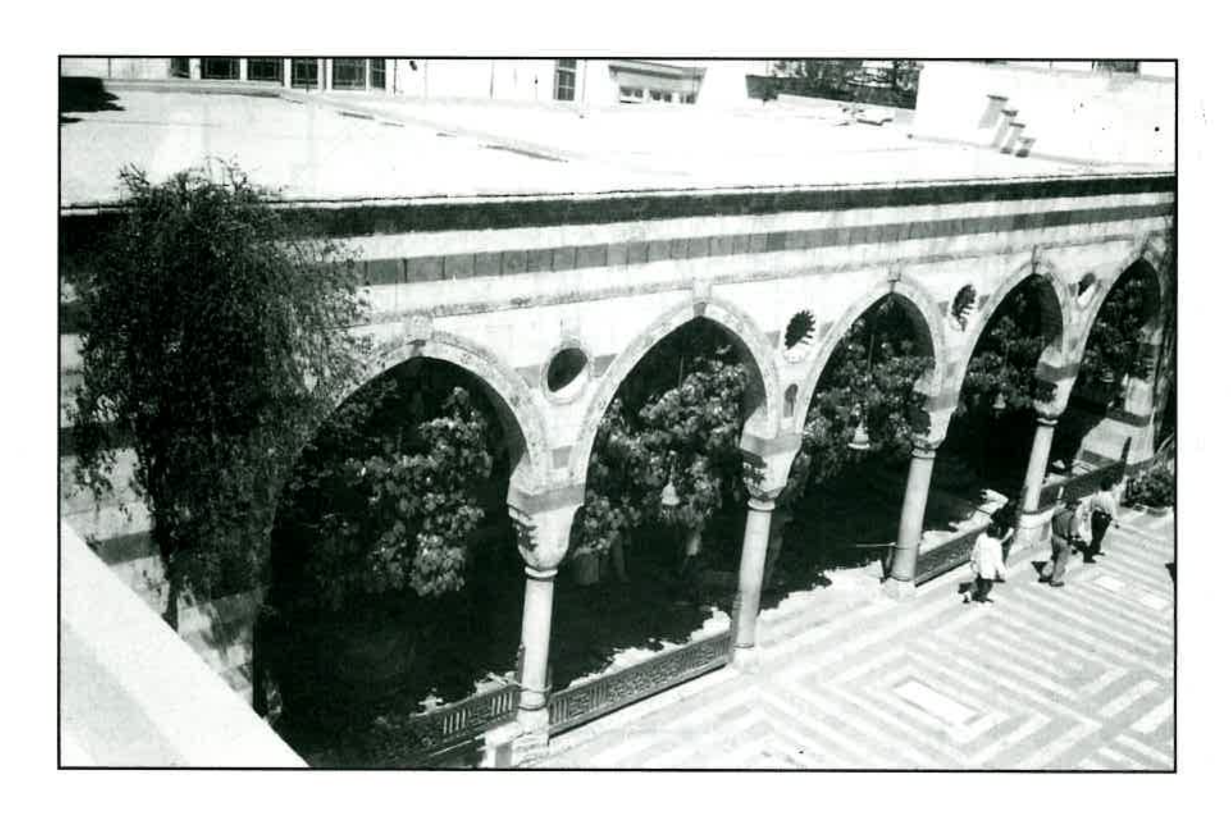
نماذج عقود
(نظيف)



نماذج عقود
(نظيف)

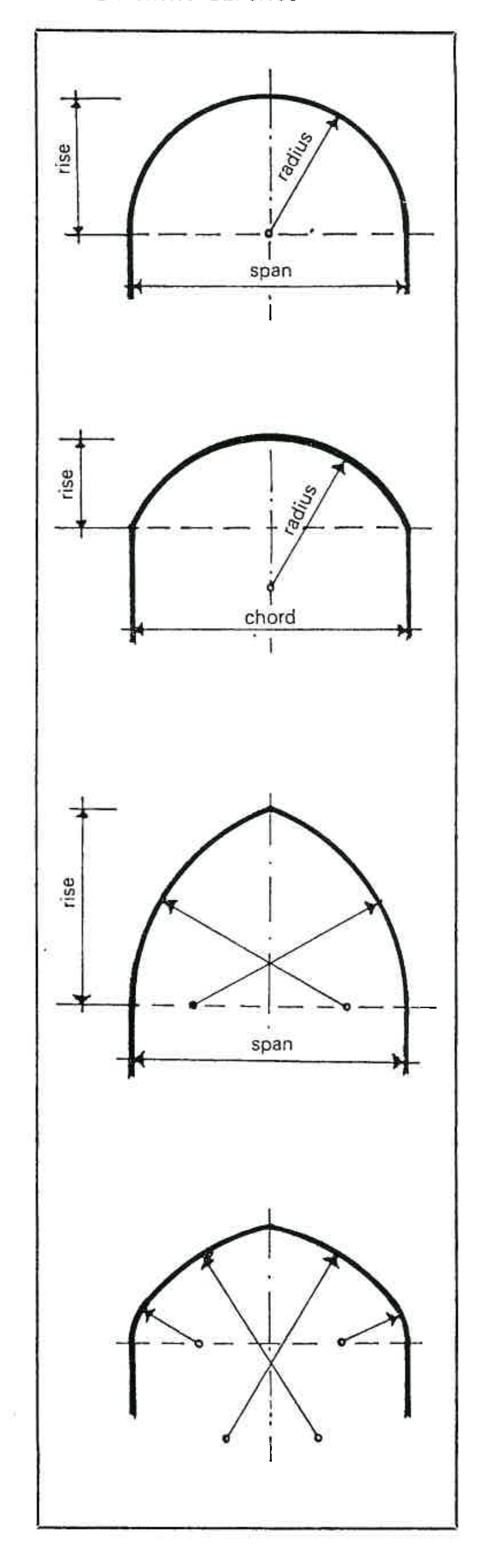


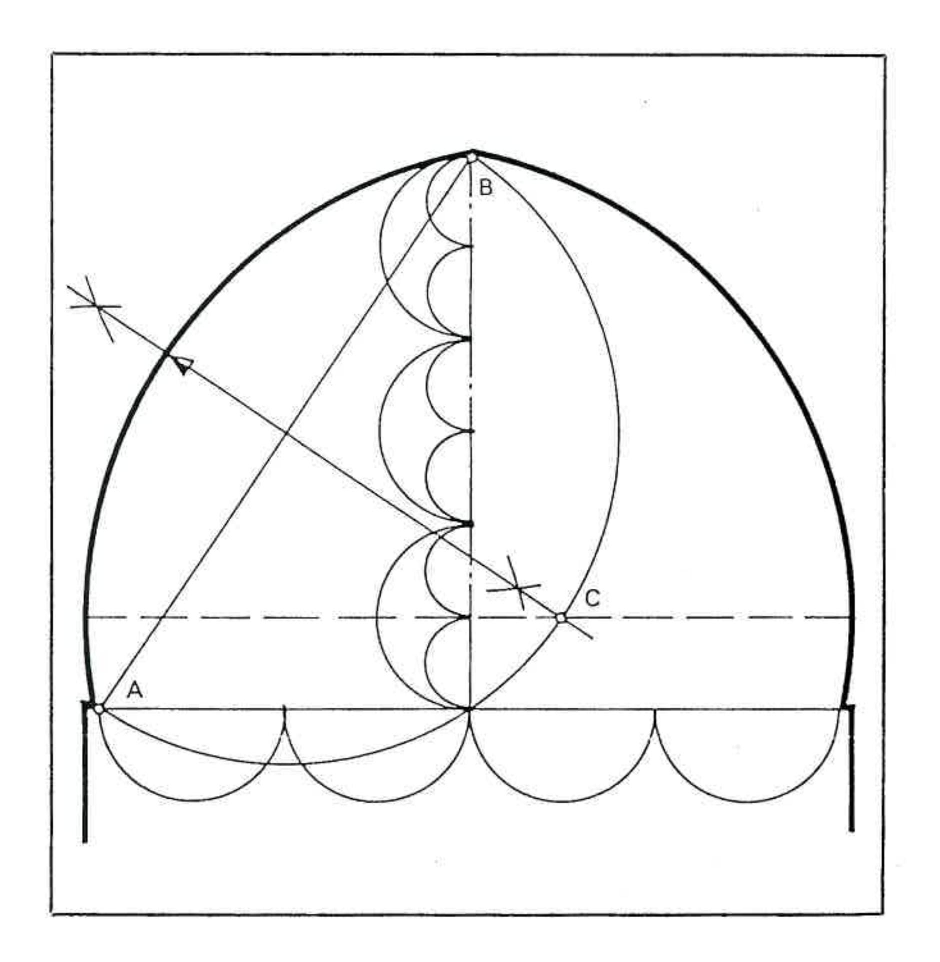
أقــواس إيــوان مكتــب عنــبر



أقــواس رواق قصــر العظــم

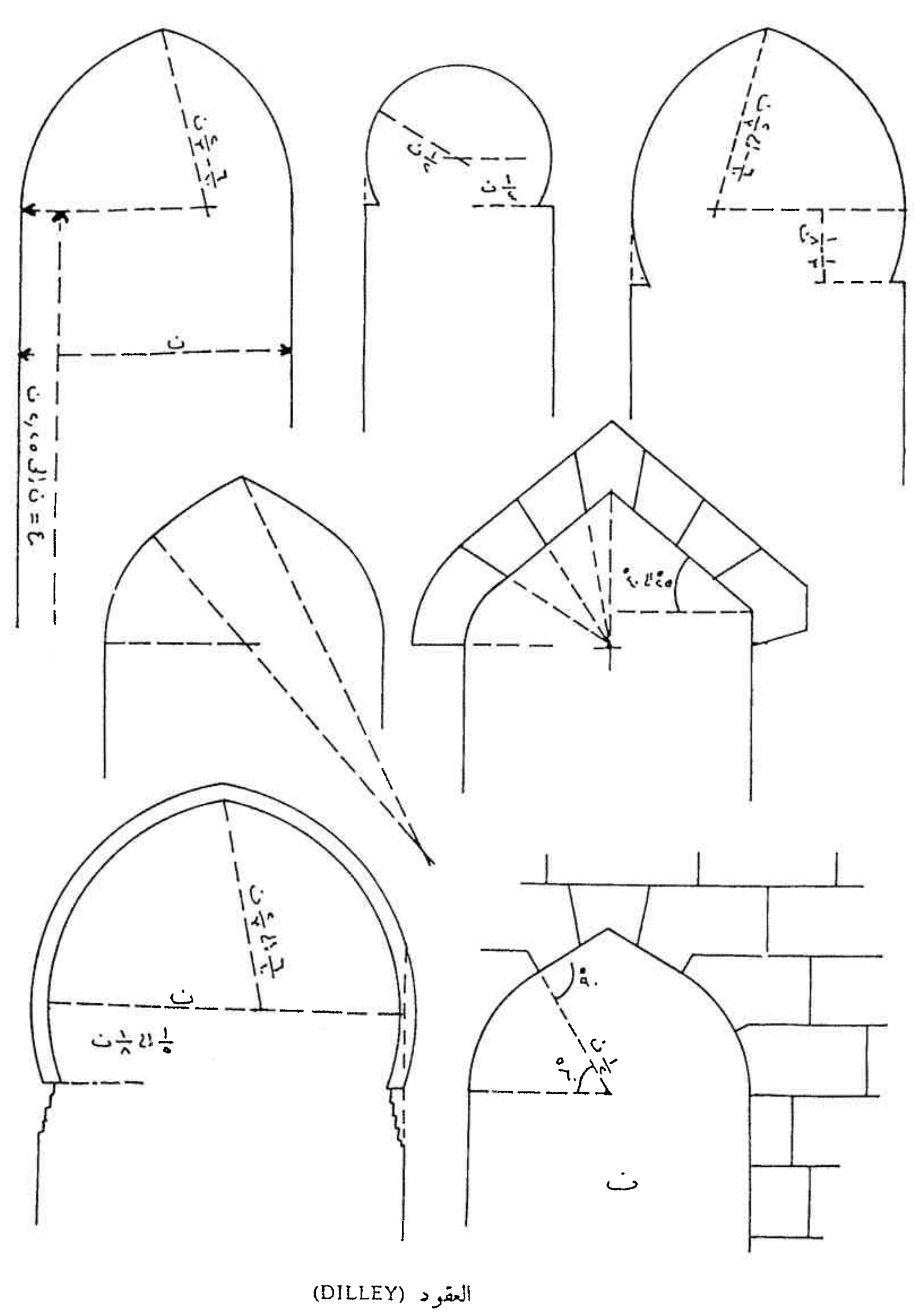
Genuine Arches





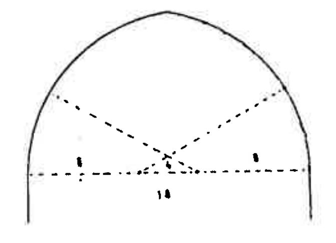
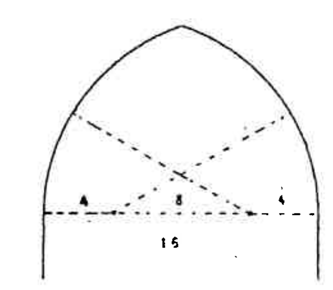
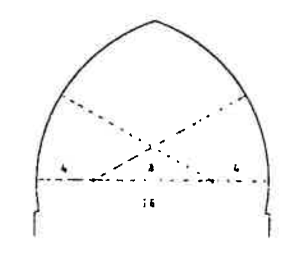
نمــاذج للعقــود

(Ragette)

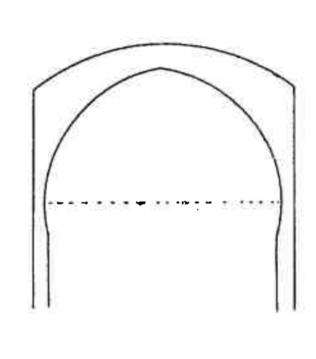
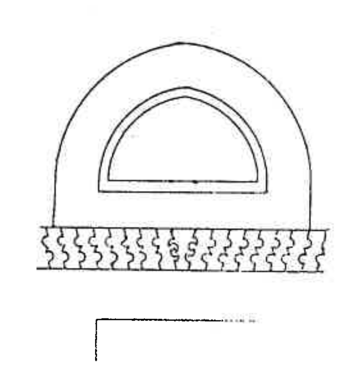
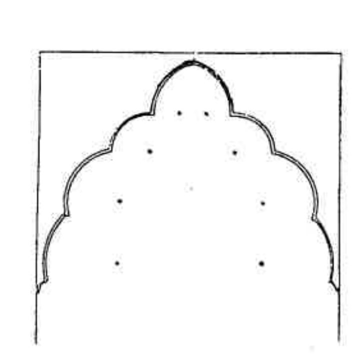


العقود (DILLEY)

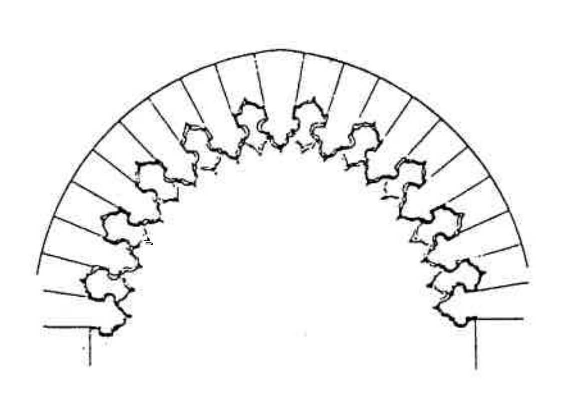
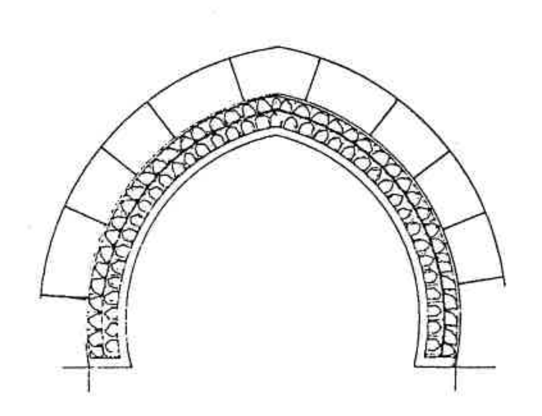
نمـــاذج للعقـــود
(د. لمـــعي)

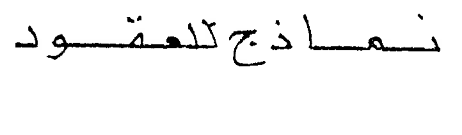
Spitzbogenformen

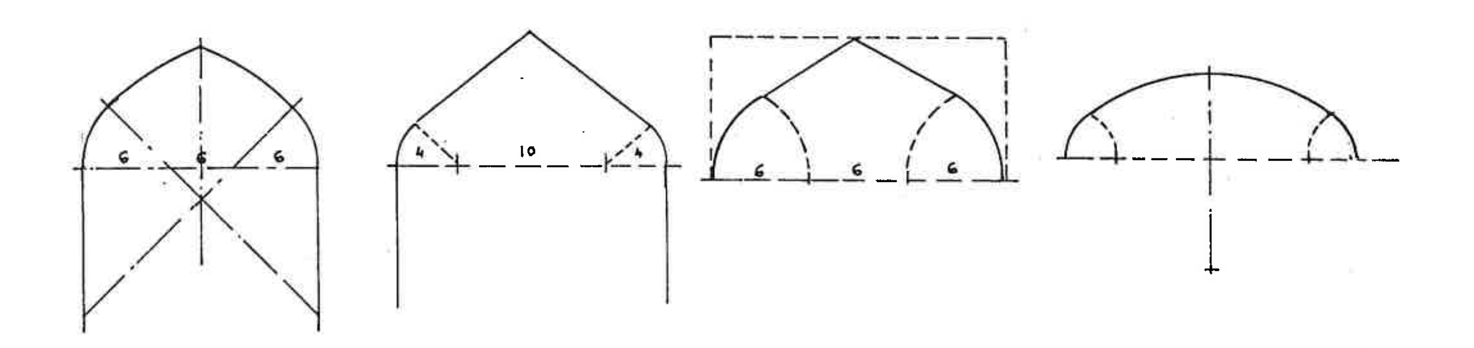
Dekorative Spitzbogenformen

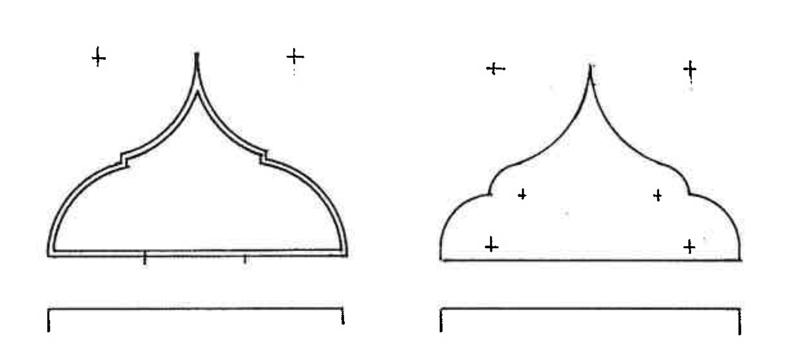



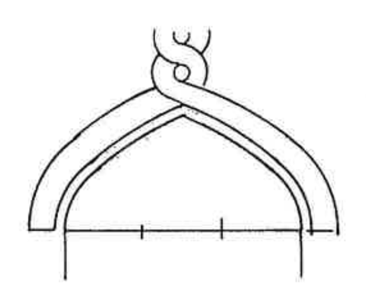
Dekorierte Spitzbogenformen



(Sinjab)

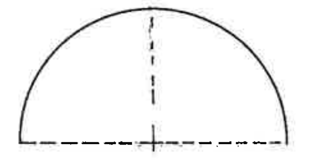
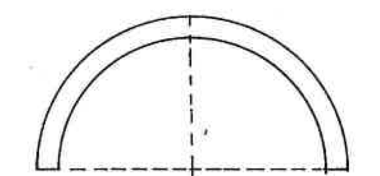
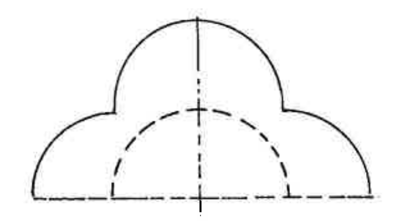
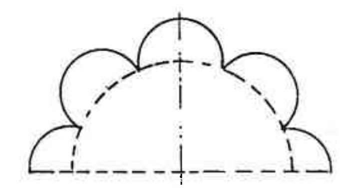
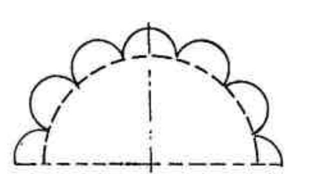
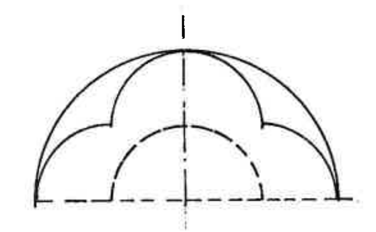
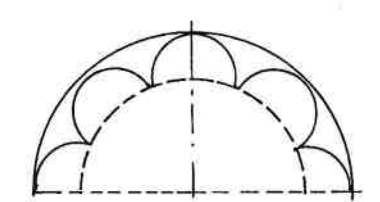
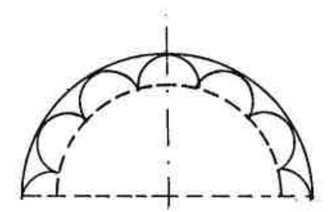






نمـــاذج للعقـــود

(Sinjab)

نمـــاذج للعقـــود

(Sinjab)

١٦ - الـــــدرج

لجأ المعماري الدمشقي إلى إيجاد أدراج تخديمية بين مختلف العناصر المعمارية والطوابق على الشكل التالي :

١) تخديم الطابق العلوي .
٢) تخديم السطح .
٣) تخديم القبو .
٤) تخديم القاعة المرفوعة عن الصحن .

وقد جاءت الأدراج إما :

١) ظاهرة في ركن من أركان الصحن كما في بيت الإسطواني .
٢) مخفية بين الغرف كما في مكتب عنبر .
٣) مشتركة ظاهرة ومخفية في كثير من البيوت الكبيرة .

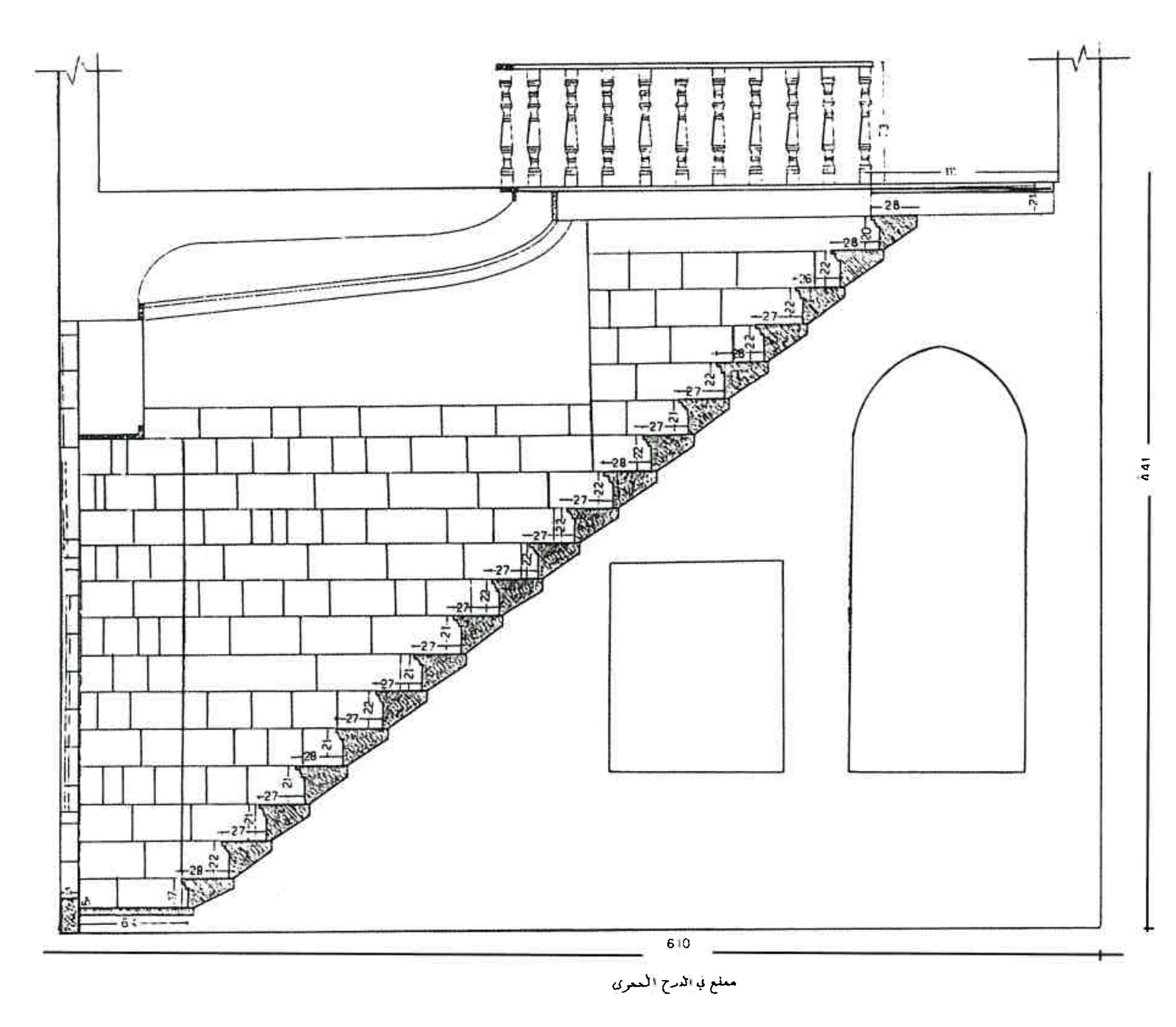
وأما نوعية إنشائه فقد عُمل من :

١) الحجر العادي كما في بيت مباردي في باب توما .
٢) الحجر المنشور كما في بيت حسن الخراط .
٣) الخشب كما في بيت حسن الخراط أيضاً .
٤) الحجر للشاحط الأول ، والخشب للشاحط الثاني المستمر كما في بيت العقاد .

وأما الدرابزين فقد عُمل من :
١) المعدن كما في بيت العقاد .
٢) الخشب كما في بيت حسن الخراط .

وأما مقاييس الدرجات فقد جاءت كالتالي :
١) الواقفة بمعدل ٢٤ سم وهي مرتفعة نسبياً .
٢) النائمة بمعدل ٢٨.٥ سم .

وقد استعملت الفراغات تحت الأدراج كمستودعات وأهداف تخديمية .



مقطع في الدرج الحجري

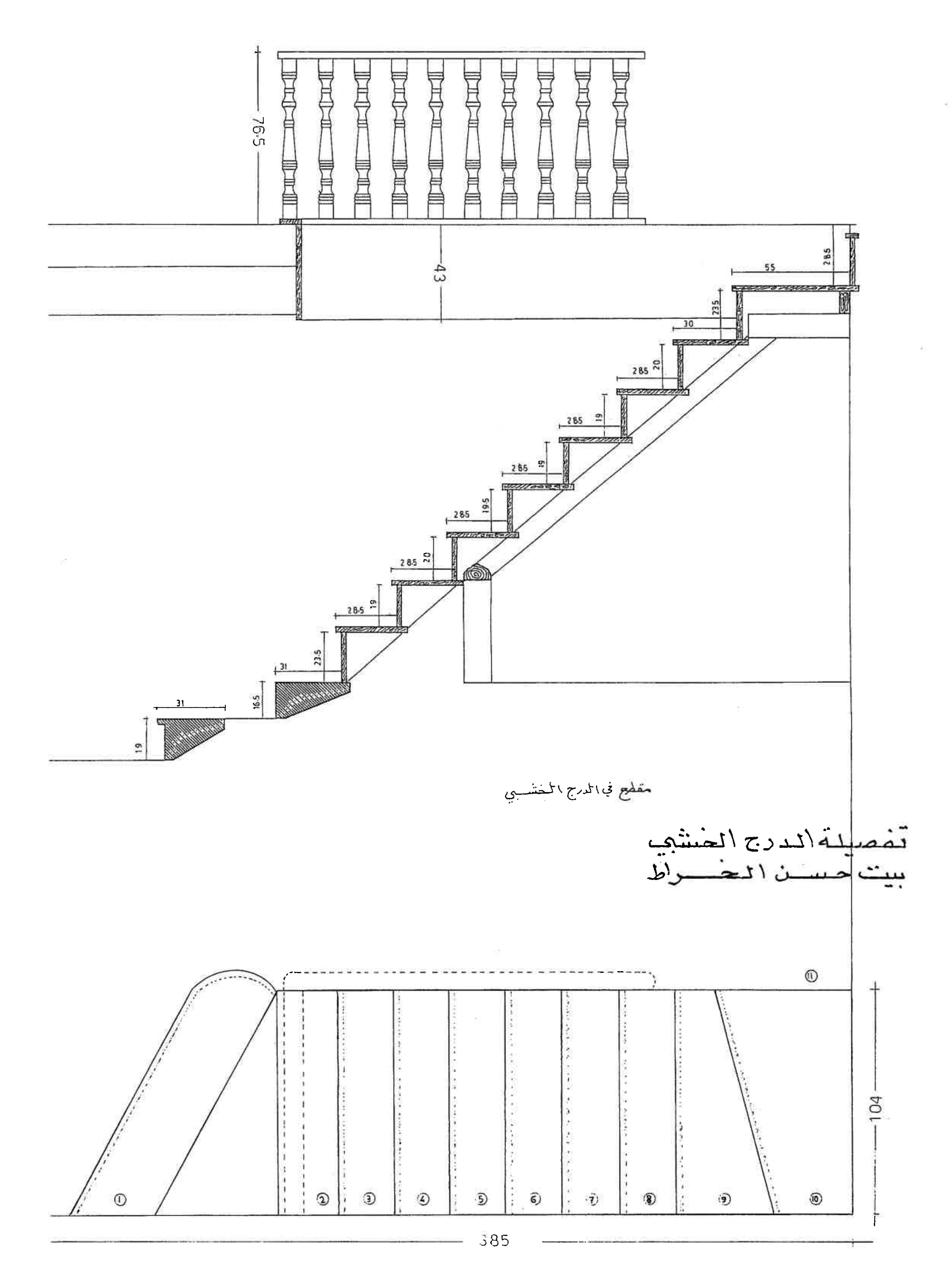
تفصيلة الدرج
الحجري المنحوت
بيت حسن الخراط

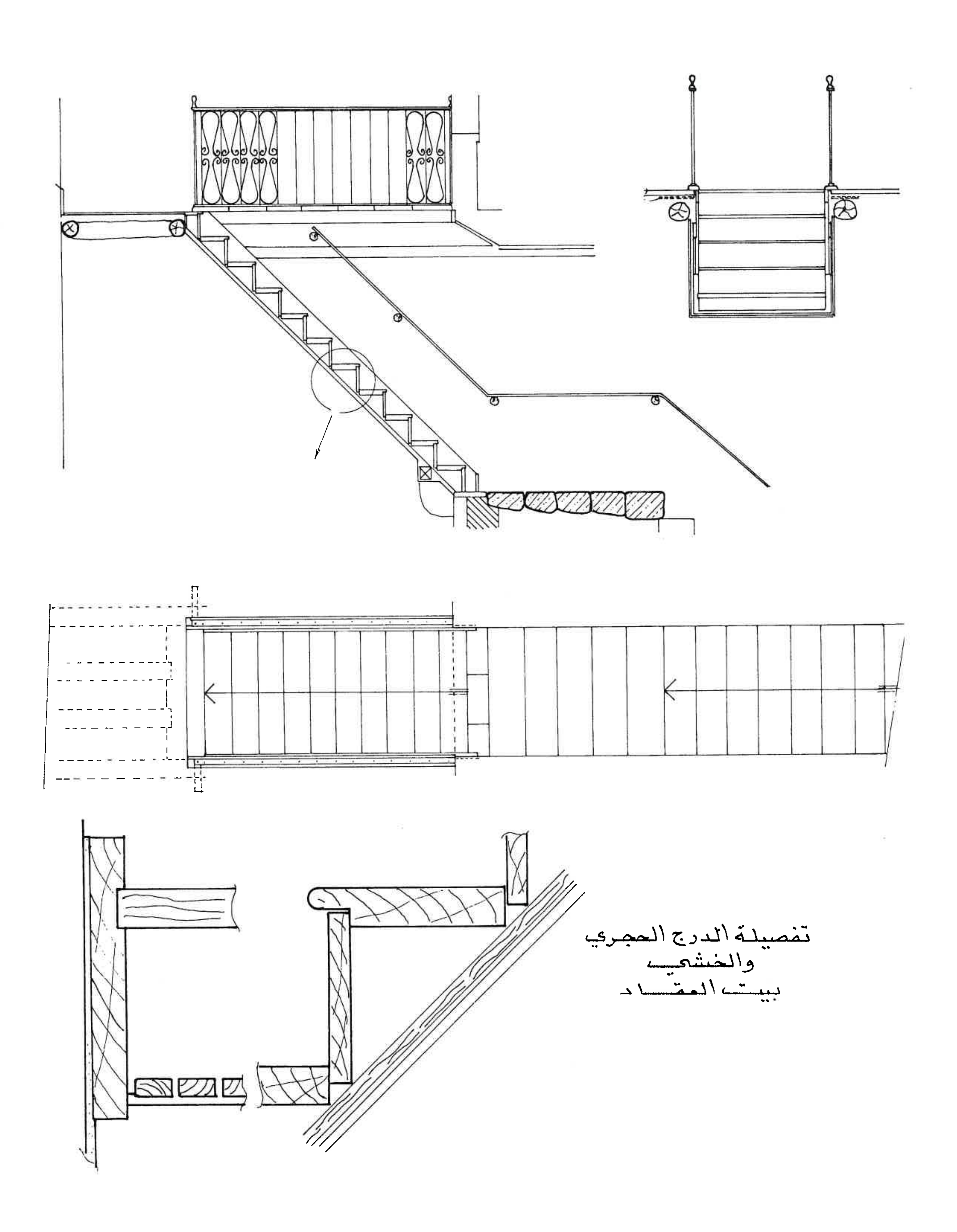
+490
+30
8 | 18 | 21.5 | 22 | 24.5 | 24 | 21 | 21.5 | 24 | 23 | 23 | 21 | 21 | 23 | 21.5 | 23.5 | 23 | 26 | 23
A
A

مقطع تفصيلي A _ A
مقياس ١/٢٥

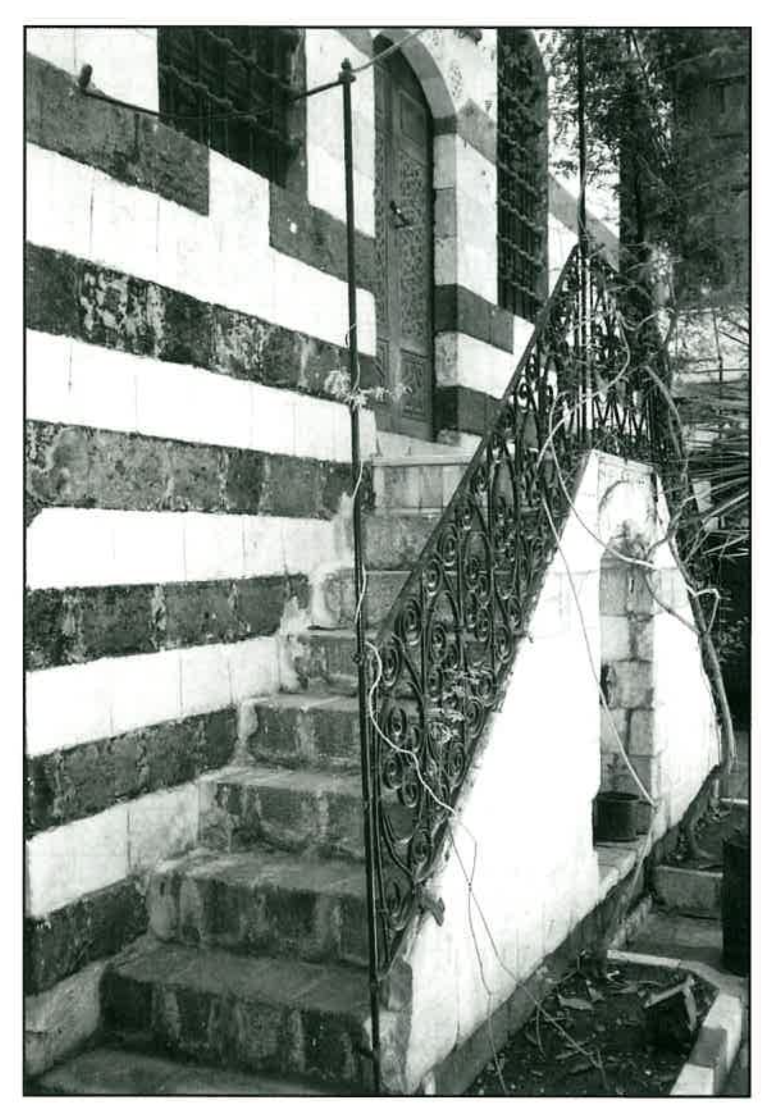
مسقط تفصيلي للدرج
مقياس ١/٢٥

تفصيلة الدرج الحجري
بيت مباردي

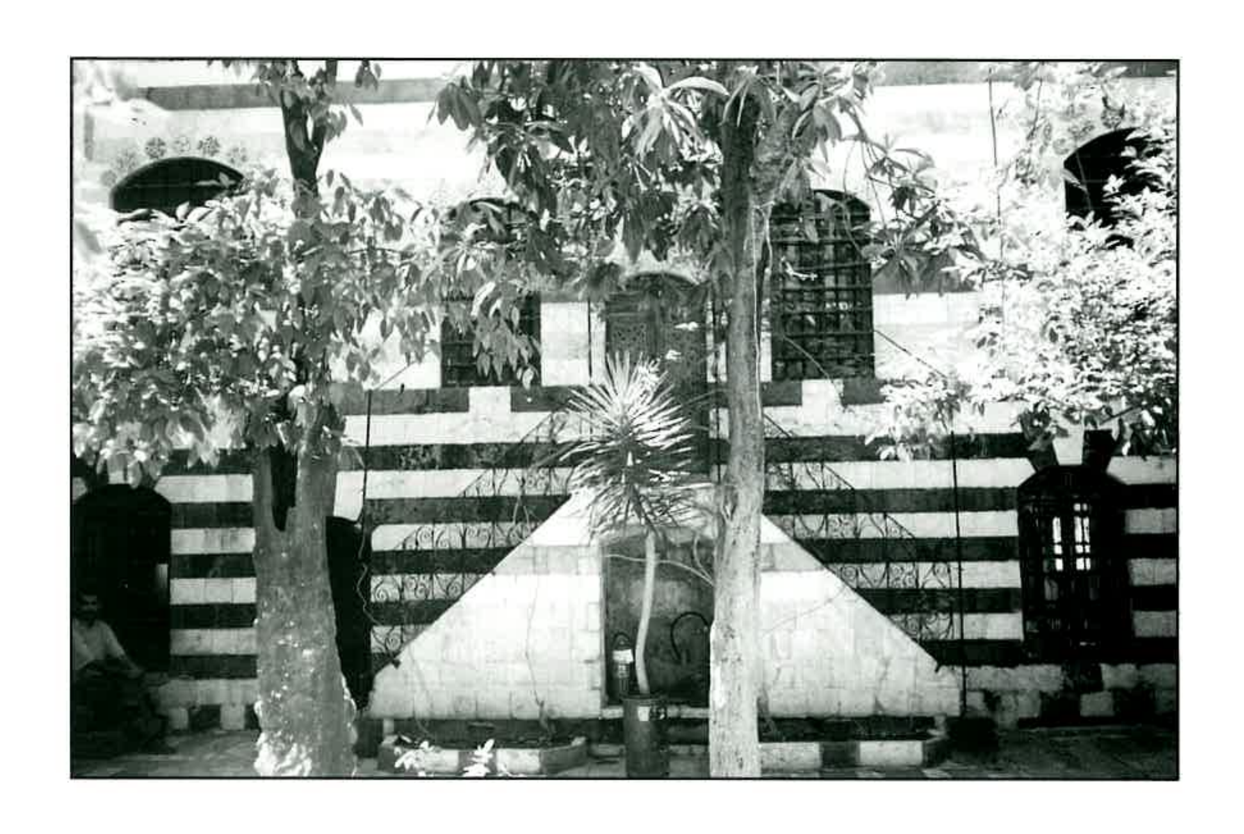

76.5
43
55
28.5
23.5
30
20
19
19.5
31
16.5
104
385
مقطع في الدرج الخشبي
تفصيلة الدرج الخشبي
بيت حسن الخراط
مسقط الدرج الخشبي

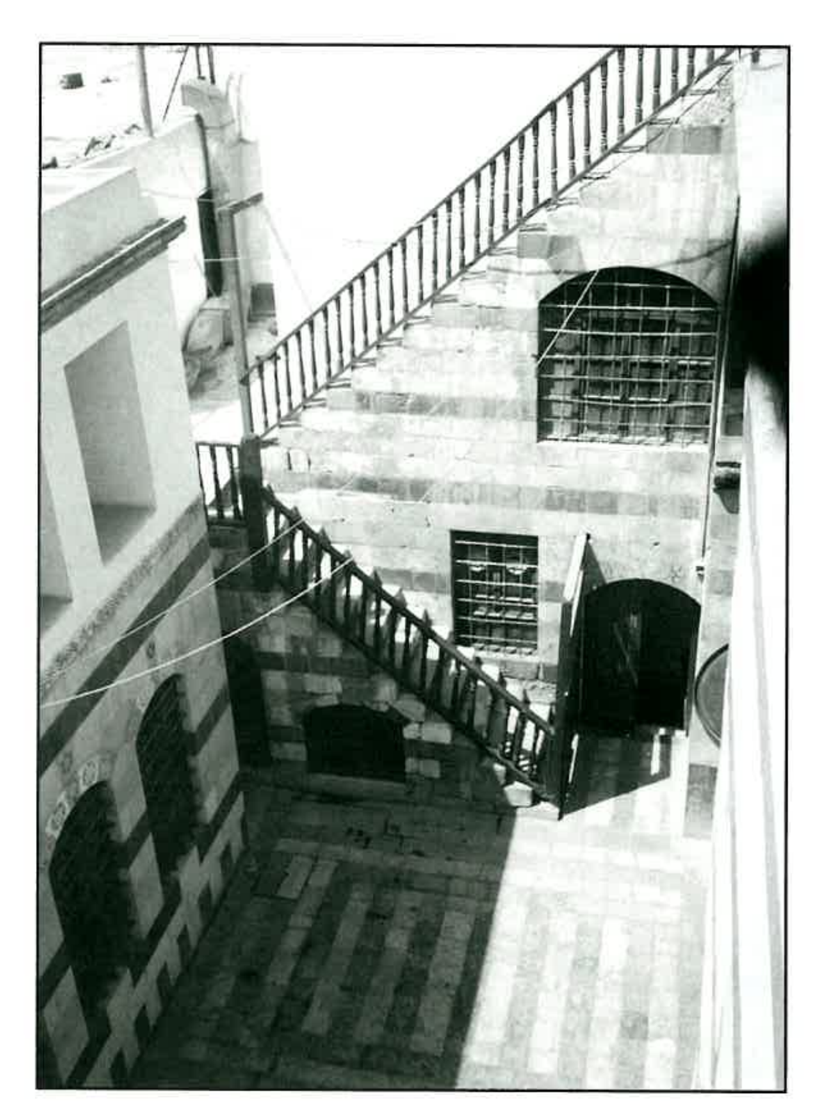


تفصيلة الدرج الحجري
والخشبي
بيت العقاد



درج بشاحطين لقاعة
بيت السباعي





درج خارجي

- قصر العظم -



درج خارجي

- بيت الخالدي -

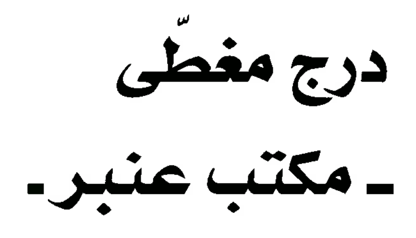




درج مغطى

- قصر العظم -





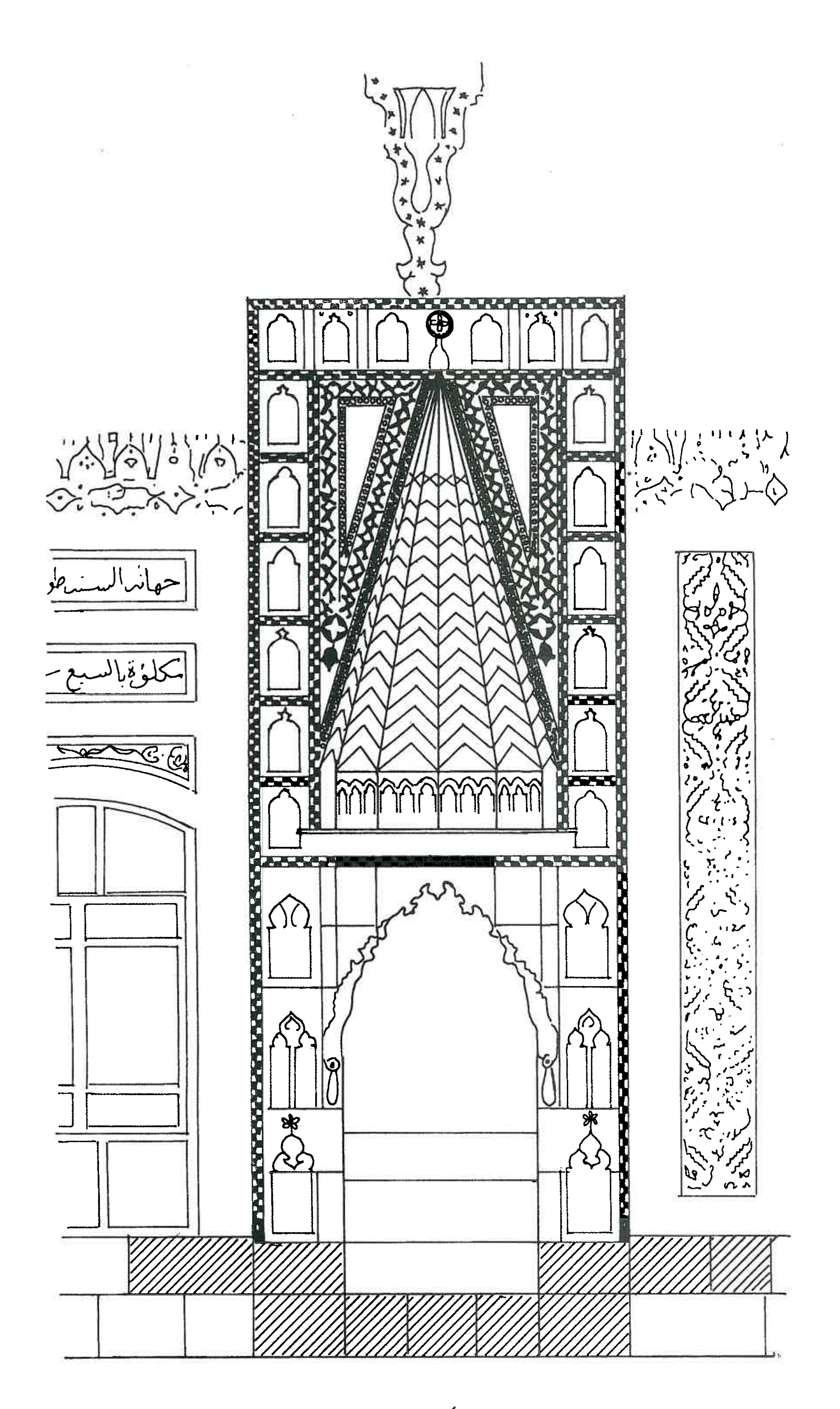
درج مغطّى

- مكتب عنبر-

١٧- المـدفـأة

كانت المدفأة في البيت الدمشقي تغني عن أيّة وسيلة أخرى للتدفئة .

فقد كانت تبنى بالآجر ثم تزين بعد بنائها بقطع الرخام المشقف والمزخرف . وغالباً تكون ذات غطاء مخروطي مزين بالحجر المشقف كما في مدفأة قصر العظم .



المدفأة
في قصر العظم

١-١١٦



المدفأة في قصر العظم

١٨- الكانون

☆الصباغ ، الخدملك ، ص٥٠

☆هو مكان طهي الطعام وهو العنصر الأكثر أهمية من الناحية المعمارية في المطبخ كونه عنصراً واضحاً وظاهراً للعيان .

أقسامها :

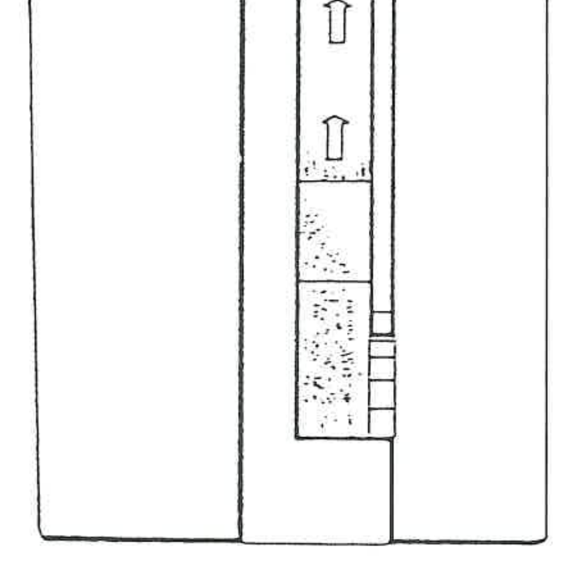
يتألف الكانون من أربعة أقسام رئيسية وهي على التوالي :

١- **الوجاء :** مكان وضع الجمر إذ يحتوي على رؤوس تسمى كل واحدة منها كانوناً ، وقد يرتكز الوجاء على الأرض أو يرتفع عنها بثلاثة أو أربعة مداميك حجرية .

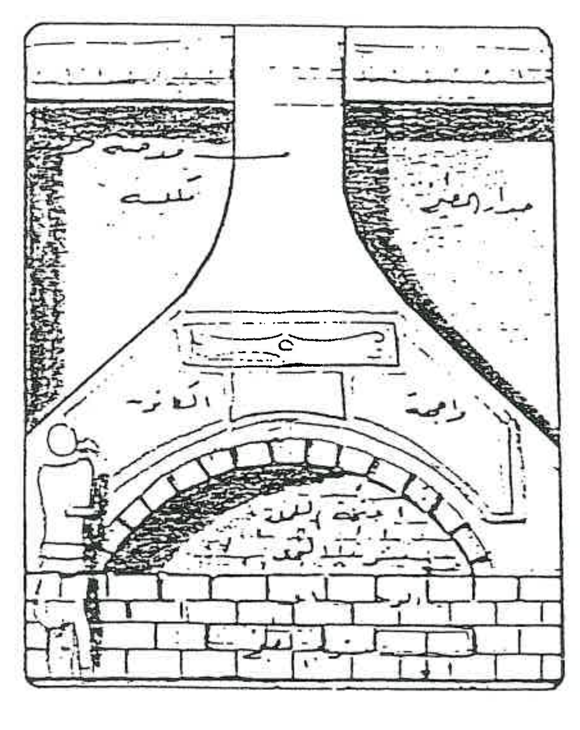
٢- **فتحة العمل :** فتحة قوسية حجرية على عرض الكانون .

٣- **واجهة الكانون :** العنصر الجامع للدخان والأبخرة .

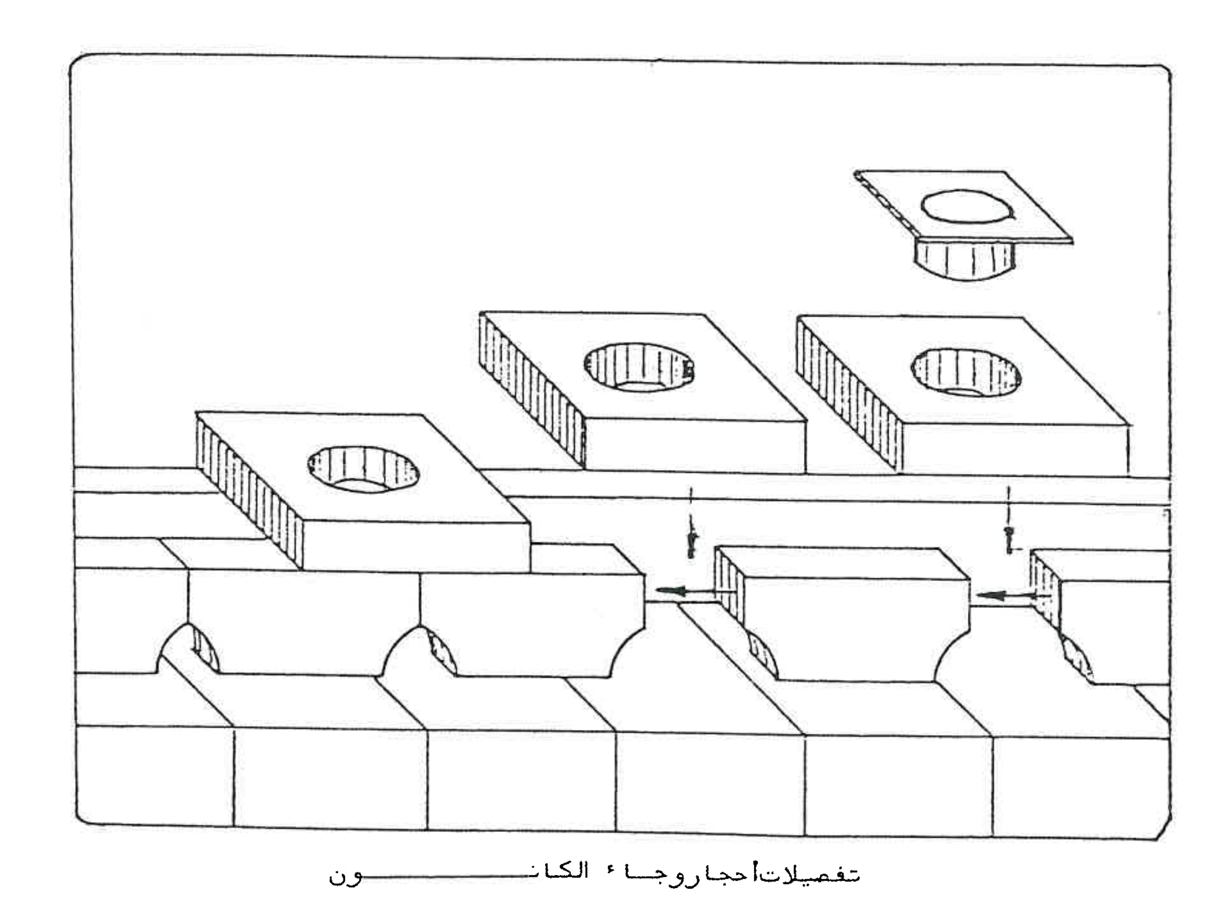
٤- **المدخنة :** العنصر الساحب للدخان .



مقطـع في الكـانـون (المدخنة)



واجهة الكانون

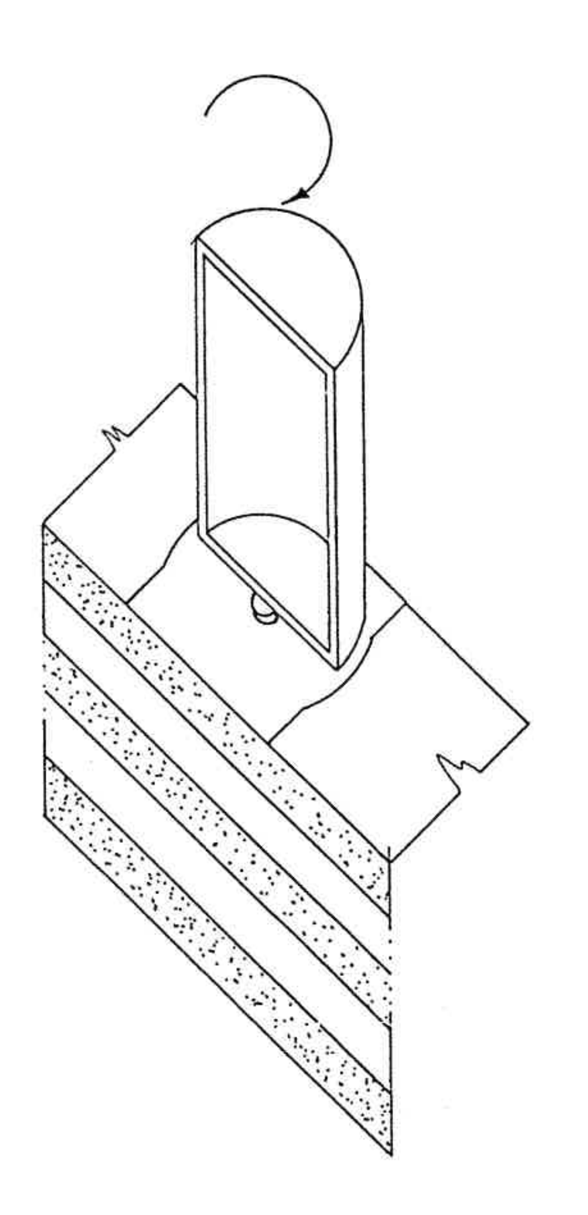


تفصيلات أحجار وجـاء الكانـــــــون

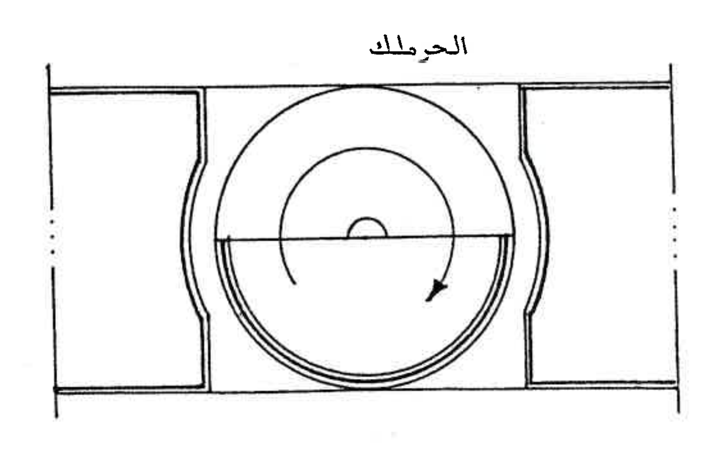
١٩ - المضياف

☆الصباغ ، الخدملك ، ص م-٥

☆عبارة عن نصف برميل خشبي قطره ٦٠ سم تقريباً مفتوح من طرفه المستطيل على كامل ارتفاعه ، ويستخدم للضيافة بين الحرملك والسلاملك ، وذلك ضمانةً للسترة ولحجب منطقة التخديم عن أعين الضيوف ، كما في منزل خالد بك العظم في سوق ساروجة .



مقطع إيزومتري



المضياف

المسقط



المضيـــــاف

ـ بيت خالد بك العظم ـ



٢٠- الــزخــارف

آ- مقدمــة :

لاتكاد ترى بيتاً دمشقياً لايزدهي بالزخارف المرسومة أو المحفورة أو المنقوشة أو المصورة ، والتي تغطي جدرانه وسقوفه وأرضه .

☆د. بهنسي ، جمالية الزخرفة العربية ، ص٤

☆وليست الزخرفة العربية بجرد تزويق يُحسّن من الشيء المزخرف ، بل هل عملية فنية يُقصد بها رفع مستوى هذا الشيء من صفته الاستعمالية أو الشكلية العادية إلى مستوى الشيء الفني ، فهي ترفع من مستوى البيئة المعيشية فتجعلها بيئة فنية حضارية متميزة .

☆سعدية ، دمشق الشام ، ص١٣٠

☆وقد برع الفنان الدمشقي بابتكار الأشكال والزخارف والنقوش في رسومه واستخدمها بمهارة فائقة في العمارة والتزيينات الداخلية في البيوت الدمشقية . وقد استخدم في ذلك الرسوم النباتية والأشكال الهندسية والخط العربي بأشكال مبتكرة في غاية الذوق والرفعة ، حيث استخدمت في تزيين سقوف الغرف وجدرانها واستعملت الألوان الزاهية وتتمازج معها عناقيد المقرنصات الجدارية البارزة ، وجميع هذه الفنون تصنع بمواد محلية من خشب وألوان وحجر ورخام ..

ولا تجد في البيت الدمشقي زخارف تشبيهية بالإنسان والحيوان فقد ثبتت كراهيتها تبعاً لحديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مع السيدة عائشة رضي الله عنها : "يُعذّب المصوّرون الذين يُضاهون بخلق الله"☆.

☆د. بهنسي ، دمشق الشام ، ص١٠٠

ب- أقسـامها :

☆ تنقسم الزخارف إلى ثلاثة أقسام أساسية :

☆زين العابدين ، البيت العربي والبيت التركي، ص٢٦٥

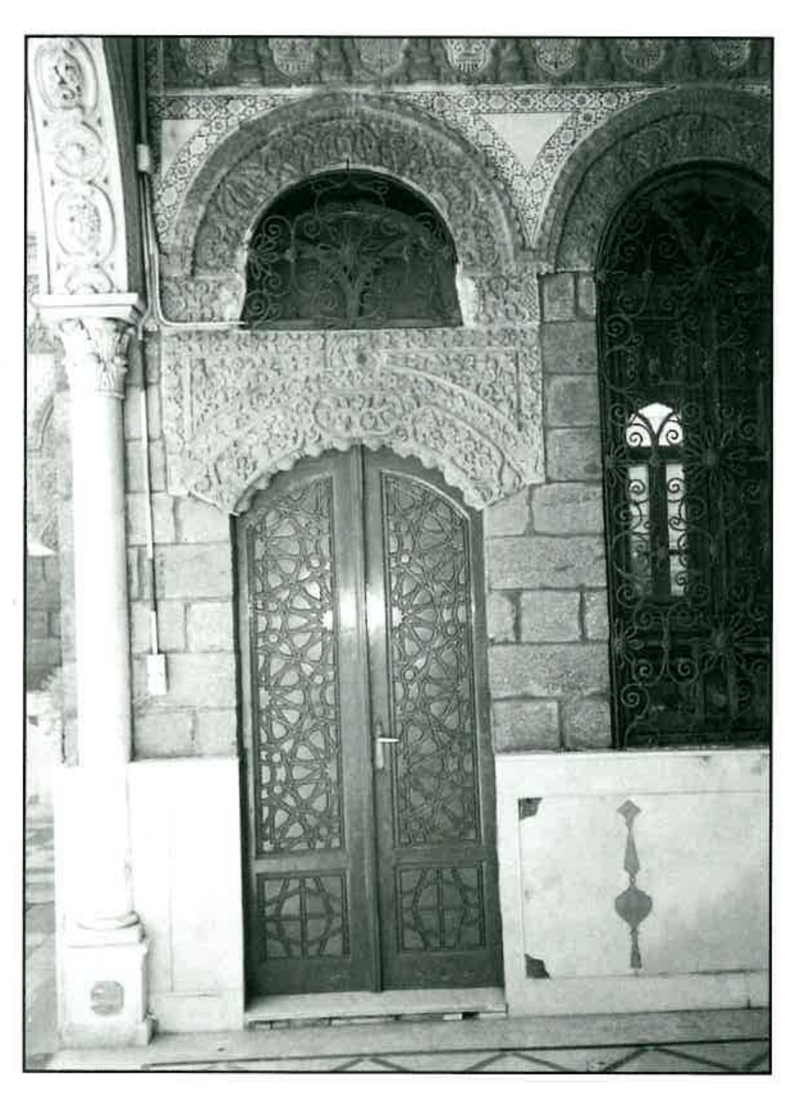
١- زخارف نباتية : وهي عناصر زخرفية مستمدة من الأوراق والفروع والأزهار .

٢- زخارف هندسية : وهي عناصر زخرفية مستمدة من الخطوط والأشكال الهندسية المنتظمة والمتشابكة والمتداخلة .

٣- زخارف كتابية : وهي عناصر زخرفية تتألف من الخط الكوفي والثلثي بشكل رئيسي والفارسي والنسخي وغيره بشكل ثانوي .

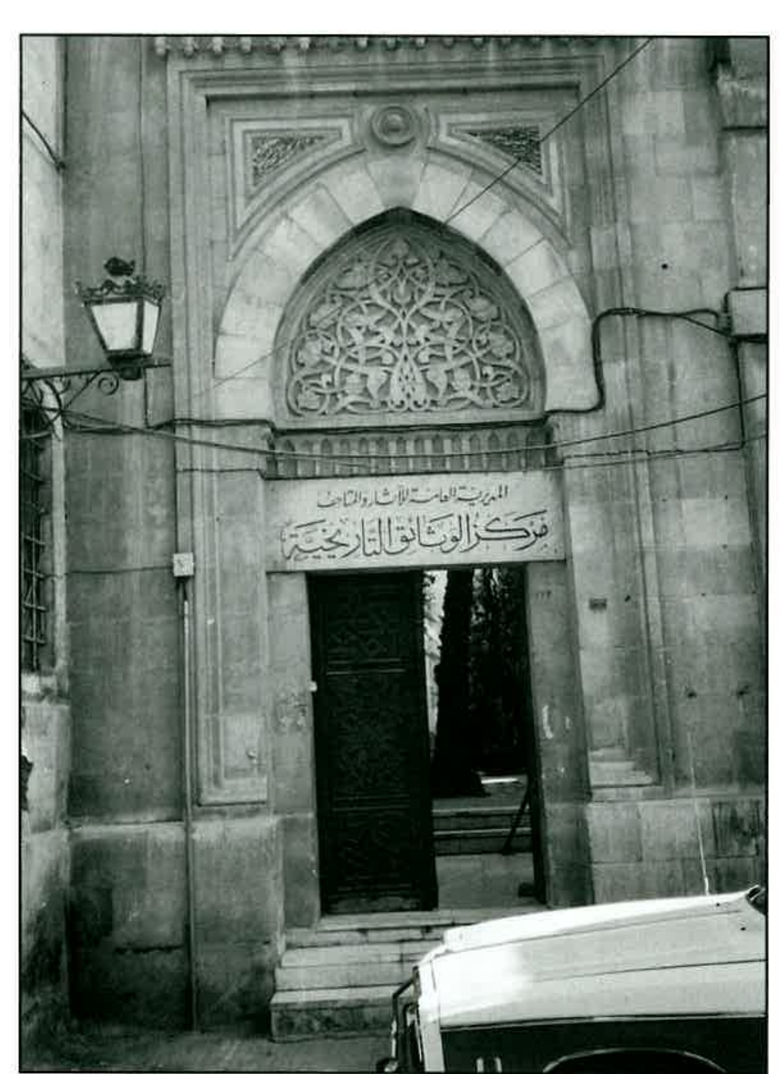
جـ - أنـواع موادهـا :

تتنوع المواد المستعملة في الزخرفة إلى خمسة أنواع رئيسية :

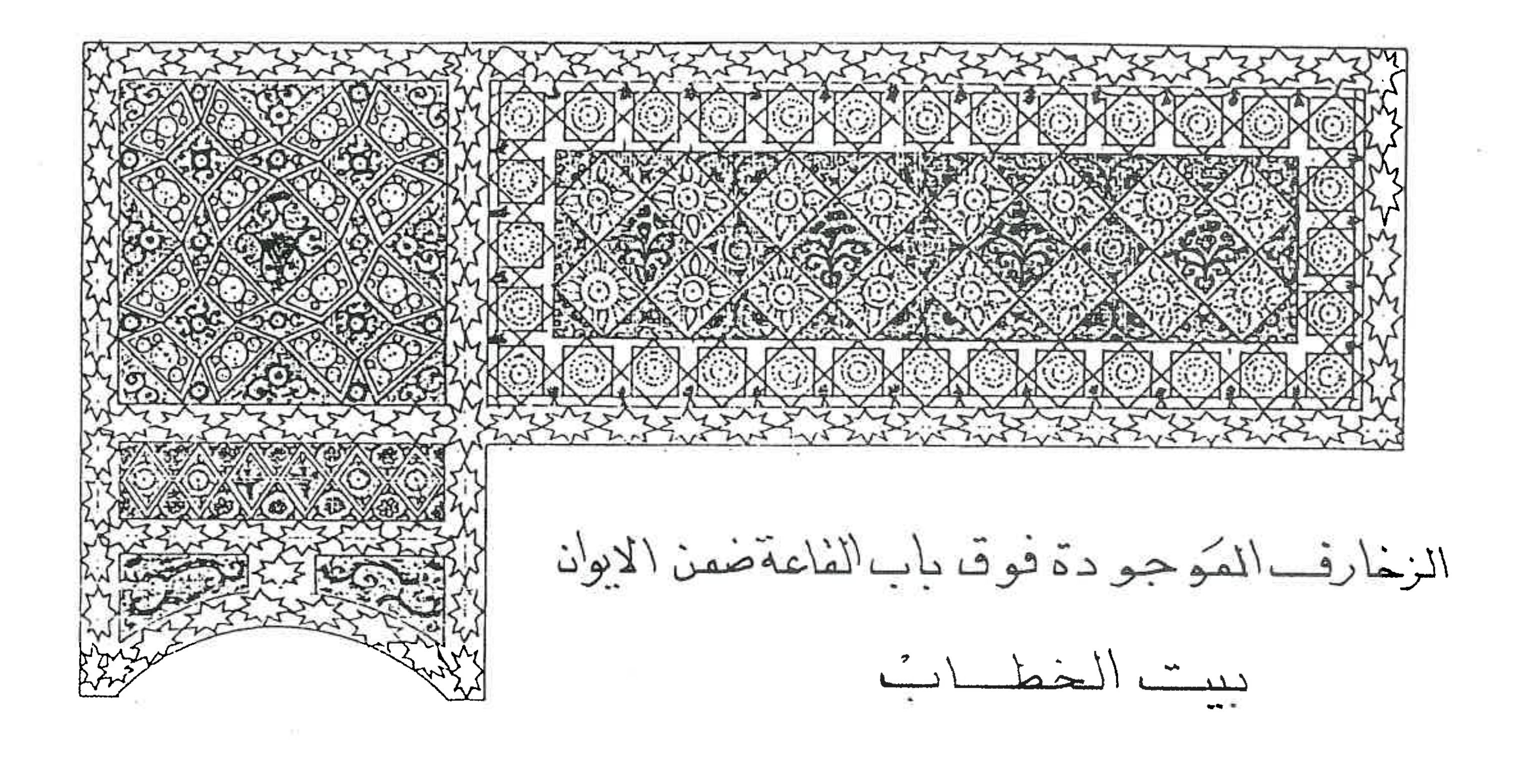


مكتب عنبر

زخارف نباتية

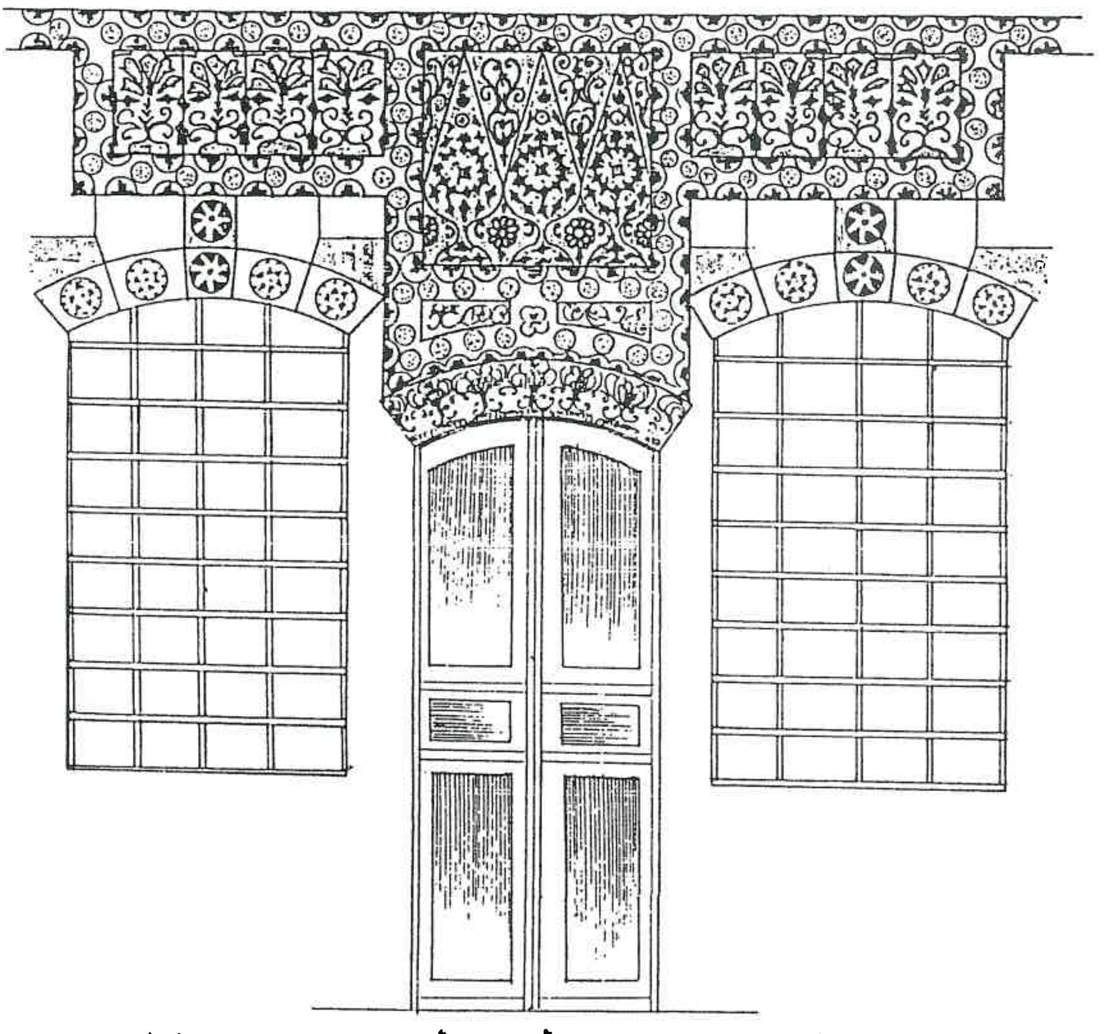


بيت خالد بك العظم



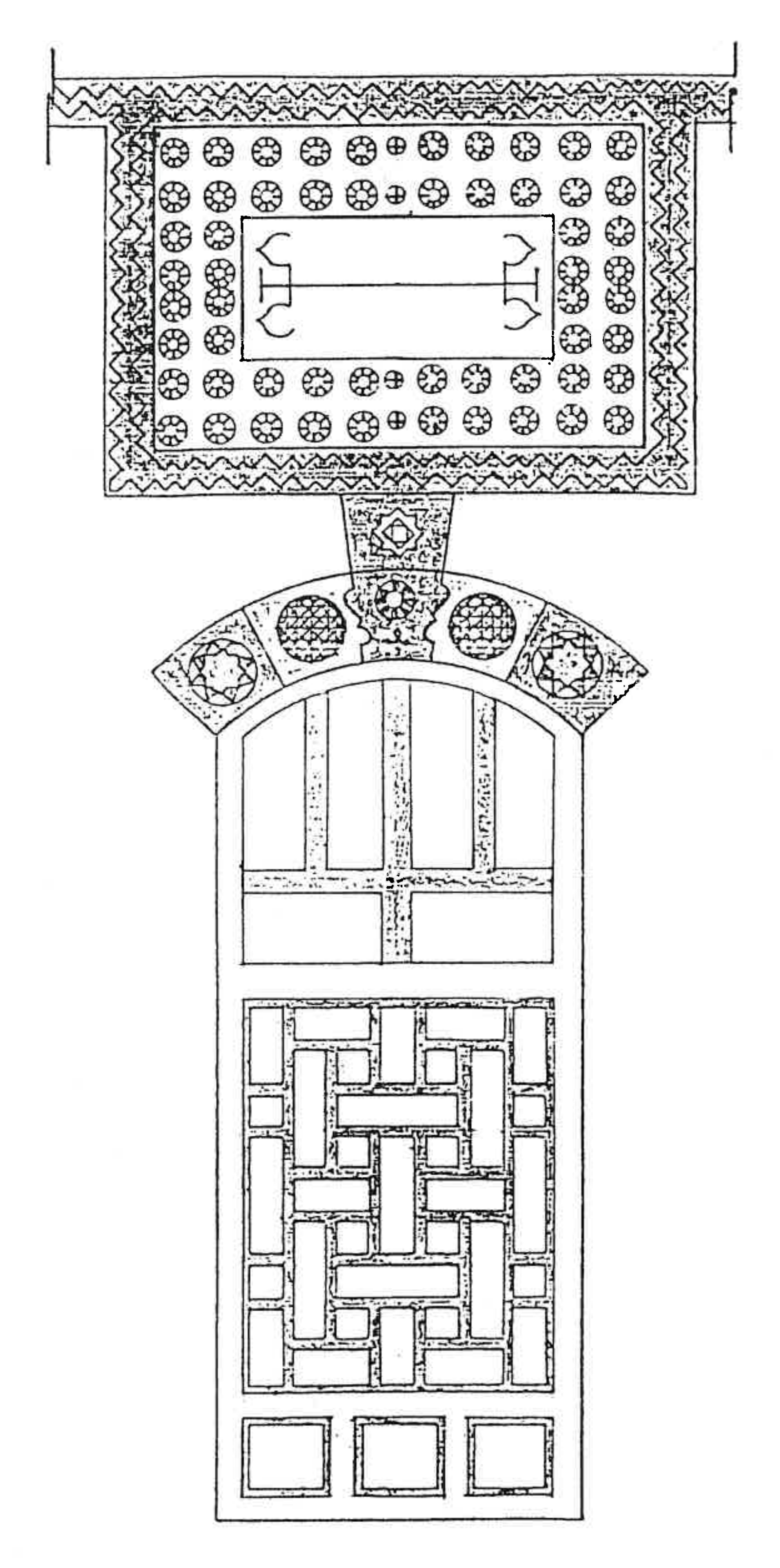
الزخارف الموجودة فوق باب القاعة ضمن الايوان

بيت الخطاب



الزخارف الموجودة فوق أحد أبواب الواجهة الغربية

بيت الخطاب



الزخرفة الموجودة فوق الباب في الواجهة الغربية للصحن

بيت الخطاب

١- الحجر : بأنواعه وألوانه كالبازلتي الأسود والكلسي الكهرماني والأحمر والأصفر والعاجي والمزاوي الأحمر .

٢- الرخام : بأنواعه وألوانه كالأصفر والقرمزي والرمادي والأبيض والأسود .

٣- الخشب : بأنواعه الرئيسية الجوز والحور .

٤- الزجاج : بالتغطيات للفتحات بألوانه المختلفة .

٥- القيشاني : بنوعيه من الخزف المطلي بالزجاج أو من الآجر المكسو بالغضار الصيني الملون المشوي الأملس البرّاق .

وأما الزخارف على الحجر والرخام :

☆فهي تعتمد بالدرجة الأولى على العناصر الهندسية وقليل منها على العنصر النباتي :

☆ ملاح ، الكتابي والخراستين والمصبات في بيوت دمشق القديمة ،ص٣-٤

أ- العناصر الهندسية الكبيرة :

دوائر - مثلثات - مربعات - مستطيلات - مسدسات - مثمنات - أشكال هندسية غير منتظمة لكنها متوازنة بالتكرار .

ب- العناصر الهندسية الدقيقة : نستطيع أن نقول إنّها تمثل في الترخيم العربي أعلى درجات نضجه وهي تعطي في هذا المضمار مثلاً صادقاً عن أصالة الفن العربي الدمشقي الذي اكتمل منذ القرن الثاني عشر الميلادي واستمر إلى القرن الثامن عشر .

ج- العناصر الحجرية السوداء والبيضاء : بدأ الفن المعماري الدمشقي باستعمال المداميك البيضاء والسوداء منذ العهد المملوكي ثم توقف حين بدأ التأثر بالفن الأوربي وخصوصاً الإيطالي.

د- الخيوط التزيينية :

وهي تحيط بالألواح الرخامية والأقواس كما في قاعة بيت السباعي الرئيسية وهي مؤلفة من زخارف هندسية تتضمن بعض العناصر النباتية الخاضعة لتنسيق هندسي أو من خيطين متشابكين ورفيعين ، وعرفت هذه الخيوط منذ العهد الأيوبي وحافظت على مكانتها في العهد العثماني حتى القرن الثامن عشر الميلادي .

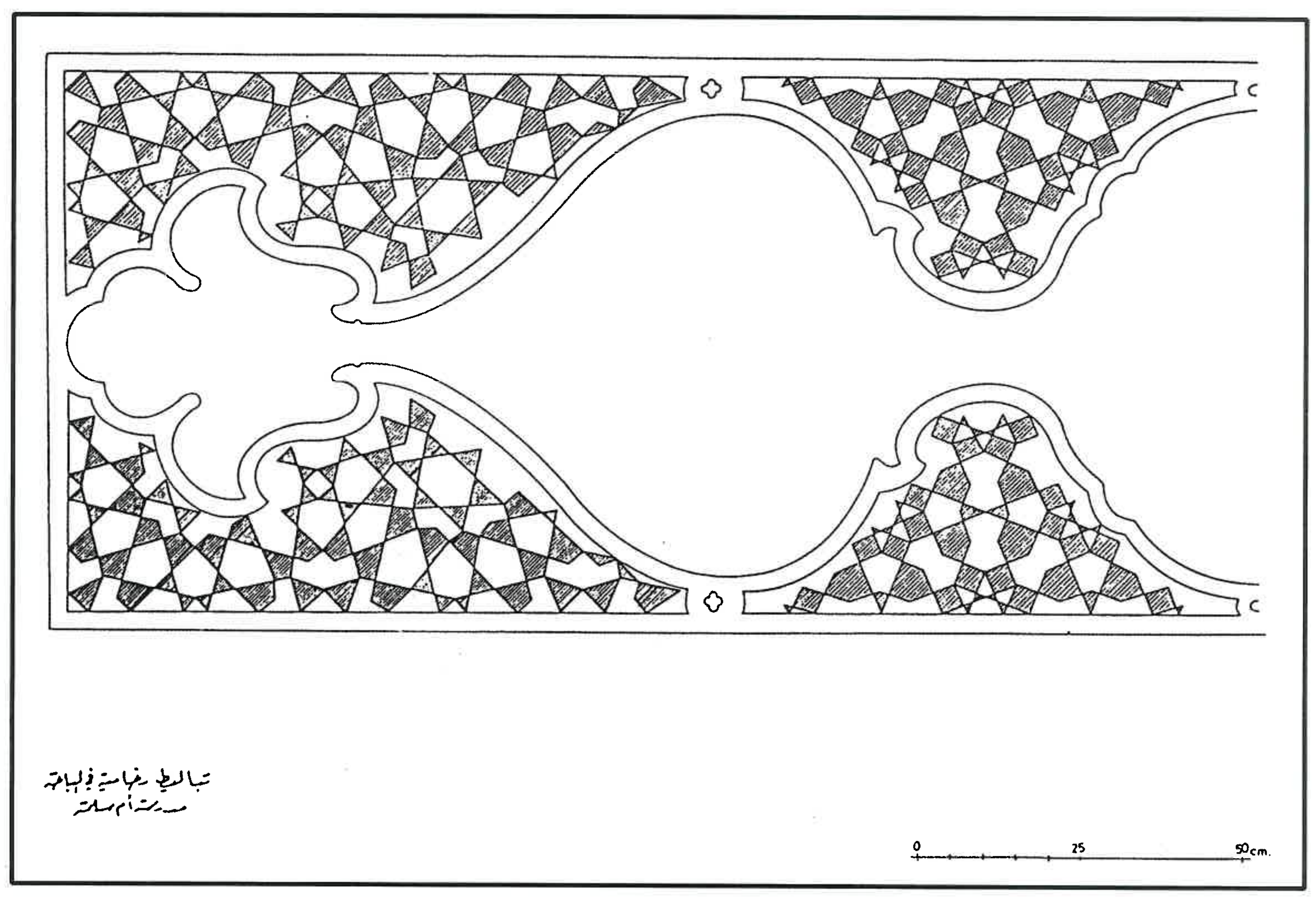


زخـــارف
بيت خالد بك العظم



تبليط رخامية في الباحة
مدرسة أم سلطان.

0 25 50 cm.



تبليط رخامية في الباحة
مدرسة أم سلطان

0 25 50cm.

هـ - المقرنصات :

المقرنص هو تركيب هندسي دقيق يعتبر أجمل إبداع عربي ، وانتشر استعمال هذا العنصر التزييني في القرن الثاني عشر الميلادي واستمر في جميع العهود الإسلامية حتى القرن الثامن عشر الميلادي ، كما جاء في القاعة الرئيسية في بيت السباعي والقاعة الرئيسية في بيت نظام .

و- الزخارف النباتية :

وهي حاصلة من تفريغ الأساس مجملة بالذهب وهناك عدة أنواع :

- خيوط مؤلفة من زهرات :

يعتبر هذا الخيط الزخرفي الحادث بالتكامل من أجمل الإنتاج الفني وأجوده ، وهو يدل على مقدرة ملحوظة تحدد مستوى الفن في ذلك العصر ، كما في القاعة الرئيسية في بيت نظام.

- أوراق نباتية مروحية بارزة :

تشبه إلى حد ما ورقة شوكة اليهود وتزين تيجان أعمدة المصبات . وتلاحظ هذه الزخرفة في قاعة بيت نظام الرئيسية .

وأما الزخارف على الخشب :

☆ لتنفيذ الزخرفة على الخشب أنواع متعددة قد تجتمع في قطعة واحدة ، وقد تقتصر الزخرفة على بعض أنواعها وأهمها :

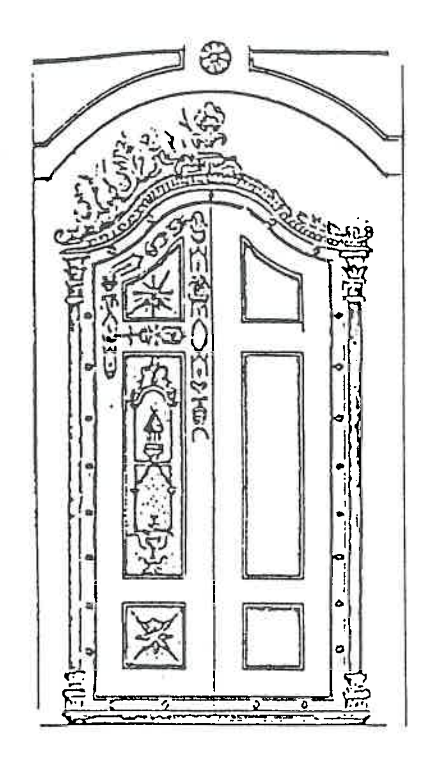
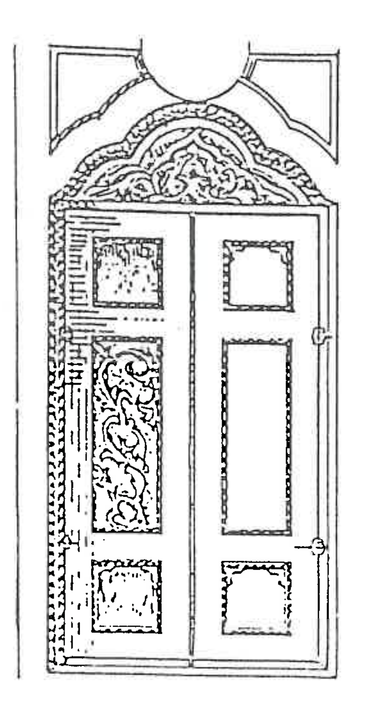
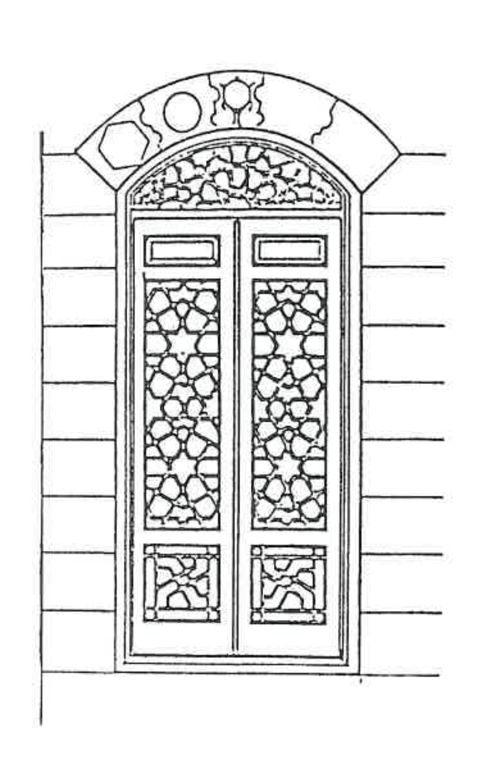
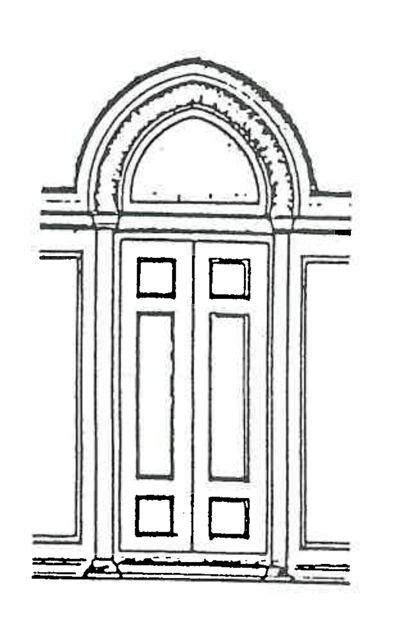
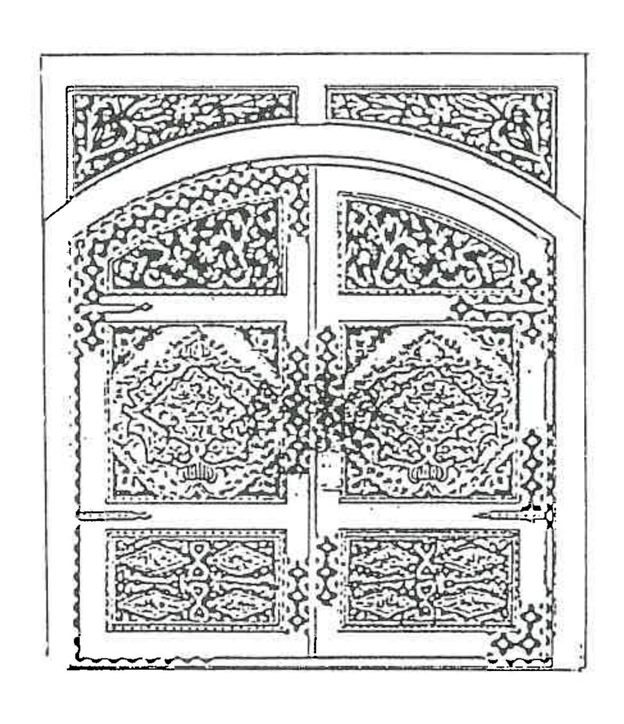
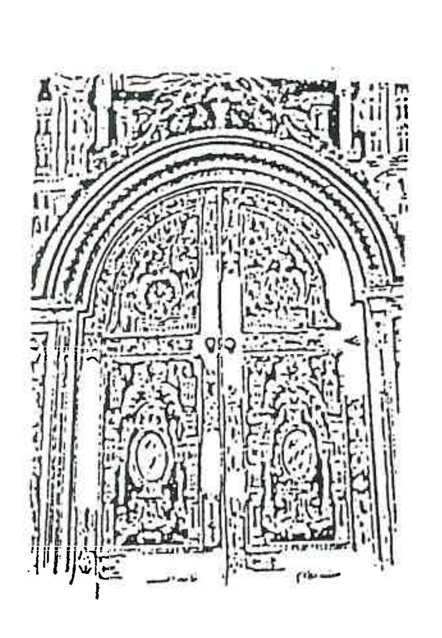
☆ ملاح ، الكتابي والخراستين والمصبات في بيوت دمشق القديمة ، ص٥

أ- الحفر :

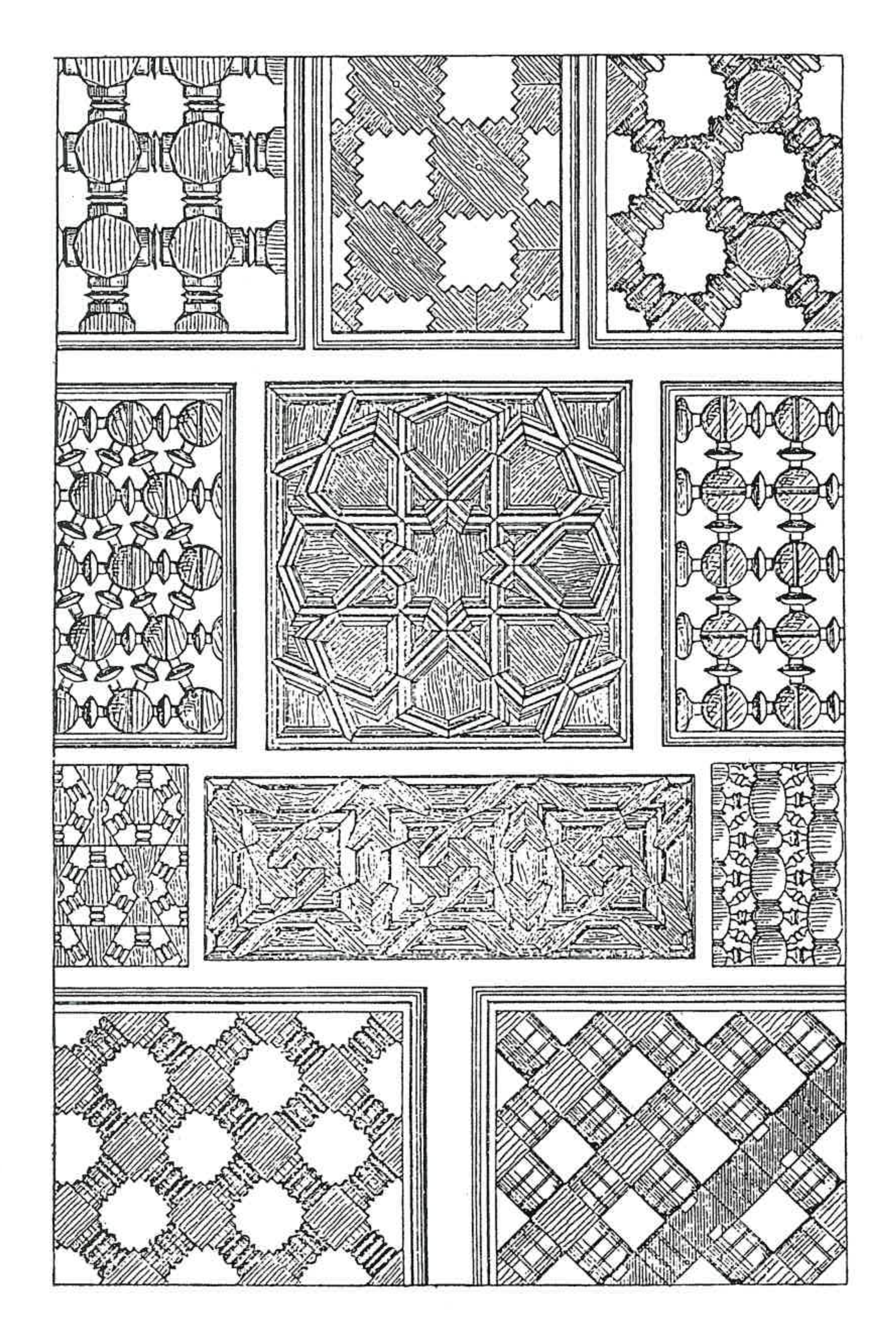
منه الغائر ومنه البارز من جميع أطرافه ومنه البارز المجوف الحادث بتفريغ الأساس ، استعملت هذه الأنواع حسب اللزوم وحسب ما يقتضيه العمل الفني ونجد الحفر البارز بنوعيه في القاعات على الأغلب .

ب- التركيب :

يركب عدد من الأخشاب المتناسقة حسب تصميم مسبق ، وقد يكون هذا التركيب تعشيقاً فيبدو العمل الفني غاية في الإتقان . نجد هذه الصنعة في خيوط مصاريع الأبواب والخيوط الزخرفية بالسقف والمقرنصات .

زخرفة خشبية



خشب خرط (FRANZ)

(د. لمـــعي)

ج- الإضافة :

اضافة حشوات بالشكل مستطيلة أو على شكل إطار فتكون أعلى من مستوى الأساس "المهد" .

د- الدهان :

قد يكون الدهان على الخشب نفسه وقد يلبس الخشب بالقماش أولا ثم يدهن بالألوان ، وإذا أحب الفنان أن تكون عناصره الزخرفية بارزة لجأ أولاً إلى رسم العناصر الفنية ثم يملؤها بمائع جصي فتتشكل نافرة ثم يعود فيدهنها بالألوان ، هذه هي الصنعة التي تمتاز بها قاعاتنا الأثرية .

وأخيراً يحسن بنا أن نذكر أن تنفيذ العناصر الهندسية كان متقناً سواء أكان من حيث الصنعة الخشبية أو من حيث الدهان .

د- طرائق استعمالها :

وتتعدد الطرائق المستعملة في الزخرفة إلى أنواع كثيرة منها :

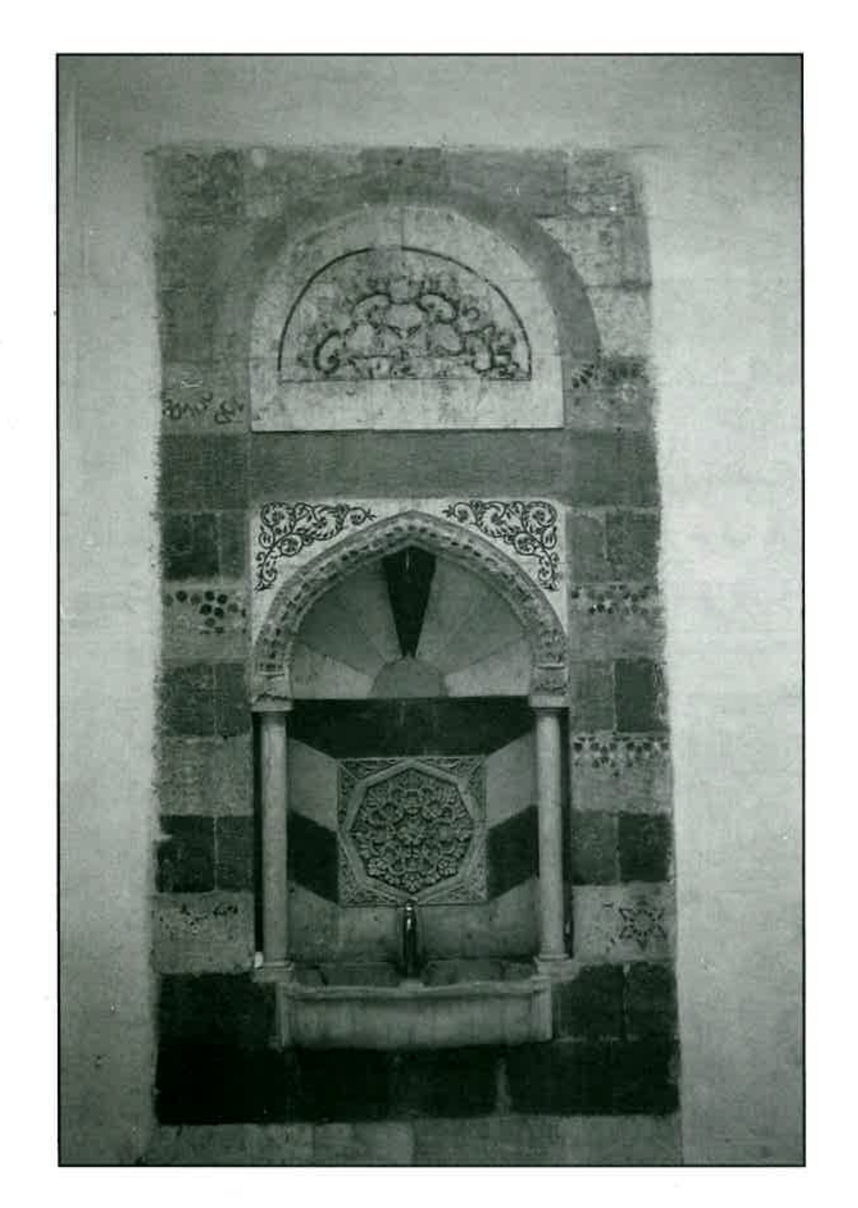
١- النقش
٢- الرسم
٣- التلوين
٤- الحفر
٥- التنزيل
٦- الرصف
٧- النحت
٨- الترصيع
٩- التشبيك

هـ - تشكيلاتها :

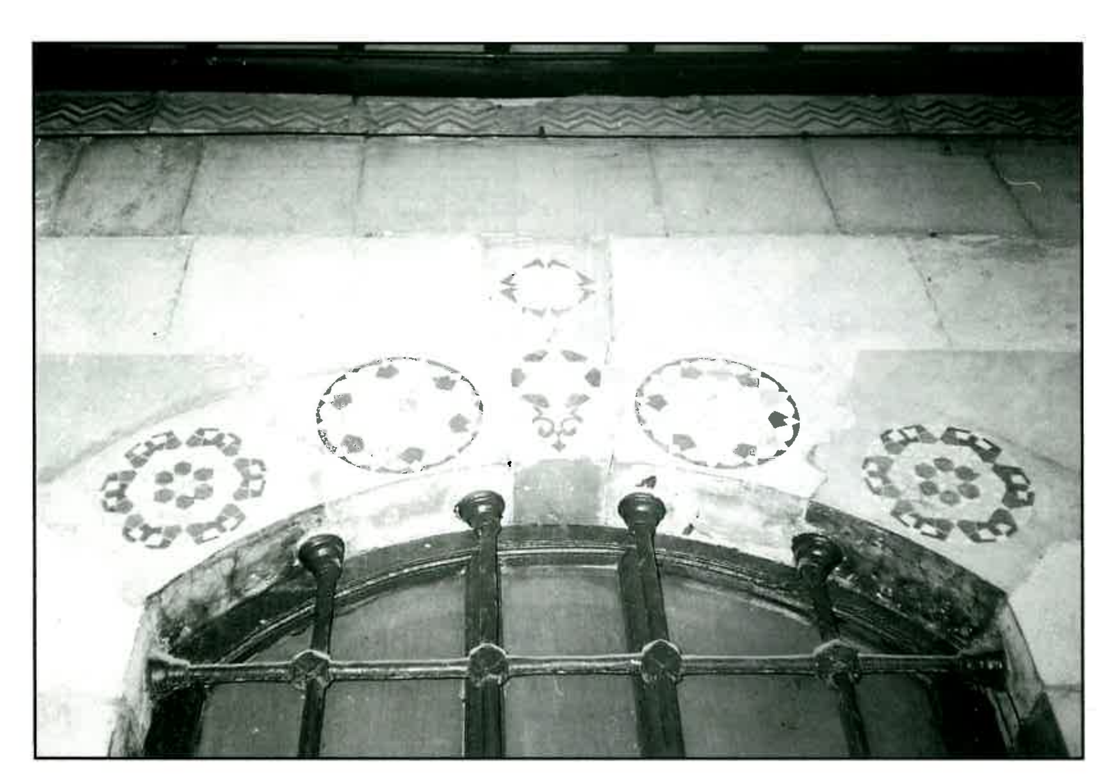
وتختلف التشكيلات الزخرفية إلى أنواع مختلفة نذكر منها :

١- الخيط
٢- المشقف
٣- العجمي
٤- الفسيفساء
٥- الأبلق
٦-المقرنصات
٧-أرابيسك
٨- المعشق

زخارف



بيت خالد بك العظم



قصر العظم

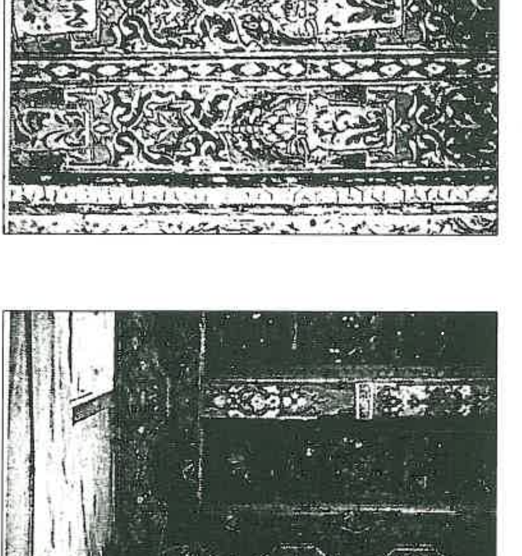
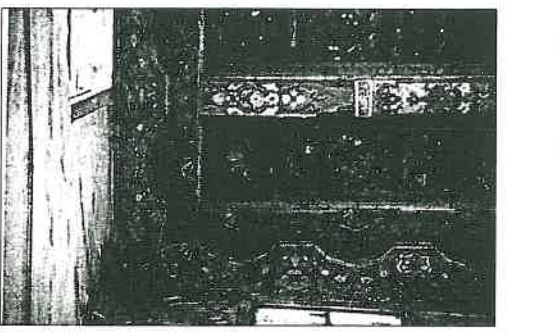
PLAFONDS - Ornaments

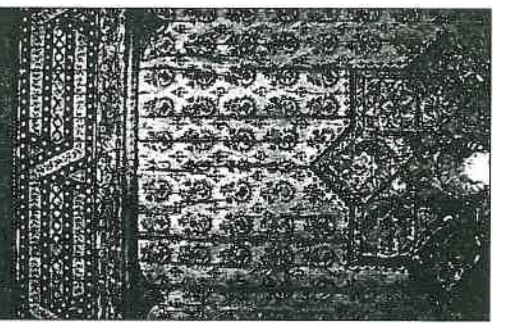
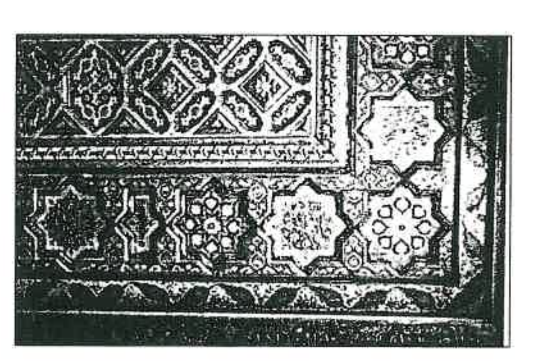
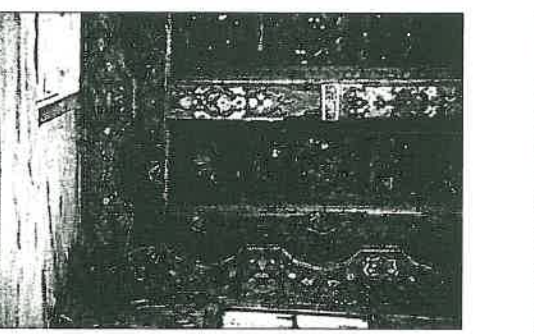
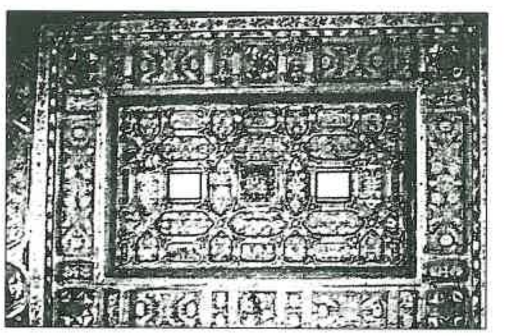
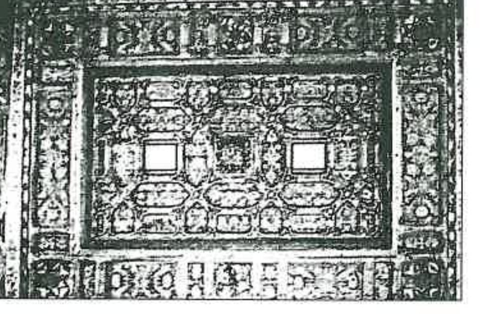
21- Maison SALIM 'TIBA; 'ataba.
22- Maison CHAMI; iwan.
23- idem.
24- Maison JABRI; qa'a.
25- Maison JABRI; tazar.
26- Palais 'AZEM.
27- Maison SIBA'I.
28- Palais 'AZEM.
29- idem.
30- idem.
31- idem.
32- Maison SIBA'I.

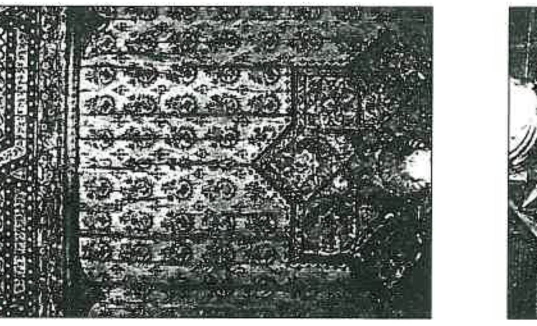
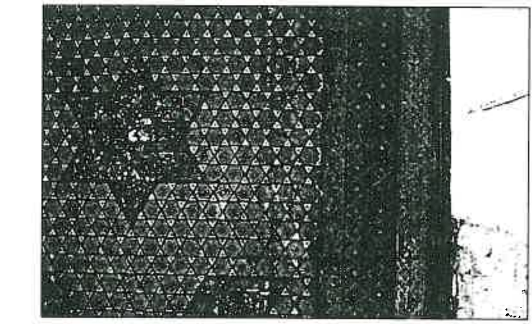
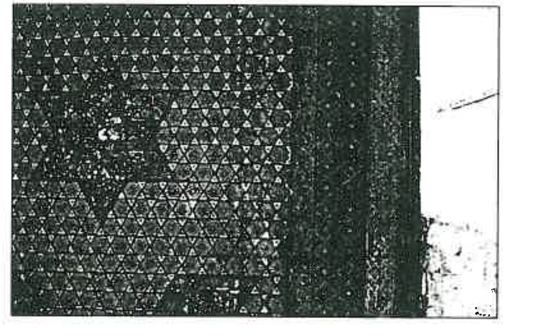
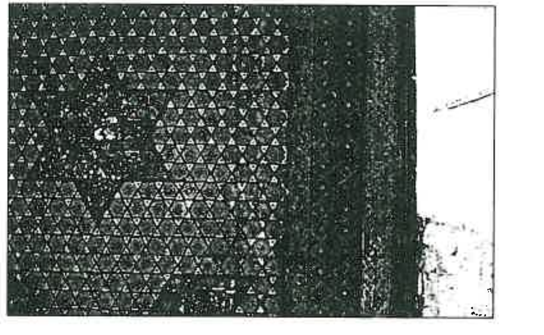
زخارف مختلفة

السقوف - زخارف

٢١ - بيت الطيبي - العتبة
٢٢ - بيت الشامي - الأيوان
٢٣ - بيت الشامي
٢٤ - بيت جبري - القاعة
٢٥ - بيت جبري - الطزر
٢٦ - قصر العظم
٢٧ - بيت السباعي
٢٨ - قصر العظم
٢٩ - قصر العظم
٣٠ - قصر العظم
٣١ - قصر العظم
٣٢ - بيت السباعي

١) الخيــط :

ويصنّع من الخشب بأشكال هندسية متداخلة ومتناظرة ومتتالية فتشكّل سلسلة لاتنتهي من الأشكال الهندسية الخماسية والسداسية والثمانية ومضاعفاتها . تتشابك جميعها لتشكل لوحات فنية رائعة تصنع منها النوافذ والطاولات وغيرها ، مادتها خشب الجوز والليمون ، ويمكن أن يحتوي على زخرفة نباتية ضمنها .

وكذلك عمل من الرخام والحجر وذلك في زخرفة الأرضيات والواجهات .

٢) المشـقف :

وهي عملية رصف الفصوص الرخامية الملونة ، وتتألف هذه الزخرفة الحجرية والرخامية الملونة من تقطيعات هندسية أو نباتية تُرصف مع بعضها بإحكام ودقة لتكون زخرفة صلبة . وقد تتنوع أجناس التقطيعات (الشقف) فتكون من الحجر الملون أو من الصدف أو العظم ، وتكون مربعة أو مستديرة أو مستطيلة أو بيضوية أو مسدسة ومثمنة ومعشّرة وغيرها ، واستعملت كلوحات جدارية وأرضيات وجدران بحرات وغيرها .

٣) العجمي :

☆نوع من الزخرفة البارزة على الخشب المطلي بمعجون نافر ملون بالألوان المختلفة ، تُزّين بها جدران القاعات وحشواتها والغرف والسقوف التي غدت بنقوشها وألوانها الجميلة كقطعة من السجاد ، كما تُزين بها الجسور والأبواب والأعمدة والحليات وأبواب الخزائن الجدارية والمفروشات الخشبية الأخرى ، وأكثر ما تُشاهد في دمشق في البيوتات الكبيرة والتراثية .

☆ د. الشهابي ، زخارف العمارة الإسلامية، ص٢١٥

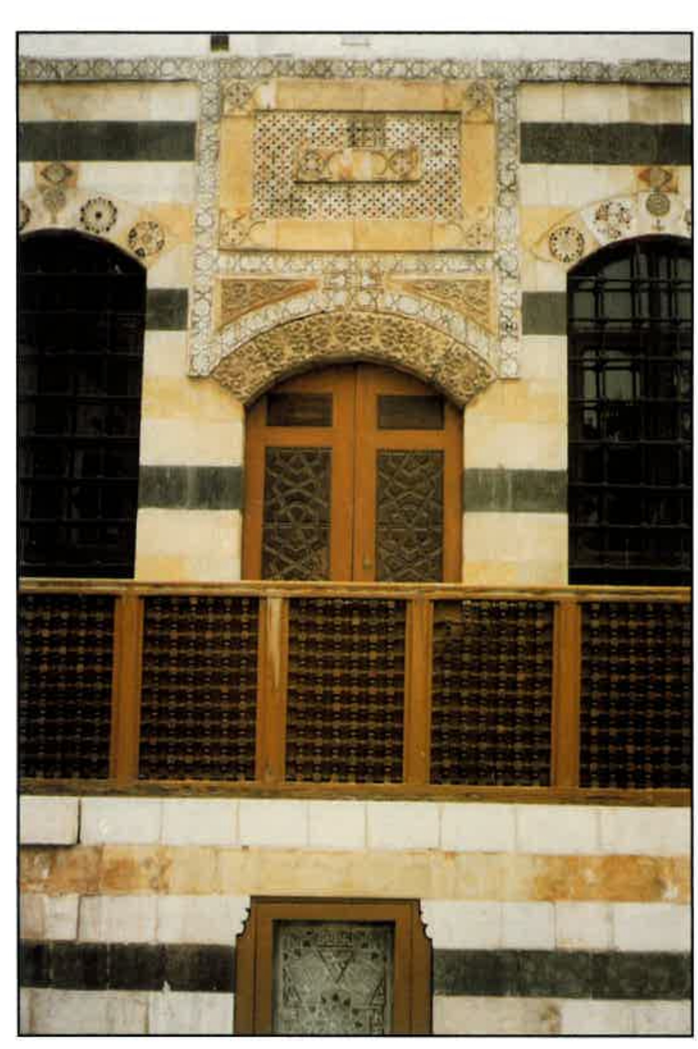
يحضر معجون العجمي من مزيج عدة مواد كالزنك والاسبيداج والجص والكتيرة والغراء ، ويُمرر فوق الخطوط المرسومة على الخشب للأغصان والأوراق ومحيط الأزهار فتبدو نافرة ، وبعد الجفاف يُطلى بالألوان الزاهية ويوشّى بالذهب ويحفظ تحت طبقة من الفرنيش أو الزيت لعزله عن عوامل الطبيعة والمناخ .

دخل العجمي إلى دمشق في العهد العثماني ، وانتشر بديلاً عن التخريم والحفر ، والتزمت زخارفه بالنماذج التوريقية النباتية والكتابات العربية ورسوم الطبيعة من ورود وأزهار وفواكه وما شابه ، وتؤطر هذه الزخارف عادة بالآيات القرآنية أو الكتابات الشعرية المذهبة أو قد تكون هذه ضمن الزخرفة نفسها .

زخـــارف خارجية

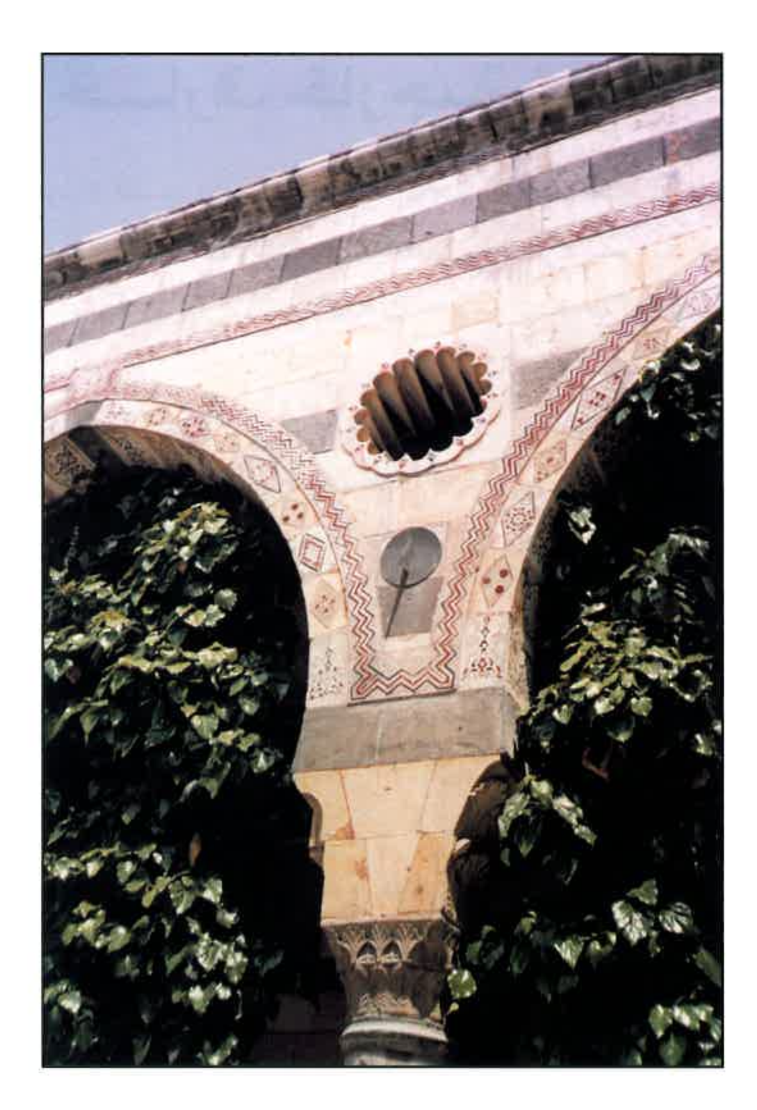


قصـر العظـم

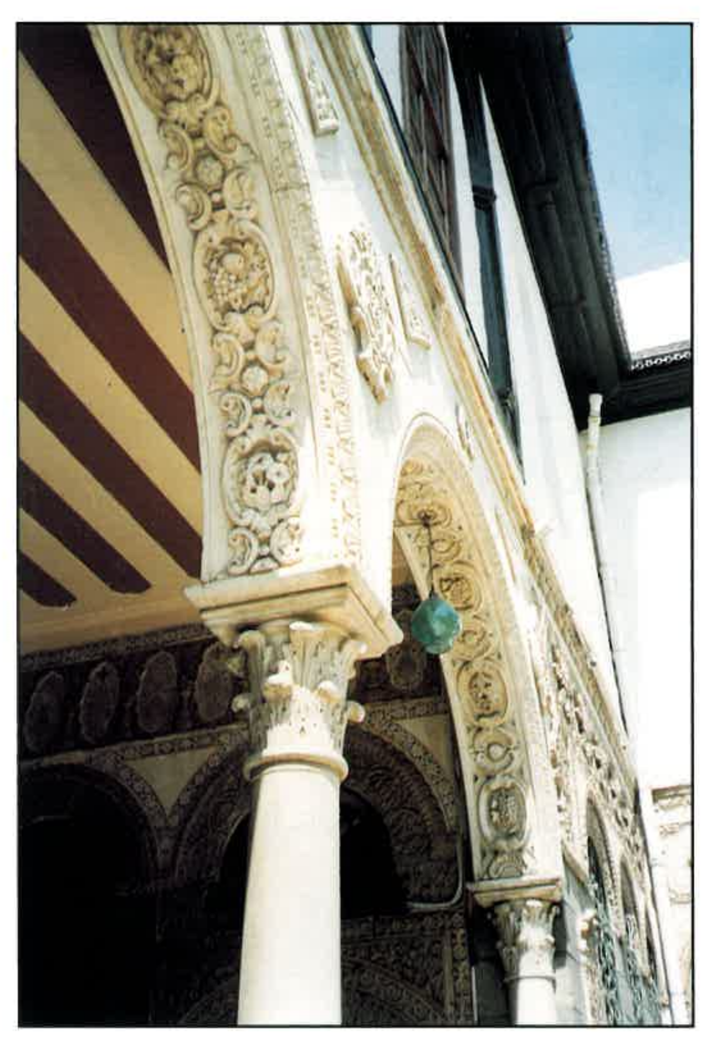


بيت خالد بك العظم

زخارف خارجية



قصـــر العظـم



مكتـــب عنبـــر

٢-١٢٣

٤) الفسيفساء :

☆ فصوص أو قطع صغيرة من الحجر أو الرخام أو الخزف أو الزجاج أو المرايا ، مصقولة الوجه لامعته ، تُرصف بجانب بعضها فتشكل لوحة فنية جدارية أو أرضية .

☆د. الشهابي ، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق ، ص٢٥١

انتشرت لوحات الفسيفساء في زمن الرومان ، وكانت المادة المستعملة في تنفيذها قطع من الحجر والرخام الملونة غير المنتظمة .

وأضاف البيزنطيون إلى الفسيفساء قطعاً من الخزف والزجاج .

وزاد عليها الأمويون القطع المذهبة والقطع ذات البريق المعدني ، المربعة منها والمتعدّدة الأضلاع .

وفي العهود الإسلامية التالية صارت الفسيفساء تصنع من الجص والخزف والمرايا والصدف والقاشاني ، وشملت العقود والمقرنصات والأعمدة والقبوات .

وقد اتقنها أهل الشام وعملوا منها أرضيات وجداريات زخرفية ذات ألوان رائعة ومتناسقة .

٥) الأبلق :

☆الأبلق تسمية تطلق على مداميك الألوان المتناوبة ، وهي الصفوف الحجرية الأفقية التي تتناوب فيها الألوان كالأسود والأبيض ، أو الأحمر والأبيض ، أو الأسود والأصفر ، أو الأحمر والترابي أو البني والترابي ونحوها .

☆د. الشهابي ، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق ، ص١٥-١٦

ويغلب على البيوت الدمشقية استعمال هذا النظام من تناوب مداميك الحجر وطريقة زخرفتها وهي مؤلفة من مداميك "رخام" ذات ألوان ، أسود وأحمر آجري وأصفر ، وتتناوب هذه المداميك الرّخامية لتشكل لوحاً مخططاً تخترقه فتحات النوافذ والأبواب التي تعلوها سواكف أفقية أو محدّبة مؤلفة من أحجار ملونة متناوبة يتوسطها حجر القفل . وهذه السواكف تزين أحياناً بتشكيلات هندسية نجمية فنية محفورة يُنزّل بها معجون ملّون .

على أن رضام الأحجار لا تنهض إلى أعلى واجهات البناء إذ أن حزاماً عريضاً من الجص الأبيض يكون هامشاً تنفتح فيه نوافذ صغيرة هي مناور للغرف والقاعات وراءها .

إن فكرة البناء بالمداميك الحجرية ذات الألوان المتناوبة (الأبلق) قد استمدت من متطلبات فنية أكثر منها احتياجات وظيفية ، فتناوب اللونين الداكن والمشرق في المداميك يخفف إلى حدّ ما من ثقل كتلته بالخداع البصري . كما أن أفقية الخطوط فيه تجعل تلك الكتلة تنساب أفقياً فيبدو البناء أقل ارتفاعاً وأكثر عرضاً.

زخارف داخلية



بيــت نظــام



قاعــة بيــت السباعــي

١٢٤-١

٦) المقرنصات :

☆د. الشهابي ، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق ص٣٢٧

☆وهي من العناصر الزخرفية التي تتميّز بها العمارة الإسلامية عن غيرها ، وبلغ أوجها في العهد المملوكي . والمقرنص حلية معمارية تتألف من مجموعة من المحاريب والحنايا الصغيرة المتراكبة والمترابطة بصفوف وأنساق مدروسة التوزيع والتجميع والتراص فتشبه اقراص الشهد أو خلايا النحل .

وتختلف المادة التي تصنع منها المقرنصات بين الحجر أو الجص أو الخشب حسب وظيفتها ووضعيّتها .

وتتوزع المقرنصات في البيوت الدمشقية على أعلى البوابات ، وأسفل الشرفات ، وزوايا الجدران ، والحنايا الركنية ، والنوافذ الصمّاء.

☆نظيف ، دراسات في العمارة الإسلامية ، ص٧٠

أنواع المقرنصات : ☆

١) المقرنصات ذات المركزين . – الشبيهة بالعقد المخموس
٢) المقرنصات المدببة
٣) المقرنصات الكبيرة
٤) المقرنصات الخاصة ببطنية العقود
٥) مقرنصات تيجان الأعمدة بأنواعها
٦) المقرنصات المركبة
٧) عقد المقرنصات

٧) أرابيسك :

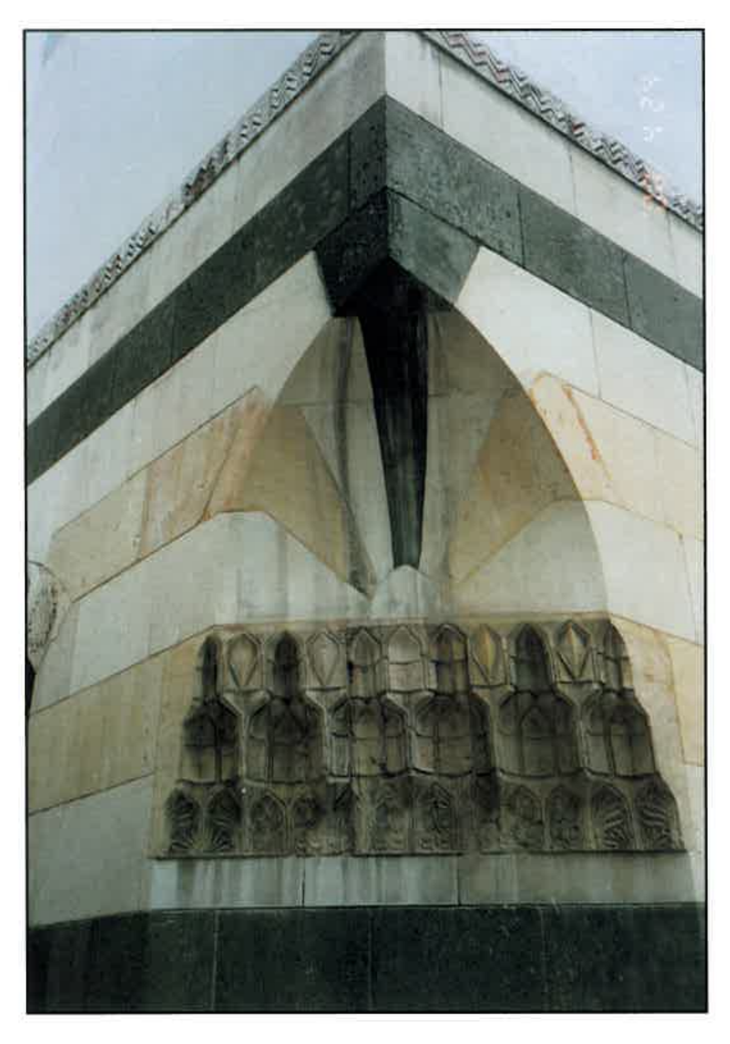
☆د. الشهابي ، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق ص٢٩

☆ تسمية أطلقت على الزخرفة العربية ، الهندسية منها والتوريقية ، فهي تضم كثيراً من الزخارف الإسلامية كالرقش والتوريق النباتي والخطوط العربية والتوشيح .

والأرابيسك هو تداخل أو تشابك الزخارف النباتية والهندسية والخطية بتوزيع مدروس وتناوب منظم وانسياب شاعري ، وقد قسّم إلى نموذجين :

ا – التسطير :

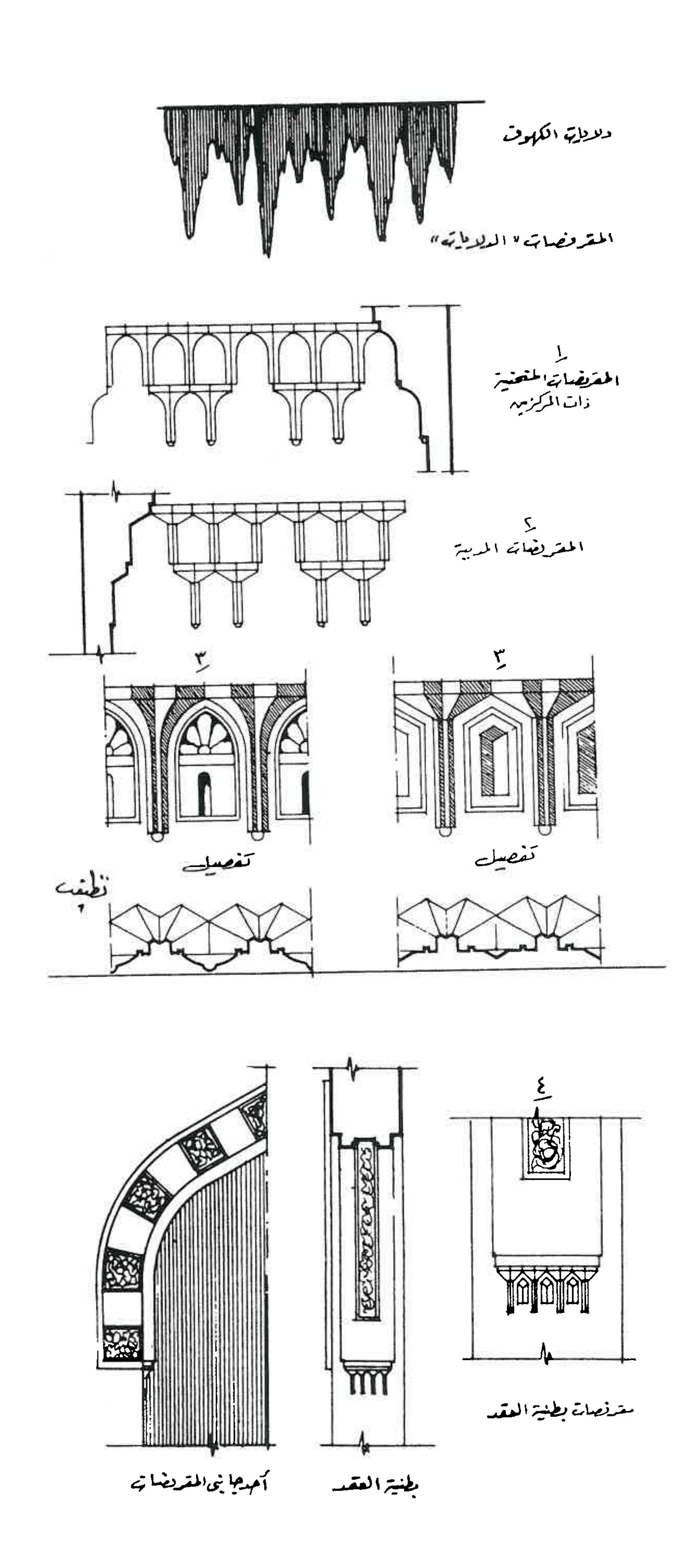
الشكل الهندسي للزخرفة الإسلامية كالخطوط المستقيمة والزوايا والمضلّعات والنجوم والخط الكوفي .





مقـــرنصـــات
قصـــر العظـــم

١–١٢٥–١



المقرنصات (الدلايات) STALACTITES

(نظيف)

٢- *التوريق :*

الشكل النباتي كالخطوط المنحنية أو الملتوية أو اللولبية أو الدائرية والخط النسخي اللين المطواع .

بدأ الأرابيسك بالانتشار في العهد العباسي وازدهر أيام السلاجقة والفاطميين واستمر في العهد المملوكي والعثماني .

وانتشر الأرابيسك في عمارة دمشق داخل البيوت السكنية الكبيرة ، وشارك في زخارف الأبواب الخشبية ومشبكات حديد النوافذ والأبواب وقطع الأثاث ، وفي الحشوات والرسومات التي تزين بها جدران القاعات وسقوفها ورخام بلاطها ، كبيت السباعي والمجلد وغيرهما .

٨) *المعشّق :*

☆الزجاج المعشّق طريقة تقليدية جميلة ، تقوم على تغطية النوافذ بألواح من الجص المخرّق بتزيينات هندسية أو نباتية ، ويجري التخريق قبل أن يجف الجص ويقسو .

☆د. بهنسي ، جمالية الزخرفة العربية ،ص٩٠

لقد ساعد هذا التلوين الشفاف على إدخال أنوار النهار ملونة إلى الصالة ، أو إلى إخراج أضواء المصابيح الداخلية ملونة إلى فناء الدار .

وكانت هذه الزخارف الملونة المضاءة زينة لتلك الأقسام العليا من الجدران المكلسة البيضاء .

وكمثال عام نستعرض **الزخارف في القاعة الدمشقية :** ☆

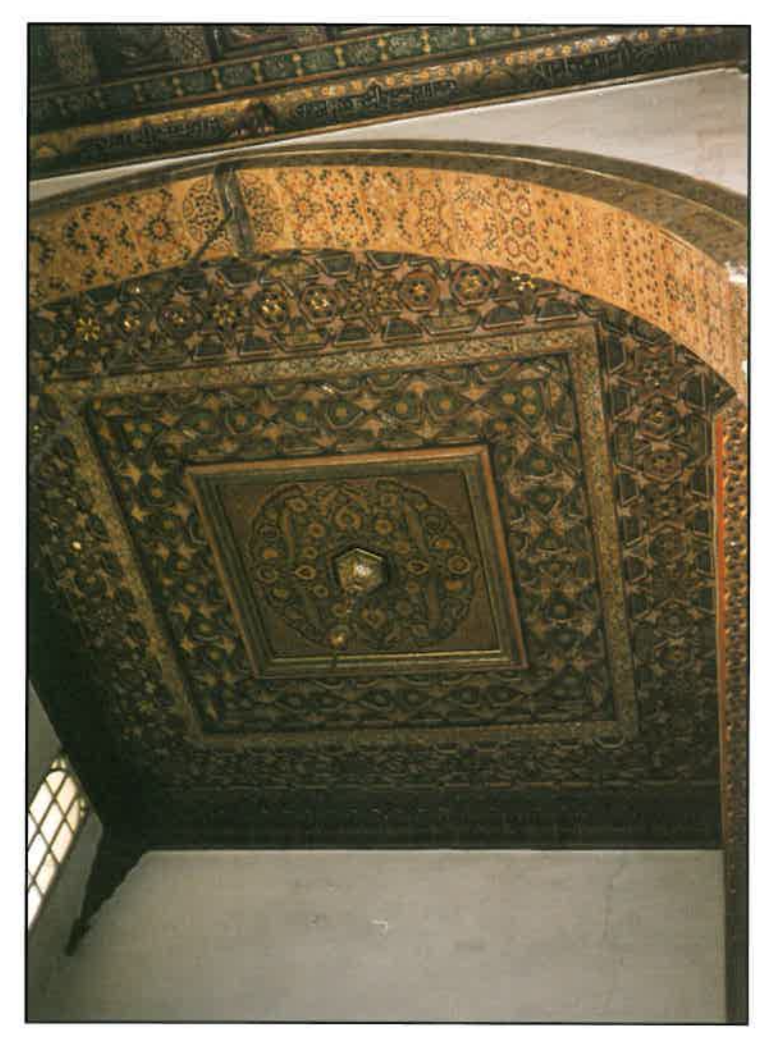
☆رحمة وأحمد ، البيت الدمشقي – القاعة الشامية ص٢١-٢٢-٢٣

يمكن تمييز أماكن مختلفة لتوزع الزخارف في القاعة : الأرضيات ، الجدران، الأسقف . كما نشاهد انسجاماً دقيقاً بين مكان الزخرفة وطبيعتها والتقنية المستخدمة فيها . ولابد من التمييز أيضاً بين العتبة والطزر ولاسيما في كسو الأرضية والجدران وذلك بسبب اختلاف طبيعة استخدام كل منهما.

العتبـــة : وتشمل :

أ- الأرضية :

تنفرد أرضية العتبة بمعالجة مميزة ، غالباً ما تكون رخامية باشكال وألوان متعددة تتوسطها "فسقية".



زخارف سقف عجمي

- قصر العظم -



زخارف أرضية رخامية

- بيت جبري -

ب- الجدران :

تقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- قسم الجدار الواقع تحت متكأ النوافذ : مزخرف بتقنيات مختلفة مثل المداميك المتناوبة أو الرخام "المشقف" أو النحت البارز .

٢- القسم الأوسط من الجدار – من متكأ النوافذ أو الكتبيات إلى كورنيش الجدار أو متكأ النوافذ العلوية – وهو مزين بزخارف تختلف بتعقيدها حسب القاعة وتتراوح بين النقوش الخفيفة إلى النقوش النافرة ، ومن الرسم على الحجر (الأبلق) إلى الترصيع بالصدف، ويتوسط هذه الجدران أحياناً مصب له معالجة زخرفية خاصة تستخدم فيها الأعمدة والمقرنصات والرخام المشقف ويحاط بالإطار العام للزخارف .

٣- القسم العلوي من الجدار – من متكأ النوافذ العلوية أو "كورنيش" الجدار حتى السقف – غالباً ما يغطى بالكلس الأبيض ويزين أحياناً برسومات جدارية وبعض الخشب المحفور والمرايا .

جـ – السقف :

وهو خشبي دوماً ، فإما أن يكون على شكل عوارض خشبية ظاهرة تحمل زخارفَ ملونة أو مذهبة وأحياناً تنمق بأدعية (توكلت على الله) وفوقها ألواح خشبية مزخرفة أيضاً أو أنْ يكون عبارة عن سقف مستعار من الألواح الخشبية التي ترصف رصفاً هندسياً لإخراج أشكال مثلثية أو مسدسية بالإضافة إلى الزخارف الخشبية المنحوتة التي يتم إغناؤها أحياناً بالدلايات وبالمرايا .

وفي الحالتين يستند السقف أو العوارض إلى طنف مقرنص أو بدون مقرنصات ، ويتدلى من الزوايا أشكال مقرنصة أو أوراق محفورة . وفي مراحل متأخرة تم الاستغناء عن الزخارف الخشبية بالرسم على القماش المشدود فوق السقف مع طنف محيطي وأحياناً مرايا .

الـطـزر : ويشمل :

أ- الأرضيـة :

لاتتميز بكَسْوٍ فهي عبارة عن ألواح خشبية تُمدُّ على كامل الأرضية ويُمدُّ فوقها السجاد ، ولكن واجهة الدرجة التي تفصل بين العتبة والطزر تتميز أحياناً بكَسْوٍ رخامي "مشقف" يتناسب مع أرضية العتبة .



زخارف جدران عتبة وقاعة
- بيت الاسطواني -



ب– الجدران :

١– القسم السفلي من الجدار حتى متكأ النوافذ: غالباً ما يكون خالياً من الزخارف ، مع احتمال وجود ترتيب بسيط للحجارة في الجدار ، وغياب الزخارف يبرره استخدام هذا القسم من الفراغ حيث يكون ارتفاع متكأ النوافذ والكتبيات ملائماً لوضع الأرائك والمخدات والمساند .

٢– القسم الأوسط من الجدار – المحدد بالفتحات أي الكتبيات والخرستانات والنوافذ – غالباً ما يكون عبارة عن غلاف خشبي يدعى "حلقة" من الخشب الملون والمذهب (طريقة العجمي) ، تعلوها أحياناً عناصر خشبية منحوتة (أزرار) وبعض الأدعية والأبيات الشعرية وأحياناً المرايا ، وقد تكون الكتبيات مزينة برسومات جدارية . وينتهي على الأغلب "بكورنيش" خشبي .

٣– القسم العلوي من الجدار – مكانه هو نفسه في العتبة – وكذلك له المعالجة نفسها ، يضاف إليه أحياناً عناصر خشبية ملونة أو مزخرفة أو مذهبة أو مرايا .

نلاحظ أن النظام الزخرفي الداخلي المستخدم في الجدران سواء في العتبة أو الطزر يتركز حول الفتحات ، مما يحدد التشكيل العام لهذه الزخارف من ناحية الأبعاد ودرجة التعقيد .

ج– السقف :

سقف الطزر يحظى بمعالجة سقف العتبة نفسه مع اختلافات بسيطة وغالباً ما يكون لهما الارتفاع نفسه .

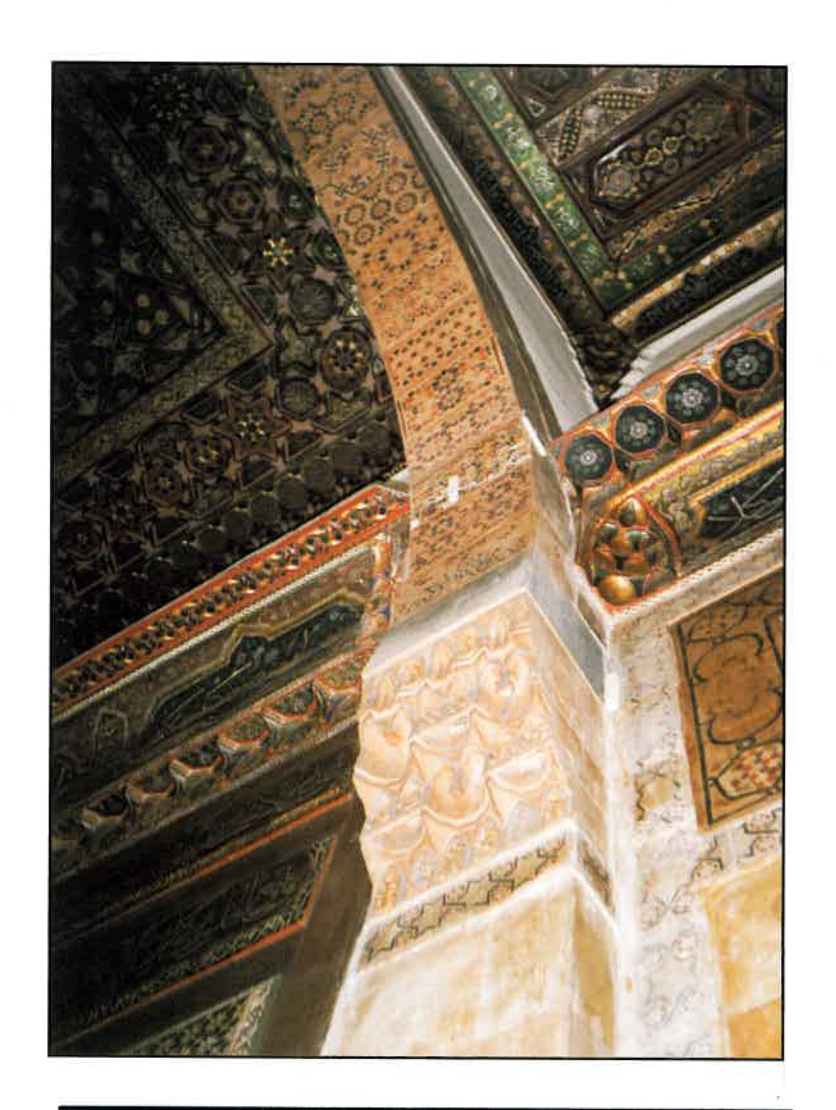
القـــوس :

هناك عنصر معماري آخر في القاعة يحمل زخارف تختلف في غناها وتعقيدها من قاعة إلى أخرى ، وهو القوس الفاصل بين العتبة والطزر وهو موجود في المنطقة الفاصلة بينهما أي فوق واجهة الدرجة ، وهو قوس حجري مغطى بالكامل بزخارف متنوعة حسب عناصر القوس المختلفة :

أ– الطنف : وهو من الجبصين المنحوت على شكل مقرنص أو حواجز شبكية بتقنية التخريم ، وفي مراحل متأخّرة أخذ أشكال تيجان الأعمدة مع نحت على شكل نماذج نباتية .

ب– باطن القوس : عبارة عن رسومات متعددة الألوان (الأبلق) أو نحت على الخشب أو الحجر وهو ملون أو مذهب .

جـ– القفل : يتميز أحياناً بنوع خاص من الزخارف وهو بذلك يشبه قوس الإيوان .



زخارف أقــواس القاعــة

ـ قصر العظم ـ



بيــت جــبري

٢١- الأثـــاث

لاتدخل داراً من دور دمشق إلا وتجد في حجرها فرشاً جميلاً قيمته بحسب اقتدار صاحبه ، وهو معمول بحسب الطراز الشرقي ، أي من مقاعد ومساند وسجادات وبسط وما أشبه . على أنه في السنين المتأخرة فرش بعض الأغنياء بيوتهم بالأثاث الغربي ، ولكنهم أبقوا في البيت حجرة فرشها شرقي ، وفي بعض الدور قاعات رفيعة مدهونة بأجمل الأدهان في وسطها برك يجري إليها الماء باتصال .

☆ د. بهنسي ، جمالية الزخرفة العربية، ص١٢٠

☆وتتعدد أنواع زخارف الأثاث من مصدفات وموزاييك وزخارف قيصرية والحفر والتنزيل الخشبي .

وينسجم الأثاث مع العناصر المعمارية البديعة للبيت الدمشقي ، فالكرسي مشغول بالصدف أو الموزاييك ، والطراريح ذات رسوم ووشي ، والصحون نحاسية مؤطرة ومنقوشة ، والحاجات توضع في خزائن مزخرفة مرسومة .

والأثاث الخشبي جزء كبير من التزيين الداخلي ، يحمل الطراز الشرقي نفسه ليتمم العناصر الأخرى ، ومنه المحفر والمطعم بالصدف وغيره . وللمقاعد أنسجة حريرية ذات رسومات نباتية وألوان شرقية تتماشى مع اللون العام للغرفة ، وهذا الأثاث استخدم غالباً في القاعات الرئيسية ، وفي غرف النوم استعمل السرير النحاسي بالإضافة إلى الخزائن الكبيرة المزينة أو المحفورة أو المنقوشة بأشكال نباتية ، وتثبت على مصراع الخزانة مرآة كبيرة . وهناك صندوق خشبي تحفظ فيه الألبسة وهناك الخزائن التي تُحفظ فيها الأطباق والفناجين ، وبعض الخزائن لها مصاريع زجاجية لعرض التحف والقطع الزجاجية النادرة .

ولايمكننا أن ننسى فن صناعة القوارير والأكواب والزهريات الزجاجية في دمشق .

☆ د. بهنسي ، جمالية الزخرفة العربية، ص١٢٢

☆ومنذ القرن الثامن عشر بدأت البيوت الكبرى باقتناء أثاث من الخشب المزخرف بالصدف المنّزل ، وأطلق عليه اسم المصدّف . وغالباً ما تكون الصيغ الزخرفية في هذا النوع هندسية تعتمد على النجمة الثمانية أو السداسية .

إنّ أكثر الطاولات تصنع من الخشب المصدّف عادةً وكذلك الصناديق الكبيرة والخزائن والكراسي ، ولقد اختير لهذا النوع من الصدف أثاث موحد التصميم نراه في الأثاث الكامل الذي اقتني في بيت الصواف والموجود في متحف البيت الشامي .

وأما زخارف الموزاييك فقد انتقلت إلى الأثاث حيث كانت تتطلب حفراً لتنزيل تفاصيل الأشكال .

☆ د. بهنسي ، جمالية الزخرفة العربية، ص١٥١

☆وأما الزخارف القيصرية فإنها تعود إلى العصر العباسي ، وأشكال هذه الزخارف نباتية مجردة ، وتُنفذ بالحفر الغائر المشطوف على خشب الجوز الجاف ذي اللون الداكن

أثـاث قصـر العظـم





أثاث قصر العظم





وتطلى بلون بني مدهون بطبقة زيتية مصقولة . وغالباً ما تكون هذه الزخارف على حشوات خشبية مؤطرة ، ويمكن أن تكون زخرفة الإطارات هندسية . ولقد استعملت هذه الزخارف على الأثاث المخصص للاستقبال أو المكاتب .

وأما زخارف الحفر فقد اعتمدت غالباً على عناصر دقيقة من الحفر أو الخراطة يتجلى في الشبكيات والبلابل والمقرنصات والشراشف والحواجز المشبكة .

☆وهناك ثمة نوع من الزخارف يتجلى في تنزيل الزخارف الخشبية ذات الأشكال النباتية المعقدة والمهيأة من خشب الليمون الأصفر غالباً لكي ترسم على خشب الأثاث أشكالاً تزيينية منوعة ، وتكتفي بإضافة بلابل ضخمة وأعمدة حلزونية أو مخروطة وتيجان مفرغة . وتزخر بعض البيوت الدمشقية بمجموعات غنية من هذا النوع .

☆ د. بهنسي ، جمالية الزخرفة العربية ، ص١٥٣

وفي الشتاء تفرش الأرضيات بالسجادات ذات الألوان العديدة ، وهي توحي مع التزيينات والأغطية المطرزة ودهانات السقوف بالراحة التامة وتشيع جواً رائعاً مجهولاً في أوروبا .

الفصل الثامن
البنية الإنشائية للبيت الدمشقي

البنيـــة الإنشـــائيـــة للـــبيـت الدمشـــقـي

إن لموقع دمشق وسط غوطتها آثرا واضحا في تأمين المواد الأولية للبناء في الماضي ، لا سيما وأن الاسمنت لم يكن معروفاً في ذلك الوقت ، فكان على الدمشقيين أن يلجأوا إلى المواد المتوفرة في محيطهم ، وهذه المواد من صلصال الأرض وجذوع الحور .

ولذلك فإن البيت الدمشقي اعتمد في بنائه على التراب في الدرجة الأولى ، ويدخل الخشب في البناء مع التراب لتغطية المسكن بالسقف ودعم الجدران .

☆ويمكن أن نلخص طرق البناء الإنشائية في البيت الدمشقي على النحو الآتي :

☆ د. خير ، دمشق ، ص٣٨٢← ٣٨٥

١ - الجـــدران

يرتفع الجدار عادة بإحدى الطرق الأربعة الآتية :

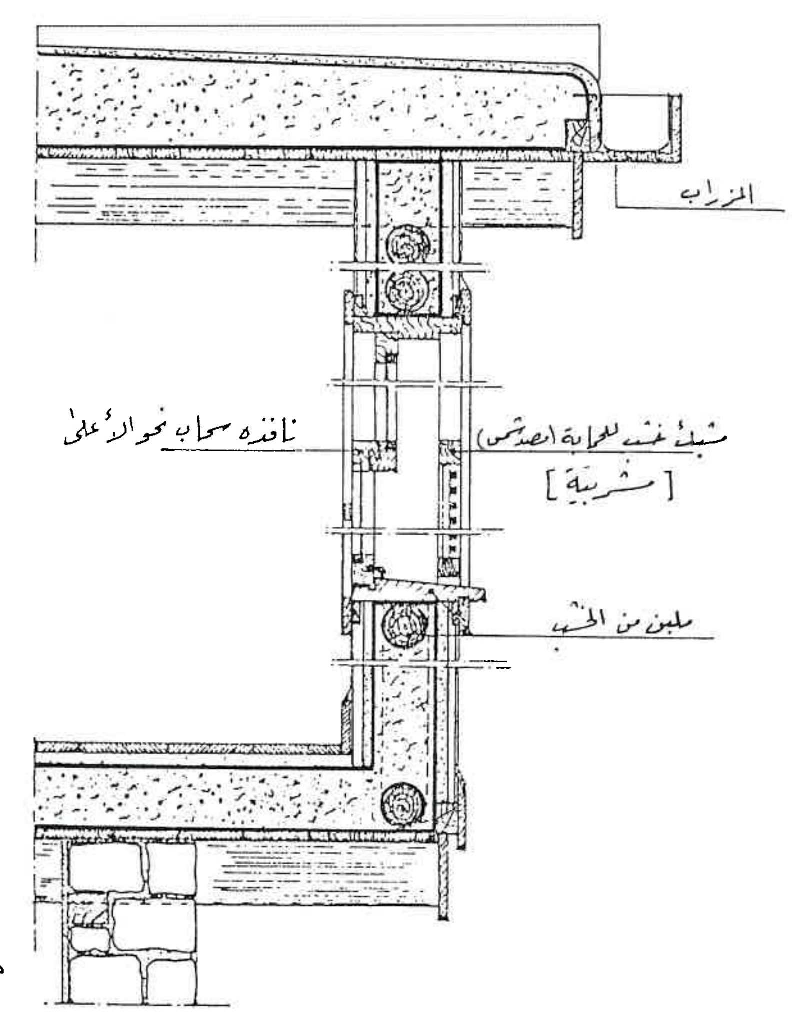
أولاً : طريقة اللبــن :

وهي تعتمد على اللبن العريض فقط في بناء الجدران ويتم ذلك بخلط الطين بالقش المكسر وصب هذا الخليط في قوالب أبعادها ٣٠×٣٠×٨ سم ، و٣٠×١٥×٨ سم ، وتترك هذه اللبنات عرضة لأشعة الشمس حتى تجف وتقسو .

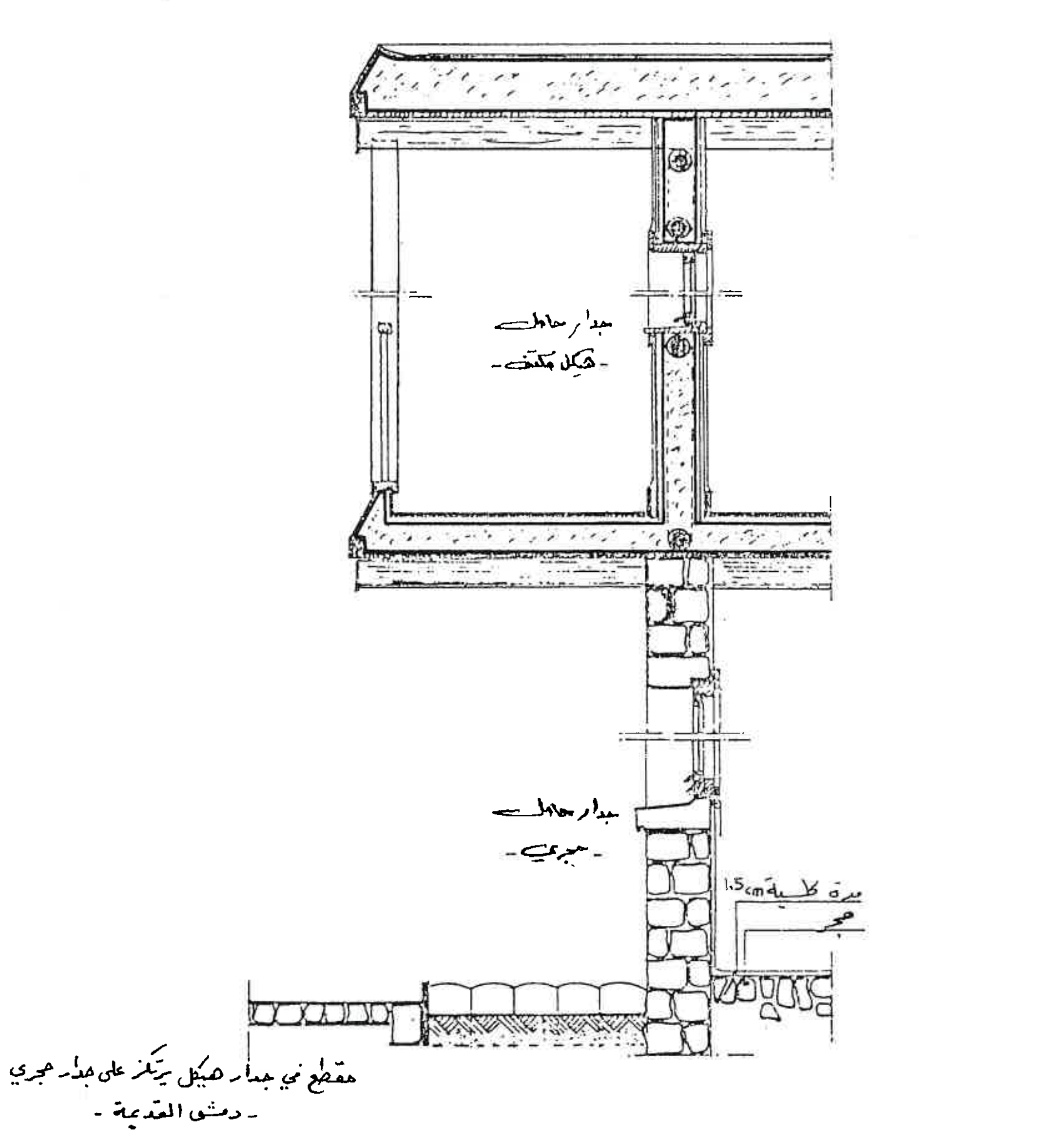
وتبتدئ عملية بناء الجدار بوضع الأساس أولاً ، وهو يتألف – عادة – من الحجارة ، وقد يكون الأساس من اللبن أيضاً إذا كان صاحب الدار حالته متواضعة ، فيوضع اللبن حينئذٍ فوق الأرض داخل خندق قليل العمق . وفوق الأساس ترصف اللبنات ، لتمسك كل لبنة لبنتين تحتها ، وبين اللبنات ملاط يمسكها مؤلف من تراب ممزوج بالماء بدون التبن أو القش وتستمر هذه العملية حتى يتم بناء الجدار . وبعد ذلك يُغطّى الجدار بطبقة رقيقة من الطين الممزوج بالتبن ، وذلك بعد وضع السقف أو قبله .

ثانياً : طريقة الهيكل الخشبي :

يغلب استعمال هذه الطريقة في البيوت ذات الطابقين ، وهي تستخدم الأخشاب إلى جانب التراب ، إذ يكثر وجوده في جميع أنحاء الغوطة ، ويتم إنجاز الجدران على مرحلتين : تشمل الأولى إقامة هيكل خشبي ، يتألف عادة من جذوع أشجار الحور بعد قشرها ، وقلما يكلف النجار نفسه تشذيبها وتشكيلها . وتتضمن الثانية ملء الفجوات بقطع اللبن . وأخيراً تطلى الجدران بطبقة مصقولة لحماية الجدران من الأمطار .



مقطع في جدار هيكل مكتف
- دمشق القديمة -



مقطع في جدار هيكل يرتكز على جدار حجري
- دمشق القديمة -

١٣١-١

ثالثاً : طريقة الدك :

وهي أقل الطرائق انتشاراً ، ويجري عملها كما يأتي :

يؤتى بلوحين خشبيين مستطيلين طول كل منهما ١٧٠ سم وعرضه ٨٥-٩٠ سم ، ويثبتان بعيداً عن بعضهما بشكل رأسي بمقدار ٣٠-٥٠ سم ، ويُسد الجانبان الآخران بلوحين صغيرين ، فيتشكل قالب خشبي مقفل الجوانب تستند قاعدته على الأرض وفتحته إلى الأعلى ، ثم يملأ هذا القالب بالتراب والحصى الممزوجين بالماء ، ويضغط هذا المزيج بعد ذلك حتى يصبح كتلة واحدة متراصة ، وبعد ذلك يرفع القالب ، وتعاد هذه العملية بالطريقة نفسها .

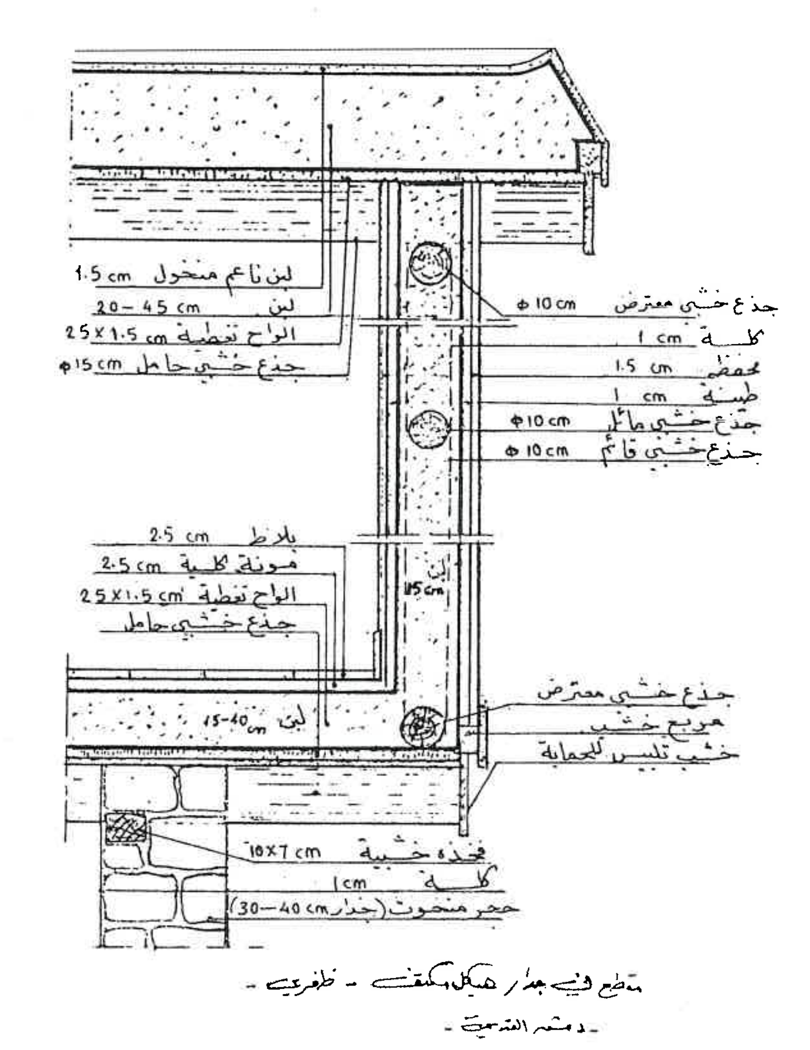
وعندما تنتهي إقامة الصف الأول من الدك ، يُقام فوقه صف ثانٍ وثالث حتى يصل إلى الارتفاع المطلوب . ويفصل الدك الأول عن الأرض عادة بطبقة من الحجارة تتماسك مع بعضها بملاط طيني ، كما ويفصل بين كل دك وآخر أيضاً بطبقة رقيقة من الحجارة الصغيرة ، ومن مجموعة هذه الطبقات الترابية المضغوطة تتشكل جدر صلبة تصبح قاسية بعد جفافها ، وتطلى بعد ذلك بطبقة طينية رقيقة مخلوطة بالتبن ، تجدد غالباً كل ثلاث سنوات ..

رابعاً : طريقة الحجارة :

وهي أقل انتشاراً من النوع الترابي ، لأنها تكاد تقتصر على بيوت الأسر الميسورة والمباني العامة .

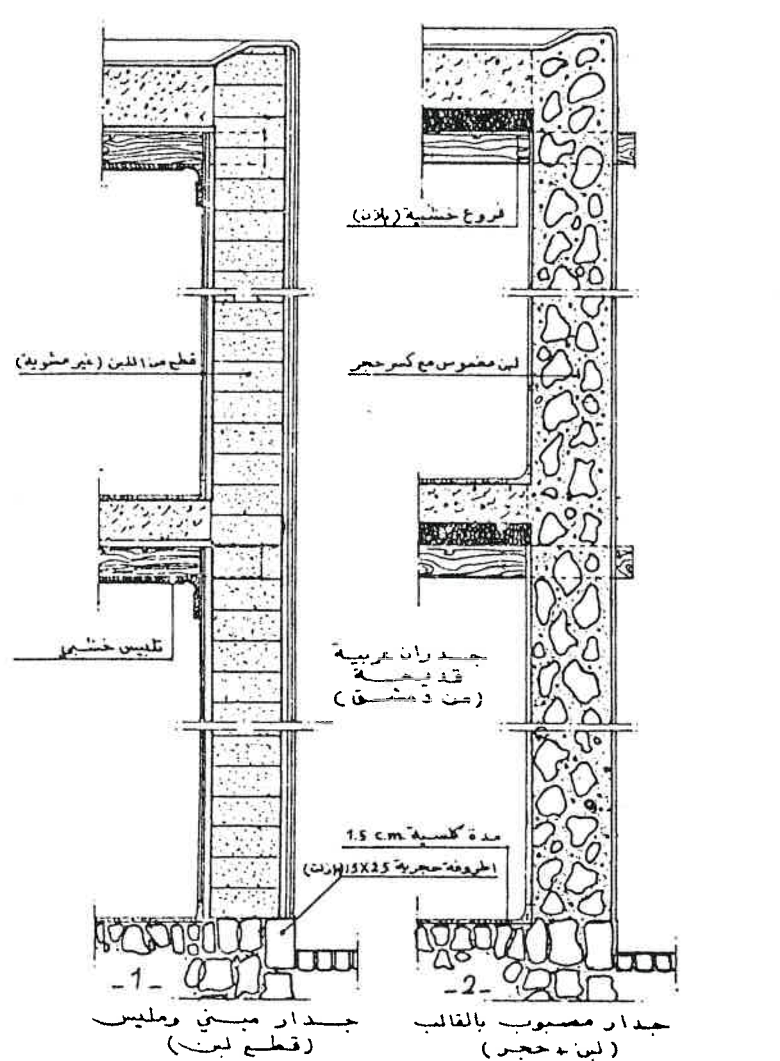
يُقام أساس البيت الحجري عادة ، باستخدام الحجارة مع الملاط ، ثم ترفع فوقه الجدران ، وغالباً ما تكون سميكة ، تتراوح بين ٦٠-٩٠ سم ، وهي تتألف من واجهتين متقابلتين من أحجار البناء ، تكون الواجهة الخارجية منها أكثر تشذيباً وتنسيقاً ، ويملأ ما بينهما بالحجارة غير المنحوتة والملاط . وقد توضع فوق الجدران ، أحياناً ، قطع من الأخشاب على شكل أفقي لتشكل رباطاً بين أقسام الحائط وتؤمن قوته وتماسكه .

والمساكن الحجرية أطول المساكن القديمة عمراً وأبقاها على الزمن . وتكون الحجارة المستخدمة على أحجام مختلفة ، معظمها من الحجارة الجيرية البيضاء المجلوبة من تلال المزة أو جبال برزة ، والبعض الآخر من الحجارة البركانية السوداء المجلوبة من جبل المانع قرب الكسوة ، كما هي الحال في بعض منازل حي الميدان القديمة ، ومساكن الموسرين القديمة ، حيث يستعمل الحجر البازلتي في بناء أطر الأبواب الخارجية وأبواب الغرف والنوافذ والأقواس الحجرية .



مقطع في جدار هيكل مكشف - ظفري -

- دمشق القديمة -



جدار مبني ومليس (قطع لبن)

جدار مصبوب بالقالب (لبن + حجر)

٢- الأسقف

تدخل الأخشاب في بناء المسكن لتغطيته وبناء سقفه ، سواء كان هذا المسكن مصنوعاً من اللبن فقط أو اللبن والخشب ، وتكون هذه السقوف - شأنها في ذلك شأن السقوف في البلاد الجافة - مسطحة ، يستخدم فيها خشب الحور الذي يتوفر في هذه المنطقة ، ويتم بناء السقف بعد رفع الجدران بالطريقة الآتية :

أولاً : يُوضع عمود خشبي غليظ - يسمى الجسر - يستند على منتصف جدارين لتستند عليه أعمدة الحور الخشبية المتوازية لتصل إلى الجدارين الآخرين مشكلة معه زوايا قائمة، وتكون بقطر ٢٠-٣٠ سم وطول مختلف وغالباً ٦-٨ م في مسافات متباعدة بانتظام تتراوح بين ٥٥-٧٠ سم .

ثانياً : ثم يوضع فوق هذه الأعمدة رفوف خشبية تدعى "الطبق" ..

ثالثاً : وفوقها تفرش طبقة من التراب المبلول وتدعى "بالبلة" يضاف إليها أحياناً قليل من الحصى ، ثم تضغط وتدحل ويتراوح سمكها من ٢٠-٣٠ سم .

رابعاً : وعندما تجف تُكْسى بطبقة طينية لزجة متماسكة لتمنع التسرّب في فصل الأمطار.

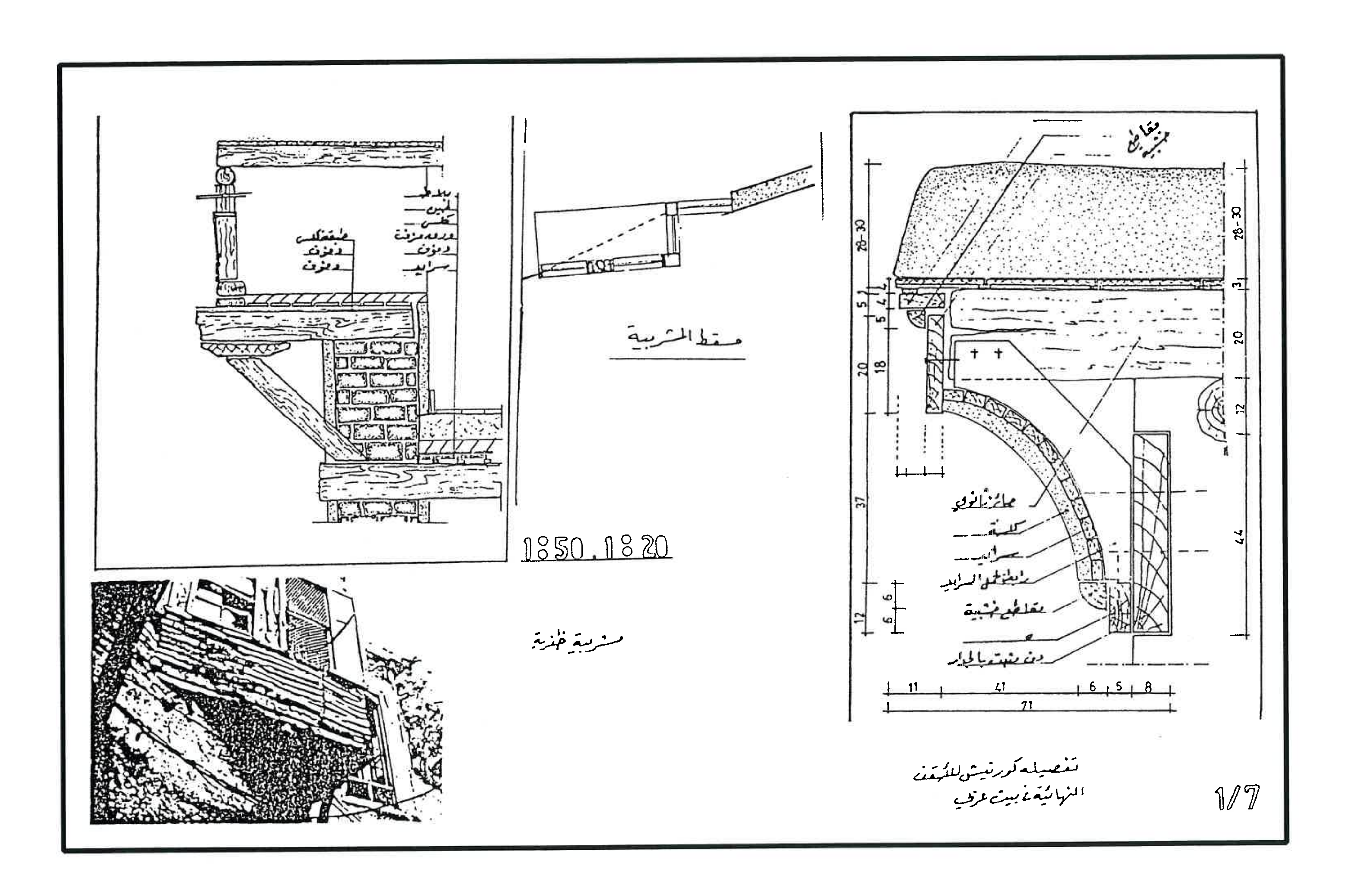
ويُصنع للسقف ميل أو ميلان خفيفان حتى يسهل انحدار مياه الأمطار عليهما ، وقد يمتد السطح خارج الجدران بمقدار ٤٠-٥٠ سم لحماية الجدار من الأمطار الشديدة ..وتنتهي السطوح بطبقة من "الزريقة" ، وبهذه الطريقة تعزل الحرارة في الصيف ويمنع المطر في الشتاء .

وهناك فتحات أفقية للتهوئة خشية تسوس الخشب .

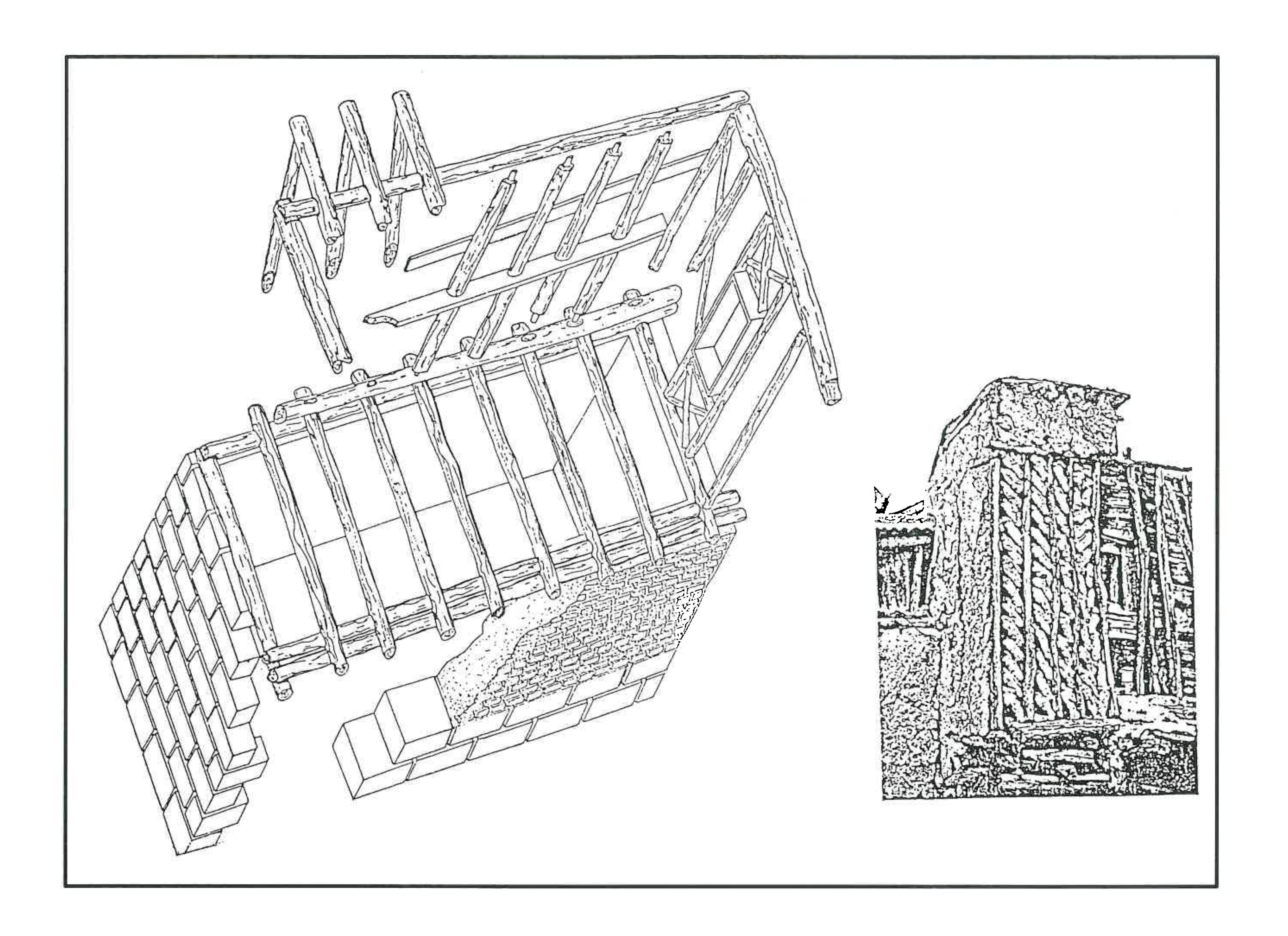
كما يوجد لبعض البيوت الراقية أروقة ، وهي أطراف زائدة عن السقف مشرفة على باحة البيت ، مثبتة بعمد خشبية مستندة على الأرض .

وبشكل عام ، تكون مواد البناء عادة من حجر في الطابق الأرضي خصوصاً في الفراغات الاحتفالية والايوان ، وصفوف مرتبة ومتتالية من البازلت الأسود والحجر الرملي الوردي وكلها متوافرة من مقالع قرب دمشق أو إلى جنوبها ، وتكون سماكة الجدران بين ٦٠-١٠٠ سم وإذا استعملت مادة اللبن في بعض الجدران غير المرئية في الطابق الأرضي فهي عادة من السماكة نفسها أما السقف فطيني مدكوك فوق دفوف خشبية محمولة على عوارض خشبية بدون إنهاء ، مستديرة المقطع ومغطاة بزخارف نباتية وهندسية ملونة وأحياناً معقدة جداً، وهذه الجذوع من خشب التوت أو الصفصاف أو الحور المتوافرة في غوطة دمشق .

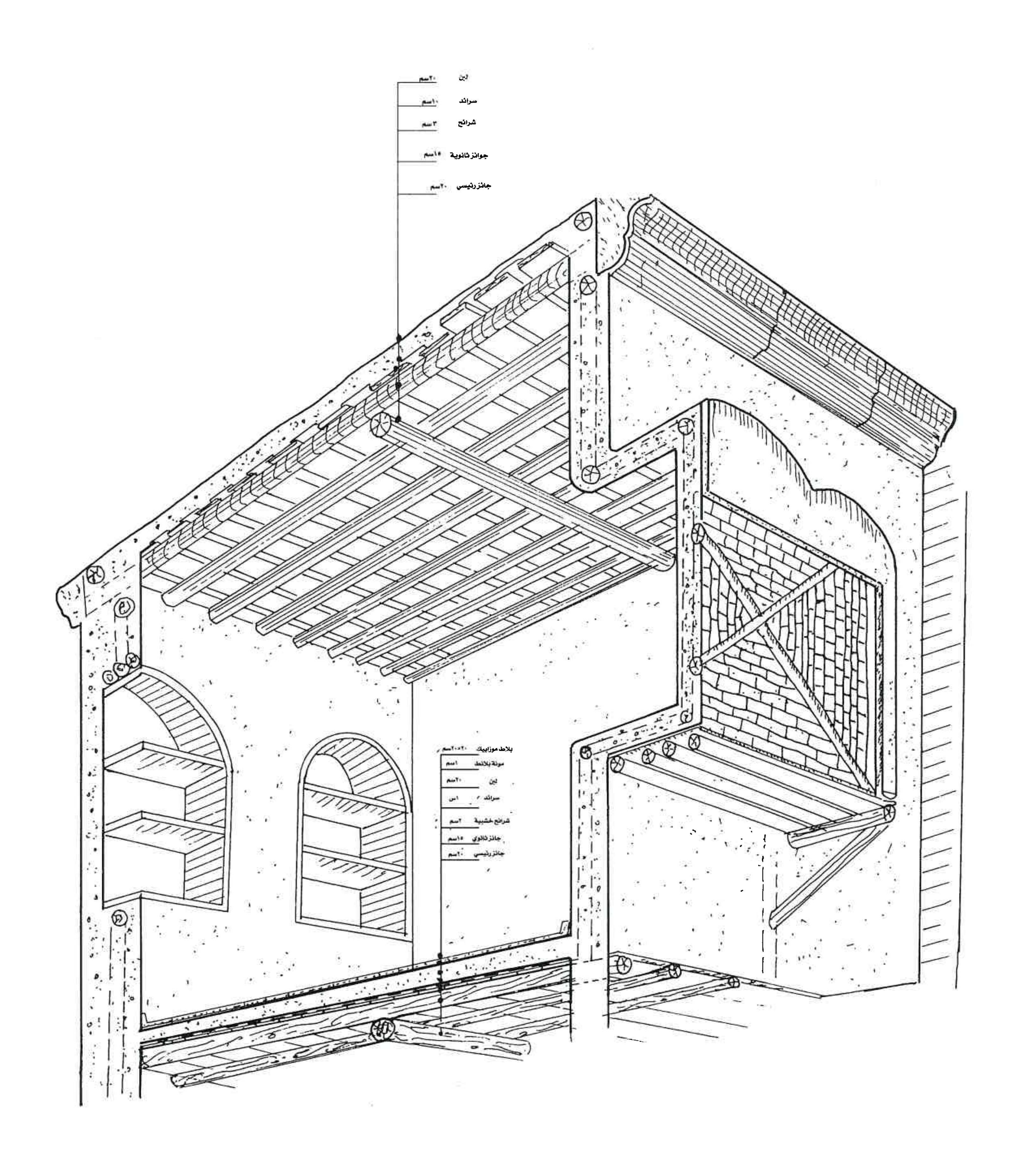
أما إنشاء الطابق الأول فهو عبارة عن هيكل خشبي مملوء بصفوف من اللبن المرتب على ميل حوالي ٤٥ درجة ، وهو إنشاء خاص بدمشق، وهو عادة أقل سماكة من جدران الطابق الأرضي ٤٠-٦٠سم ، ومطين من الخارج بطبقة من (الزريقة) المكونة من الكلس ورماد الحمام وقشر القنب ، ومن الداخل مطين بالكلسة أو الزريقة أو مغطى بألواح خشبية أو رخامية مزخرفة في حال وجود قاعات استقبال في الطابق الثاني أو غرفة لمنامة الضيوف ..



مسقط المشربية
1850 . 1820
مشربية خشبية
1/7

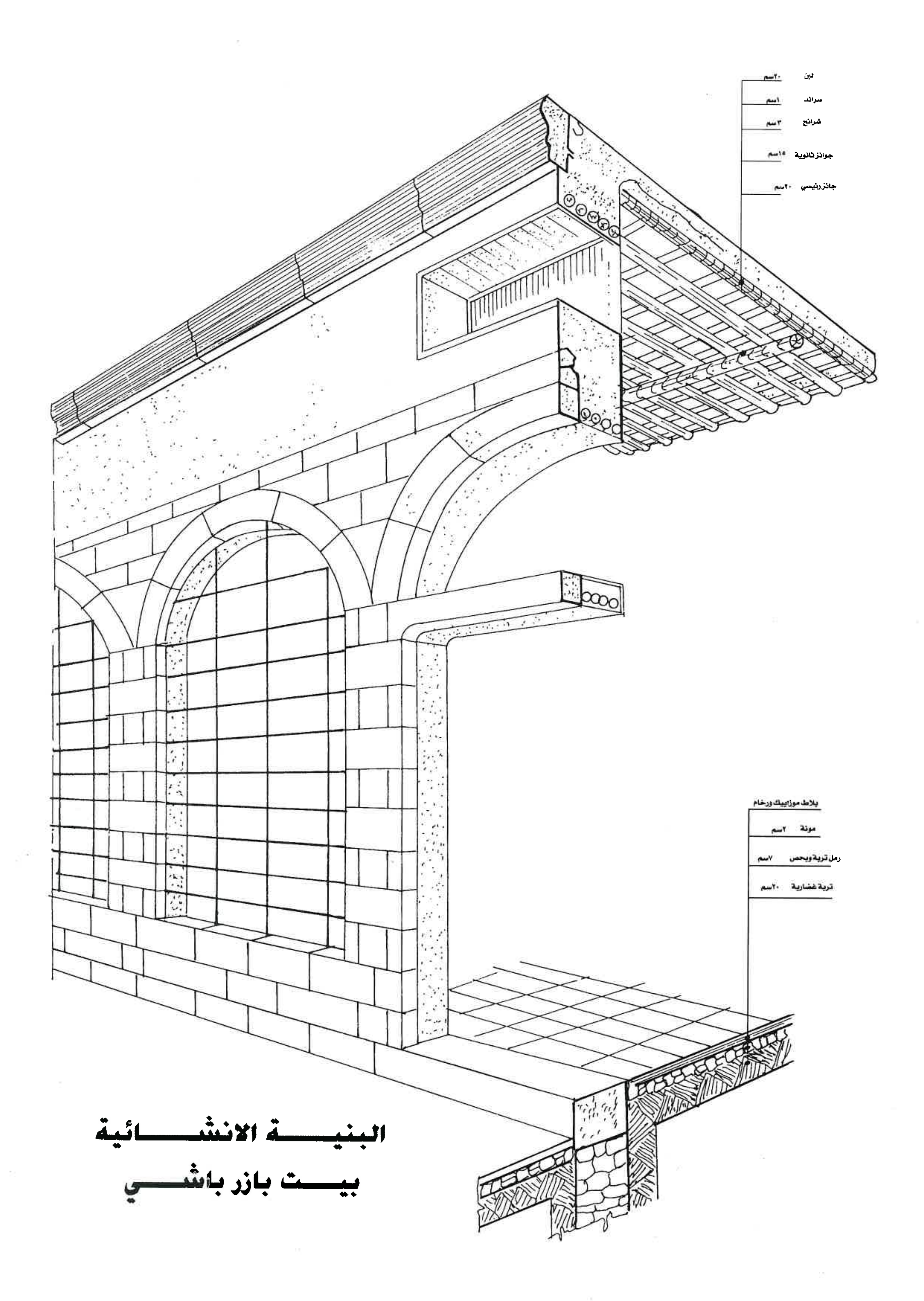


البنية الإنشائية للجدران والسقف
في البيت الدمشقي



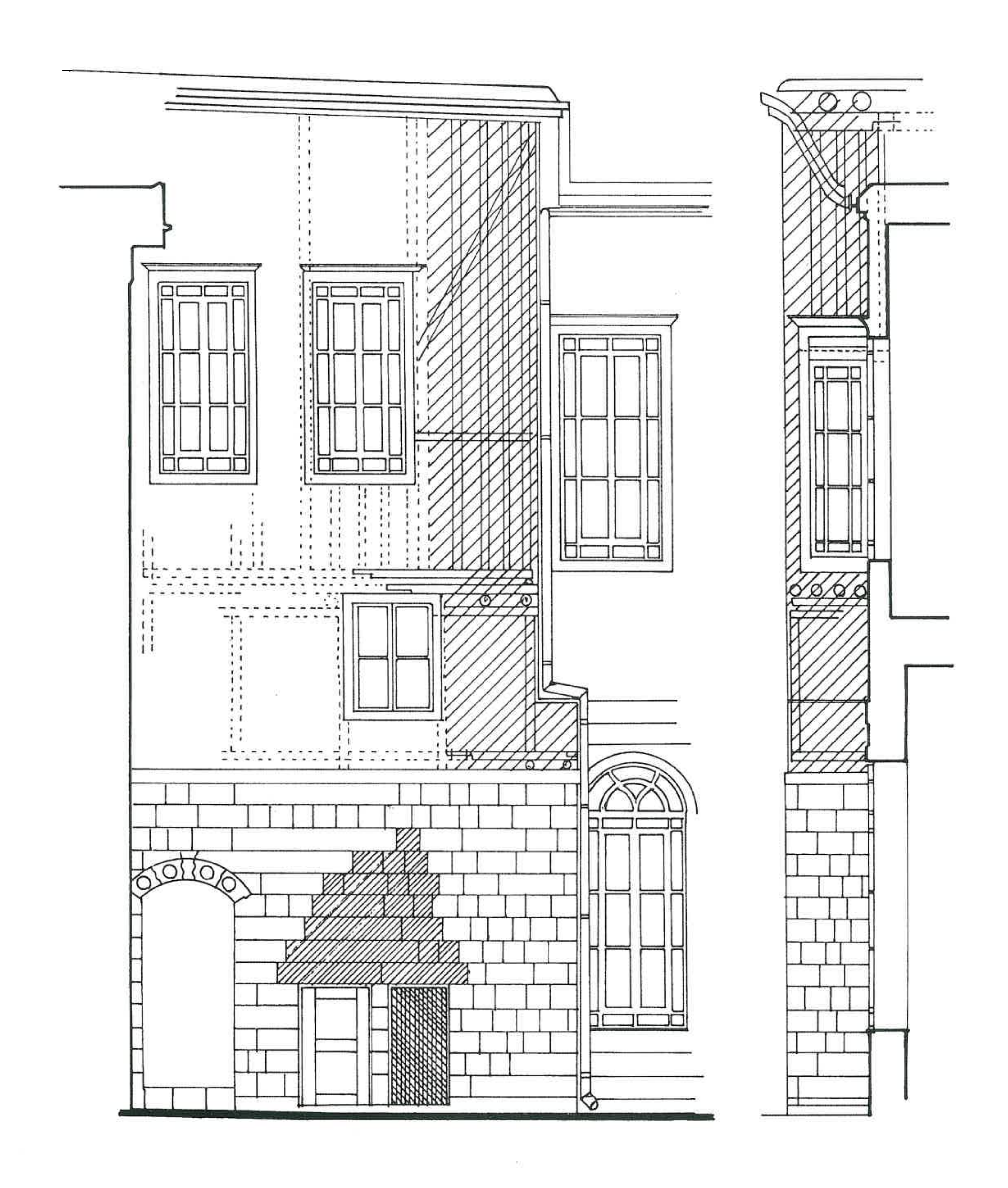
البنية الانشائية

بيت سنبل



البنيـــة الانشـــائية

بيـــت بازر باشـــي



البنية الإنشائية لجدران البيت الدمشقي

بيت العقاد

٥-١٣٣

انتهى الجزء الأول بعون الله تعالى

ويليه الجزء الثاني الذي يحتوي :

- الفصل الأول: نماذج البيوت الدمشقية
- الفصل الثاني : نماذج البيوت في المدن الإسلامية
- الخاتمة
- معجم المفردات
- المراجع
- مختصر مترجم باللغة الانكليزية مع الصور بالألوان

مصادر الصور والرسومات –الجزء الأول

المصـــــــدر	أرقـــام الصفحـــات
مؤسسة الصالحاني	١-١ علوية
جيرار روبين – قصور وبيوت من دمشق في القرن ١٨	١-١ سفلية /٥٥-١/ ١٢٢-٢
La Alhambra De Granada – Editorial Everest	١١-١
Dominguez – Madrid (Postal Card)	١٢-١
محافظة مدينة دمشق	١٩-٢٠
مكتبة الفقير – كرت بريدي	٢٠-١/٢١-٣
Les Midan, Yves Roujon & Luc – Vilan	٢٢-٢ إلى ٢٢-٥
م. جحا – البيت الدمشقي الكبير في منطقة الحمراوي	٢٤-١
م. ياسر الصباغ – الخدملك	٣١-١
العمارة العربية الحضرية بالشرق الأوسط – حسن فتحي	٣٧-١
مؤسسة سندباد	٦٩-١/٩٠-١ سفلية
لجنة حماية دمشق القديمة – مكتب عنبر	٦٩-٢
الحوليات الأثرية السورية مجلد ١٣ عام ١٩٦٣	٧٤-١/٧٥-١/٧٦-١/٧٧-١
م. نظيف – دراسات في العمارة الإسلامية	٩٤-١
Das Arabische Wohnhaus de 17 bis 19 Jahr. In Syrien, Sinjab	١٠٠-١/١٠٠-٢
د. بهنسي – جمالية الزخرفة العربية	١١٠-٤
د. غسان حلبوني – الإنشاء المعماري ج١	١٣١-١/١٣٢-١



ZAKARIYA KIBRIT
CONSULTANT ARCHITECT